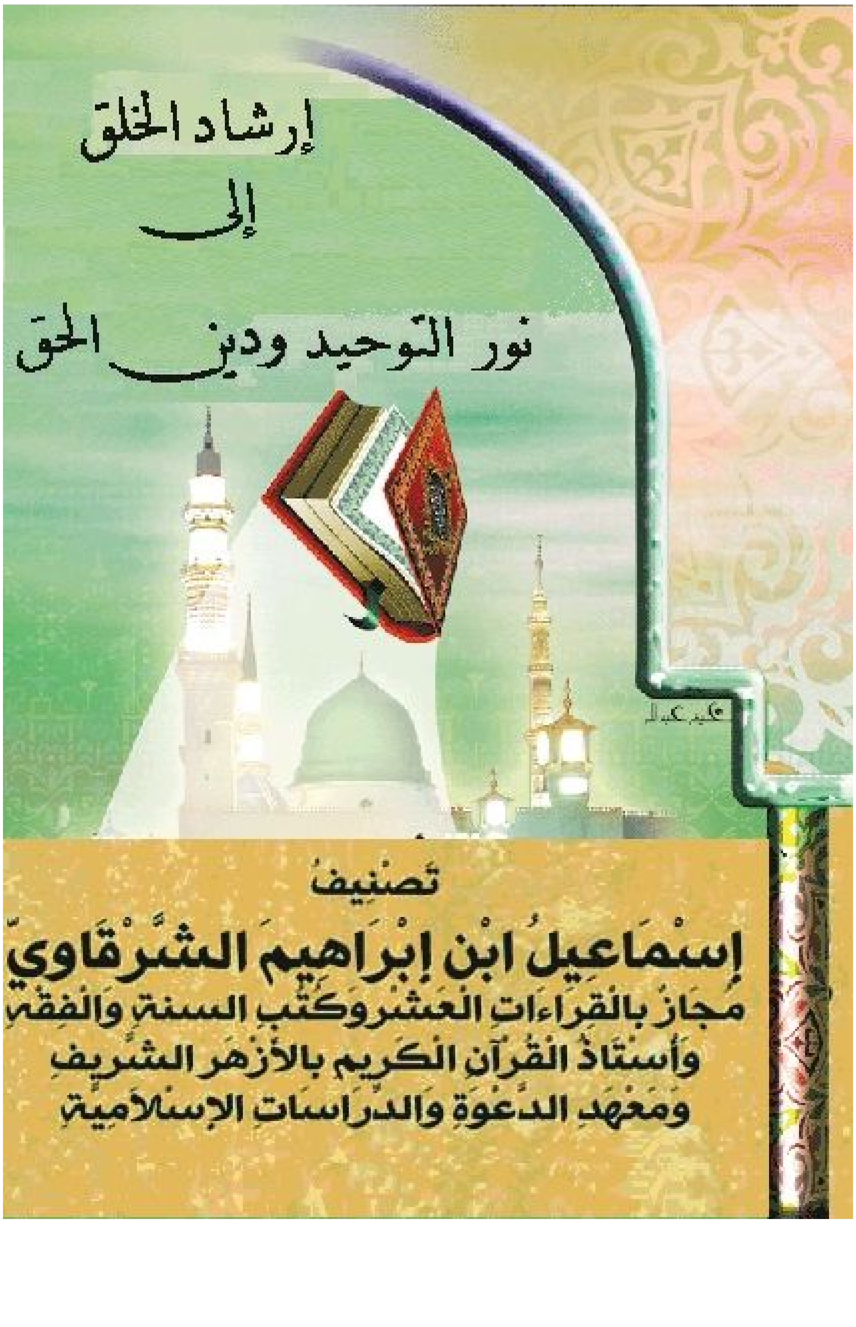

إرشاد الخلق
إلى
نور التوحيد ودين الحق
تَصْنِيفُ
إسْمَاعِيلُ ابْنُ إبْرَاهِيمَ الشَّرْقَاوِيّ
مُجَازٌ بِالْقِرَاءَاتِ الْعَشْرِ وَكُتُبِ السُّنَّةِ وَالْفِقْهِ
وَأُسْتَاذُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِالأَزْهَرِ الشَّرِيفِ
وَمَعْهَدِ الدَّعْوَةِ وَالدِّرَاسَاتِ الإِسْلامِيَّةِ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيد الخلق أجمعين ، محمد عبد الله ورسوله ، صلى الله عليه ، وعلى آله وصحبه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .. أما بعد :

فلقد عاينت وعانيت من ضياع الأمة الإسلامية وتفرقها ؛ ما يدفعني أن أقول بكل يقين :

إن الداء العضال الذي شتت الأمة وجعلها تخفق في كل مكان وميدان ؛ هو التفريط في تعلم وتعليم عقيدة التوحيد ، بصفائها ونقائها وبساطتها ، كما جاءت في القرآن والسنة مما أدى إلى سهولة الانسلاخ من آيات الله ﷻ ، والاقبال على ما حرم الله ﷻ.

ولقد مكث رسول الله ﷺ ثلاث عشرة سنة في مكة ؛ يعلم الناس التوحيد ، ثم هاجر إلى المدينة ، ولم يزل يعلم أصحابه التوحيد حتى لقي الله ﷻ ، بعد أن خلّف وراءه رجالا على هديه ظاهرا وباطنا ، حملوا كلمة الله ﷻ ؛ ففتحوا البلاد ، ونشروا الدين ، وإنما كان لسان حالهم في كل مكان :

" الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا الى سعتها ، ومن جور الأديان الى عدل الاسلام " ، هكذا كانوا ففتح الله ﷻ بهم أعينا عميا ، وآذانا صما ، وقلوبا غلفا .

أعلم أن هناك قوما يتحرجون أن يعلموا الناس التوحيد ، ولا شك أنهم مخطئون ؛ فإن الله ﷻ لا يقبل عملا بعقيدة فاسدة ، والعقيدة في القرآن تمثل ثلثه ، وقد صح أن النبي ﷺ قال لأصحابه : « أيعْجِزُ أحدُكُم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن ؟ » قالوا : وكيف يقرأ ثلث القرآن؟! قال : « قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن » ، وصح من سنته صلى الله عليه وسلم ، أن أعظم سورة في القرآن الكريم سورة الفاتحة ، وأن أعظم آية فيه آية

الكرسي ، وفي سورة الفاتحة وآية الكرسي من توحيد الله ، ودلائل عظمته وقدرته ما تنفد بخطه أقلام مدادها ماء البحار ، ولا تنفد كلمات الله سبحانه .

ولست أرى علما تعلمه ينفع كل النفع ، والإعراض عنه يضر كل الضرر كعلم التوحيد ؛ ذلك لأن الله ماخلق الله السماوات والأرض ، وما أرسل الرسل ، ولا أنزل الكتب ، وما قامت الحروب بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، وما قامت سوق الجنة والنار ؛ إلا لتحقيق كلمة واحدة ، كلمة التوحيد ، لا إله إلا الله .

وانطلاقا من هذه الكلمة ، بدأت بحمد الله وعونه الكتابة في أهم قضية في الكون كله ، وإن كان شرف العلم بشرف المعلوم ، فإن علم التوحيد شرف لمن يعمل به ، وحجة على من أعرض عنه ، والله أسأل العلم والعمل ، والإخلاص والقبول ، إنه بكل جميل كفيل ، وهو حسبي ونعم الوكيل ، والحمد لله رب العالمين .

كيف ندعو الناس إلى توحيد الله سبحانه وتعالى

عند مناقشة الكفار والمشركين يقول بعض المسلمين (لن نتكلم بالقرآن وإنما سنتكلم بالعقل) وينسى هؤلاء أنهم تورطوا في مصيبة كبرى من حيث لا يشعرون وهي أن كلامهم هذا يتضمن ويعني أن القرآن لا عقلانية فيه وإنما هو كتاب مقدس وترنيمات تعبدية لا تعقل ولا تفهم ويغفل هؤلاء عن أن الله خلق البلاد والعباد وعلم ما يصلح البلاد ويهدي العباد وهو أعلم بهم من أنفسهم يقول الله سبحانه أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ (14الملك).

فلماذا لا يقرأ المسلم على المشرك القرآن مع إن هذا هو أسلوب الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه في دعوة المشركين إلى التوحيد كما قال الله سبحانه وتعالى

وَإِنۡ أَحَدٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٌ لَّا يَعۡلَمُونَ (6التوبة).

قال المستشرق (سيل) :

" إن أسلوب القرآن جميل وفياض ومن العجب أنه يأسر بأسلوبه أذهان المسيحيين فيجذبهم إلى تلاوته سواء في ذلك الذين آمنوا به أم الذين لم يؤمنوا به وعارضوه ". أ .هـ .

والواقع شاهد على إسلام الكثير من الكفار بمجرد سماع آيات الله سبحانه وتعالى .

فإن سمع المشرك أو الكافر القرآن وكان فيه خير فسيأتي الله به – يسلم – وإن لم يكن فيه خير فشر أراحنا الله منه . وهذان موقفان من مواقف الدعوة المحمدية لعل الله أن ينفعني وإياك بهما .

الموقف الأول

عن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قرأ سورة النجم فسجد بها فما بقي أحد من القوم إلا سجد فأخذ رجل من القوم كفا من حصى أو تراب فرفعه إلى وجهه وقال يكفيني هذا فلقد رأيته بعد قتل كافر. (1)

وسجد معه ﷺ من كان حاضرا قراءته من المسلمين والمشركين والجن والإنس قاله ابن عباس . (2) حتى شاع أن أهل مكة أسلموا .

الموقف الثاني

كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده فقعد عند رأسه فقال له (أسلم) . فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له أطع أبا القاسم ﷺ فأسلم فخرج النبي ﷺ وهو يقول (الحمد لله الذي أنقذه من النار). (3)

فتأمل حرصه على إسلام الناس من غير مقابل يأخذه ولا أجر يحصله ماذا يستفيد رسول الله ﷺ من إسلام عبد يلفظ أنفاسه الأخيرة إلا التحول من الظلمات إلى النور ومن طريق الجحيم إلى طريق النعيم .

وثبت أن رسول الله ﷺ مرت به جنازة فقام فقيل له إنها جنازة يهودي فقال أليست نفسا. (4)

عالمية دعوة التوحيد

يظن بعض الناس أن رسول الله ﷺ أرسل إلى العرب فقط أو الإنس فقط ولكن الحق أن رسول الله محمدا ﷺ أرسله الله إلى جميع الإنس والجن والعرب والعجم لدعوتهم إلى توحيد الله واتباعه ﷺ كما قال الله ﷻ

وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٌ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ (7الشورى).

---

(1) رواه البخاري ومسلم .

(2) رواه البخاري . (3) رواه البخاري . (4) رواه البخاري ومسلم .

وقال تعالى وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ أَئِنَّكُمۡ (19الأنعام).

قال العلامة عبد الحميد كشك رحمه الله القاعدة الاولى من تشريعات الإسلام أنه شريعة عالمية وليس حكما إقليميا قال ﷻ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا وقال ﷻ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا (158 الأعراف). وإذ قد تقرر ذلك فلا بد أن يكون تشريع الإسلام شاملا لكل مقتضيات الزمن ، ومحيطا بكل نواحي الحياة . أ . هـ.

ولقد سمع وفد من وفود الجن بدعوة رسول الله ﷺ فاستمعوا له وهو يقرأ القرآن كما قال الله ﷻ

وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ * قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ * يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ * وَمَن لَّا يُجِبۡ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيۡسَ بِمُعۡجِزٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَيۡسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءُۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ (32:29الأحقاف).

فاستجابوا لدعوة الإسلام وانفعلوا مع القرآن عندما استمعوا سورة الرحمن

فعن جابر رضي الله عنه قال :

خرج رسول الله ﷺ على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها فسكتوا فقال لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردودا منكم كنت كلما أتيت على قوله { فبأي آلاء ربكما تكذبان } قالوا لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد .(5)

وقال الله ﷻ

قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا * يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا * وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةٗ وَلَا وَلَدٗا * وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطٗا * وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا (الجن1:5) إلى آخر ما قالوا من كلام هام وذكره الله سبحانه في معظم سورة الجن .

وأرسل رسول الله ﷺ رسائل إلى الملوك في الشرق والغرب منها ما أرسله إلى هرقل ملك الروم وهذا نص الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين و { يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ } . (آل عمران64) (6)

وأرسل رسول الله ﷺ إلى كسرى ملك الفرس رسالة هذا نصها

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلى الناس كافة لينذر من كان حيا أسلم تسلم فإن أبيت فعليك إثم المجوس . (7)

ومن هنا وجب على تابع ومحب لرسول الله ﷺ أن يدعو إلى الله بشرط أن يكون عالما بما يدعو ولا يدعو إلى عصبية أو جماعة أو حزب وإنما يدعو إلى إتباع ما

---

(5) حسن رواه الترمذي والحاكم وغيرهما .

(6) رواه البخاري ومسلم . (7) رواه الطبري وحسنه الألباني . (8) حسن رواه البزار والطبراني وغيرهما . (9) صحيح رواه أبو يعلى والبزار.

عليه رسول الله ﷺ وصحبه الكرام سواء كان يدعو كافرا أو مسلما عاصيا لتعود الامة إلى خيريتها كما قال الله ﷻ

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾

(110آل عمران).

وعلى الداعي إلى الله أن يتحلى بحسن الخلق فرسول الله ﷺ قال

إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق . (8)

وقال رسول الله ﷺ

أكمل الناس إيمانا أحسنهم خلقا وإن حسن الخلق ليبلغ درجة الصوم و الصلاة . (9)

تعريف التوحيد

التوحيد **لغة** : مصدر وحد يوحد أي جعل الشيء واحدا .

و**شرعا** إفراد الله ﷻ بالإيمان بما يختص به من الخلق والأمر وبما يجب له ﷻ من الأسماء والصفات مع إتباع سيد الخلق .

تعريف الإيمان

الإيمان **لغة** التصديق و**شرعا** نطق باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالجوارح والأركان .

فلئن ظن كثير من الناس أن الإيمان بالقلب لا غير فزعمهم مردود فإنه من آمن بقلبه يظهر الإيمان على جوارحه ومن رغب عن العمل بكتاب الله وسنة رسول ﷺ

---

(10) رواه البخاري ومسلم (11) رواه البخاري . (*) رواه البخاري ومسلم . * ولن أخوض في الكلام عن أسماء أنواع التوحيد الثلاثة فإنه تقسيم إصطلاحي لا داعي لذكره وأما الذين ينكرون أقسام التوحيد فأحيلهم إلى كتاب العلامة عبد الرحمن عبد الخالق "الرد على من أنكر توحيد الأسماء والصفات" .

فهو كافر وإن زعم إسلاما وإيمانا كما قال رسول الله ﷺ فمن رغب عن سنتي فليس مني (10)

ولئن ظن أقوام أن الإيمان باللسان والأعمال فإن المنافقين يقرون بالتوحيد باللسان ويعملون أعمالا صالحة بل وإن منهم قوما هم أكثر أعمالا من أبي بكر وعمر كما قال رسول الله ﷺ يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم وعملكم مع عملهم ويقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية . (11)

وفي رواية قال ﷺ

سيخرج قوم في آخر الزمان أحداث الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية لا يجاوز إيمانهم حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجرا لمن قتلهم يوم القيامة.(أ)

دلائل على توحيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ [1] *

أما عن وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فلقد عجبت كثيرا عندما سمعت قدرا كلمات قيلت في مسلسل عربي في إحدى السنين في شهر رمضان على إحدى الفضائيات قالت امرأة لأبيها ألم تعلم أن أمريكا تتحكم في الكون فقلت لو كان توحيد الله مستقرا في قلب تلك المرأة ما قالت هذا الكلام ولو دفعوا لها ملايين الجنيهات وإذا كان كلام كهذا يقال في دول تدعي الإسلام فماذا ننتظر من الدول الكافرة التي لا تقيم لله حقا ولا تعرف له قدرا وسبحان الله العزيز فقد جاء بعدها بسنة أو أقل إعصار كاترينا في أمريكا ليحطم بيوتا ويهلك بشرا لا عداد لهم ليعلم الناس أنه لا يتحكم في الكون إلا رب العالمين القادر القاهر وعجبت كثيرا عندما سئلت من أحد الشباب ما الدليل على وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فقلت له قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ (35،36الطور). وذكرني هذا بقول المتنبي

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

قال الله ﷻ

أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ * فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ (115،116المؤمنون).

إذا كان من المتصور عند السفهاء أن الإنسان خلق عبثا وأنه يترك سدى فلماذا لم يترك من بداية خلقه سائلا منويا لا قيمة له مع العلم أن السائل المنوي للرجل به ألوف الألوف من الحيوانات المنوية لا يصلح منها للتخليق إلا حيوان منوي واحد هو الذي يتحول بعد ذلك مع بويضة المرأة إلى علقة إلى أن يصير إنسانا سميعا بصيرا يعقل ويتكلم فهل كل ذلك جاء عن طريق الصدفة ؟؟!! لهذا قال الله مدللا ﷻ على هذا التقدير وتلك الحكمة

أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ * فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ * أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ (36:40القيامة).

وإذا كان الإنسان الضعيف الذي عرّف بأنه وجود بين عدمين وحياة بين موتين – بالنسبة لحياته في الدنيا – إذا كان هذا الإنسان لا يشك في وجوده فكيف يشك في وجود الموجد الذي أوجده ؟؟!

دلالة الفطرة

قال الله ﷻ نَحْنُ خَلَقْنَـٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ (57الواقعة).

لقد دلت فطر كل البشر على وحدانية الله فلئن وقعت مصيبة أو نزلت نازلة بالبشر فإنهم يلجئون إلى الله وحده ويخلعون الأرباب والأنداد كما قال الله ﷻ في كتابه قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗ لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ * قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنۡهَا وَمِن كُلِّ كَرۡبٖ ثُمَّ أَنتُمۡ تُشۡرِكُونَ (63،64الأنعام).

وقال الله ﷻ

هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ (22يونس).

ولقد خاطب الله ﷻ الخلق جميعا ليلفتهم من الإعتراف بوحدانية الله إلى عبادته وحده في بيان ما أعظمه وكلام ما أحكمه فقال ﷻ

أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ * أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ * أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ * أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ *

أَمَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ (النمل64:60).

ولهذا قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل

أربا واحدا أم ألف رب أدين إذا تقسمت الأمور

تركت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الرجل البصير

الإنسان كالنبات

قال الله ﷻ

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ *ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ (الحج7:5).

غفل الكافرون المكذبون بالبعث عن أشياء يشاهدونها في حياتهم فالنبات – مثلا – الذي يأكله الإنسان قد مر بدورة بعثية فكان النبات أولا بذرة فأخذت البذرة ثم وضعت في الطين الأسود ثم سقيت بالماء فأنبتت نباتا ثم كبر النبات شيئا فشيئا وخرج من الأرض بألوانه الزاهية ثم بعد ذلك تعاقبت عليه الفصول شتاء وهي فترة السقيا والرعاية ثم في فترة الربيع يزهو النبات ويصير في جمال باهر ثم في فترة الصيف تقل الرعاية وإذا قطعت ورقة نبت مثلها في مكانها قليلا ثم في فترة الخريف تنكمش أوراق النبات ثم تذبل ثم يموت النبات .

وهكذا الإنسان يبدأ بويضة ثم تسقى هذه البويضة بمني الرجل ثم تصير البويضة النطفة أمشاجا أي أخلاطا ثم يصر علقة ثم مضعة ثم عظاما ثم تكسى العظام باللحم ثم يصير جنينا فيكبر في بطن أمه شيئا فشيئا ثم يخرج من بطن أمه ثم يمر بمرحلة الرضاعة وفيها الرعاية وهي كفصل الشتاء ثم يجاوز الطفل هذه المرحلة إلى مرحلة الشباب وهي كفصل الربيع وفيها يكون الإنسان نشيطا وقويا ثم بعد ذلك يتجاوزها الإنسان على مرحلة الكهولة وهي كفصل الصيف للنبات وفيه يكون الإنسان نشيطا قويا ولكن ليس كمرحلة الشباب ثم بعد ذلك مرحلة الشيخوخة وهي كفصل الخريف وفيها يقل حجم الإنسان ويضعف ثم يموت كالنبات تماما ثم يبعثه الله بالماء كما بعث النبات تماما ولهذا قال الله ﷻ

وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ * وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ * رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ (ق9:11).

إذا النتيجة الواضحة البينة التي لا ريب فيها هي أن الإنسان كالنبات تماما كما قال الله ﷻ

وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا (نوح17،18).

ولكن السؤال هل الإنسان ليس عالما بهذا ؟ كلا بل عالما . هذا الإنسان الجاحد هو الذي جاء إلى رسول الله ﷺ بعظم ففته بيده ثم قال لرسول الله ﷺ : أيحيي الله هذا ما بعد أرى ؟ فقال رسول الله ﷺ : نعم يميتك الله ثم يحييك ثم يدخلك جهنم . (12)

يا خسة الإنسان يا كفر نفسه   يراعيه مولاه رضيعا وناميا
فلما استوى رشدا تولاه كبره   وجاء لباريه خصيما معاديا

---

(12) رواه ابن أبي حاتم وابن جرير والإسماعيلي في معجمه والحاكم وصححه وابن مردويه وسعيد ابن منصور والبيهقي وغيرهم على خلف في اسم الكافر العاص بن وائل أو أبي بن خلف أو أبو جهل .

ولو شاء الله ما دب هادل على الأرض مخمور الأحاسيس باغيا

لو فكر المنكرون أو الشاكون في البعث لوجدوا بكل بساطة أن الله سبحانه خلق الإنسان على غير مثال سبق ومن الأهون عليه أن يبعثه على مثال سبق كما قال الله ﷻ

وَهُوَ ٱلَّذِى يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِ ۚ (27الروم).

ولهذا بصق رسول الله ﷺ يوما في كفه فوضع عليها إصبعه ثم قال قال الله عز وجل بنيّ آدم أنى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللأرض مِنكَ وَئِيدٌ فجمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقي قلت أتصدق وأني أوان الصدقة . (13)

دلالة العقل

لقد فتح القرآن للعقل آفاقا للبحث وراء القوانين الكونية التي تسير وفق نظام قدره الله الذي لا يغفل ولا ينام فكثيرا ما يذكر الله العقل في القرآن وينبه على أهميته كما قال ﷻ

وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ (43العنكبوت).

ولقد دل العقل على أن هناك مكونا واحدا لهذا الكون وأثبت هذه الحقيقة علماء الغرب والشرق لما شاهدوا أن الكون كله – على اختلاف مخلوقاته عاقلة وغير عاقلة – تحكمه قوانين واحدة تنطبق على الذرة والمجرة على حد سواء .

وكان من الاكتشافات العلمية الكثيرة – التي توافق القرآن العظيم – قانون الزوجية في الحيوانات والنباتات والجمادات أي أن كل شيء يتكون من ذكر وأنثى وموجب وسالب وهذه الحقيقة العلمية سبق إليها القرآن العظيم عندما قال الله ﷻ

سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ (36يس).

---

(13) صحيح رواه أحمد والطبراني وغيرهما . (وئيد) أي صَوْت وطْءِ الأقدام على الأرض .

ومن أعظم الدلائل على وحدانية الله خلف المقاصد فمثلا من الممكن أن أعد أحد الناس بأن
أقابله في مكان كذا في الساعة كذا ثم لا أذهب إليه لعارض ما فيقابلني بعدها ويعاتبني ويقول لي إن الله لا يخلف الميعاد . فأقول له نعم إن الله لا يخلف الميعاد ولكني أنا اخلف الميعاد لأني بشر قد أمرض قد تصيبني أزمة من الأزمات قد أموت فلا أجيء في الموعد وأما الله ﷻ فإنه لا يشغله شأن عن شأن ولهذا إذا وعد الله ﷻ تحققت وعوده كما هو ما معلوم ومشاهد من نشر ونصر دينه وحفظ كتابه إلى آخره من الوعود التي يطول بذكرها المقال .
ومن الدلائل العقلية أيضا اتزان العلاقات بين الكواكب وبعضها بحيث لا يصطدم كوكب بآخر ولو خلق الكون أكثر من إله لاضطرب نظام الكون واختل ميزانه ورأينا أثر كل خالق في الجزء الذي خلقه وهيمن عليه وبذلك تختلف وتتناقض سنن الخلق نتيجة لاختلاف إرادات الخالقين وبالتالي يفسد الكون كله كما أشار الله إلى هذا البرهان فقال

لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ (22الأنبياء).

تأمل في نبات الأرض وانظر إلى آثار ما صنع المليك
عيون من لجين ناظرات بأحداق هي الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات بأن الله ليس له شريك

*إستفتت مجلة كوليرز الأمريكية عددا كبيرا من علماء الذرة والفلك وعلم الأحياء البيولوجيا والرياضة فأكدوا أن لديهم قرائن كثيرة تثبت وجود كائن أعظم _ مع التحفظ على كلمة كائن – ينظم هذا الوجود ويرعاه بعنايته ورحمته وعلمه الذي لا حد له .
ثم إن الله سبحانه قال

وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ * وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ (20،21الذاريات).

فلو ذهبت تتفكر في النملة لوجدت عجبا النملة على صغر حجمها لها عينان ورأس فيه مخ بل والأعجب أن يكون للنملة لسانا تتكلم به لذلك حين تقرأ عن سليمان وجنوده تتعجب جدا قال الله ﷻ

حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ * فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا (النمل18،19).

سبحان الله ! حقا إنه شيء عجيب أن تتكلم النملة ولكن الأعجب من ذلك كيف عرفت النملة أن الذي يمشي هو سليمان عليه السلام ؟! إذاً للنملة القدرة على أن تفكر وتتعرف على الأشخاص وهذا ما يحير العقول وإذا كانت العقول تحار في نملة فكيف لا تحار في خالقها ؟

ومن العجائب أيضا كيف تكلم الهدهد مع سليمان عليه السلام وصار داعية إلى الله ﷻ حين ذهب إلى مملكة سبأ في اليمن واستنكر عليهم عبادة الشمس من دون الله ﷻ فقال

أَلَّا يَسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ * ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ (النمل25،26).

قال الأَزهريُّ : الصحيح والله أَعلم أَنَّ الخَبْءَ كلُّ ما غاب . أ .هـ .

فيا عجبا كيف بعصى الاله   أم كيف يجحده الجاحد
ولله في كل تحريكة   وتسكينة أبدا شاهد
وفي كل شييء آية   تدل على أنه واحد

ولكننا غفلنا عن التفكر في المخلوقات لأننا لم نتفكر في أنفسنا ونصل إلى عجائب ما في أبداننا فقد يعيش الإنسان ستين سنة ثم يموت ولا يعرف عن نفسه شيئا فإذا كان هذا حالنا فكيف نتجاوز التفكير في أنفسنا إلى ما حولنا ؟

فلو ترك الإنسان الكون كله بما فيه من سمائه وأرضه وعلوه وسفله ثم ذهب يتفكر في نفسه لوصل إلى تعظيم الله والإقرار بقدرته وحكمته فالإنسان دولة بأسرها تتحرك

علـى الأرض فهـذه الدولـة لهـا رئـيس ألا وهـو القلـب والعقـل ووزارة للتربيـة والتعلـيم ويمثلها المخ

والعين وفيها وزارة فيها وزارة للمواصلات وتمثلها القدمان وفيها وزارة للدفاع وتمثلها اليدان ووزارة للإعلام ويمثلها اللسان وجهاز للمخابرات وتمثله الأذنان وكما قال أحد الاطباء

إن الجسم دولة حديثة.. عصرية.. كأحدث ما تكون الدول المعاصرة.. فحينما تدخل الجراثيم متسللة أو مقتحمة أي جسد لأي إنسان.. ماذا يحدث..؟ هناك أجهزة إنذار منتشرة فـي الخلايا بطـول الجسم وعرضـه.. هـذه "الرادارات" مهمتهـا أن ترسـل إلـى أجهزة مقاومـة الجراثيم والمتسللين.. معلنـة عن مكـان الاختراق.. ليس ذلك فحسب، وإنمـا لأجنـاس المخـربين وأسـلحتهم.. وتتحـرك كـرات الـدم البيـضاء نحـو المنطقـة المخترقـة حاملـة الأسلحة المضادة المناسبة. ولا تبدأ القتال قبل محاصـرة المخـربين وتطويقهم.. لتطمئن إلى عدم تسرب العدو المهاجم إلى داخل الجسد فيحدث ارتباكاً أو يتحول إلى طابور خامس.. يمزق الجبهة الداخلية التي يجب أن تظل صامدة.. ويبـدأ الحـصار ثـم القتـال، ولا تنتهـي مهمـة المقاومـة عنـد قتـل المخـربين والقـضاء عليهم.. بل لابد من طردهم من الجسد موتى أو مهزومين في شكل "تقيحات" يقذف بها الجسد خارجه!! .

لقد نجح العلماء في صناعة أجهزة كثيرة وحققوا تقدما مشهودا في كاميرات التصوير وأجهزة التسجيل وغير ذلك ولكن هل استطاعوا صناعة عين يرى بها فاقدوا البصر أو صناعة جهاز يذوق الطعام فيميز المر من الحلو هل استطاعوا صناعة جهاز للشم يميز الروائح بعضها عن بعض ؟! هل استطاعوا خلق ذبابة واحدة أو نملة أو نبتة ؟!

إن الله ﷻ خلق الإنسان وجعل لـه العينين واللسان والشفتين وخلق لـه أنفا وأذنين وتحدى فقال

هَـٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِي ضَلَـٰلٖ مُّبِينٖ (11لقمان).

ومن الآيات أيضا أن الإنسان لو فكر كيف يفكر وكيف يعقل؟! لأدرك حقا أنه لم يخلق عبثا ومن الآيات المدهشة أن شعر الإنسان له طبائع مختلفة فطبيعة شعر الرأس تختلف عن طبيعة شعر الرموش والحواجب فمعدل نمو شعر الرأس أسرع من شعر الرموش والحواجب وحين يذهب الإنسان منا إلى الحلاق لا يسأله أن يزيل من رموشه شيئا لماذا ؟ لأن كل شيء عند الله بمقدار معلوم وميزان مقسوم لا يفرط شيء أو يطغى لا يضل ربنا ولا ينسى. ولذلك قالوا عن الإمام عليّ رضي الله عنه أنه قال

وتحسب أنك جرم صغير وقد انطوى فيك العالم الأكبر

ومع هذا فإن الإنسان ليس هو كل ما خلق الله ﷻ بل خلق الله غيرالإنسان أشياء نراها ولا نراها تدهش العقول وتذهب الخمول بل إن خلق السماء وحدها أكبر من خلق الناس كما قال الله سبحانه

لَخَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (57غافر).

وهل سأل الإنسان بما فيه من عجائب ودقائق وخفايا وخبابا نفسه من أي شيء خلق ؟ يجيب الله ﷻعلينا فيقول

خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ (6،7الطارق).

ويقول الله ﷻ مستنكرا وموبخا

أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ * فَجَعَلْنَـٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ * إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ * فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَـٰدِرُونَ (20:23المرسلات).

العجيب أن كل الناس يعلمون هذه الحقيقة بل والأعجب والأغرب أن الإنسان يشاهد صورا حية من نفسه حتى إنه اليوم يشاهد صورة – إن لم يكن صورا – منه وهو يشاهد الجنين في بطن أمه عبر ما يسمى بالسونار حيث لا سمع ولا بصر ولا فؤاد ثم يخرج الله وحده الجنين من بطن أمه وهو لا يعلم شيئا ثم يهبه الله السمع فيسمع

ثم البصر فيبصر ثم الفؤاد فيعقل هكذا بالترتيب – وقد اكتشف العلماء أن هذه الحواس مرتبة في الواقع – كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (78النحل).

ثم بعد ذلك يشاهد الإنسان صورا منه في جميع مراحل حياته في الرضاعة وعندما يزحف الرضيع على الأرض وعندما يكبر شيئا فشيئا فيمشي ثم يصير طفلا يلعب ثم يصير طفلا يفهم ويتعلم ثم يصير صَبِيا مُرَاهِقا قَدْ قَارَبَ الحُلُمَ ثم يصير شابا ثم يصير شيخا كهلا ، يرى الإنسان كل هذا ولا يهديه قلبه الغافل للإقرار بعظمة الله والتواضع له وعدم البغي على عباده ولا يرشده فكره المستتير للإيمان بالله واتباع رسوله ﷺ ليس هذا فحسب بل ويذهب يحارب شرع الله ويستهزأ بالرسول ﷺ وأتباعه فما أجحد الإنسان وما أكفره

قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ * مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ * مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ * ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ * ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ * ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ * كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ (23:17عبس).

هذا الإنسان النطفة أدهش العلماء والأطباء منه أشياء كالنوم وكيفيته والموت وسطوته والتلقائية وغيرها مما يطول بذكره المقال .

وروى الأصمعي عن أبيه قال : مر المهلب بن أبي صفرة على مالك بن دينار وهو يتبختر في مشيته فقال مالك : أما علمت أن هذه المشية تكره إلا بين الصفين (يعني في الجهاد) قال له المهلب : أما تعرفني قال : أعرفك أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وأنت بينهما تحمل العذرة فقال المهلب : الآن عرفتني حق المعرفة .

وصدق من قال

ما أضعفك يا ابن آدم تؤذيك بقة (أ) وتنتنك عرقة (ب) وتقتلك شرقة (ج) .

(أ)البعوضة الكبيرة (ب) أي العرق (ج) أن تقف الغصة في الحلق فتميت غالبا .

دلالة النقل

دلت الوثائق النقلية الباقية على وحدانية الله ﷻ ومن أعظم الدلائل النقلية أن الكفار والمشركين لا يستطيعون أن يأتوا بكتاب من عند الله يبرهن ويقنع من خالفهم بما هم عليه من كفر وضلال كما قال الله ﷻ

قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (4الأحقاف).

وأعظم الوثائق والكتب التي لم تتغير ولم تتبدل كتاب الله المعجز القرآن العظيم الكتاب الذي لا يغسله الماء فهو محفوظ في صدور الرجال مع حفظه في سطور الصحف وفي القرآن ما ينص على أن التوحيد دعوة الرسل أجمعين يقول الله ﷻ

وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ (25الأنبياء).

ومع ظهور الحق وكثرة الآيات لا يزال أناس يصرون على الكفر والشرك والسبب هو الغفلة التي حجبت القلوب عن الإيمان بالله ﷻ فطبع الله عليها .

قال الله ﷻ

إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ * وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ (96،97يونس).

قال الشيخ الغزالي رحمه الله

أتعرف ما هو الإلحاد ؟ أن يسفه المرء نفسه ويركب رأسه ويغمض عينيه عما حوله ثم يصدر الأحكام جزافا لا تخضع لمنطق ولا يربطها فكر سليم . أ . هـ .

ضعف ابن آدم

البشر ضعفاء خلقوا من الضعف وإليه يصيرون وما دام الإنسان ضعيفا فإن الله الخالق الذي أرحم بعباده من الأم بولدها يريد لهم التخفيف .

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفًا (28النساء).

وضعف البشر على وجهين .

الوجـه الأول : أن العبد لا يقدر على تحمل التكاليف الشاقة لهذا خفف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فقال

لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا (286البقرة).

وإذا كلف الإنسان بما لا يطيق فإنه سرعان ما ينسلخ عزمه ويقل جهده لأجل هذا علمنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن نقول

رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرًا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ (286البقرة).

فائدة :

(الإصر) أمر يثقل حمله وهو في التكاليف الثقيلة . (ما لا طاقة لنا به) وهو في العقوبة.*

الوجه الثاني : أن العبد لا يقدر على تحمل العذاب فقد يفقد بشدة العذاب – عذاب الدنيا – وعيه أو يموت إن زاد العذاب عن حده لهذا يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمًا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ (49غافر).

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

---

* كذا قال العلامة جميل غازي رحمه الله قال وبعض المفسرين عكسوا فقالوا الإصر في العقوبة و(ما لا طاقة لنا به) في التكاليف .

وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ (36فاطر).

والله ﷻ يريد لنا التخفيف فلم يكلفنا ما لا نطيق وإن أطعناه فيما كلفنا به لم يعذبنا بالعذاب الذي لا نطيق ولهذا قال الله سبحانه

مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمٗا (147النساء).

التكلف في فهم العقيدة

لقد حبس كثير من الناس أنفسهم في صناديق مغلقة يفهمون العقيدة وعلم التوحيد من خلالها فزعموا أنهم من خلال الفلسفة وعلم الكلام قادرون على تحقيق توحيد الله ﷻ فأدخلوا في دين الله مصطلحات غريبة لم ترد في كتاب أو سنة فضلوا وأضلوا وليتهم رجعوا إلى ما قاله إمام الحرمين الجويني رحمه الله الذي كان منشغلا بعلم الكلام ثم قال في مرض موته اشهدوا علي أني قد رجعت عن كل مقالة قلتها أخالف فيها ما قال السلف الصالح وأني أموت على ما تموت عليه عجائز نيسابور *وكم من مفلس أضنى عقله وأتعب نفسه في كتب الفلاسفة ثم قال

نهاية إقدام العقول عقال وأكثر سعي العالمين ضلال

وأرواحنا في وحشة من جسومنا وحاصل دنيانا أذى ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

والعجيب أن كثيرا من المنشغلين بالفلسفة يفهمون توحيد الله على أنه الإيمان بوجود رب خالق للكون فقالوا إن الفلاسفة كديكارت وغيره هم علماء التوحيد وكذبوا فإن الإعتراف بوجود الله بغير عبادته واتباع نبيه ﷺ ليس توحيدا لله ﷻ فإن مشركي العرب وأهل الجاهلية كان يعترفون بوجود الله كما جاء في سبعة مواضع من القرآن الكريم قال الله سبحانه

---

* (يعني توحيد الله بالفطرة وهو التوحيد البسيط السهل الذي دعا إليه رسول الله ﷺ والمرسلون من قبله عليهم صلوات الله وسلامه).

قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (31يونس).

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ * ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ * وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (63:61العنكبوت).

قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ *سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ (89:84المؤمنون).

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (25لقمان).

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ (9الزخرف).

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (87الزخرف).

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ (38الزمر).

فهل نفع هؤلاء المشركين إعترافهم بوجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ؟ يجيب القرآن الكريم فيقول

إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا * خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا * يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ (الأحزاب66:64).

ومن جهة أخرى قال قوم آخرون إننا نفهم العقيدة بعقولنا وما لا تفهمه عقولنا فلسنا مكلفين بالإيمان به فأدخلوا أهواءهم في فهم الدين فضلوا وأضلوا إذ جحدوا كثيرا من صفات الله بل وكذبوا كثيرا من أحاديث الرسول ﷺ لعجز عقولهم عن إدراك حقائق إيمانية ألزم الله عز وجل بها المكلفين ومن جحد شيئا منها كان من الكافرين .

والحق أن العقل الذي لا يدرك كثيرا من المخلوقات سواء كانت محسوسة كخلق الإنسان أو غير محسوسة كالروح هذا العقل المحدود لا يقدر أن يدرك الله سبحانه وتعالى وهو الغيب الأعظم فما على العبد إلا أن يؤمن بالله سبحانه وتعالى أولا ثم يسلم لله في كل القضايا الإيمانية بكل بساطة .

الرب والإله سبحانه وتعالى

تكرر كثيرا في القرآن الكريم وسنة رسول الله ﷺ لفظان هما الرب والإله والفرق بينهما في المعنى بين وواضح .

إعلم أولا أن كلا اللفظين من أسماء الله الحسنى سبحانه وتعالى

كما قال خبيب بن عدي

ولست أبالي حين أقتل مسلما * على أي شق كان لله مصرعي

وذلك في ذات الإله وإن يشأ * يبارك على أوصال شلو ممزع . (14)

وقال رسول الله ﷺ

فأما الركوع فعظموا فيه الرب عز وجل وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن أن يستجاب لكم . (-)

معنى الرب

(14) رواه مسلم (-) رواه مسلم . (قمن) أي جدير وحقيق . **كذا قال ابن قتيبة .

تحتوي لفظة الرب على خمس معان (المالك والمصلح والقيم والسيد والمدبر).
الرب هو المالك كما يقال رب البيت أي صاحبه ورب الإبل مالكها .
قال الله سبحانه : ﴿ارْجعْ إلى رَبِّك﴾ ؛ أي : إلى سيدك.ولا يُقال لمخلوق : هذا الرَّبُّ ؛ معرفاً بالألف واللام ؛ كما يُقال لله ، إنما يُقال : هذا رب كذا ، فيُعرَّف بالإضافة ؛ لأن الله مالك كل شيء. فإذا قيل : الرَّبُّ ؛ دلَّت الألف واللام على معنى العموم ، وإذا قيل لمخلوق : ربُّ كذا وربُّ كذا ؛ نُسب إلى شيء خاص ؛ لأنه لا يملك [شيئاً] غيره)) ** اهـ.
كما قال المعري

وتقول مالي ؟! من يقول ؟! ... وأعبدي ؟! مه فالعبيد لربنا والدار

وقال الله ﷻ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ (120المائدة).
ولهذا كان بعض السلف إذا سأل أحدهم لمن هذا الشيء من مال أو عقار أو دابة أو ما شابه فيقول هذا ملك الله في يدي لقد أدركوا معنى هذه الآية .
فقد يملك العبد في الدنيا أشياء من مال أو أراض أو سلطة أو غير ذلك ولكن هذا الملك إنما هو ملك قاصر إذ أن الذي أعطى العبد هذا الملك هو الله وحده وهو الذي ينزعه منه فإما أن يترك هذا الملك صاحبه أو يترك العبد نفسه هذا الملك بالموت كما قال الله ﷻ
قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (26آل عمران).
ثم إن ملك الإنسان على قصوره لا يخلو من المنغصات والعقبات والحرص والمخاوف . وأما ملك الله فهو ملك كامل فالله ﷻ خالق كل شيء وإنما يلق بكلمة واحدة (كن) فيكون . ولا يقدر أحد بالغا ما بلغ أن يسلب من الله ﷻ شيئا يملكه سبحانه وإذا نزع الله ﷻ ملكا من أحد فلا يخاف العواقب كما يحدث في إنقلابات الحكم لذلك لما دمر الله على ثمود قال عن نفسه (ولا يخاف عقباها) . واقول هذا

للإشارة إلى جزء يسير جدا من عظمة ملك الله ولست أقول هذا للمقارنة بين ملك الخالق وملك المخلوق فإن من فعل ذلك فقد أخطأ وأساء كما قيل

ألم تر أن السيف ينقص قدره ... إذا قيل إن السيف أمضى من العصا

ومن الحق الذي لا خفاء فيه أن هذه الأرض بزخرفها ومتاعها نعيم زائل فالأرض الحقيقية هي الجنة التي قال الله ﷻ فيها

وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ (105الأنبياء).

ولهذا يردد المؤمنون والمؤمنات بعد دخول الجنات هذا الكلام العذب الجميل

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ (74الزمر).

وقال الله ﷻ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ (4الفاتحة) .

قرأ عاصم والكسائي ويعقوب وخلف (مالك) بإثبات ألف بعد الميم على أنه إسم فاعل وقرأ الباقون (ملك) بحذف الألف .

لماذا تعددت القراءات وقد قرأ بالقراءتين رسول الله ﷺ ؟ لأن الملك هو الذي يحكم وقد لا يملك والمالك هو الذي يملك وقد لا يحكم فقد يتوهم أحد الناس أن الحكم أو الملك له في الآخرة كما كان له ملك أو كان ملكا في الدنيا فقطع الله كل الظنون فقال ملك ومالك يوم الدين أي إنه يملك ويحكم كما ثبت عن بن عمر رضي الله عنهما

أنه رأى رسول الله ﷺ يخطب على المنبر ويقول يأخذ الله عز وجل سماواته وأرضيه بيديه فيقول أنا الله (ويقبض أصابعه ويبسطها) أنا الملك حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه حتى إني لأقول أساقط هو برسول الله ﷺ ؟ . (15)

---

(15) رواه مسلم . (يقبض أصابعه ويبسطها) هو النبي صلى الله عليه وسلم قال القاضي في هذا الحديث ثلاثة ألفاظ يقبض ويطوي ويأخذ كله بمعنى الجمع لأن السموات مبسوطة والأرضين

ولقد جاء حبر إلى النبي ﷺ فقال :
إذا كان يوم القيامة وضع الله السماوات على إصبع والأرضين على إصبع والجبال على إصبع قال فقيل وهذه وهذه وهذه وهذه والثرى والماء وسائر الخالق على هذه ثم هزهن فقال أين الملوك إن الملك اليوم لله الواحد القهار قال فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه ثم قال وما قدر الله حق قدره والأرض جميعا قبضته . (16)
ولفظة الرب تأتي بمعنى المصلح والسيد ولفظة السيد لغة تطلق أيضا على الزوج والرئيس والفاضل .

فالله ﷻ هو السيد الذي يملك نواصي الخلق ويتولاهم فهو العظيم في سؤدده وكل من سواه عبيد له ، وهذا لا ينافي السيادة الإضافية المخصوصة بغير الله فليست سيادة الخالق كسيادة المخلوق .

وعندما قال بعض الصحابة رضي الله عنهم لرسول الله ﷺ أنت سيدنا قال رسول الله ﷺ السيد الله قالوا وأفضلنا فضلا وأعظمنا طولا قال فقال قولوا بقولكم ولا يستجرينكم الشيطان . (17)

فالله ﷻ السيد ونحن العباد كما قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما

مدحوة وممدودة ثم يرجع ذلك إلى معنى الرفع والإزالة وتبديل الأرض غير الأرض والسموات فعاد كله إلى ضم بعضها إلى بعض ورفعها وتبديلها بغيرها قال وقبض النبي صلى الله عليه وسلم أصابعه وبسطها تمثيل لقبض هذه المخلوقات وجمعها بعد بسطها وحكاية للمبسوط والمقبوض وهو السموات والأرضون لا إشارة إلى القبض والبسط الذي هو صفة القابض والباسط سبحانه وتعالى كذا قال الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي رحمه الله . (16) صحيح رواه النسائي والحاكم وغيرهما .

(17) صحيح رواه البخاري في الأدب وأحمد وغيرهما . (18) رواه مسلم . (إلا كما ينقص المخيط) المقصود التقريب إلى الأفهام بما شاهدوه فإن البحر من أعظم المرئيات عيانا وأكبرها والإبرة من أصغر الموجودات مع أنها جسم صقيل أملس مصمت لا يخلل الماء أجزاءه فلا يتعلق بها ماء .

فلا تظالموا يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئا يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه . (18)

ولفظة الرب تأتي بمعنى القيم والقيوم والقيام

والقيم أي دائم القيام بتدبير الخلق يعطيهم ما به قوام أمرهم .

وكان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال (اللهم لك الحمد أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن ولك الحمد لك ملك السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق وقولك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد صلى الله عليه وسلم حق والساعة حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت أو لاإله غيرك . (19)

وفي رواية كان رسول الله ﷺ إذا قام يتهجد من الليل قال اللهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت قيوم السماوات والأرض ومن فيهن ..الحديث . (20)

وفي رواية أن رسول الله ﷺ كان يقول إذا قام إلى الصلاة من جوف الليل اللهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض ولك الحمد أنت قيام السماوات والأرض ...الحديث . (21)

فلا قيام للمخلوقات كلها ومنها السماوات والارض إلا بقدرة الله وعونه كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ (25الروم).

ولفظة الرب تأتي بمعنى المدبر ويقال دبر الأمر أي ساسه ونظر في عاقبته .

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ *فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَـٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ (31،32يونس).

وكان المشركون الأول يشهدون بأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ربا كما جاء في سبعة مواضع من القرآن الكريم كما سبق في باب التكلف في فهم العقيدة .

معنى الإله

الإله **لغة** كل ما اتخذ معبودا و**شرعا** المعبود بحق .

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ (6فصلت). أي معبودكم الحق الذي ينبغي أن تعبدوه

(19)رواه البخاري ومسلم. (20) صحيح رواه الدارمي وعبد الرزاق (21) رواه مسلم .

ولا تشركوا به شيئا ولم يقل إنما ربكم واحد لأنهم يعرفون ذلك . فإن قيل كيف يقال معبودكم وهم لا يعبدونه قيل له إنهم كانوا مجبولين على عبادة الله ﷻ قبل أن يولدوا وقد ولدوا على الفطرة وهي الإسلام حتى شوهت فطرتهم فناداهم بما كانوا عليه كما قال الله ﷻ

قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ (53الزمر).

الكريم الأكرم ﷻ خلق وعلم

الكريم إسم من أسماء الله الحسنى والكريم هو الذي يجود ويعطي ويزيد في العطاء وينعم بالنعم التي لا يحصيها عد ولا يحدها حد .

والأكرم هكذا بصيغة التفضيل أيضا إسم من أسماء الله الحسنى وهو الذي لا يوازيه كريم ولا يعادله نظير ولا حصر لعطائه ومعنى الأكرم أقوى من الكريم .

لذلك عندما عاتب الله الإنسان على غروره وعصيانه له وهو الذي أكرمه بنعمة الإيجاد قال الله ﷻ

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ * ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ * فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ (8:6الإنفطار).

وحين امتن الله ﷻ على الإنسان بتعليمه إياه ما لم يعلم قال سبحانه

ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ * ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ * عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5:3العلق).

إذاً الله ﷻ كريم لأنه خلق وأكرم لأنه علم وفي هذا دلالة على أن العلم أفضل النعم لأن نعمة الخلق نعمة جليلة ومنحة عظيمة لا يقدر الإنسان على شكرها لكن الإنسان قد يعيش في الضلال والعصيان ثم يلقى الله ﷻ على الكفر والعياذ بالله فلا تنفعه هذه النعم كلها فتصير الحيوانات خيرا منه لأن الحيوانات تحشر ثم يقاد لبعضها من بعض ثم تصير ترابا وساعتها يتمنى الإنسان زوال النعم التي تمتع بها في الدنيا .

---

(22) صحيح موقوف لفظا ومرفوع حكما رواه الحاكم وغيره .

عن أبي هريرة ﷺ في قوله عز و جل : { أمم أمثالكم } قال : يحشر الخلق كلهم يوم القيامة البهائم و الدواب و الطير و كل شيء فيبلغ من عدل الله ﷻ أن يأخذ للجماء من القرناء ثم يقول : كوني ترابا فذلك { يَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا (40النبأ). } (22) كما قال الله ﷻ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا (42النساء). والمعنى ودوا لو جعلوا ترابا فكانوا هم والأرض سواء .

وعندما يعذب الله ﷻ المجرمين فلا فائدة لهذه النعم من سمع وبصر وقلب وغيرها وإنما تكون وبالا على أصحابها وأما المؤمنون فهم يتمتعون بنعم الله التي أنعم الله ﷻ عليهم بها من إيجاد وإمداد وإرشاد في الدنيا وفي الآخرة ينعمون بنعيم الله في جنات النعيم فتأمل كيف يقود العلم بالله المؤمنين إلى التمتع بأبدانهم وقلوبهم في الدنيا والآخرة .

وحين أتكلم عن العلم فإنما أعني العلم النافع الذي يشرح الله به القلوب ويغفر به الذنوب من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ كما قال الحسن العلم علمان فعلم في القلب فذلك العلم النافع وعلم على اللسان فذلك حجة الله على بن آدم . (23)

ولأجل هذا قال الشافعي رحمه الله : طلب العلم أفضل من صلاة النافلة .

ففي زماننا هذا العلم خير من العمل – النوافل – كما قال رسول الله ﷺ

إنكم قد أصبحتم في زمان كثير فقهاؤه قليل خطباؤه قليل سؤاله كثير معطوه العمل فيه خير من العلم وسيأتي زمان قليل فقهاؤه كثير خطباؤه كثير سؤاله قليل معطوه العلم فيه خير من العمل .(*)

---

(23) صحيح رواه الدارمي . (*) صحيح رواه الطبراني وابن عساكر مرفوعا والبخاري موقوفا عن ابن مسعود بسند حسن بلفظ (اعلموا أن حسن الهدي في آخر الزمان خير من بعض العمل) .

(24) رواه البخاري ومسلم . (يفقهه) يجعله فقيها والفقه الفهم . (أنا قاسم) أقسم بينكم ما أمرت بتبليغه من الوحي ولا أخص به أحدا دون أحد . (والله يعطي) كل واحد منكم فهما على

وقال رسول الله ﷺ

من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وإنما أنا قاسم والله يعطي ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله . (24)

فضل العلم بالله سبحانه وتعالى

قال الله سبحانه وتعالى سبحانه

ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ

(9الزمر).

يقول العلماء إن المقاصد الخمس التي جاءت بها كل الشرائع هى حفظ النفس والمال والنسب والدين والعقل .

فإذا تعرف العبد على ربه كان عاقلا وعالما وبالتالي يحفظ نفسه عن أن تزل في الخرافة والضلال فيثيبه الله على ذلك فيجنبه الزيغ والفتن ويجعل الله مصيره التوفيق والفوز العظيم في الدنيا والآخرة وفي هؤلاء قال الإمام علي فيما نسب إليه من شعر

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم   على الهدى لمن استهدى أدلاء

وقدر كل امرىء ما كان يحسنه   والجاهلون لأهل العلم أعداء

ففز بعلم تعش حيا به أبدا   الناس موتى وأهل العلم أحياء

وأما الصنف الآخر فيمثله مجموعة كبيرة من الناس لم يتعرفوا على ربهم ففقدوا عقولهم وسفهوا أنفسهم فذلوا في كل فتنة وسقطوا في كل خرافة وكان مصيرهم الخسران في الدنيا والآخرة .

وسأضرب لك مثالين عن هذين الفريقين اللذين هما كالأعمى والأصم والبصير والسميع . والمثالان وقعا في أرض مصر في محافظة الفيوم في صعيد مصر .

المثال الأول : الجاهل بالله سبحانه وتعالى

قدر ما تعلقت به إرادته سبحانه . (قائمة على أمر الله) حافظة لدين الله الحق وهو الإسلام وعاملة به .

الجهل بالله ﷻ يجعل العبد ينسب العلم والفضل لنفسه فيهوي العبد بجهله في المعاصي كبيرها وصغيرها كما قال الله ﷻ عن هذا الصنف الجاحد للنعم

فَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرّٞ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلۡنَٰهُ نِعۡمَةٗ مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمِۭۚ بَلۡ هِيَ فِتۡنَةٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ(49) الزمر.

هكذا كان قارون الذي أنعم الله عليه وأفاض عليه من فضله

إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ (76القصص).

ولكن هل الإنعام هو دليل المحبة والقبول كما يفهم كثير من الناس ؟ لا فقد يأخذ الدنيا كافر شقي ويسلبها مؤمن تقي كما قال رسول الله ﷺ

إن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الايمان إلا من يحب . (25)

وقال رسول الله ﷺ

لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا من شربة ماء . (26)وصدق من قال

تمتع من الأيام إن كنت حازما ... فإنك فيها بين ناه وآمر
إذا أبقت الدنيا على المرء دينه ... فما فاته منها فليس بضائر
فلا تزن الدنيا جناح بعوضة ... ولا وزن رق من جناح لطائر
فلم يرض بالدنيا ثوابا لمحسن ... ولا رضي الدنيا عقابا لكافر

فدعا قارون بعض المصلحين للإنفاق مما آتاه الله ﷻ

---

(25)حسن رواه ابن أبي شيبة موقوفا ووصله ابن عساكر. (26) صحيح رواه الترمذي والحاكم وغيرهما .

إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ * وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ (76،77القصص).

فأجاب عليهم قارون بفخر ونسب العلم لنفسه قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ

فقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ (78القصص).

فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (79القصص).

وهذا هو الفرق بين الغافلين والمؤمنين فالغافلون جهلاء وإن كانوا أغنياء والمؤمنون علماء وإن كانوا فقراء ولهذا قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰعن المؤمنين

وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ (80القصص).

ويلكم لا تنظروا لمن فوقكم فإن هذا سبيل لاحتقار نعمة الله كما قال رسول الله ﷺ انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم. (27)

فكان لا بد أن يفتح الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بين الفريقين ويفصل بينهما وهو خير الحاكمين وأسرع الحاسبين

فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ (81القصص).

---

(27) رواه البخاري ومسلم .

وترك الله ذلك المكان – الذي كان فيه ملك قارون وقد خسف – عبرة للمعتبرين حيث يسمى ذلك المكان الآن ببحيرة قارون تلك التي تمر السيارة بجوارها أكثر من ساعة لا تقطعها . فتأمل عاقبة الجهل بالله عز وجل .

المثال الثاني : العالم بالله ﷻ

إن العلم بالله ﷻ هو العاصم من كل فتنة وبهتان ألم تر أن الله ﷻ مدح يوسف الصديق عليه السلام بالعلم به فقال

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ (22يوسف).

ثم ذكر الله ﷻ بعدها محنة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز وكيف عصمه علمه بالله ﷻ وملازمته للإحسان من الوقوع في الفاحشة فقال سبحانه

وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ * وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ (23،24يوسف).

موقف آخر فيه الدلالة على نفس المعنى .

حينما كان يوسف عليه السلام في السجن وسأله الفتيان كما قال الله ﷻ

وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ (36يوسف). كيف أجاب عليهم يوسف عليه السلام ؟

نسب يوسف عليه السلام العلم لله وحده ﷻ .

قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ (37يوسف) .

ثم بين أن علمه بالله ﷻ وإيمانه به هو الذي جعله ينسب العلم والفضل لله فقال ﵇

إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ * وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (37، 38) يوسف .

ثم بدأ يدعوهم على توحيد الله الملك ﷻ فقال لهم

يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ * مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (39،40يوسف).

ثم فسر لهم يوسف ﵇ ما أرادوا تفسيره .

ثم أخرج الله ﷻ يوسف ﵇ من السجن ومكن له فصار وزيرا للخزانة (خزانة مصر التي كان فيها خزائن الأرض) كما قال الله ﷻ

وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ * وَلَأَجْرُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ (56،57يوسف).

ولم يزل يوسف ﵇ يتحدث بنعم الله ﷯ عليه ويشكره عليها عندما جاءه أخوته وتعرفوا عليه

قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ (90يوسف).

وفي موقف آخر في نهاية القصة يقول الله سبحانه عن يوسف ﷺ الذي لم يفارق الثناء على ربه

وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَبَتِ هَـٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَـٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَـٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ (100يوسف).

وهكذا تنتهي قصة العلم بالله ﷻ بقول يوسف عليه السلام

رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ (101يوسف).

فتأمل جمال العلم وحلاوته وكيف يقيم العلم صاحبه على الطريق القويم ويهديه الصراط المستقيم . جعلني الله وإياك من المؤمنين وأحسن ختامنا أجمعين والحمد لله رب العالمين .

العبادة غاية الخلق

إعلم أن الله ﷻ لم يخلق الخلق هملا ولن يتركهم سدى وإنما خلقهم لعبادته فعبادة الله ﷻ غاية الخلق كما قال الله ﷻ

وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ * إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ (58:56الذاريات).

قد يظن بعض الناس أن العبادة هي انعزال عن الحياة وإعراض عن إعمار الأرض وليس هذا صحيحا فالله ﷻ يقول

وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ (61هود).

قال ابن العربي رحمه الله : قال بعض علماء الشافعية : الاستعمار طلب العمارة والطلب المطلق من الله تعالى على الوجوب وقال تأتي كلمة استفعل في لسان العرب على معان : منها استفعل بمعنى طلب الفعل .

إذاً مطلوب من المسلم أن يعبد الله في كل أمور حياته وأن يعمر الأرض امتثالا لأمر الله بإعمارها ولكن المذموم أن يجعل العبد غاية قصده إعمار الأرض فينشغل بذلك عن عبادة الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ .

تعريف العبادة

العبادة **لغة** الطَّاعَةُ مَعَ الخُضُوع

والعبادة **شرعا** إسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة*.

والعبادة تنقسم إلى نوعين

عبادة عامة

وهي الإنقياد لقدر الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ واستحالة التخلف عن مراده سبحانه فهو الذي قهر الخلق جميعا بما أراد وبهذا المنطلق يكون كل الخلق عبادا لله كما قال الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ

إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا * لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا * وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا (93:95مريم).

وكما يقول المسيح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لله عَزَّ وَجَلَّ يوم القيامة

إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ (118المائدة).

. *قال هذا التعريف الإمام ابن تيمية رحمه الله .

عبادة خاصة

وهي تخص المسلمين الموحدين الذين آمنوا بالله عَزَّ وَجَلَّ وأطاعوه كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ

قَالُواْ سَلَـٰمًا (63الفرقان).

أمثلة قرآنية ونبوية للعبادات الباطلة

*عبادة الشيطان

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ

هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ (60،61 يس).

*عبادة علماء السوء

عن عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال :

أتيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفي عنقي صليب من ذهب فقال :

(يا عدي اطرح هذا الوثن من عنقك) فطرحته فانتهيت إليه وهو يقرأ سورة براءة فقرأ هذه الآية { ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ }(31التوبة). حتى فرغ منها فقلت انا لسنا نعبدهم فقال : (أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه و يحلون ما حرم الله فتستحلونه ؟) قلت بلى قال : (فتلك عبادتهم) . (28)

---

(28)حديث حسن رواه الطبراني والترمذي وغيرهما . (29) رواه البخاري . (الخميصة) كساء أسود مربع له خطوط . (أعطي) من المال . (رضي) عن الله تعالى وعمل العمل الصالح . (انتكس) انقلب على رأسه وهو دعاء عليه بالخيبة والخسران . (شيك) أصابته شوكة . (فلا انتقش) فلا قدر على إخراجها بالمنقاش ولا خرجت والمراد إذا أصيب بأقل أذى فلا وجد معينا على الخلاص منه .

وسبحان الله فقد ثبت هذا الكلام في كتبهم ففي إنجيل متى قال المسيح (ابن الرب عندهم تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا) لسمعان بطرس وهو من الحواريين أَنْتَ صَخْرٌ. وَعَلَى هَذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي .إلى أن قال .. وَأُعْطِيكَ مَفَاتِيحَ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ: فَكُلُّ مَا تَرْبِطُهُ عَلَى الأَرْضِ، يَكُونُ قَدْ رُبِطَ فِي السَّمَاءِ؛ وَمَا تَحُلُّهُ عَلَى الأَرْضِ، يَكُونُ قَدْ حُلَّ فِي السَّمَاءِ! (16: 19–20 إنجيل متى)

*عبادة المال والمظاهر

قال رسول الله ﷺ

تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش . (29)

*عبادة الهوى

قال الله سبحانه وتعالى

أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ

بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (23الجاثية).

*عبادة الجن

من الناس من عبد الجن من دون الله عز وجل فجعل لهم قدرة التصرف في الشفاء و الإعياء و جلب المال و إفساد الحال و علم الغيب و إصلاح العيب و هذه الأمور في يد الله وحده و لا يقدر عليها إلا هو سبحانه وتعالى والله سبحانه وتعالى يقول فيهم بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ (41سبأ).

*عبادة الأولياء والصالحين

من الناس من يعبد رجالا من دون الله يجعل لهم قدرة التصرف في الكون و يجعلهم شركاء لله ﷻ في ملكه و يفترون على الله الكذب من تحريم وتحليل . وهؤلاء لا يريدون الحق إنما يريدون التقليد الأعمى و إتباع الهوى و الله يقول فيهم وفي أمثالهم وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ (18يونس).

بعض صور العبادة

***الدعاء**

قال رسول الله ﷺ الدعاء هو العبادة ثم قرأ { وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ } (60غافر). (30)

وقال إبراهيم ﷺ لقومه

وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا * فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلًّا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا (48،49مريم).

***بر الوالدين**

قال الله ﷻ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا (23الإسراء).

***الصلاة على النبي ﷺ**

قال الله ﷻ

(30) صحيح رواه الترمذي وابن ماجة وغيرهما .

إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا (56الأحزاب).

وقال رسول الله ﷺ من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا . (31)

عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال رجل : يا رسول الله أرأيت ان جعلت صلاتي كلها عليك قال إذاً يكفيك الله تبارك وتعالى ما أهمك من دنياك وأخرتك . (32)

*التوكل قال الله سبحانه وتعالى

وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ (84يونس).

***التوسل**

قال الله سبحانه وتعالى

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ (35المائدة).

والتوسل المشروع على ثلاثة أقسام

1- التوسل إلى الله سبحانه وتعالى بالإيمان به وبأسمائه وصفاته وسيأتي الدليل في قاعدة أن الأسماء الحسنى غير محصورة في عدد معين .

2- التوسل إلى الله سبحانه وتعالى بدعاء الصالحين في حياتهم كما قال رسول الله ﷺ ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك ولك بمثل . (33)

3- التوسل إلى الله سبحانه وتعالى بصالح الأعمال كما قال رسول الله ﷺ

---

(31) رواه مسلم. (32) حسن رواه أحمد وابن أبي شيبة وغيرهما .

(33) رواه مسلم . (34) رواه البخاري . (رهط) ما دون العشرة من الرجال ولا يكون فيهم امرأة ولا واحد له من لفظه . (أووا المبيت) التجؤوا إلى موضع ليبيتوا فيه . (أغبق) من الغبوق وهو شرب العشي . (فناء بي) بعد . (أرح) أرجع . (برق الفجر) ظهر الضياء . (فأردتها عن نفسها) كناية عن طلب الجماع . (ألمت بها سنة) نزلت بها سنة من سني القحط فأحوجتها . (الرقيق) المملوك يطلق على الواحد والجمع والذكر والأنثى.

انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم حتى أووا المبيت إلى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعو الله بصالح أعمالكم فقال رجل منهم اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلا ولا مالا فناء بي في طلب شيء يوما فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين وكرهت أن أغبق قبلهما أهلا أو مالا فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج قال النبي صلى الله عليه وسلم وقال الآخر اللهم كانت لي بنت عم كانت أحب الناس إلي فأدرتها عن نفسها فامتنعت مني حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت حتى إذا قدرت عليها قالت لا أحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه فتحرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي وتركت الذهب الذي أعطيتها اللهم إن كنت فعلت ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها قال النبي صلى الله عليه وسلم وقال الثالث اللهم إني استأجرت أجراء فأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال فجاءني بعد حين فقال يا عبد الله أد إلي أجري فقلت له كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق فقال يا عبد الله لا تستهزئ بي فقلت إني لا أستهزئ بك فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئا اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون.(34)

***الإستغاثة**

قال الله ﷻ

إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ

(9الأنفال).

قال رسول الله ﷺ إنه لا يستغاث بي إنما يستغاث بالله عز وجل .(35)

---

(35) حديث حسن رواه الطبراني وأحمد.

***الإستعانة**

قال الله ﷻ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْ (128الأعراف).

***الخوف الإختياري**

قال الله ﷻ

إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ

(175آل عمران).

***الخشوع والرغبة والرهبة**

قـــــــال الله ﷻ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ

وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ (90الأنبياء).

***الصبر**

قال الله ﷻ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ (10الزمر).

***الشكر**

قال الله ﷻ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ (66الزمر).

عن عائشة رضي الله عنها قالت

كان رسول الله ﷺ إذا صلى قام حتى تفطر رجلاه قالت عائشة يا رسول الله أتصنع هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال يا عائشة أفلا أكون عبدا شكورا. (36)

ومن شكر الله ﷻ شكر الناس كما قال ﷺ من لم يشكر الناس لم يشكر الله عز وجل . (37)

***التفويض**

---

(36) رواه مسلم والبخاري. (تفطر) تتشقق ومنه فطر الصائم وإفطاره لأنه خرق صومه وشقه.

قال مؤمن آل فرعون ﵁ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ * فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ (44،45غافر).

***النذر**

ولا يكون النذر إلا لله ﷿ كما فعلت امرأة عمران رضي الله عنها

قال الله ﷻ

إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ (35آل عمران).

وقال الله ﷻ في وصف عباده الأبرار

يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا (7الإنسان).

قال رسول الله ﷺ من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه . (38)

***الحلف**

قال رسول الله ﷺ من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك .

***التحاكم إلى الله ﷿ ورسوله ﷺ**

قال الله ﷻ

فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا (65النساء).

***الإعتصام**

قال الله ﷻ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ (101آل عمران).

---

(37) صحيح رواه أحمد وغيره . (38) رواه البخاري .

وقال رسول الله ﷺ إن الله يرضى لكم ويكره لكم ثلاثا فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال . (39)

***الذبح**

قـــــال الله ﷻ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ (162الأنعام).

وقال رسول الله ﷺ لعن الله من ذبح لغير الله . (40)

*ذكر الله ﷻ

قال الله ﷻ

يَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱذْكُرُوا ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (41،42الأحزاب).

قال رسول الله ﷺ

ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا بلى قال ذكر الله تعالى فقال معاذ بن جبل رضي الله عنه ما شيء أنجى من عذاب الله من ذكر الله. (41)

إتساع مفهوم العبادة

قال رسول الله ﷺ

إن بكل تسبيحة صدقة وكل تكبيرة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وأمر بالمعروف صدقة ونهي عن منكر صدقة وفي بضع أحدكم صدقة قالوا يا

---

(39) رواه مسلم. (40) رواه مسلم . (41) صحيح رواه الترمذي وابن ماجة وغيرهما. (42) رواه مسلم .

رسول الله أياتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجرا . (42)

فالإسلام يحول العادة إلى عبادة وهكذا يتسع مفهوم العبادة ليشمل كل جوانب الحياة الدينية

والدنيوية فعلى سبيل المثال لا الحصر الطعام والشراب والزواج عبادة بل والعمل أيضا ولكن

بشروط

أولا : أن لا تلهي هذه الأعمال عن طاعة الله ورسوله ﷺ فيما فرض .

ثانيا : أن تكون موافقة لهدي رسول الله ﷺ أي لا تكون معصية أو مخالفة .

ثالثا : أن تكون خالصة لوجه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا مكاثرة أو رياء أو سمعة .

والعبادة تجمع أصلين : غاية الحب مع غاية الذل والخضوع . والعرب تقول طريق معبد أي مذلل . ومقتضى العبودية أن يقول الرب أمرت ونهيت وأن يقول العبد سمعت وأطعت(*)

التقوى غاية العبادات

قال الله تعالى

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ (21البقرة).

والتقوى أن يراك الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حيث أمرك وأن لا يراك حيث نهاك ومن هنا يتبين أن التقوى أداء الفروض والواجبات* وترك الكبائر والمحرمات كما قال رسول الله ﷺ

(*) كذا قال الشيخ محمد حسان حفظه الله . *والواجبات ليست محصورة في أركان الإسلام الخمسة فحسن الخلق فرض وبر الوالدين فرض والإحسان إلى الجار فرض والأمر بالمعروف فرض والنهي عن المنكر فرض وهذه ونحوها تسمى فروض أعيان وهناك فروض أخرى تسمى فروض كفاية إذا قام بها البعض سقطت عن الكل وإن لم يقم بها أحد أثم الكل كصلاة الجنازة .

يحدث عن الله في الحديث القدسي وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه.الحديث . (43)

وقال رسول الله ﷺ ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم . الحديث . (44)

وأما السنن والنوافل والتطوع في أفعال الخير فهي أسوار تحمي الأعمال من النقصان و الضياع وحصون من الشياطين وأسباب لتثقيل الموازين ودفعات قوية إلى الجنة .

العبودية أعظم المقامات

قال ذو النون المصري العبودية أن تكون عبده في كل حال كما أنه ربك في كل حال .

ولقد مدح الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ بالعبودية في كتابه فقال عز وجل في مقام التحدي

وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (23البقرة).

وقال الله عز وجل في مقام الإنذار

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (1الفرقان).

وقال الله عز وجل في مقام تبرئة الكتاب العزيز

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا (1الكهف).

وقال الله عز وجل في مقام الإسراء

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (1الإسراء).

---

(43) رواه البخاري . (44) رواه مسلم والبخاري .

وقال الله ﷻ في مقام الدعوة

وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا * قُلۡ إِنَّمَآ أَدۡعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِهِۦٓ أَحَدٗا (الجن19،20).

وتحدث الرسول ﷺ عن نفسه فقال

لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم عليه السلام فإنما أنا عبد الله ورسوله. (45)

الإسلام دين الفطرة

قال رسول الله ﷺ كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصراه أو يمجسانه . (46)

وقال النبي ﷺ أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان يعنى عرفة فاخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلا قال { ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون (47)

وأعظم من ذلك أن الله ﷻ أخذ العهد على جميع الأنبياء بالإيمان بسيدنا محمد ﷺ

قال الله ﷻ

وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ

---

(45)صحيح رواه أحمد والبخاري في صحيحه. (لا تطروني) من الإطراء وهو الإفراط في المديح ومجاوزة الحد فيه وقيل هو المديح بالباطل والكذب فيه . (46) رواه البخاري ومسلم. (الفطرة) أصل الخلقة.

ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ (81 آل عمران).

التوحيد حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

عن معاذ رضي الله عنه قال

كنت ردف النبي ﷺ على حمار يقال له عفير فقال (يا معاذ هل تدري حق الله على عباده وما حق العباد على الله) . قلت الله ورسوله أعلم قال(فإن حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا)(48)

أولوية الدعوة إلى التوحيد

لما بعث معاذا رضي الله عنه على اليمن قال (إنك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله (وفي رواية للبخاري فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى – وفي رواية للدارقطني فليكن أول ما تدعوهم إليه توحيد الله) فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم فإذا فعلوا فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاة من أموالهم وترد على فقرائهم فإذا أطاعوا بها فخذ منهم وتوق كرائم أموال الناس . (49)

والسر في هذه الأولية أن الشرك محبط للأعمال ومفسد للأقوال و الله لا يقبل عمل مشرك مهما عمل من الصالحات أو قدم من القربات حيث يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ * بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ (65،66غافر).

بعض فضائل كلمة التوحيد في القرآن

كلمة التوحيد لا إله إلا الله هي الكلمة الطيبة التي قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فيها

---

(47) صحيح رواه أحمد والنسائي وغيرهم . (48) رواه البخاري ومسلم. (ردف) راكبا خلفه .(عفير) من العفرة وهي حمرة يخالطها بياض . (49) رواه البخاري ومسلم .

﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ * تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ﴾ (24،25إبراهيم).

وهي كلمة التقوى التي ألزم الله عَزَّ وَجَلَّ أصحاب نبيه ﷺ كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَلۡزَمَهُمۡ كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهۡلَهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا﴾ (26الفتح).

وهي العروة الوثقى التي قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عنها

﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (256البقرة).

وهي الحسنى التي قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عنها

﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾ (5،6،7الليل).

وهي الحسنة التي قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عنها

﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ (89النمل).

وهي كلمة الحق التي قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عنها

﴿وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ (86الزخرف).

وهي القول الثابت التي قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عنها

﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ (27إبراهيم).

بعض فضائل وثمرات توحيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

أولا : حلاوة الإيمان

قال رسول الله ﷺ

ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا . رواه مسلم .

وقال ﷺ

ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار . (أ)

ثانيا : يكفر الذنوب

ثبت أن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال لما ألقي الله عز وجل في قلبي الإسلام قال : أتيت النبي ﷺ ليبايعني فبسط يده إلي فقلت لا أبايعك يا رسول الله حتى تغفر لي ما تقدم من ذنبي قال فقال لي رسول الله ﷺ يا عمرو أما علمت أن الهجرة تجب ما قبلها من الذنوب يا عمرو أما علمت أن الإسلام يجب ما كان قبله من الذنوب . (50)

ثالثا : بالتوحيد رجحان الميزان

قال رسول الله ﷺ : إن الله سيخلص رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول : أتنكر من هذا شيئا ؟ أظلمك كتبتي الحافظون ؟ فيقول : لا يا رب فيقول : أفلك عذر ؟ فيقول : لا يا رب فيقول : بلى إن لك عندنا حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم فتخرج بطاقة فيها : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فيقول : احضر وزنك فيقول : يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فقال : إنك لا تظلم قال : فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء . (51)

(أ)رواه البخاري ومسلم . (50) صحيح رواه أحمد وغيره.

(51) صحيح رواه الترمذي وابن حبان وغيرهما . (52) صحيح رواه أحمد وغيره (53) رواه مسلم. (54)صحيح رواه أبو يعلى وأحمد وغيرهما . (55) رواه مسلم والبخاري.

عن النبي صلى الله عليه وسلم أن نوحا قال لابنه عند موته آمرك بلا إله إلا الله فإن السماوات السبع والأرضين السبع لو وضعت في كفة ووضعت لا إله الا الله في كفة رجحت بهن لا إله إلا الله . (52)

رابعا : التحريم على النار

قال رسول الله ﷺ من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله حرم الله عليه النار . (53)

وقال النبي ﷺ

لا يشهد أحد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فيدخله الله النار أو قال : فتطعمه النار أبدا. (54)

ويذكر أن تلميذ الإمام الشافعي عبد الله الوراق رآه بعد موته فسأله كيف الحال يا شافعي

فقال حاسبونا فدققوا ... ثم منوا فأعتقوا ... هكذا تصنع الملوك ... بالمماليك يرفقوا ... إن قلبي قال لي ... ولساني يصدق ... كل من مات مؤمنا ليس بالنار يحرق .

وتحريم الجنة والنار نوعان أبدي وأمدي أما التحريم الأبدي على الموحد أي لا يدخل الموحد النار وإن دخلها بذنوبه فإنه لا يخلد فيها إذ لا يستوي الموحد والمشرك . والتحريم الأمدي للجنة على بعض الموحدين أي لا يدخلونها إلى أمد (أي غايةأو لمدة محددة مؤقتة) بعد التنقية في النار من الذنوب التي لم تغفر وأراد الله العقوبة عليها ومثال ذلك ما ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال لا يدخل الجنة قاطع رحم (55) وما شابهه من أحاديث في حرمان بعض الموحدين المذنبين من دخول الجنة .

خامسا : شفاعة النبي ﷺ

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال قلت يا رسول الله ﷺ من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ فقال (لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك

لما رأيت من حرصك على الحديث أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصا من قبل نفسه . (56)

وقد نال أبا لهب جزء يسير من تخفيف العذاب في القبر لسروره بالنبي عند ولادته كما قال عروة رضي الله عنه

وثويبة مولاة لأبي لهب كان أبو لهب أعتقها فأرضعت النبي ﷺ فلما مات أبو لهب أريه بعض أهله بشر حيبة قال له ماذا لقيت ؟ قال أبو لهب لم ألق بعدكم غير أني سقيت في هذه بعتاقتي ثويبة . (57)

وذكر السهيلي عن العباس رضي الله عنه قال : مكثت حولا بعد موت أبي لهب لا أراه في نوم ثم رأيته في شر حال فقال : ما لقيت بعدكم راحة إلا أن العذاب (يخفف عني كل يوم اثنين)** وذلك أن رسول الله ﷺ ولد يوم الاثنين وكانت ثويبة قد بشرته بمولده فاعتقها .

ورحم الله من قال

إذا كان هذا كافرا جاء ذمه ... وتبت يداه في الجحيم مخلدا

أتى أنه في يوم الإثنين دائما ... يخفف عنه للسرور بأحمدا

فما الظن بالعبد الذي كان عمره ... بأحمد مسرورا ومات موحدا

سادسا : السعادة والأمان والفلاح في الدنيا والآخرة

قال الله سبحانه

---

(56) رواه البخاري. (57) رواه البخاري . (بشر حيبة) على أسوأ حالة من الهم والحزن والخيبة . (لم ألق بعدكم) وفي رواية الإسماعيلي لم ألق بعدكم رخاء وعند عبد الرزاق عن معمر الزهري لم ألق بعدكم راحة قال ابن بطال سقط المفعول من رواية البخاري ولا يستقيم الكلام إلا به . (هذه) إشارة إلى النقرة بين الإبهام والمسبحة كما روى عبد الرزاق وغيره وحاصل المعنى أنه سقي شيئا قليلا من الماء لا يذكر . (بعتاقتي) بسبب عتقه لثويبة رضي الله عنها . ** ولم أقف على إسناد لهذه الزيادة .

مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم

بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (97النحل).

أما في الدنيا فالموحد لا يعبد أحدا إلا الله فخوفه كله من الله الذي قضى وقدر كل شيء وفي هذا كمال العبودية .

عن بن عباس رضي الله عنهما انه قال :

كنت رديف النبي ﷺ فقال يا غلام أو يا غليم ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن فقلت بلى فقال احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده أمامك تعرف إليه في الرخاء يعرفك في الشدة وإذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله قد جف القلم بما هو كائن فلو أن الخلق كلهم جميعا أرادوا ان ينفعوك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه وان أرادوا أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه واعلم أن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا وان النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا . (58)

وأما في الآخرة فالأمن للموحدين الذين كانوا يخافون الله في الدنيا كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في الحديث القدسي

(وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين وأمنين إذا خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة وإذا أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة) . (59)

ولهذا قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن ذلك الأمن الأخروي العظيم

أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (40فصلت). وقال الله عز وجل

---

(58)صحيح رواه أحمد وغيره . (59) حديث حسن رواه ابن حبان والطبراني وغيرهما. ** إذا قيل عن عبد الله هكذا مفردا فالمقصود عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (60). رواه البخاري ومسلم .

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ (82الأنعام).

عن عبد الله **رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الآية { الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم } . شق ذلك على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا أينا لم يظلم نفسه ؟ فقال رسول الله ﷺ (ليس كما تظنون إنما هو كما قال لقمان لابنه (يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) (60)

وقال رسول الله ﷺ أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا . (61)

سابعا : راحة البال

لو تأمل عاقل في حال الكفار والأبرار لرأى أن الكفار معهم من الاموال والنساء ما يطمح إليه كل طالب للدنيا ومع ذلك فإنهم لا راحة للبال عندهم وإذا يأس أحدهم من أن يصل إلى راحة البال في لذات الدنيا ومتاعها لجأ إلى الإنتحار لعله يجد راحة البال فيه ولكن هيهات هيهات لهذا قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ * وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ (1،2محمد).

ثامنا : التيسير والتوفيق لعمل الصالحات

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ (5،6،7الليل) (ب)

تاسعا : النصر على الأعداء

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ (47الروم).

عاشرا : التثبيت في الدنيا والآخرة

يثبت الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الموحدين في الدنيا وقبل خروج الروح على كلمة التوحيد ويثبتهم عليها في الآخرة في أول منازلها وهو القبر عند سؤال الملكين.

قال الله ﷻ

﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ (27إبراهيم).

الثمرة الحادية عشر : دخول الجنات

قال الله ﷻ

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ *جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ (8،7البينة).

وقال رسول الله ﷺ

من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة ومن لقيه يشرك به دخل النار .(ج)

وقال ﷺ إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجع إلى جسده يوم يبعث .(62)

*وأختم بأعظم ثمرة وهي رؤية الله عز وجل

عن صهيب عن النبي ﷺ قال

إذا دخل أهل الجنة الجنة قال يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيئا أزيدكم ؟ فيقولون ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل . (63) وزادت رواية أحمد بسند صحيح ثم تلا رسول الله ﷺ

---

(61) صحيح رواه أحمد وابن أبي شيبة وغيرهما. (ب) والحسنى كلمة التوحيد كما سبق .

(ج) رواه مسلم . (62) صحيح رواه ابن ماجة والطبراني وغيرهما. (نسمة المؤمن) أي روحه .

(يعلق) أي تأكل . (63) رواه مسلم والترمذي وأحمد وغيرهم .

لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٌ (26 يونس).

الإيمان بالغيب جماع التوحيد

الإيمان بالغيب الركن الركين والأصل المتين الذي يبنى عليه كل إيمان ويصح به كل عمل ولهذا قدم الله الإيمان بالغيب على الأعمال الصالحة في أول سورة البقرة فقال الله ﷻ

ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلۡمُتَّقِينَ * ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ (2،3البقرة).

ولهذا قال رسول الله ﷺ أي الخلق أعجب إيمانا ؟ قالوا : الملائكة . قال : الملائكة كيف لا يؤمنون ؟ قالوا : النبيون . قال : النبيون يوحى إليهم فكيف لا يؤمنون ؟ قالوا : الصحابة . قال : الصحابة مع الأنبياء فكيف لا يؤمنون ؟ ولكن أعجب الناس إيمانا : قوم يجيئون من بعدكم فيجدون كتابا من الوحي فيؤمنون به ويتبعونه فهم أعجب الناس إيمانا – أو الخلق إيمانا . (64)

والمؤمن صادق الإيمان يكون يقينه في الغيب أشد من يقينه فيما يشاهد ويرى .

والغيب غيبان . غيب مقيد وغيب مطلق

الغيب المقيد

وهو غيب الشهادة أن يغيب علم بعض الأمور عن بعض الخلق

ولكن الله ﷻ يطلع بعض خلقه على بعض الأمور كالمرسلين والملائكة للقيام بالرسالة وتأييدها كما قال الله ﷻ

---

(64) حسن رواه البزار والطبراني بمعناه وغيرهما .

عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا * لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا (27،28الجن).

وقال الله ﷻ

وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ (179آل عمران).

وكأحوال الأمم السابقة كما قال الله ﷻ

تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ (49هود).

الغيب المطلق

وهو غيب الغيب أن يغيب علم كثير من الأمور عن كل الخلق ولا يطلع الله ﷻ عليه – الغيب المطلق – أحدا لا نبي مرسل ولا ملك مقرب كمفاتح الغيب الخمسة التي قال الله ﷻ فيها

إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ (34لقمان).

وقال رسول الله ﷺ :

مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله لا يعلم أحد ما يكون في غد ولا يعلم أحد ما يكون في الأرحام ولا تعلم نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت وما يدري أحد متى يجيء المطر (65)

---

(65) رواه البخاري . وبهذا يتضح بطلان ما يتردد على السنة العوام من قولهم فلان مكشوف عنه الحجاب.

وهذا النوع من الغيب من علم الله ﷻ الذي لا ينبغي لأحد غيره وهو من خصائص الألوهية كما قال الله ﷻ

سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ * عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ

(المؤمنون91،92).

وقال الله عز وجل

قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ (النمل65).

ولكن يا حسرة على العباد الذين كفروا بكلام الله ﷻ فمنهم من يزعم علم الغيب لرسول الله ﷺ ومنهم من يزعم أن الأولياء يطلعون على الغيب بلا ريب وأنهم مكشوف عنهم الحجاب وأشد من ذلك وأنكى أن الذين فشلوا في علم الشهادة زعموا النجاح في علم الغيب فالمنجمون يخوضون في هذا الغيب ويقذفون بالغيب من مكان بعيد ويضللون العامة من الناس بالأبراج والطالع والرمل والفنجان وغيرها من الأشياء التي عمت بها البلوى .

عن عبد الله بن عوف بن الأحمر أن مسافر بن عوف بن الأحمر قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه حين انصرف من الأنبار الى أهل النهروان : يا أمير المؤمنين لا تسر في هذه الساعة وسر في ثلاث ساعات مضين من النهار قال علي ولم قال لأنك ان سرت في هذه الساعة أصابك أنت واصحابك بلاء وضر شديد فان سرت في الساعة التي آمرك بها ظفرت وظهرت واصبت ما طلبت فقال علي ما كان لمحمد صلى الله عليه وسلم منجم ولا لناس بعده هل تعلم ما في بطن فرسي هذه قال ان حسبت علمت قال من صدقك بهذا القول كذب القرآن قال الله عز وجل ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت ان الله عليم خبير ما كان محمد ﷺ يدعي علم ما ادعيت علمه تزعم أنك تهدى الى الساعة التي يصيب السوء من سار فيها قال نعم قال من صدقك بهذا القول استغنى عن الله في صرف المكروه عنه وينبغي للمقيم بامرك أن يوليك الأمر دون الله ربه لأنك أنت تزعم هديته الى الساعة التي هو أمن السوء من

سار فيها فمن آمن بهذا القول لمن آمن عليه أن يكون كمن اتخذ من دون الله ندا وضدا اللهم لا طائر الا طائرك ولا خير الا خيرك ولا اله غيرك نكذبك ونخالفك ونسير في هذه الساعة التي تنهانا عنها ثم أقبل على [1] الناس فقال يا أيها الناس إياكم وتعلم هذه النجوم الا ما يهتدى بها في ظلمات البر والبحر انما المنجم كالكافر والكافر في النار والله لئن بلغني أنك تنظر في النجوم وتعمل بها لأخلدنك الحبس ما بقيت وبقيت ولأحرمنك العطاء ما كان لي سلطان ثم سار في الساعة التي نهاه عنها فأتى أهل النهروان فقتلهم ثم قال لو سرنا في الساعة التي أمرنا بها فظفرنا أو ظهرنا لقال قائل سار في الساعة التي أمرنا بها المنجم ما كان لمحمد ﷺ منجم ولا لنا من بعدي فتح الله علينا بلاد كسرى وقيصر وسائر البلدان أيها الناس توكلوا على الله وثقوا به فإنه يكفي ممن سواه(66)

أركان الإسلام وأركان الإيمان

إعلم يرحمك الله أن للإسلام أركانا وهي خمسة وأن الإيمان أركانا وهي ستة

عن كهمس عن ابن بريدة عن يحيى بن يعمر قال

كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني فانطلقت أنا وحميد بن عبدالرحمن الحميري حاجين أو معتمرين فقلنا لو لقينا أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر فوفق لنا عبدالله بن عمر بن الخطاب داخلا المسجد فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والأخر عن شماله فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي فقلت أبا عبدالرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن ويتقفرون العلم وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف قال فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم برآء مني والذي يحلف به عبدالله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر ثم قال حدثني أبي عمر بن الخطاب قال بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فاسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على

(66) رواه الحارث والخطيب .

فخذيه وقال يا محمد أخبرني عن الإسلام فقال رسول الله ﷺ الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا قال صدقت قال فعجبنا له يسأله ويصدقه قال فأخبرني عن الإيمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره قال صدقت قال فأخبرني عن الإحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك قال فأخبرني عن الساعة قال ما المسؤول عنها بأعلم من السائل قال فأخبرني عن أمارتها قال أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان قال ثم انطلق فلبثت مليا ثم قال لي يا عمر أتدري من السائل ؟ قلت الله ورسوله أعلم قال فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم. (67)

---

(67) رواه مسلم . (أول من قال بالقدر) معناه أول من قال بنفي القدر فابتدع وخالف الصواب الذي عليه أصل الحق ويقال القدر والقدر لغتان مشهورتان

واعلم أن مذهب أهل الحق إثبات القدر ومعناه أن الله تبارك وتعالى قدر الأشياء في القدم وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه وتعال وعلى صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدرها سبحانه وتعالى (فوفق لنا) معناه جعل وفقا لنا وهو من الموافقة التي هي كالالتحام يقال أتانا لتيفاق الهلال وميفاقه أي حين أهل لا قبله ولا بعده وهي لفظة تدل على صدق الاجتماع والالتئام (فاكتنفته أنا وصاحبي) يعني صرنا في ناحيتيه وكنفا الطائر جناحاه (ويتقفرون العلم) ومعناه يطلبونه ويتبعونه وقيل معناه يجمعونه (وذكر من شأنهم) هذا الكلام من كلام بعض الرواة الذين دون يحيى بن يعمر يعني وذكر ابن يعمر من حال هؤلاء ووصفهم بالفضيلة في العلم والاجتهاد في تحصيله والاعتناء به (وإن الأمر أنف) أي مستأنف لم يسبق به قدر ولا علم من الله تعالى وإنما يعلمه بعد وقوعه (ووضع كفيه على فخديه) معناه أن الرجل الداخل وضع كفيه على فخدي نفسه وجلس على هيئة المتعلم (فعجبنا له يسأله ويصدقه) سبب تعجبهم أن هذا خلاف عادة السائل الجاهل إنما هذا كلام خبير بالمسئول عنه ولم يكن في ذلك الوقت من يعلم ذلك غير النبي صلى الله عليه وسلم (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه الخ) قال ... .القاضي عياض رحمه الله هذا الحديث قد اشتمل على شرح جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة من عقود الإيمان وأعمال الجوارح وإخلاص السرائر والتحفظ من آفات الأعمال حتى إن علوم الشريعة كلها راجعة إليه ومتشعبة منه . (فأخبرنى عن أماراتها) هو بفتح الهمزة والأمارة والأمار باثبات الهاء وحذفها. (أن تلد الأمة ربتها) وفى الرواية الأخرى

شروط كلمة التوحيد

إن لكلمة التوحيد شروطا لا تتحقق فضائل التوحيد وثمراته إلا بتحقق هذه الشروط وإذا انتفت الشروط انتفت الفضائل والثمرات .

قيل لوهب بن منبه أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة ؟ قال بلى ولكن ليس مفتاح إلا له أسنان فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح لك . ذكره البخاري في صحيحه مقطوعا .

كلمة التوحيد لها شروط ثمانية جاءت في سنة المعصوم والقرآن

علم يقين قبول محبة صدق إخلاص كفر بالطاغوت مع الإسلام

شرط العلم

والمقصود العلم الذي ينافي الجهل

قال الله ﷻ

فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ (19محمد)

وقال رسول الله ﷺ من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة . (68)

ربها على التذكير وفى الأخرى بعلها وقال يعنى السراري ومعنى ربها وربتها سيدها ومالكها وسيدتها ومالكتها قال الأكثرون من العلماء هو اخبار عن كثرة السرارى وأولادهن فان ولدها من سيدها بمنزلة سيدها لأن مال الانسان صائر إلى ولده وقد يتصرف فيه فى الحال تصرف . كذا قال النووي . وقيل معناه أن الإماء يلدن الملوك فتكون أمة من جملة رعيته وهو سيدها وسيد غيرها من رعيته وقيل إن المرأة تعامل أمها كأنها خادمة لها وقيل إن المرأة قد تلد لسيدها فلا يعتقها سيدها كما أمر الشرع فتظل تحت يديه حتى تكبر ابنتها فتصير سيدتها . (العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان) أما العالة فهم الفقراء والعائل الفقير والعيلة الفقر وعال الرجل يعيل عيلة أي افتقر والرعاء ويقال فيهم رعاة ومعناه أن أهل البادية وأشباههم من أهل الحاجة والفاقة تبسط لهم الدنيا حتى يتباهون في البنيان (فلبث مليا) هكذا ضبطناه من غير تاء وفي كثير من الأصول المحققة لبثت بزيادة ياء المتكلم وكلاهما صحيح (مليا) أي وقتا طويلا . (68) رواه مسلم .

وقال رسول الله ﷺ من مات وهو يعلم أن الله حق دخل الجنة . (69)
والعجيب أن المسلم اليوم إذا أراد أن يتعلم أي علم من علوم الدنيا يظل يجاهد ويجالد ويصبر ويدفع الأموال الطائلة حتى يصل إلى مطلوبه وإن كان هذا العلم شاقا وفي المقابل لا يبذل أي جهد في معرفة التوحيد الذي من أجله خلق كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56الذاريات).

فمع كون علم التوحيد أسهل العلوم لقوم يعقلون إلا أن معظم الناس مفرطون فيه بشكل غريب عجيب ويظنون أن علومهم الظاهرية الهزيلة تنفع وترفع فما أيسر أن يرفع الإنسان في الدنيا ثم يخفض في نار جهنم في الآخرة وحينئذ لا ينفعه إلا علمه ولا يرفعه عمله ولهذا قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في العلم النافع

أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ

(19 الرعد).

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ (9 الزمر).

هذه صورة مشرقة للعالم بالله يقابلها صورة قبيحة للجاهل بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كما قال رسول الله ﷺ

إن الله يبغض كل جعظري جواظ سخاب بالأسواق جيفة بالليل حمار بالنهار عالم بأمر الدنيا جاهل بأمر الأخرة . (ح)
وما أيسر تعلم التوحيد في كل عصر ومصر فيه خاصة بعد انتشار الوسائل التعليمية التكنولوجية المختلفة من كتاب وشريط وأقراص ليزر وليس من الغريب أن

---

(69)رواه البزار. (ح) حسن رواه ابن حبان والبيهقي وغيرهما.

يعرف المخلوق خالقه والتوحيد أشرف العلوم إذ أن شرف العلم بشرف المعلوم ويوم أن كان المسلمون يتعلمون ويعلمون ويعملون نصرهم الله ﷻ على أعدائهم في كل الميادين العلمية والحربية كما قال الشيخ محمد التميمي رحمه الله :

(العامي من الموحدين يغلب الألف من علماء المشركين كما قال تعالى وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ (173الصافات). فجند الله هم الغالبون بالحجة واللسان كما أنهم هم الغالبون بالسيف والسنان . وهكذا كان أصحاب رسول الله ﷺ عقيدتهم في ثبات الجبال لأنهم كانوا يتعلمون الإيمان قبل القرآن .(خ)

أما الجهل العقائدي الحاصل للمسلمين اليوم إلا من رحم الله ﷻ فمن علامات الساعة التي أخبر بها الصادق الأمين حين قال ﷺ إن بين يدي الساعة لأياما يرفع فيها العلم

(وفي روايات يقبض ويقل وينقص ويزول أي العلم) وينزل فيها الجهل (وفي روايات يثبت ويظهر ويكثر أي الجهل). (70)

ولا ينال أحد شيئا من الشفاعة إلا بالتوحيد مع العلم به قال تعالى

وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ(86الزخرف).

قال القرطبي رحمه الله قوله تعالى : { إلا من شهد بالحق وهم يعلمون } يدل على معنيين : أحدهما أن الشفاعة بالحق غير نافعة إلا مع العلم وأن التقليد لا يغني مع عدم العلم بصحة المقالة والثاني : إن شرط سائر الشهادات في الحقوق وغيرها أن يكون الشاهد عالما بها .

(خ) قال جندب بن عبد الله رضي الله عنه كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيان حزاورة فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن فازددنا به إيمانا . صحيح رواه ابن ماجة والطبراني وغيرهما وفي لفظ الطبراني فإنكم اليوم تعلمون القرآن قبل الإيمان (حزاورة) جمع الحزور وهو الغلام إذا اشتد وقوي وحزم . (70) رواه البخاري ومسلم.

وكلمة التوحيد تحتوي نفيا وإثباتا ، كفرا وإسلاما أولا نفي الألوهية (لا إله) ثم إثبات الألوهية لله (إلا الله) .

الإله لغة كل ما اتخذ معبودا ومنه أله فلانا ألها يعني أجاره وآمنه ومعنى أَلِهَ يَأْلَهُ إلى كذا أَي لجأَ إليه ويقال أَلِهَ يَأْلَه إذا تحير لأَن العقول تَأْلَهُ في عظمته فالله ﷻ تحار العقول في إدراك ذاته فكل ما خطر ببالك فهو هالك والله بخلاف ذلك . والتَّأَلُّهُ التَّنَسُّك والتَّعَبُّد والتأْليهُ التَّعْبيد .

الإله شرعا إسم جامع لكل صفات الكمال ونعوت الجلال وهو من أسماء الله الحسنى ويدخل في كلمة الإله جميع الأسماء الحسنى.ولهذا كان لفظ الإله يمثل الأصل اللغوي للفظ الجلالة الله.

بعض الناس يظنون أن الآلهة الباطلة كانت كثيرة في عهد رسول الله ﷺ حتى حطمها رسول الله ﷺ حين فتح مكة وحول الكعبة ثلاثمائة وستون نصبا فجعل يطعنها ﷺ بعود في يده وجعل يقول { جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا } (81الإسراء). (د)

فيفهم هؤلاء الناس بذلك أن الآلهة الباطلة هي مجرد أوثان تعبد من دون الله فعجبا لهذه العقول.

إن الآلهة الباطلة في عصرنا هذا أكثر بكثير مما كانت على عهد رسول الله ﷺ فالكفار والمشركون اليوم يعبدون ألف الف إله سواء كانت مالا أو جنا أو بشرا أو حجرا أو شمسا أو قمرا أو شجرا أو بقرا أو قبرا كل هذه وغيرها معبودات تنوعت أشكالها وألوانها . وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا يَصِفُونَ .

إذاً معنى كلمة التوحيد لا معبود بحق إلا الله فكل المعبودات آلهة باطلة كما قال تعالى

(د) رواه البخاري ومسلم.(نصبا) أي صنما كما في رواية النسائي وغيره (71) صحيح رواه النسائي في المجتبى.(72) رواه البخاري ومسلم .(سبحان الله وبحمده) أي أنزه الله عن كل نقص وأحمده على كل كمال.

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ (62الحج).

وكل الآلهة الباطلة ليس لها صفات كمال أو جمال أو جلال وإنما كلها عيوب سواء كانت هذه الآلهة من الحجر أو الشجر أو البشر أما الله سبحانه وتعالى فله الكمال المطلق منزه عن الشريك والشبيه والمثيل والصاحبة والولد لهذا كان التسبيح روح الإيمان و سُبْحَانَ الله معناها التنزيه لله ﷻ وهو نصب على المصدر كأنه قال أُبرئُ الله من كل سوء براءة .

عن عوف بن مالك رضي الله عنه يقول : قمت مع رسول الله ﷺ ليلة فلما ركع مكث قدر سورة البقرة يقول في ركوعه سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة . (71)

وقال رسول الله ﷺ كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن

سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم . (72)

و التسبيح ملاذ المؤمن عند كل كرب فتأمل يرحمك الله كيف أنجى يونس عليه السلام التسبيح

لما استقر في قلبه من معنى (لا إله إلا الله)من اللجوء إلى الله الذي يجير ويؤمّن من لجأ إليه كما قال الله تعالى

وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ

إنها ظلمات ثلاث ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت

فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ *

إن الذي سمع ورأى يونس عليه السلام هو الله ﷻ الذي خلقنا جميعا في ظلمات ثلاث (الرحم والمشيمة والبطن) ولا يشغله شأن عن شأن سبحانه وتعالى كما قال

(ذ) صحيح رواة الترمذي وغيره .

يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ (6الزمر).

فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ *

فرأى وسمع صوته – أي يونس – من فوق سبع سماوات الله سبحانه الذي يرى ويسمع دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء فقال

فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ* (87،88) الأنبياء .

فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ (143،144الصافات).

وقال رسول الله ﷺ : دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له .(ذ)

لهذا قال القائل عجبت لمن جمع له الأعداء كيف يغفل أن يقول

حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ

ولقد سمعت الله بعدها يقول

فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ (173،174) آل عمران .

وعجبت لمن مكر به الماكرون كيف يغفل أن يقول

وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ (44غافر).

ولقد سمعت الله بعدها يقول فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ (45غافر).

وعجبت لمن مسه الضر كيف يغفل أن يقول

مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ

ولقـد سـمعت الله بعـدها يقـول ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾ (83،84) الأنبياء

وعجبت لمن أحاطت به الغموم والتفت حوله الهموم كيف يغفل أن يقول ﴿لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَـٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ ولقـد سـمعت الله بعـدها يقول

﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَـٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ (87،88) الأنبياء .

ومعنى كلمة التوحيد متعلق بالقلب واللسان والجوارح والأركان فكيف يصح إيمان من يقول لا إله إلا الله ولسانه يلهج بدعاء غير الله ؟! وكيف يصح إيمان من يرددها وهو لا يرضى بحكم الله ورسوله ﷺ عند النزاع والخلاف ؟! . فمن علم معنى كلمة التوحيد وأدرك مغزاها يجب عليه ألا يستغيث بغير الله ولا يذبح ولا ينذر لغير الله ولا يطلب المدد إلا من الله ولا يحلف إلا بالله ولا يعظم أحدا قدر تعظيمه الله سبحانه وتعالى.

قال العلماء لا إله إلا الله نؤمن بها إيماننا يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، قالت المرجئة لا يضر مع الإيمان ذنب فمحل الإيمان عندهم القلب ولا بأس بعصيان اللسان والجوارح واستدلوا بقول رسول الله ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة) . قال أبو ذر قلت وإن زنى وإن سرق ؟ قال (وإن زنى وإن سرق) . قلت وإن زنى وإن سرق ؟ قال (وإن زنى وإن سرق) . قلت وإن زنى وإن سرق ؟ قال

(وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي ذر). (73)

وقالت الخوارج مرتكب الكبيرة كافر واستدلوا بقول الرسول ﷺ لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن .

وقالت المعتزلة بفسق من قصر عن فعل بعض الطاعات وقالوا هو ليس بمؤمن ولا كافر بل في منزلة بين المنزلتين .

وقال أهل السنة وهم أهل العلم (الطائفة الناجية المنصورة) إن مرتكب المعاصي ناقص لا عديم الإيمان واستدلوا بقول رسول الله ﷺ

الإيمان بضع وستون (أو بضع وسبعون) شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان . (74)

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يسمي عبيده بأسماء العرب : عكرمة وسميع وكريب وقال لهم : تزوجوا فإن العبد إذا زنى نزع منه نور الإيمان رد الله عليه بعد أو أمسكه .(ر)

---

(73)رواه البخاري ومسلم . (74) رواه مسلم . (بضع) ما بين اثنين إلى عشرة . (ستون ورواية وسبعون) ولا تعارض بين الروايتين قال النووي فإن العرب قد تذكر للشيء عددا ولا تريد في نفي ما سواه . (شعبة) خصلة والشعبة واحدة الشعب وهي أغصان الشجرة وهو تشبيه للإيمان وخصاله بشجرة ذات أغصان لا تتكامل ثمرتها إلا بتوفر كامل أغصانها .(ر) أخرجه ابن سعد وابن أبي شيبة والبيهقي .

ومن قال لا إله إلا الله دخل الجنة إذا قام بمقتضاها وحقق شروطها الواردة إن مات على كبيرة فهو في مشيئة الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه ولا نقطع لأحد بالجنة أو النار إلا من شهد لهم رسول الله ﷺ .

شرط اليقين

والمقصود باليقين التصديق الجازم الذي ينافي الشك .

اليقين في اللغة العلم الذي لا شك معه وفي الاصطلاح اعتقاد الشيء بأنه كذا مع اعتقاد أنه لا يمكن إلا كذا مطابقا للواقع غير ممكن الزوال والقيد الأول جنس يشتمل على الظن أيضا والثاني يخرج الظن والثالث يخرج الجهل والرابع يخرج اعتقاد المقلد المصيب .وقيل هو طمأنينة القلب على حقيقة الشيء يقال يقن الماء في الحوض إذا استقر فيه .وقيل تحقيق التصديق بالغيب بإزالة كل شك وريب . وقيل اليقين ارتفاع الريب في مشهد الغيب .

والدليل من القرآن العظيم قول الله ﷻ

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ (15) الحجرات .

أما المتشككون والعياذ بالله فلقد قال الله ﷻ فيهم

إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ (45) التوبة .

ولهذا تجد أن من أعظم خصائص الإسلام أنه ينتقي أتباعه وكل دين غير الإسلام يريد كثرة كثيرة من الأتباع يقلدون ولا يفهمون وأمر اليقين عندهم ليس مهما بل ليس مطلوبا أصلا وفي هذا يقول الله ﷻ

قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (100المائدة).

وأما الإسلام فإنه لا يريد أتباعا مقلدين يدخلون الإسلام بغير يقين ويعيشون في غيابات الشك وغياهب الظن ثم يكونون بعد ذلك شوكا في ظهر الإسلام والمسلمين ويفعلون بالإسلام وأهله ما لم يفعله أعداء الإسلام الظاهرين وإنما يريد الإسلام أتباعا موقنين مقتنعين يفهمون معنى كلمة التوحيد ويوقنون بها فيعيشون ويموتون من أجل أن تبقى كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى .

الإسلام يرفع شعار (فكر ثم أسلم لا أسلم ثم فكر) لأنه لا إكراه في الدين . *

ولعل هذا اليقين هو سر نصر القلة المؤمنة على الكثرة الكافرة في عهد رسول الله ﷺ و صحبه الكرام وفي عصور النصر والتمكين .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ يا أبا هريرة (وأعطاني نعليه) قال اذهب بنعلي هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة .

وروى مسلم أيضا من حديث أبي هريرة أن النبي قال أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقي الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة . وفي رواية لمسلم لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة . (ز) و في رواية أخرى لمسلم قال ﷺ :

لا يلقي الله بها عبد غير شاك فتحجب عنه الجنة .

قال ابن مسعود الصبر نصف الإيمان و اليقين الإيمان كله . (س)

قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه

وفينا رسول الله ﷺ يتلو كتابه * إذا انشق معروف من الفجر ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا * به موقنات أن ما قال واقع

قال رسول الله ﷺ

---

*كذا قال العلامة جميل غازي رحمه الله .

سلوا الله العفو والعافية فإن أحدكم لم يعط بعد اليقين خيرا من العافية(75)

قال الحسن ﵁ صدق الله وصدق رسوله ﷺ باليقين هرب من النار وباليقين طلبت الجنة وباليقين صبر على المكروه وباليقين أديت الفرائض وفي معافاه الله خير كثير قد والله رأيناهم يتقاربون في العافية فاذا وقع البلاء تباينوا . (76)

واليقين هو الذي يهون على العبد مصائب الدنيا وثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قلما كان يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوات لأصحابه اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصيبات الدنيا ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا واجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا . (ش)

وهذا اليقين ينفع صاحبه في أول منازل الآخرة كما قال رسول الله ﷺ

ولقد أوحي إلي أنكم تفتنون في القبور مثل أو قريبا من – فتنة الدجال لاأدري أيتهما قالت أسماء يؤتى أحدكم فيقال له ما علمك بهذا الرجل ؟ فأما المؤمن أو الموقن – شك راوي الحديث – فيقول محمد رسول الله ﷺ جاءنا بالبينات والهدى فأجبنا وآمنا واتبعنا فيقال له نم صالحا فقد علمنا إن كنت لموقنا وأما المنافق أو المرتاب لا أدري أيتهما قالت أسماء فيقول لاأدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته . (77)

شرط القبول

(ز) رواه مسلم . (س) أثر حسن أخرجه البيهقي وغيره . (75) صحيح رواه الترمذي وأبو يعلى وغيرهما.

(76)رواه ابن أبي الدنيا في اليقين و ابن المبارك في الزهد .

(ش) حسن رواه الترمذي والحاكم وغيرهما. (77) رواه البخاري ومسلم . وفي رواية صحيحة لأحمد في المسند (ثم يعذب) . (78) رواه مسلم . (بطر الحق) هو دفعه وإنكاره ترفعا وتجبرا (غمط الناس) معناه احتقارهم .

المقصود القبول الذي ينافي الرفض والكبر

قد يكون الإنسان عالما ولكنه متفلسفا متكبرا لا يقبل الحق ولا يتواضع للخلق وهذا هو سر طرد إبليس من الملائكة وسبب كفره كما قال الله ﷻ

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ (34البقرة).

وصدق من قال

إبليس أعلم أهل الأرض قاطبة ...... والناس تلعنه في البدو والحضر

ولا بد من معرفة الكبر لأنه ضد القبول وبضدها تتميز الأشياء

يقال تكبر أي تعظم وامتنع عن قبول الحق معاندة .

وعرف النبي الكبر فقال الكبر بطر الحق وغمط الناس . (78)

إن أقواما حرموا رحمة الله ﷻ باستكبارهم عن قبول كلمة التوحيد

إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (35الصافات).

وقال رسول الله ﷺ

لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر.(79)

وإنما كان عقاب المتكبر عظيما لأنه ينازع الله في إحدى صفاته العظمى التي لا تنبغي لأحد غيره وهي الكبر

قال رسول الله ﷺ قال الله [عزوجل] الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدا منهما قذفته في النار . (80)

فلماذا يتكبر العبد وهو يعلم أنه مخلوق من الطين وإليه يعود فحين يسجد الإنسان ينبغي أن يعلم أن هذا الغصن (يعني جسد الإنسان) من هذه الشجرة (الأرض) . (ص)

---

(79)صحيح رواه أصحاب السنن إلا النسائي . (80) صحيح رواه أبو داود وأحمد وغيرهما.

(ص) كذا قال العلامة عبد القادر شيبة الحمد عفا الله عنه .

إن البشر ينقسمون حيال آيات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إلى فريقين

***فريق يرفض آيات الله** سبحانه ويعرض عنها بقلبه كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ * وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (7،6لقمان).

ولقد فسر لهو الحديث في الآية عبد الله بن مسعود وابن عباس وجابر بن عبد الله وعكرمة ومجاهد وغيرهم كثير رضوان الله عليهم أجمعين قالوا لهو الحديث الغناء وقد والله سمعت في الغناء كفرا بواحا وأغلب الأغاني مليئة بالإستهانة بالأقدار أو بالأنبياء أو بالجنة أو بالنار، وقد حذر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الغناء والمعازف وعاقبة عصيان الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخيمة في الدنيا والآخرة كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ (63النور).

***وفريق آخر** يقبل آيات الله عَزَّ وَجَلَّ ويقبل عليها بقلبه وروحه وبدنه كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ۩ (15السجدة).

وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وأصابت منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه بما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدي الله الذي أرسلت به . (81)

---

(81) رواه البخاري ومسلم. (الغيث) المطر الذي يأتي عند الاحتياج إليه . (نقية) طيبة . (الكلأ) نبات الأرض رطبا كان أم يابسا . (العشب) النبات الرطب . (أجادب) جمع أجدب

ولا يقبل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عمل عبد حتى يقبل العبد شرع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كما قبلت امرأة عمران شرع الله فأطاعته فيما أمر وتركت ما نهى عنه وزجر وصدقت ما أخبر بل ووهبت ما في بطنها لله حينها وسألت الله القبول كما أخبر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عنها

إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (35آل عمران).

فتقبلها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا (37 آل عمران).

وبعد أن قبل إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام شرع الله وأحكامه دعوا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يقبل أعمالهما فقالا رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (127البقرة).

يقولان هذا مع أنهما رسولان من رسل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عملهما مقبول وسعيهما مشكور ولكن هكذا يصنع الخوف والرجاء بقلوب الأتقياء .

ليس هذا فحسب بل إن إبراهيم ﷺ سأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يقبل منه الدعاء نفسه فقال رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ (40 إبراهيم).

وضرب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مثلا للعبد الصالح الذي يبر والديه ويعتز بانتسابه للإسلام فيقبل الله أعماله فقال عَزَّ وَجَلَّ

وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى

وهي الأرض التي لا تشرب الماء ولا تنبت. (قيعان) جمع قاع وهي الأرض المستوية الملساء . (فذلك) أي النوع الأول .

(فقه) صار فقيها بفهمه شرع الله عز وجل . (من لم يرفع بذلك رأسا) كناية عن شدة الكبر.

فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ * أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ (15،16الأحقاف).

إذن فليس المهم أن يكون العمل صالحا فقط بل صالحا يرضاه الله فالمنافقون كانوا يعملون الصالحات لكن أعمالهم لا يرضى الله عنها ولا يقبلها لأسباب كما قال الله ﷻ

أَنفِقُواْ طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمۡۖ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ * وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ إِلَّآ أَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ (53،54 التوبة).

ومن هنا يعلم أن العمل لا يقبله الله ﷻ إلا بشرطين هما الإخلاص لله ﷻ والمتابعة للرسول ﷺ كما قال الفضيل بن عياض رضي الله عنه :

إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل واذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة .

لكن العجيب أنه قد انتشرت بين المسلمين بيتان شعريان يترددان على ألسنة بعض الصوفية يقولون فيها

أد الصلاة على النبي محمد فقبولها حتما بغير تردد
أعمالنا بين القبول وردها إلا الصلاة على النبي محمد

وهذا كذب وافتراء فإن الله ﷻ لا يقبل أعمال المشركين الذين يقولون إن محمدا هو الله أو الذين يقولون إن الأولياء هم الذين يتصرفون في الكون أو الذين يستغيثون بغير الله مهما صلى هؤلاء وأشباههم على النبي فصلاتهم على النبي مردودة

وأعمالهم كلها مردودة حتى يؤمنوا بالله وحده ويتبعوا هدي سيد الخلق محمد ﷺ وهو القائل من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد . (82)

وقال الله سبحانه وتعالى مبطلا لعمل المشركين بجميع أشكالهم وألوانهم

وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا (23الفرقان) .

وكان الصحابة رضوان الله عليهم أشد الناس تحقيقا لهذين الشرطين – الإخلاص والمتابعة – ومع ذلك فإنهم كانوا يخافون على أنفسهم من حبوط الأعمال كما كان ثابت بن قيس رضي الله عنه

فعن عطاء الخراساني قال : قدمت المدينة فأتيت ابنة ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنها فذكرت قصة أبيها قالت : لما أنزل الله على رسوله ﷺ { لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ } (2الحجرات) وآية { وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ }(23 الحديد) جلس أبي في بيته يبكي ففقده رسول الله ﷺ فسأله عن أمره فقال : إني امرؤ جهير الصوت و أخاف أن يكون قد حبط عملي فقال : بل تعيش حميدا و تموت شهيدا و يدخلك الله الجنة بسلام فلما كان يوم اليمامة مع خالد بن الوليد استشهد فرآه رجل من المسلمين في منامه فقال : إني لما قتلت انتزع درعي رجل من المسلمين و خبأه في أقصى العسكر و هو عنده و قد أكب على الدرع برمة و جعل على البرمة رحلا فائت الأمير فأخبره و إياك أن تقول هذا حلم فتضيعه و إذا أتيت المدينة فائت فقل لخليفة رسول الله ﷺ : إن علي من الدين كذا وكذا و غلامي فلان من رقيقي عتيق و إياك أن تقول هذا حلم فتضيعه

---

(82) رواه البخاري ومسلم . (أمرنا هذا) ديننا هذا وهو الإسلام . (ما ليس فيه) مما لا يوجد في الكتاب أو السنة ولا يندرج تحت حكم فيهما أو يتعارض مع أحكامها وفي بعض النسخ (ما ليس منه) . (رد) باطل ومردود لا يعتد به .

قال : فأتاه فأخبره الخبر فوجد الأمر على ما أخبره و أتى أبا بكر رضي الله عنه فأخبره فأنفذ وصيته فلا نعلم أحدا بعدما مات أنفذ وصيته غير ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه . (83)

الذل على من خالف أمر رسول الله ﷺ

ماذا كسب المخالفون لرسول الله ﷺ غير الذل في الدنيا والآخرة كما قال رسول الله ﷺ

بعثت بين يدي الساعة بالسيف* حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذل والصغار على من خالف آمري ومن تشبه بقوم فهو منهم . (84)

وقال رسول الله ﷺ

ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل عزا يعز الله به الإسلام وذلا يذل الله به الكفر وكان تميم الداري يقول قد عرفت ذلك في أهل بيتي لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز ولقد أصاب من كان منهم كافرا الذل والصغار والجزية . (85)

---

(83) رواه الحاكم والطبراني . (84) صحيح رواه الطبراني وأحمد وغيرهما .

(85) صحيح رواه أحمد والطبراني والحاكم غيرهم .* ليس معنى هذا أن الإسلام نشر بحد السيف كما يفهم المغفلون وإنما يكون استخدام السيف عند عناد الكافرين أن يقبلوا الإسلام أو يعطوا الجزية حينئذ تتقطع السبل ولا يبقى سبيل إلا سبيل الجهاد في سبيل الله لإزالة عناصر الكفر التي تابى أن يعيش الناس في أرض الله يعبدون الله ولا يشركون به شيئا ويعجبني كثيرا قول العلامة محمد جميل غازي رحمه الله في ذلك إذ يقول إن رسول الله إنتقل برسالته من مكان إلى مكان ومن ارض إلى أرض ليفتح القلوب ويفتح البلاد بالموعظة الحسنة وبالسيف إذا لم يكن هناك علاج إلا الكي وآخر العلاج الكي كما يقولون وكان السيف في يد الفاتحين المسلمين كمبضع الطبيب الماهر يفتح جسم المريض ليستأصل العلة .

ومعنى أن يأمر الله ﷻ أو يأمر رسوله ﷺ فلا يسمع الناس وتتوالى النواهيعليهم فيعرضوا معنى هذا هو تعدي حدود الله والوقوع فيها (ض) وهذا يستلزم نزول الذل ولهذا قال الله ﷻ

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ (20 المجادلة).

فقولوا لي بربكم ما الفرق بين المشركين والمسلمين؟ إنهم أشركوا وأشركنا ، أقاموا أعيادا ما أنزل الله بها من سلطان وفعلنا كما فعلوا تماما ، أقاموا القبور على المساجد وأقمنا القبور على المساجد ، أقاموا الملاهي الليلية وأقمنا الملاهي الليلية مثلهم تماما، إنهم شربوا الخمور وشربنا ، أكلوا الربا وأكلنا ، أكلوا السحت وأكلنا ، أجهزة إعلامهم تبث الكفر والفسوق والعصيان وأجهزة إعلامنا تبث الكفر والفسوق والعصيان ، ترجلت نساؤهم وترجلت نساؤنا ، تخنث شبابهم وتخنث شبابنا وهذا من العجائب كما يقول الشاعر

وما عجبي أن النساء ترجلت ولكن تأنيث الرجال عجاب

وإذا انقلبت الأوضاع تعدو الشياه على السباع .

ومن عجائب تشبه المسلمين بالمشركين أن النصارى تركوا العمل بما في كتبهم وإن كانت باطلة فمثلا يوجد في إنجيلهم أن المسيح قال

(لاَ تُقَاوِمُوا الشَّرَّ بِمِثْلِهِ، بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ، فَأَدِرْ لَهُ الْخَدَّ الآخَرَ) (إنجيل متى الجزء الخامس المرقوم 40) وما عملوا بذلك بل يقتلون المسلمين الأبرياء من رجال ونساء وأطفال وشيوخ دون أن يعتدي عليهم أحد ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين .

وأما المسلمون ففي القرآن الكريم قول الله ﷻ

(ض) ما كان من الحدود أمرا أمرنا فيه بترك المجاوزة ۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَا (229البقرة). وما كان من الحدود نهيا أمرنا فيه بترك المقاربة .تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَا (187البقرة).كذا قال شيخي العلامة علي حشيش غفر الله له .

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ (123التوبة). وما عمل المسلمون بها والواقع شاهد على ذلك .

وهذه التقليد الأعمى أخبر به رسول الله ﷺ حين قال

(لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه) . قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال (فمن). (86) وفي رواية للبخاري فقيل يا رسول الله كفارس والروم ؟ فقال ﷺ (ومن الناس إلا أولئك)

فأدى تشبه المسلمين بأصحاب الاديان الباطلة إلى أن يعاقبوا بما عوقبوا بها ألم تر أن المشابهة في المخالفة تؤدي إلى المشابهة في المعاقبة .

فإذا كان الله قد ضرب على اليهود الذل فقال فيهم وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ (61البقرة).

فإن المسلمين اليوم وقعوا تحت الذل ولكنه ذل أبشع وأقسى من ذل اليهود لأن الذي يذل المسلمين اليوم هم اليهود الذليلون فتحول المسلمون – إلا من رحم الله – من أعزاء إلى أذلاء ذلك لأن اليهود أحرص الناس على حياة فكذلك المسلمون أيضا صاروا مثلهم أحرص الناس على حياة وهذا ما أخبر رسول الله ﷺ بوقوعه فقال يوشك الأمم أن تداعى عليكم ** كما تداعى الأكلة إلى قصعتها " فقال قائل ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال " بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء (ما يحمله السيل من وسخ) كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن " فقال قائل يارسول الله وما الوهن ؟ قال " حب الدنيا وكراهية الموت . (87)

---

(86) رواه البخاري ومسلم . (سنن) رويت بفتح السين للأكثرين ورويت بضمها والسَنَنَ الطريق

(جحر ضب) ثقبه وحفرته التي يعيش فيها والضب دويبة تأكلها العرب . (87) صحيح رواه أبو داود وأحمد وغيرهما. ** (من كل أفق في رواية أحمد بسند حسن ، الأفق الناحية). * الفَنَدُ الكذب .

أرأيت ذلا أكثر مما يعانيه المسلمون اليوم من ذل وعددهم يقترب من مليارين ولا يستطيعون أن يحرروا المسجد الأقصى من أيدي حثالة معدودة من اليهود ؟! .
أرأيت ذلا أكثر من هذا ؟ عدد كثير ولكن كما قال الشاعر

ما أكثرَ الناسَ لابل ما أَقَلَّهمُ ... اللَّهُ يعلمُ أني لم أقلْ فَنَدا*

إِني لأفتحُ عيني حينَ أفتحَها ... على كثيرٍ ولكن لا أرى أحدا

أمة تدعي محبة الله ثم هي توالي أعدائه وتسير خلف ركابهم وتتشبه بملابسهم ومظاهرهم بل وتفتخر بحضارة أعدائها النجسة الدنسة .
ولكن قد يدور هنا سؤال . إذا كان الفريقان شريكين في المعاصي والضلال فلماذا لا ينصر الله ﷻ المسلمين الصادقين على أعدائهم ولو في المعارك الإعلامية ؟!
الجواب بسيط وهو أن الكفار يستغلون كل ما في أيديهم من إقتصاد وسياسة وإعلام وعلوم في تزيين باطلهم والمسلمون غير قادرين على أن يظهروا الحق الذي معهم ولا يستطيعون أن يخرجوا الورقة التي فيها حل مشكلات العالم كله ولا يستطيعون حتى أن يحلوا مشاكلهم هم بتلك الورقة وإن تحدث البعض بها فقلما تجد من يجيد قراءتها كما قال القائل

في زخرف القول تزيين لباطله ... والحق قد يعتريه سوء تعبير

ولن تخرج الأمة من هذا الذل إلا بالعودة الصادقة إلى دين الله ﷿ واالرُّواء من منابعه الأصلية من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ كما قال رسول الله ﷺ
إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر(*) ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم . (88)
وها هي الامة الإسلامية – منذ عشرات السنين – تدفع الجزية وما أثقل هذا الذل ولكن عزاء الطائفة الناجية هو قول الله ﷻ

(*) لها معنيان الأول أخذتم أذناب البقر وعذبتم بها الناس والثاني شغلكم العمل وحراسة البقرعن الواجبات الشرعية والمعنيان موجود . (88) صحيح رواه أبو داود والطبراني وغيرهما .
(الْعِينة) هو أن يبِيع الرجل لرَجل سِلعة بثمن مَعْلوم إلى أجل مُسَمًّى ثم يشتريها منه بالنقد بأقل من الثَّمَن الذي باعها به .

وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ *إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ (139،140آل عمران).

شرط المحبة

والمقصود المحبة التي تنافي الكراهية

المحبة **لغة** : يقال أحب فلانا أي مال إليه وأحب الزرع أي بدا حبه .

و**شرعا** كما قال سهل:

الحب معانقة الطاعة ومباينة المخالفة . وقيل نار في القلب تحرق ما سوى مراد المحبوب .

وأحب أن أشير هنا إلى إنه يحرم إطلاق لفظ العشق على الله ﷻ أو على الرسول ﷺ لأسباب **أولا** أن العشق لا يكون إلا بين الرجل والمرأة كما قال أهل اللغة (العِشْقُ) الإغرام بالنساء ، **ثانيا** أن هذه اللفظة لم ترد في القرآن ولا السنة ولم يتعبدنا الله ﷻ بعشقه وإنما بحبه . ومعلوم أن الذي نشر هذه الغرائب في المسلمين هم غلاة الصوفية كما قالوا عن رابعة العدوية شهيدة العشق الإلهي .

قال أبو الفتح البستي

أحسنْ إلى الناسِ تَسْتَعبِدْ* قلوبَهمُ ... فطالما استعبدَ الإنسانَ إحسانُ
من جادَ بالمالِ مالَ الناسُ قاطبةً ... إليه والمالُ للإنسانِ فتانُ
أَحْسِنْ إذا كانَ إمكانٌ وَمَقْدِرَةٌ ... فلن يدومَ على الإنسانِ إمكانُ
حياكَ من لم تكن ترجو تحيتهُ ... لولا الدراهمُ ما حياكَ إنسانُ

إذا كان الإحسان من البشر للبشر يأسر القلوب ويلزم المرء بالذل والحياء لمن أحسن إليه فما بالك بإحسان الخالق الكريم للبشر الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ونعمه ظاهرة وباطنة وآلائه سابغة أما يلزم إحسان الله إلينا أن نذل ونخضع له

*تحفّظ : أرى أن يقال تستأسر لا تستعبد إذ العبادة لله وحده .

ونحبه وحده فإنه ما من نعمة إلا والله عز وجل مصدرها وهو المتفضل بها كما قال الله سبحانه وتعالى وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِ (53النحل).

وكل شيء إن خفته فررت منه أما الله سبحانه وتعالى فإنك إن خفته فررت إليه .

قال ابن رجب رحمه الله : متى امتلأت القلوب بمحبة مولاها رضيت بكل ما يقضيه عليها من مؤلم وملائم .

فسبحان الذي أوجد من العدم وخلق الإنسان وعلمه البيان وأعطاه من النعم ما لا يحصيه ديوان فالقليل من الله كثير كما قال ابن القيم رحمه الله

قليل منك يكفيني لكن قليلك لا يقال له قليل .

ومع هذا فانظر إلى من يصرف الناس الشكر قال الله سبحانه وتعالى

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ (165البقرة).

وعن عبد الله رضي الله عنه قال

قال النبي صلى الله عليه وسلم كلمة وقلت أخرى* قال النبي صلى الله عليه وسلم

(من مات وهو يدعو من دون الله ندا دخل النار) . وقلت أنا من مات وهو لا يدعو لله ندا دخل الجنة . (89)

إذا محبة الله سبحانه وتعالى ليست بالإدعاء كما قيل

تعصي الإله وأنت تظهر حبه   هذا وربي في القياس شنيع

لو كان حبك صادقا لأطعته   إن المحب لمن يحب مطيع

وإن كانت المحبة بالادعاء فإن أشد الناس حبا لله هم اليهود والنصارى كما زعموا

وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ

إنها دعاوى لا تنفع ولا تشفع كما قالوا

---

*(قلت أخرى أي قلت جملة تقابلها استنتاجا مما قاله النبي صلى الله عليه وسلم). (89) رواه البخاري.

والدعاوى إن لم يقم عليها   بينات فأصحابها أدعياء

فأجاب الله ﷻ عليهم فقال

﴿ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ (18المائدة).

فيا معشر اليهود والنصارى لستم أحباب الله ﷻ لأن المحب لا يعذب حبيبه وأنتم في عذاب أليم في الدنيا والآخرة ومقدار الحب يكون على قدر الإيمان بالله ﷻ ومتابعة شرعه والتوكل عليه والاستعانة به والإخلاص له ولن تتم المحبة إلا بثلاث خصال

(المتابعة – الولاء – البراء)

أولا : متابعة الرسول ﷺ .

قال الله ﷻ

قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ

(31آل عمران).

فلا يصح التوحيد إلا بالإيمان بسيد العالمين ﷺ وكل من أنكره أو جحد رسالته كافر لا شك في ذلك عند جميع مذاهب المسلمين وعلمائهم .

وقال رسول الله ﷺ

(كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى) . قالوا يا رسول الله ﷺ ومن يأبى ؟ قال ﷺ

(من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى) . (90)

ومن الغرائب المضحكة أن النصارى لا يعرفون عن المسيح صفاته أو سيرته وما نقل عنه فلا تثبت نسبته للمسيح ولا الحواريين بل إن المترجمين الذين ترجموا كتبهم المقدسة غير معروفين ومع هذا فإنهم يجعلون المسيح إلها على اختلاف في طوائفهم ويكذبون برسول الله محمد ﷺ رغم أن صفاته وسيرته وأقواله وأفعاله وتقريراته منقولة نقلا صحيحا فتأمل.

وقال رسول الله ﷺ من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله . (91)

إننا نتنازع كثيرا ونختلف أكثر ولن يصح إيماننا إلا بتحكيم رسول الله ﷺ كما قال تعالى

فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا (65النساء).

وقال ابن عباس رضي الله عنه يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول قال رسول الله ﷺ وتقولون قال أبو بكر وعمر . (92)

وقال علي ابن أبي طالب رضي الله عنه

كنت أرى أن باطن القدمين أحق بالمسح من ظاهرهما حتى رأيت رسول الله ﷺ يمسح ظاهرهما . (ط)

وقال الإمام الشافعي إذا وجدتم لرسول الله ﷺ سنة فاتبعوها ولا تلتفتوا لأحد (93)

وهو القائل رحمه الله

كل العلوم سوى القرآن مشغلة إلا الحديث وإلا الفقه في الدين

---

(90) رواه البخاري. (91) رواه البخاري ومسلم. (92) صحيح رواه أحمد وغيره .ولم يخالف أبو بكر ولا عمر رضي الله عنهما رسول الله ولكن هذا الكلام على سبيل النهي عن التقديم بين يدي رسول الله ﷺ .

(ط) صحيح رواه أبو يعلى وأبو داود وغيرهما . (93) رواه أبو نعيم . (94) رواه أبو نعيم .

العلم ما كان فيه قال : حدثنا وما سوى ذاك وسواس الشياطين

وعن الربيع بن سليمان قال سمعت الشافعي وذكر حديثا فقال له رجل تأخذ بالحديث فقال لنا ونحن خلفه كثير اشهدوا أني إذا صح عندي الحديث عن رسول الله ﷺ فلم آخذ به فإن عقلي قد ذهب . (94)

وجهل هذا أو تجاهله الزمخشري المعتزلي فظن أن الشافعي وغيره من أئمة أهل السنة رضي الله عنهم لم يرجعوا عن أقوالهم الخاطئة وإن خالفت سنة رسول الله ﷺ فقال فيهم بغرور مزايدا ومتجاوزا حدود الأدب

فإن سألوا عن مذهبي لم أبح به وأكتمه كتمان لي أسلم
فإن حنفيا قلت قالوا بأنني أبيح الطلي وهو الشراب المحرم
وإن شافعيا قلت قالوا بأنني أبيح نكاح البنت والبنت تحرم
وإن مالكيا قلت قالوا بأنني أبيح لهم أكل الكلاب وهم هم
وإن حنبليا قلت قالوا بأنني بغيض حلولي ثقيل مجسم
وإن قلت من أهل الحديث وحزبه يقولون تيس ليس يدري ويفهم
وأخرني دهرا وقدم معشرا على أنهم لا يفهمون وأفهم
ومذ أفلح الجهال أيقنت أنني أنا الميم والأيام أفلح أعلم*

وعن عمرو بن سلمة الهمداني قال كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قبل صلاة الغداة فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد فجاءنا أبو موسى الأشعري فقال أخرج إليكم أبو عبد الرحمن بعد قلنا لا فجلس معنا حتى خرج فلما خرج قمنا إليه جميعا فقال له أبو موسى يا أبا عبد الرحمن إني رأيت في المسجد أنفا أمرا أنكرته ولم أر والحمد لله الا خيرا قال فما هو فقال إن عشت فستراه قال رأيت في المسجد قوما حلقا جلوسا ينتظرون الصلاة في كل حلقة رجل وفي أيديهم حصى فيقول كبروا مائة فيكبرون مائة فيقول هللوا مائة فيهللون مائة ويقول سبحوا مائة فيسبحون مائة قال فماذا قلت لهم قال ما قلت لهم شيئا انتظار رأيك أو انتظار أمرك قال أفلا

---

*(أفلح) يعني مشقوق الشفة السفلى . (أعلم) يعني مشقوق الشفة العليا ...والأفلح الأعلم لا يقدر على نطق الميم أبدا .

أمرتهم ان يعدوا سيئاتهم وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم ثم مضى ومضينا معه حتى أتى حلقة من تلك الحلق فوقف عليهم فقال ما هذا الذي أراكم تصنعون قالوا يا أبا عبد الله حصى نعد به التكبير والتهليل والتسبيح قال فعدوا سيئاتكم فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء ويحكم يا أمة محمد ما أسرع هلكتكم هؤلاء صحابة نبيكم صلى الله عليه وسلم متوافرون وهذه ثيابه لم تبل وآنيته لم تكسر والذي نفسي بيده إنكم لعلي ملة هي أهدي من ملة محمد أو مفتتحوا باب ضلالة قالوا والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير قال وكم من مريد للخير لن يصيبه إن رسول الله ﷺ حدثنا أن قوما يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم وأيم الله ما أدري لعل أكثرهم منكم ثم تولى عنهم فقال عمرو بن سلمة رأينا عامة أولئك الحلق يطاعنونا يوم النهروان مع الخوارج . (95)

قال ابن مسعود : اقتصاد في سنة خير من اجتهاد في بدعة. (96)

ومن لم يرض بحكم رسول الله ﷺ فليس بمحب له أبدا بل هو منافق مأواه جهنم وبئس المهاد بإجماع أهل السنة كما حكم الله فقال

وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا (115النساء).

لهذا وجب رد أي خلاف أو نزاع إلى الله ورسوله ﷺ

كما قال الله تعالى

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلاً(59النساء).

قال ميمون بن مهران"الرد إلى الله إلى كتابه والرد إلى الرسول ﷺ إذا قبض إلى سنته"(97)

---

(95)رواه الدارمي بإسناد جيد . (96) رواه الطبراني .

وعن عبد الله بن مسعود ﵁ قال[1] لعن الله الواشمات والمتوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب فجاءت فقالت إنه بلغني أنك لعنت كيت و كيت فقال وما لي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ

ومن هو في كتاب الله فقالت لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدت فيه ما تقول قال لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه أما قرأت { وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا } . قالت بلى قال فإنه قد نهى عنه قالت فإني أرى أهلك يفعلونه قال فاذهبي فانظري فذهبت فنظرت فلم تر من حاجتها شيئا فقال لو كانت كذلك ما جامعتنا. (98)

فهلا تدبر المبتدعة ما بين اللوحين ليعلموا وجوب إتباع النبي وترك أهواءهم؟!

فلن يتم إيمان عبد حتى يكون هواه تبعا لما جاء به رسول الله ﷺ وأن يكون الرسول ﷺ أحب الخلق إليه كما قال رسول الله ﷺ

لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين (99)

ولعل هذا هو الفارق الوحيد بين الفرقة الناجية والفرق الهالكة كما قال رسول الله ﷺ (افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة . فواحدة في الجنة . وسبعون في النار

---

(97) رواه البيهقي .. (98) رواه البخاري ومسلم ولفظ مسلم (لم نجامعها) (الواشمات) جمع واشمة اسم فاعلة من الوشم وهو غرز إبرة أو نحوها في الجلد حتى يسيل منه الدم ثم يحشى الموضع بكحل أو نحوه فيتلون الجلد ولا يزول بعد ذلك أبدا . (المتوشمات) جمع متوشمة وهي التي يفعل فيها الوشم.(المتنمصات)جمع متنمصة وهي التي تطلب إزالة شعر وجهها ونتفه والتي تزيله وتنتفه تسمى نامصة.(المتفلجات) جمع متفلجة وهي التي تبرد أسنانها لتفترق عن بعضها . (للحسن) لأجل الجمال. (المغيرات خلق الله) بما سبق ذكره لأنه تغيير وتزوير . (كيت وكيت) كناية عن كلام قيل . (ما بين اللوحين) أي القرآن المكتوب ما بين دفتي المصحف . (آتاكم) أمركم به . (فلم تر من حاجتها) لم تشاهد أم يعقوب من الذي ظنته في زوج ابن مسعود رضي الله عنهما شيئا . (ما جامعتنا – لم نجامعها) ما صاحبتنا ولم نجتمع نحن وهي بل كنا نطلقها ونفارقها .

وافترقت النصارى على ثنتيين وسبعين فرقة . فإحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة . والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة واحدة في الجنة وسبعون في النار قيل يا رسول الله ﷺ من هم ؟ قال (الجماعة) .(100)
وفي رواية صحيحة للحاكم قال ﷺ كلها في النار إلا ملة واحدة فقيل له : ما الواحدة ؟ قال ﷺ ما أنا عليه اليوم وأصحابي (*)

فما أكثر الفرق والجماعات والأحزاب والكل يدعي أنه على الحق ومن خالفه على الباطل والحق أن كل الفرق والجماعات الضالة قائمة على جهل أما الفرقة الناجية فهي قائمة على علم وهم من تمسك بما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه وقد يكون ذكر السبعين على سبيل المبالغة في الكثرة كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ (80التوبة). والله أعلم . فالمتابعة ظاهرا وباطنا هي دليل المحبة وهكذا فهم الصحابة محبة النبي ﷺ

فعن أبي وائل قال جلست إلى شيبة في هذا المسجد قال جلس إلي عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مجلسك هذا فقال هممت أن لا أدع فيها صفراء ولا بيضاء إلا قسمتها بين المسلمين قلت ما أنت
بفاعل قال لم ؟ قلت لم يفعله صاحباك قال هما المرآن يقتدى بهما. (101)
وعن ابن عباس رضي الله عنهما

قال قدم عيينة بن حصن بن حذيفة فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس وكان من النفر الذين يدنيهم عمر وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولا كانوا أو شبابا فقال عيينة لابن أخيه يا ابن أخي لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه قال سأستأذن لك عليه قال ابن عباس فاستأذن الحر لعيينة فأذن له عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فلما

---

(99) رواه البخاري ومسلم. (100) صحيح رواه ابن ماجة وأحمد وغيرهما . (*)(الجماعة) أي الموافقون لجماعة الصحابة الآخذون بعقائدهم المتمسكون برأيهم كما قال الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي رحمه الله في حاشيته على سنن بن ماجة. (101) رواه البخاري.

دخل عليه قال هي يا ابن الخطاب فوالله ما تعطينا الجزل ولا تحكم بيننا بالعدل . فغضب عمر حتى هم به فقال له الحر يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ {خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين} (الأعراف199) . وإن هذا من الجاهلين . والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه وكان وقافا عند كتاب الله. (102)

فكم من آيات نزلت وما توقف عندها المبتدعة من المسلمين بل تخطوها وأضاعوها . فعلى سبيل المثال لا الحصر أنزل الله ﷻ في تبرئة عائشة رضي الله عنها من الإفك قرآنا يتلى إلى يوم القيامة إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٌ مِّنكُمۡ.

الآيات من 11: 20 من سورة النور ومع هذا فلا يزال الشيعة الروافض يسبون أم المؤمنين ويرمونها بالزنا فهل توقف هؤلاء عند كتاب الله ؟؟!!

والأشاعرة لم يتوقفوا عند كتاب الله بل أثبتوا لله عز وجل سبع صفات فقط يسمونها الصفات الواجبة(الوجود أوالحياة والإرادة والقدرة والعلم والسمع والبصر والكلام). كما جمعت السبع في هذا البيت

حي عليم قدير والكلام له إرادة وكذاك السمع والبصر

ثم ذهب الأشاعرة يأولون كثيرا من صفات الله ﷻ كاليدين والساق والوجه وغيرها من الصفات الثابتة لله في الكتاب والسنة والتي تليق بجلاله وكماله ولا حول ولا قوة إلا بالله .

إننا في عصر المقلدون فيه كثير والغافلون أكثر ، عصر يبيع فيه المرء دينه بعرض من الدنيا قليل ولا يبالي أيأكل من الحلال أم من الحرام . وإذا سألت هؤلاء الغافلين

---

(102) رواه البخاري. (النفر) الأشخاص . (يدنيهم) يقربهم إليه في مجلسه . (القراء) الذين يقرؤون القرآن ويحفظونه ويفقهونه . (ومشاورته) يشاورهم في الأمور . (كهولا) جمع كهل وهو الذي علاه الشيب وقيل هو من جاوز الثلاثين . (هم به) أن يعاقبه . وفي نسخة (هم أن يوقع به) أي العقوبة .

(خذ العفو) اليسير وتلبس بالسهولة من غير تشديد . (بالعرف) المستحسن من الأفعال . (أعرض عن الجاهلين) لا تقابلهم بفعلهم . (ما جاوزها) لم يتعد العمل بها . (وقافا) أي إذا سمع آياته التزم أحكامه ووقف عندها ولم يتعدها.

هل تحبون الله ورسوله ﷺ لأقسموا لك أيمانا مغلظة على شدة حبهم لله ورسوله ﷺ وكذبوا وإلا فأين دلائل محبتهم وهم يفرون من الصلاة وطاعة الله كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة ويحيدون من الموت وكل شيء يذكر به وها أنت تراهم ملئت حياتهم كلها بالمحرمات والغفلات والسهرات وإضاعة الأوقات فصارت الدنيا عندهم أحب من الأعلى كما قال الله ﷻ في وعيد شديد ما أعظمه لأولي النهى ﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ (24التوبة).

ومن هنا يتبين كيف تكون المحبة الحقيقية لله سبحانه ويتضح أيضا أن أعمال المسلمين – إلا من رحم الله – تفتقد صبغة المحبة التي إن صبغت بها حياة المسلمين لخفت العبادة عليهم وصارت سهلة ومرغوبة ولهذا تجد أكثر المسلمين يتثاقلون عن الصلاة إن لم يكونوا لا يصلون وتجد الغش والرشوة والربا والزنا والسرقات والإختلاسات تجد كل هذا يخيم على أكثر بلدان المسلمين وسبب هذا هو ما ذكرت من فقدان صبغة المحبة أو ضعفها والله المستعان.

وإليك لمحات سريعة عن الولاء والبراء اللذين يمثلان برهانين عظيمين من براهين المحبة

ثانيا : الولاء

ومعنى الولاء أن تحب وتنصر وتؤيد كل من قال لا إله إلا الله *

---

* فليس الولاء والبراء بناء على الشكل والمظهر . أتعجب كثيرا من بعض المسلمين عندما يقال لأحدهم لماذا لا تالط فلانا – من المسلمين – فيجيب ويقول إنني غير مرتاح له نفسيا أو يقول إن شكله لا يعجبني ونسي هؤلاء أن هذه الوجوه والأشكال من صنع الله وليس للعباد دخل فيها

قال رسول الله ﷺ

" من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان " . (103)

وقال رسول الله ﷺ

ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار. (104)

ثالثا : البراء

ومعنى البراء أن تبغض وتعادي كل من كفر بالله أو أشرك به ﷻ

قال الله ﷻ

قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ (4الممتحنة).

ولقد حذر الله ﷻ من تولي اليهود والنصارى وبين أنه سبب في حبوط الأعمال وخسران الدنيا والآخرة فقال ﷻ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ * فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ *

وبشاشة الإيمان إذا خالطت القلوب جعلت الارواح تتآلف حول التوحيد وتنفر من الشرك والتنديد.

(103) صحيح رواه أبو داود وغيره.

(104) رواه البخاري ومسلم .

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ ۙ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ *

ثم حكم الله ﷻ على هؤلاء جميعا بالردة فقال

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ

(المائدة54:51).

وبهذا يتضح بجلاء أنه لن ينال العبد محبة الله إلا بأربع خصال (الذلة على المؤمنين والعزة على الكافرين والجهاد في سبيل الله والصدع بالحق دون خوف لومة لائم).

قال رسول الله ﷺ :

إذا أحب الله العبد نادى جبريل إن الله يحب فلانا فأحببه فيحبه جبريل فينادي جبريل في أهل السماء إن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض .(105)

كلمات في موالاة الكفار

ولاء الكفار على أنواع ولاء بالمظهر وولاء بالمحبة القلبية وولاء بإتباع عاداتهم وتقاليدهم وتقليدهم في أعيادهم كالكريسماس وعيد الحب وشم النسيم وأعياد الميلاد وغيرها من الأعياد المبتدعة والحق أنه ليس للمسلمين أعياد سوى عيدان هما الفطر والأضحى . قال أنس قدم رسول الله ﷺ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فقال " ما هذان اليومان " ؟ قالوا كنا نلعب فيهما في الجاهلية فقال رسول الله ﷺ " إن الله قد أبدلكم بهما خيرا منهما يوم الأضحى ويوم الفطر . (106)

---

(105) رواه البخاري ومسلم .(106) صحيح رواه أبو داود والنسائي وأحمد وغيرهم .

(107) صحيح رواه أبو داود وغيره

قال الشيخ بن عثيمين رحمه الله ومقياس التشبه بالكفار الذي حرمه الشرع أن يفعل المتشبه ما يختص به المتشبه به ، فالتشبه بالكفار أن يفعل المسلم شيئا من خصائصهم ، أما ما انتشر بين المسلمين وصار لا يتميز به الكفار فإنه لا يكون تشبها إلا أن يكون محرما من جهة أخرى . وقال رسول الله ﷺ من تشبه بقوم فهو منهم . (107)

قال ابن كثير رحمه الله عن الحديث السابق ففيه دلالة على : النهي الشديد والتهديد والوعيد على التشبه بالكفار في أقوالهم وأفعالهم ولباسهم وأعيادهم وعباداتهم وغير ذلك من أمورهم التي لم تشرع لنا ولا نقر عليها . انتهى .

واعلم أن الموالاة الظاهرية في الأقوال والأفعال للمشركين تقود إلى الموالاة الباطنية وهي المحبة والمودة لأعداء الله سبحانه وتعالى والعياذ بالله .

صور ليست من الموالاة

1- الإستعانة بغير المسلم لغرض الحماية في الدعوة .

كما كان النبي في حماية عمه أبي طالب (يحوطه ويغضب له). (108) وقبل أبو بكر الدخول في جوار ابن الدغنة وكان كافرا أيضا (109)

وهذا بخلاف الإستعانة بالمشركين في القتال فإنها حرام سواء كان المقاتلون كفارا أو مسلمين

فعن عائشة زوج النبي ﷺ رضي الله عنها أنها قالت

خرج رسول الله ﷺ قبل بدر فلما كان بحرة الوبرة أدركه رجل قد كان يذكر منه جرأة ونجدة ففرح أصحاب رسول الله ﷺ حين رأوه فلما أدركه قال لرسول الله ﷺ جئت لأتبعك وأصيب معك قال له رسول الله ﷺ (تومن بالله ورسوله ؟) قال لا قال (فارجع فلن أستعين بمشرك . (110)

---

(108) رواه البخاري ومسلم . (109) كما رواه البخاري . (110) رواه مسلم .

(الوبرة) ضبطت بفتح الباء وهو موضع على نحو من أربعة أميال من المدينة .

(111) رواه البخاري ومسلم . قال الزجاج القين الذي يصلح الأسنة والقين أيضا الحداد .

2- المؤاجرة والمبايعة مع غير المسلمين .

واختلف العلماء في مؤاجرة المسلم نفسه للكافر والراجح الكراهة إلا لضرورة بشرطين الأول أن يكون عمله له فيما يحل للمسلم فعله .

الثاني أن لا يعينه على ما يعود ضرره على المسلمين . كذا قال المهلب .

والدليل أن خباب رضي الله عنه قال كنت رجلا قينا فعملت للعاص بن وائل (مشرك) فاجتمع لي عنده - يعنى دين - فأتيته أتقاضاه فقال لا والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد . الحديث . (111)

وأما خدمة المسلم للكافر في بيته فلا يجوز كما قال الأثرم عن الإمام أحمد ﵁ .

3- البيع والشراء .

عن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما قال :

كنا مع النبي ﷺ ثم جاء رجل مشرك مشعان طويل بغنم يسوقها فقال النبي ﷺ : (بيعا أم عطية ؟ أو قال هبة) . قال لا بل بيع فاشترى منه شاة. (112)

4- قبول الهدية منهم والإهداء إليهم للدعوة إلى الإسلام .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه

أن يهودية أتت النبي ﷺ بشاة مسمومة فأكل منها . الحديث. (113)

وأهدى ملك أيلة للنبي ﷺ بغلة بيضاء وكساه بردا . الحديث (114)

وأعطى رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب حلة من حرير فكساها عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخا مشركا له بمكة . (115)

5- رد السلام على أهل الكتاب .

---

(112) رواه البخاري ومسلم . (مشعان) طويل جدا فوق الطول المألوف في الرجال.

(113) رواه البخاري ومسلم . (114)رواه البخاري ومسلم . (أيلة) بلدة على ساحل البحر بين مصر ومكة . (بردا) ثوبا مخططا . (115) رواه البخاري ومسلم . (حلة) ثوبان من جنس واحد .

(116) رواه البخاري ومسلم . (117)رواه البخاري . (خريتا) الخريت الماهر بالهداية .

قال رسول الله ﷺ إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم . (116)

6- الإنتفاع بما عند المشركين .

استأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلا من بني الديل هاديا خريتا وهو على دين كفار قريش . (117) فيجوز الإنتفاع بما عند الكفار من علوم إن عدمت هذه العلوم عند المسلمين كما قيل الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها فهو أحق بها .

7- أكل ذبائح أهل الكتاب والزواج من الكتابيات .

قال الله ﷻ

ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖۗ (5المائدة).

8- إظهار الموافقة لغير المسلمين عند الإكراه في القول لا الفعل .

قال الله ﷻ

مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ (106النحل).

شروط الإكراه

1- أن يكون المكره قادرا على إيقاع ما يهدد به والمأمور عاجزا عن الدفع عن نفسه ولو بالفرار .

2- أن يغلب على ظن المكره أنه إذا امتنع وقع به السوء .

3- أن يكون ما هدد به فوريا أو جرت العادة بأن المكره لا يخلف .

وأحب هنا أن أحذر من موالاة الكفار والمشركين موالاة خفية بمشاهدة أفلامهم ومسلسلاتهم المشحونة بالكفر والشرك والاستهانة بدين التوحيد والتطاول على ذات

الله الواحد الأحد والفتوى على حرمة مشاهدة هذه الأشياء التي قد تؤدي إلى النفاق والعياذ بالله والدليل قول الله ﷻ

وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا (140النساء).

سبحان الله ! أنظر كيف تقود المشابهة في المخالفة إلى المشابهة في المعاقبة .

فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ (54المائدة).

والصحابة رضي الله عنهم كانوا على هذه الأربع (الذلة على المؤمنين والعزة على الكافرين والجهاد في سبيل الله والصدع بالحق دون خوف لومة لائم).فأنالهم الله ﷻ محبته واستحقوا نصره وتأييده .

قال النبي ﷺ يوم خيبر :

(لأعطين هذه الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله) . قال فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها فقال

(أين علي ابن أبي طالب) . فقيل هو يا رسول الله يشتكي عينيه قال (فأرسلوا إليه) . فأتي به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية فقال علي يا رسول الله ﷺ أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟ فقال (انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحد خير لك من أن يكون لك حمر النعم(118)

---

(118) رواه البخاري ومسلم. (119) رواه مسلم . (فلق الحبة وبرأ النسمة) فلق الحبة أي شقها بالنبات وبرأ النسمة أي خلق الإنسان وقيل النفس .

ولهذا نال علي محبة المؤمنين من أهل السنة وبغض أهل البدعة وإن زعموا محبته ظاهرا

وقال عليّ رضي الله عنه

والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي صلى الله عليه وسلم إلى أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق . (119)

وإذا كانت محبة الله هي رأس الإيمان فإن **الخوف والرجاء** هما جناحاه

قال الله سبحانه وتعالى مادحا أنبيائه عليهم جميعا صلوات الله وسلامه

إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ (90الأنبياء).

قالت عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم :

سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية

{ والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة } قالت عائشة هم الذين يشربون الخمر ويسرقون قال لا يا بنت الصديق ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون أن لا يقبل منهم

أولئك الذين يسارعون في الخيرات** . (120)

وقال الله سبحانه وتعالى في عباده المؤمنين

يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ (16السجدة).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد (121)

قال الحسن البصري رحمه الله : المؤمن يعمل بالطاعات وهو مشفق وجل خائف والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمن .

---

(120) صحيح رواه الترمذي وابن ماجة وغيرهما .

فالذين يعبدون الله ﷻ بالخوف المفرط قد يؤدي بهم الخوف إلى كبيرة كبرى وهي القنوط من رحمة الله ولقد حذر الله من ذلك فقال

وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ (56الحجر).

إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ (87يوسف).

وأما الذين يعبدون الله ﷻ بالرجاء المفرط فقد يؤدي بهم الرجاء إلى كبيرة أخرى وهي الأمن من مكر الله كما قال الله ﷻ

أَفَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا بَيَٰتٗا وَهُمۡ نَآئِمُونَ * أَوَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا ضُحٗى وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ * أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ (99:97الأعراف).

لهذا قال العلماء يستحب للواعظ أن يجمع فى موعظته بين الخوف والرجاء لئلا يقنط أحد

ولايتكل قالوا وليكن التخويف أكثر لأن النفوس إليه أحوج لميلها إلى الرجاء والراحة والاتكال وإهمال بعض الأعمال .

ومن هنا وجب على المسلم أن يعبد الله بالخوف و الرجاء كما قال القائل

أُرج الإله وخفه فالرب رب رحيم............ قد قال ربك في الحجر و الإله حكيم

نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ .... وقال وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ

لكن هناك أوقات وأعمار يغلب فيها الرجاء على الخوف عند الموت مثلا وعند كبر السن وعند المرض ، وهناك أوقات أخرى يغلب فيها الخوف على الرجاء خاصة في

** وبذلك يستبين بطلان ما نسب إلى رابعة العدوية من قولها إن كنت أعبدك لجنتك فلا تدخلنيها وإن كنت أعبدك خوفا من النارك فأدخلنيها وإنما أعبدك لأنك تستحق أن تعبد . ولهذا قال بعض السلف من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد. (121) رواه مسلم .

فترة الشباب وعند التورط في أي ذنب يجب على المسلم أن يخاف و يحذر فإن الخوف ينجي المسرفين التائبين لذا قال القائل :

و غلب الخوف على الرجاء...........و سر إلى مولاك بلا تنائي
و قل بذل ربي لا تقطعني .... من سرك الأبهى و لا تحرمني
من سرك الأبهى المزيل للعمى........... واختم بخير يا رحيم الرحما*

شرط الصدق

والمقصود الصدق الذي ينافي الكذب .

والناس ثلاثة أقسام ذكرهم الله ﷻ في أول سورة البقرة .

القسم الأول مؤمن صادق في إيمانه يؤمن بقلبه ولسانه وجوارحه

والقسم الثاني مرجيء كاذب يدعي الإيمان بقلبه ولسانه ولا يؤدي ما أمر الله ﷻ ورسوله ﷺ بجوارحه وأركانه .

والقسم الثالث كافر كاذب قال الله ﷻ

أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ (2،3 العنكبوت).

إنه من الممكن أن يدعي أي شخص الإيمان لكن عند الفتن والمحن يميز الله ﷻ الكاذب من

الصادق والخبيث من الطيب .

وقال رسول الله ﷺ

(ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار) . (122)

---

* وسأعود إلى الكلام عن الخوف والرجاء في (مكانة الخوف والرجاء من التوحيد).

(122). رواه البخاري. (123) رواه ابن أبي شيبة وغيره وهو من كلام الحسن وليس حديثا لرسول الله ﷺ كما هو مشهور . (124) رواه ابن أبي شيبة. (125) صحيح رواه النسائي .

وليس معنى الحديث أن النجاة بالتلفظ بالشهادتين مع مواطأة القلب فحسب بل يجب أيضا أن ينتشر أثر كلمة التوحيد على الجوارح والأركان كما قال الحسن البصري ﵁ إن الإيمان ليس بالتحلي ولا بالتمني إنما الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل .(123)

وبالصدق تخف الأعمال وتهون على النفس بل ويهون المال وتهون النفس في سبيل الله فيبيعها المؤمن لله الذي خلقها بجنة عرضها السماوات والأرض فما أربحها من تجارة

كان الحسن إذا قرأ هذه الآية إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَ (111التوبة) قال أنفس هو خلقها وأموال هو رزقها . (124)

عن شداد بن الهاد : أن رجلا من الأعراب جاء إلى النبي ﷺ فآمن به واتبعه ثم قال أهاجر معك فأوصى به النبي ﷺ بعض أصحابه فلما كانت غزوة غنم النبي صلى الله عليه وسلم سبيا فقسم وقسم له فأعطى أصحابه ما قسم له وكان يرعى ظهرهم فلما جاء دفعوه إليه فقال ما هذا قالوا قسم قسمه لك النبي ﷺ فأخذه فجاء به إلى النبي ﷺ فقال ما هذا قال قسمته لك قال ما على هذا اتبعتك ولكني اتبعتك على أن أرمى إلى ها هنا وأشار إلى حلقه بسهم فأموت فأدخل الجنة فقال إن تصدق الله يصدقك فلبثوا قليلا ثم نهضوا في قتال العدو فأتى به النبي صلى الله عليه وسلم يحمل قد أصابه سهم حيث أشار فقال النبي ﷺ أهو هو قالوا نعم قال صدق الله فصدقه . (125)

وعن أنس ﵁ قال غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر فقال يا رسول الله ﷺ غبت عن

أول قتال قاتلت المشركين لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع . فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء يعني أصحابه وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء يعني المشركين . ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر إني أجد ريحها من دون أحد قال سعد فما

استطعت يا رسول الله ما صنع قال أنس رضي الله عنه فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه . قال أنس رضي الله عنه كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ (23 الأحزاب) (126)

هكذا كانت همة أصحاب رسول الله ﷺ في طلب الجنان وهو حال من تبعهم بإحسان كما قال إبراهيم بن المهدي

وما زلت مذ أيفعت أسعى مراهقا إلى الغرض الأقصى أزور المعاليا
إذا قنعت نفسي بكأس ومطعم فلا بلغت فيما تروم الأمانيا
لَحَى اللهُ من يرضى ببلغة يومه ولم يك ذا هم إلى المجد ساعيا
على المرء أن يسعى ويسمو بنفسه ويقضي إله الخلق ما كان قاضيا

وكان لسان حال هؤلاء السادة رضي الله عنهم يقول :

أنا إن عشت لست أعدم قوتا وإذا مت لست أعدم قبرا
همتي همة الملوك ونفسي نفس حر ترى المذلة كفرا

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقني وكل من يقرأ هذه الكلمات الصدق وأن يجعلنا ممن صدق الله فصدقه الله فنفعه الله عز وجل بصدقه في الآخرة

﴿قَالَ ٱللَّهُ هَـٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّـٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ (19المائدة).

شرط الإخلاص

والمقصود الإخلاص الذي ينافي الشرك والرياء .

---

(126). رواه البخاري ومسلم. (لَحَى اللهُ) أي قبحه الله ولعنه .

والإخلاص **لغة** التصفية يقال أخلص الشيء أي صفاه ونقاه من شوبه . وأما شرعا فقد

قال الفضيل بن عياض ﵁ ترك العمل من أجل الناس رياء والعمل من أجل الناس شرك

والإخلاص أن يعافيك الله عنهما . (127)

وإذا كان إنعام الله على العبد يسري على العبد في صغره وكبره في يقظته ومنامه بل إن نعم الله لا تفارق العبد لحظة واحدة فلله على العبد في كل نفس يتنفسه نعمة وإذا كان ذلك كذلك فإنه من الواجب على العبد أن يؤدي قدرا ضئيلا من شكر الله بأن يخلص له سبحانه عند كل نفس يتنفسه فلا يشرك به شيئا .

قال الله ﷻ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ (11الزمر).

إنه من الغفلات الكبرى أن يستهان بأعمال القلوب مع العلم أن القلب محرك البدن(*) والأعضاء على طاعة الله وهو محل نظر الله ﷻ وعليه الحساب لهذا قال الله ﷻ

وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا (36الإسراء).

وكان من دعاء خليل الله إبراهيم ﷺ

وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ * يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ (89:87الشعراء).

فاستجاب الله ﷻ دعائه فعدله ومدحه وقال فيه إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ (84الصافات).

ولهذا قال رسول الله ﷺ:

---

(127)رواه البيهقي في الشعب . (*) وصدق الإمام ابن تيمية رحمه الله حين قال قوة المؤمن في قلبه وقوة المنافق في جسده . (128) رواه البخاري .

أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه أو نفسه(128)

وفي حديث آخر قال ﷺ

فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله . (129)

إن المرء قد يكون عالما بكلمة التوحيد لكنه ليس مخلصا فساعتها لا ينفعه علمه ولا يغني عنه عمله فرسول الله ﷺ يقول

(من طلب العلم ليماري به السفهاء أو ليباهي به العلماء أو ليصرف وجوه الناس إليه فهو في النار). (130)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال

قال رسول الله ﷺ " من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله [عزوجل] لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة " يعني ريحها . (131)

وقال رسول الله ﷺ من سمع سمع الله به ومن يرائي يرائي الله به . (132)

كان الحسن البصري رضي الله عنه يقول :

إذا استطعت أن تعيش وتموت ولا يعرفك أحد فافعل وما عليك ألا يعرفوك في الأرض إذا عرفك الله في السماء .

ومن عظيم أهمية هذا الشرط أن أفضل الأعمال في الإسلام كالعلم وتلاوة القرآن والإنفاق والجهاد إن فقدت الإخلاص فإن هذه الأعمال نفسها تهلك صاحبها وتجعله أول المعذبين في الآخرة والعياذ بالله .

فعن عقبة بن مسلم رضي الله عنه أن شفيا حدثه أنه دخل المدينة فإذا هو برجل قد اجتمع عليه الناس فقال : من هذا ؟ فقالوا : أبو هريرة رضي الله عنه فدنوت منه حتى قعدت بين

---

(129)رواه البخاري ومسلم (130) حديث حسن رواه ابن ماجة وغيره . (131) صحيح رواه أبو داود وأحمد وغيرهما. عرف الجنة يعني ريحها . (132) رواه البخاري ومسلم . (سمع) عمل للسمعة والفخر وقيل أشاع عيوب المؤمنين . (سمع الله به) يظهر الله للناس سريرته . ويملأ أسماعهم بما ينطوي عليه من خبث السرائر جزاء لفعله .

يديه و هو يحدث الناس فلما سكت و خلا قلت : أنشدك بحق و حق لما حدثتني حديثا سمعته من رسول الله ﷺ عقلته وعلمته فقال أبو هريرة رضي الله عنه : افعل لأحدثنك حديثا حدثنيه رسول الله ﷺ و علمته ثم نشغ أبو هريرة نشغة فمكث قليلا ثم أفاق فقال :

لأحدثنك حديثا حدثنيه رسول الله ﷺ في هذا البيت ما معنا أحد غيري و غيره ثم نشغ أبو هريرة نشغة أخرى فمكث بذلك ثم أفاق و مسح وجهه قال : افعل لأحدثنك بحديث حدثنيه رسول الله ﷺ و أنا و هو في هذا البيت ما معنا أحد غيري و غيره ثم نشغ أبو هريرة نشغة شديدة ثم مال خارا على وجهه أسندته طويلا ثم أفاق فقال : حدثني رسول الله ﷺ

إن الله تبارك و تعالى إذا كان يوم القيامة نزل إلى العباد ليقضي بينهم و كل أمة جاثية فأول من يدعوا به رجل جمع القرآن و رجل يقتل في سبيل الله و رجل كثير مال فيقول للقارىء : ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي ؟ قال : بلى يا رب قال : فماذا عملت فيما علمت ؟ قال : كنت أقوم به أثناء الليل و آناء النهار فيقول الله له : كذبت و تقول الملائكة : كذبت و يقول الله : بل أردت أن يقال : فلان قارىء فقد قيل و يؤتى بصاحب المال فيقول الله : ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد ؟ قال : بلى قال : فماذا عملت فيما آتيتك ؟ قال : كنت أصل الرحم و أتصدق فيقول الله : كذبت و تقول الملائكة : كذبت فيقول الله : بل أردت أن يقال فلان جواد فقد قيل ذاك و يؤتى بالذي قتل في سبيل الله فيقال له فيم قتلت ؟ فيقول : أمرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت فيقول الله : كذبت و تقول الملائكة : كذبت و يقول الله عز و جل له : بل أردت أن يقال فلان جريء فقد قيل ذلك ثم ضرب رسول الله ﷺ على ركبتي فقال : يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة .

---

(133) صحيح رواه ابن خزيمة والترمذي وغيرهما*النَّشْغ : الشَّهِيق وما أشبهه حتى يكاد يُبلغ به الغشي.

قال الوليد فأخبرني عقبة أن شفيا هو الذي دخل على معاوية فأخبره بهذا

قال أبو عثمان وحدثني العلاء بن أبي حكيم أنه كان سيافا لمعاوية وأن رجلا دخل على معاوية رضي الله عنه فحدثه بهذا قال : صدق الله ورسوله ﷺ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ (هود15،16).(133)

لهذا كان السلف الصالح رضوان الله عليهم يخافون على أنفسهم من يسير الرياء ولا يحبون الظهور فعن أسير بن جابر رضي الله عنه قال

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن سألهم أفيكم أويس بن عامر ؟ حتى أتى على أويس فقال أنت أويس بن عامر ؟ قال نعم قال من مراد ثم من قرن ؟ قال نعم قال فكان بك برص فبرأت منه إلا موضع درهم ؟ قال نعم قال لك والدة ؟ قال نعم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم له والدة هو بها بر لو أقسم على الله لأبره فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل فاستغفر لي فاستغفر له فقال له عمر أين تريد ؟ قال الكوفة قال ألا أكتب لك إلى عاملها ؟ قال أكون في غبراء الناس أحب إلي قال فلما كان من العام المقبل حج رجل من أشرافهم فوافق عمر فسأله عن أويس قال تركته رث البيت قليل المتاع قال سمعت رسول الله ﷺ يقول يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم له والدة هو بها بر لو أقسم على الله لأبره فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل فأتى أويسا فقال استغفر لي قال أنت أحدث عهدا بسفر صالح فاستغفر لي قال استغفر لي قال أنت أحدث عهدا بسفر صالح فاستغفر

(ظ) رواه مسلم . (أمداد أهل اليمن) هم الجماعة الغزاة الذين يمدون جيوش الإسلام في الغزو واحدهم (غبراء الناس) أي ضعافهم وصعاليكهم وأخلاطهم الذين لا يؤبه لهم (رث البيت) هو بمعنى قليل المتاع والرثاثة والبذاذة بمعنى واحد وهو حقارة المتاع وضيق العيش .

لي قال لقيت عمر ؟ قال نعم فاستغفر له ففطن له الناس فانطلق على وجهه قال أسير وكسوته بردة فكان كلما رآه إنسان قال من أين لأويس هذه البردة ؟ (ظ)

لهذا كلما كان العمل أخفى كلما كان الأجر أعظم كما ميز القيام والصيام بالأجر العظيم ولهذا قال الله ﷻ في وصف عباده المؤمنين

تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ * فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (السجدة16،17).

قال ابن القيم رحمه الله : تأمل كيف قابل ما أخفوه من قيام الليل بالجزاء الذي أخفاه لهم مما لا تعلمه نفس و كيف قابل قلقهم و خوفهم و اضطرابهم على مضاجعهم حين يقوموا إلى صلاة الليل بقرة الأعين في الجنة .

وقال رسول الله ﷺ قال الله كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي . (134)

وقال رسول الله ﷺ إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي . (135)

إن المسلم ليس مطالبا بالبحث في قلوب الناس أصادقين هم أم كاذبين وإنما كما قال رسول الله ﷺ إني لم أومر أن أنقب قلوب الناس ولا أشق بطونهم . (136)

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة فصبحنا القوم فهزمناهم ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلا منهم فلما غشيناه قال لا إله إلا الله فكف الأنصاري عنه فطعنته برمحي حتى قتلته فلما قدمنا بلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال (يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله) . قلت كان متعوذا فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم (137) وفي رواية لمسلم قال رسول الله ﷺ أقتلته ؟ قال نعم قال فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة ؟ فجعل لا يزيده على أن يقول كيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة ؟ وفي رواية لمسلم قال رسول الله ﷺ أقال لا إله إلا الله وقتلته ؟ قال قلت يا

رسول الله إنما قالها خوفا من السلاح قال أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا فما زال يكررها علي حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ .
ولقد تفكرت في أسباب الرياء فوجدت أن المرائي يعمل الصالحات في العلانية يطلب من ذلك شكر الناس ونظرهم إليه وتسميعهم به وإن نال ما يرجو فإنه سرعان ما ينسى الناس ما قدم هذا المرائي من صالحات .
أما الموحد المخلص الذي يرجو وجه الله وحده فإن الله لا ينسى عمله كما قال الله ﷻ

وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا (64مريم).

وقال ﷻ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى (52طه).

ولهذا كان قول المخلصين في الدنيا عند فعل أي خير إنما نفعل هذا لوجه الله ﷻ كما قالوا عند الإطعام إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا (9الإنسان).

ولهذا فإن الله ﷻ يجازي المخلصين في الآخرة بجنات النعيم ويقول لهم إِنَّ هَـٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا (22الإنسان).

إنه من أعظم الشرك أن يشرك العالم أو الداعي إلى الله في دعوته فيفسد أقواله ويبطل أعماله من أجل متاع قليل وعادة ما يكذب هؤلاء على رسول الله ﷺ للحضور أو الظهور وصدق من قال من أراد الظهور قصم الله ظهره ومن أراد السمعة سمع الله به.(ع)
فأني لهؤلاء الوصول والقبول ولهذا تكرر في القرآن العظيم الربط بين قضية الدعوة والشرك.

---

(134) رواه البخاري ومسلم. (135) رواه مسلم . (136) رواه البخاري ومسلم . (137) رواه البخاري ومسلم . (الحرقة) قبيلة من جهينة . (متعوذا) مستجيرا من القتل . (يكررها) أي يكرر إنكاره عليه .

كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ (108يوسف).

وقال الله تعالى

وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ * وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ (آخر القصص).

قال سفيان الثوري كل شيء هالك إلا ما ابتغى به وجهه من الأعمال الصالحة . (138)

وقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه(139)

فلو أيقن الدعاة بنظر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إلى قلوبهم لإنشغلت قلوبهم بالحق لا بالخلق كما قال الشيخ

عبد القادر الجيلاني رحمه الله كن مع الحق بغير خلق وكن مع الخلق بغير نفس .

شرط الكفر بالطاغوت

من عظيم شأن هذا الشرط أنه ما أرسل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الرسل إلا لغايتين عبادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ واجتناب الطاغوت كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ (36النحل).

ولن يصح الإيمان بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إلا بالكفر بالطاغوت وهذا ما يسمى بالتخلية قبل التحلية ولهذا قدم الله الكفر بالطاغوت على الإيمان به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فقال

(ع) القائل العلامة جميل غازي رحمه الله . (138) رواه البيهقي في الشعب .

(139) صحيح رواه الترمذي وغيره .

لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (256البقرة).

لهذا كان علي بن الحسين رضي الله عنه يعلم ولده يقول قل آمنت بالله وكفرت بالطاغوت . (140)

فما هو **الطاغوت** إذاً ؟

الطاغوت **لغة** مشتق من الطغيان وهو مجاوزة الحد وتعدي القدر.

و**شرعا** كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع (غير الصالحين) .

كما قال العلامة ابن القيم رحمه الله .

قال العلامة محمد جميل غازي رحمه الله :

(والطاغوت مفردة من مفردات القرآن الكريم التي ليس لها وجود في اللغة العربية نفسها وهذا من كمال إعجاز القرآن الكريم فالقرآن الكريم جاء ليجدد وجاء ليبدد جاء ليجدد في كل العلوم وجاء ليبدد كل المعتقدات والتصورات و التقاليد الجاهلية. وقد تجاوز الطاغوت حده وتعدى قدره حين رفع نفسه فوق البشر فزعم أنه إله له صفات الخالق الذي يحكم البشر ويشرع لهم . هذا الطاغوت الذي أراد أن يكون حجابا بين الناس وبين الخالق حتى لا يعبدوه وحده وأراد للبشر أن يقدموا كلامه على كلام الله . وما أفسد دين الناس ودنياهم إلا الطاغوت وهو الذي جعلهم يعيشون معيشة ضنكا وجعلهم يحشرون يوم القيامة عميا ، وعلى البشر أن ينتبهوا لهذا الطاغوت ويجتنبوه).

ولقد ذكرت كلمة **الطاغوت** في القرآن العظيم ثمان مرات ذكرت منها اثنين وسأذكر الباقي مع شيء من التفصيل لخطورة الموضوع والله المستعان .

لقد تحققت عبادة الطاغوت في اليهود ولا أعلم أمة من الأمم تجاوزت الحدود وخالفت السنن الشرعية كاليهود لعنهم الله وتأمل معي عدد اللعنات التي لعن الله بها اليهود عباد الطاغوت في هذه الآيات قال الله سبحانه وتعالى

---

(140) رواه ابن أبي شيبة .

مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ وَرَٰعِنَا لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا وَٱسۡمَعۡ وَٱنظُرۡنَا لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَقۡوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلاً * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولاً * إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا * أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلاً * ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينًا * أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلاً * أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا (النساء46:52).

ثم قال الله ﷻ في سورة المائدة عن اليهود .

قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ (المائدة60).

ومن هنا وجب على كل مسلم أن يكفر بالطاغوت وإن تعددت أشكاله أواختلفت ألوانه في كل عصر ومصر وإليك بعض أشكال الطاغوت

1- الأصنام التي ما زالت تعبد في بعض البلدان .

قال الله ﷻ

وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ (74الأنعام).

2- علماء السوء من محلي الحرام ومحرمي الحلال .

قال الله ﷻ عن المقلدين لعلماء السوء :

{ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ }(31التوبة).

3- أدعياء علم الغيب كالمنجمين والكهان والسحرة .

قال الله ﷻ

قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُ (65النمل).

4- المعبودون من دون الله ﷻ وهم راضون بذلك .

قال الله ﷻ

وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ (29الأنبياء).

5- الشيطان الذي عبده الغافلون .

قال الله ﷻ

أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ * وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ (60،61يس).

6- الهوى متبوع باطل إتبعه خلق كثير .

قال الله ﷻ

أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (23الجاثية).

7- العلم الضار الذي يفسد البلاد ويهلك العباد طاغوت .

قال الله ﷻ

عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ * كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ (5،6العلق).

8- المال الفاسد الذي يسعى إليه الكفار والمجرمون .

قال النبي ﷺ

تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش . (141)

9- الحكام الطاغون الذين لا يحكمون شرع الله ﷻ .

قال الله ﷻ وَفِرۡعَوۡنَ ذِى ٱلۡأَوۡتَادِ * ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِى ٱلۡبِلَٰدِ (10،11الفجر).

فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمًا فَٰسِقِينَ (54الزخرف).

وأخبر رسول الله ﷺ أن الحاكم الظالم المتبوع فرعون من الفراعين فوقف على أبي جهل بعد هلاكه وقال هذا فرعون هذه الأمة (142)

10- الذين يضعون نظما كفرية تحكم الناس تخالف شرع الله ﷻ .

ومن تحاكم إلى الطاغوت ورضي بذلك منافق وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم .

قال الله ﷻ

أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا *

وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا *

فهؤلاء إيمانهم إيمان مزاعم لا إيمان يقين وزعموا أي ظنوا والزعم هو القول بالظن وكما

---

(141) رواه البخاري . (142) حديث حسن رواه الطبراني وغيره .

قال رسول الله ﷺ " بئس مطية الرجل زعموا ". (143) وإنما يقال زَعَمُوا في حديث لا سَنَد له ولا ثَبت فيه وإنما يُحكَى على الألسُن على سبيل البَلاغ والزُّعم بالضم والفتح : قريب من الظنّ . كذا قال ابن الأثير .

ومن جهل الطواغيت وأعوانهم أنهم يسارعون في تكذيب أحكام الله ﷻ ويبطلون حدوده لا لشيء إلا لأنها لا تتفق مع أهواءهم ولا تنتظم مع فسادهم كما قال المعري متعجبا

يد بخمس مئين عسجد*وديت ...... ما بالها قطعت في ربع دينار

تناقض فما لنا إلا السكوت له ...... وأن نعوذ بمولانا من النار

يقول : اليد – إن قطعت – ديتها خمسمائة دينار ، فما لكم تقطعونها إذا سرقت ربع دينار ، وهذا من قلة عقله ، وعلمه ، وعمى بصيرته . وذلك أنه إذا جنى عليها ، يناسب أن يكون ديتها كثيرة ، لينزجر الناس عن العدوان ، وأما إذا جنت هي بالسرقة ، فيناسب أن تقل قيمتها ، وديتها ، لينزجر الناس عن أموال الناس . كذا قال في شرح مقامات القرني .

فرد عليه بعض العلماء وقال كانت ثمينة لما كانت أمينة ، فلما خانت هانت . وقال آخر

قل للمعرى عار أيما عارى ... جهل الفتى وهو من ثوب التقى عارى

يد بخمس مئين عسجداً وديت ... لكنها قطعت فى ربع دينار

حماية النفس أغلاها وأرخصها ... حماية المال فافهم حكمة البارى

إن الذي له الحق في الحظر والإباحة والتحريم والتحليل هو الله وحده ونتيجة التحاكم للطاغوت وقوع المصائب في المجتمع ككثرة الزنا خاصة زنى المحارم وانتشار شرب الخمر بل واستحلاله وكثرة القتل الإبن يقتل أباه والأخ يقتل أخاه وزادت السرقات والاختلاسات ومصائب لا حصر لها لهذا قال الله ﷻ

---

(143) صحيح رواه ابوداود والبخاري في الأدب وغيرهما . *العَسْجَدُ الذهب .

فَكَيۡفَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّآ إِحۡسَٰنٗا وَتَوۡفِيقًا * أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ

وإنما حجة هؤلاء في رفض شرع الله ﷻ – هي أنهم يخافون الإنعزال عن العالم ويريدون التوفيق بين المجتمعات والدول فالكون كله يثور عليهم إذا أقاموا شرع الله وحكموا رسول الله ﷺ وكذبوا فإن الله ﷻ يقول

ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ * فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ * إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ (173:175آل عمران).

(فَزَادَهُمۡ إِيمَـٰنًا) إذاً هناك إيمان أما هؤلاء – الذين يرفضون حكم الله ﷻ – فلا إيمان لهم لهذا استحوذ الخوف عليهم وأرادوا التوفيق وأقسموا الأيمان على ذلك (يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّآ إِحۡسَـٰنًا وَتَوۡفِيقًا) والله عز وجل يعلم ما في قلوبهم من نفاق وخداع . فما عليك إلا أن تعرض عنهم فلئن أعرضت عنهم بغير موعظة فرحوا كثيرا لتركك إياهم يفعلون ما يشاءون فقال الله سبحانه وتعالى

وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِىٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلاَۢ بَلِيغًا *

لا تترك وعظهم وتبليغ الحق لهم ببلاغة وفصاحة وبيان .

ثم قال الله سبحانه وتعالى

وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا *

سبحان الله ما أوسع رحمة الله مع هذا كله يطلب الله سبحانه وتعالى منهم العودة إلى الله ورسوله ﷺ وأن يتوبوا إلى الله سبحانه وتعالى لكن الكبر الذي ركب رؤوسهم منعهم من العودة كما قال الله سبحانه وتعالى

وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ يَسۡتَغۡفِرۡ لَكُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوۡاْ رُءُوسَهُمۡ وَرَأَيۡتَهُمۡ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ (5المنافقون).

ثم قال تعالى

فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا (65:60النساء).

إنه لا يتصور أبدا أن يترك مسلم التحاكم إلى كتاب الله تعالى كيف وقد ذم الله سبحانه وتعالى اليهود والنصارى على تفريطهم في تحكيم التوراة والإنجيل فقال سبحانه

فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ(44المائدة).

وقال الله ﷻ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ (45المائدة).

وقـــــــــــال الله ﷻ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ (47المائدة).

ولكن لماذا لا يكون الحكم والتشريع إلا لله وحده ؟ ذلك لأن الله خلق فالذي خلق يعلم بواطن الأمور وظواهرها ويعلم بداية الأمور وعواقبها وهو وحده الذي يعلم ما يصلح أو يضر

أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ (14الملك).

ولهذا إن أراد أحد من الخلق أن يشرع فإنه يخطيء لقصور علمه وجهله بالغيوب وفقره في معرفة خفايا النفوس بل الأدهى والأمر أنه ينازع الله ﷻ في صفة من صفاته وهي الحاكمية فمن أجل هذا كان هذا الصنف طاغوتا تجاوز حده وتعدى قدره – كعبد لله – وجعل من نفسه إلها وهو لا يملك بوله ولا يعرف أجله أيستوي العبد مع الرب ؟ فما لكم كيف تحكمون

أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (17 النحل).

ولهذا لا يصح أن يأمر ويشرع إلا الذي يعطي ويمنع وهو الخالق الكامل وحده ولهذا قال الملك ﷻ

أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ (54الأعراف).

والله ﷻ يقول عن القرآن العظيم

وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن

لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ * وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ * أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ (المائدة48:50).

وهنا إشاراتان لطيفتان :

الأولى : أن الله ﷻ قال وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ ولم يقل عن كل لكن الأمة الآن فتنت عن كل ما أنزل الله بل وصار الاستهزاء بكلام الله شيئا عاديا ولا حول ولا قوة إلا بالله .

الثانية : أن الله ﷻ قال فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ ولم يقل بذنوبهم إذ لو عاقبهم بكل ذنوبهم لأهلكهم جميعا بل وأهلك معهم الدواب كما قال ﷻ

وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرَۢا (فاطر45).

ثم يطرح الله ﷻ علينا سؤالين توبيخا وتقريعا لا جواب لهما فيقول

* أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ (المائدة48:50).

وهكذا انقسم الناس إلى فريقين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال بينا نحن مع رسول الله ﷺ اذ طلع علينا شاب من الثنية فلما رميناه بأبصارنا قلنا لو أن ذا الشاب جعل نشاطه وشبابه وقوته في سبيل الله فسمع مقالتنا رسول الله ﷺ فقال وما سبيل الله الا من قتل من سعى على والديه

ففي سبيل الله ومن سعى على عياله ففي سبيل الله ومن سعى مكاثرا ففي سبيل الطاغوت. (144)

ولهذا فإن الذين يسعون في حياتهم لأجل الطاغوت ويعبدون الآلهة الباطلة من مال أو سلطان أو أوثان أو علم يدعون له الهيمنة على الخلق كل هؤلاء يرجون العزة من هذه الآلة يصيبهم الله بالذلة في الدنيا وترديهم آلهتهم في النار والعياذ بالله وساعة يعاينوا العذاب يؤمنون بالله وحده ويكفرون بما سواه .

وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمۡ عِزّٗا * كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا (81،82مريم).

لكن هنالك لا يقبل الإيمان ولا ينفع الإسلام كما قال الله ﷻ

فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ * فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ (84،85غافر) .

الطاغوت بين أوليائه وأعدائه

قال الله تعالى

ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ (257البقرة).

إنه لا يصح بأي حال من الأحوال أن يكون ولي الرحمن حبيبا لولي الشيطان فالحرب سجال بين الفريقين قال مولانا ﷻ

---

(144) صحيح رواه الطبراني في الأوسط والبزار وإسحاق بن راهويه وأبو نعيم والبيهقي .

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّـٰغُوتِ فَقَـٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَـٰنِ ۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَـٰنِ كَانَ ضَعِيفًا (76النساء).

وأختم بالموضع الأخير لذكر الطاغوت في القرآن العظيم قال الله ﷻ وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّـٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ ۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ * ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَـٰبِ (17،18الزمر) .

شرط الإسلام (الإذعان)

والمقصود الإسلام الذي ينافي الرفض ثم الموت عليه إذ الأعمال بالخواتيم .

أحب أولا ان أقدم بهذه المقدمة عن دين الإسلام .

إلتبس على كثير من المثقفين فهم نصوص من آيات الله فأولوها على غير الصواب وزعموا أن النصرانية دين حق واليهودية دين حق والإسلام دين جديد جاء به محمد ولقد سمعت أحدهم يفهم هذا المعنى ويردد قول الله ﷻ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأَخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ (62البقرة). والمقصود من الآية من آمن من هؤلاء الناس بالله واليوم الآخر وأسلم لله واتبع النبي الذي أرسل إليه قبل ظهور النبي الخاتم مع تصديقهم به قبل أن يروه وقد يكون الكلام خبرا خرج مخرج الإنشاء فهو دعوة وحث لهؤلاء أن يسلموا لله لينالوا فضل الله كقوله ﷻ عن الحرم المكي وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا (97آل عمران).والله أعلم .

ولو نظروا في كتاب الله ﷿ لأدركوا أن الدين الحق واحد وهو الإسلام ومن لم يؤمن به كان كافرا وكان من أصحاب النار بإجماع المسلمين وأنا أعذر هؤلاء

المثقفين لجهلهم أو تأولهم ولله معهم شأن ونقل ابن حزم وغيره إجماع المسلمين على أنه من لم يكفر أهل الكتاب فهو كافر لإنكاره معلوما من الدين بالضرورة ولرده نصوص القرآن والسنة الصريحة بتكفير أهل الكتاب قال الله ﷻ

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ (6البينة).

و قال عز وجل

لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ (72المائدة).

و قال عز وجل

لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ (73المائدة).

وقال ﷻ

وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ (30التوبة).

وقال رسول الله ﷺ

والذي نفسي محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار . (145)

فالدين السماوي واحد وهو الإسلام ، قال الله ﷻ

---

(145) رواه مسلم .

إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ (19آل عمران).

وقال عز من قائل

وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ (85آل عمران).

وصدق من قال : كل دين يوم القيامة عند ... الله إلا دين الحنيفة زور

وكل الأنبياء والمرسلين مسلمون ودينهم وملتهم وعقيدتهم ودعوتهم كانت الإسلام أما الإختلاف ففي التشريعات بين الرسل لا في العقيدة .

* نوح شيخ التوحيد عليه السلام كان مسلما

قال الله سبحانه وتعالى عنه أنه قال لقومه

فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ (72يونس).

* لوط عليه السلام كان مسلما

قال الله سبحانه وتعالى في من أسلم من قومه

فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ * فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٍ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ (35،36الذاريات).

* إبراهيم عليه السلام كان مسلما

قال الله سبحانه وتعالى

وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ * إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ (130،131البقرة).

* إسماعيل عليه السلام وإسحاق عليه السلام ويعقوب عليه السلام كانوا جميعا مسلمين .

قال الله سبحانه وتعالى

وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ * أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِي قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ (132،133البقرة).

* سليمان عليه السلام كان مسلما

قال في رسالته إلى ملكة سبأ

إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ *أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ (30،31النمل).

فأجابت ملكة سبأ قائلة

قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ (44النمل).

* يوسف عليه السلام كان مسلما

قال الله سبحانه وتعالى

رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمًا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ (101يوسف).

* موسى عليه السلام كان مسلما

قال الله سبحانه وتعالى

إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ (44المائدة).

* عيسى عليه السلام كان مسلما

قال الله سبحانه وتعالى

فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ (52 آل عمران).

وقال رسول الله ﷺ أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة والأنبياء أخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد . (146)

فالخلاف بين الأنبياء عليهم السلام في الشرائع لا العقائد ولهذا كانت القاعدة الأصولية شرع من قبلنا هو شرع لنا ما لم يأت ناسخ ينسخه .

الإسلام لغة الإذعان أي الإنقياد والإقرار والقبول.

والإسلام شرعا عرفه لنا رسول الله ﷺ حين قال له رجل يا رسول الله ما الإسلام قال أن تسلم قلبك لله عز وجل وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك . (147)

وفي رواية صحيحة قال رسول الله ﷺ وأن توجه وجهك لله . (148)

وقال الله سبحانه وتعالى

وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ (22لقمان).

فهل أسلم المسلمون قلوبهم ووجوههم لله سبحانه وتعالى ؟ بكل أسف لا وإنما أسلموا قلوبهم للغرب بحضارته الزائفة ففتنوا بها أيما فتنة واستمعوا لما يصدره لهم الغرب من العفن الفكري الذي يغزو القلوب غزوا لا يدرك مداه إلا الله وإذا تكلموا عن الغرب رأيتهم خاشعين كأنهم يتكلمون عن الرب الذي يسلب ويمنح ويخفض ويرفع ويقولون لنا إن التقدم والرقي لا يكونان إلا في الغرب ليس هذا فحسب بل ويزايدون على ذلك فيقولون إن الغربيين ذوو أخلاق كريمة ومعاملات سليمة ونسي هؤلاء أن هؤلاء الغربيين يتقلبون في لعنات الله بما يصنعون من فواحش يجاهرون بها ويصدرونها لنا . وهل جاء الفساد الإعلامي الذي دخل بلدان المسلمين وأفسد جماهير المسلمين

---

(146) رواه البخاري . [الأنبياءُ أَوْلاَدُ عِلاَتٍ] أَوْلاَدُ العَلَّات : الذين أَمَّهاتُهم مُخْتَلفةٌ وأبوهم واحِدٌ . أرادَ أنَّ دينهم واحِدٌ وشرائِعَهُم مُخْتَلِفة .

– إلا من رحم الله – إلا من قبل الغرب وصدق من قال (ليس شيء يأتي من الغرب يسر القلب) .

وأسلم كثير من المسلمين قلوبهم ووجوههم للمال فصار همهم ملئ البطون وإتقان الفنون وقبلتهم النساء وجليسهم الغناء .

وطفحت الجرائد بالحوادث التي يشيب لها الولدان قتل الولد والده والأخ أخاه وساد الغش في البلاد وعم الظلم في العباد وفشت الفحشاء واستحل الربا وساد الزنا وليس هذا إلا بسبب حب المال الذي طغى على حب الرزاق سبحانه وتعالى وصدق اللطيف الخبير إذ يقول ﷻ

وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا (20الفجر).

إنه الصنم الأعظم الذي قال فيه رسول الله ﷺ

إن لكل أمة فتنة وفتنة أمتي المال . (149)

وليس حب اقتناء المال حرام إن كان هذا المال حلالا لا يلهي القلوب والأبدان عن عبادة الرحمن سبحانه وينفق في حلال بل إذا كان الأمر كذلك فالمال من أعظم القربات لله كما قال رسول الله ﷺ إنما الدنيا لأربعة نفر عبد رزقه الله مالا وعلما فهو يتقي فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعلم لله فيه حقا فهذا بأفضل المنازل. (150)

وقال نعم المال الصالح للمرء الصالح . (151)

ولكن ماذا لو تفكر المسلمون في آيات الله المنظورة – المشاهدة في الكون – وما يقابلها من الآيات المسطورة – القرآن العظيم – لعظموا الله أشد من تعظيمهم لما سواه فالكون كله بما فيه من ذرات ومجرات وسهول وجبال وبحار وأنهار وأشجار وحيوان وأنعام مسلما لله ﷻ ومسبحا له فمثلا لم نر الشمس أو القمر يوما تخلفا عن البزوغ أو الأفول ولكن الناس هم

---

(147) صحيح رواه عبد بن حميد وغيره . (148) رواها ابن بن حبان .

(149)صحيح رواه الترمذي وأحمد وغيرهما (150) صحيح رواه الترمذي وأحمد وغيرهما .

(151) صحيح رواه أحمد والبخاري في الأدب وغيرهما .

الذين تخلفوا عن الصلاة وعبادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (44الإسراء).

بل إن الرعد رغم أنه يظهر في ثوان معدودة إلا أنه يسبح بحمد الله في ذلك الوقت القصير كما قال الله سبحانه

﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ﴾ (13 الرعد).

وأما البشر فإن هناك ناسا يعيشون عشرات السنين ولا يسبحون الله تسبيحة ولا يسجدون له سجدة ولكن الرعد يسبح بحمد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ .

ليس هذا فحسب بل إن ظل كل شيء يسجد لله الذي خلقه (غ) كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعًا وَكَرۡهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ﴾ (15 الرعد).

وصدق من قال إن الكافر يسجد للصنم وظله يسجد للصمد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ .

فلئن إنفعل الإنسان مع الطبيعة وتأملها وتفكر في بديع خلقها لوجد وراء الصنعة صانعا ولأيقن بأن الكون له خالقا جميلا يحب الجمال ولعل هذا هو الفرق بين المسلم والكافر في معاملة الطبيعة فالكافر قد يتأمل في الطبيعة وينظر إليها ولكن نظره قاصر على ما يرى فلا عمق في نظره ولا دقة في تفكيره وأما المؤمن فنظره

(غ) وأحب أن أشير هنا أنه ليس لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ صفة الظل فالظل مخلوق كما أن الروح خلق من خلق الله وإنما يضاف الظل لله إضافة تشريف وتعظيم وبهذا يتضح معنى الحديث سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله . (ف) صحيح رواه الترمذي وأحمد وغيرهما . (*)قراءة متواترة قرأ بها الكسائي وحمزة وخلف .

أعمق وفكره أدق لا ينظر إلى الطبيعة فقط وإنما ينظر إلى قدرة وإبداع خالقها ليدرك حقيقة الحقائق وهي إسلام الكون كله لله كما قال الله ﷾

أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (83 آل عمران).

ولهذا كان النبي ﷺ إذا رأى الهلال قال اللهم أهله علينا باليمن والإيمان والسلامة والإسلام ربي وربك الله . (ف) فكل آية من آيات الله تجعل المسلم يرى بعين بصيرته أن الله خالق السماوات والأرض كما قال الله ﷾

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ . (*)

وعندما يوقن المسلم بإسلام الكون كله لله فإنه يكون مسلما بحق إسما على مسمى ويأبى أن يشذ عن هذا الكون المسلم بكفر أو عصيان فيدفعه هذا إلى الإنسجام مع الكون وحينئذ يستطيع أن يجيب بحق على قول الله ﷾

قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ (108الأنبياء).

وللإسلام تعريفات كثيرة صحيحة ذكرها رسول الله ﷺ وكلها ذاخرة بعمل الفروض الخمس مع إصلاح ما بين العبد والخلق(وقد آثرت التعريف السابق لاحتوائه وشموله الإسلام بمعناه الأوسع من معاملة الله باطنا ومعاملة الناس ظاهرا).

والإسلام والإيمان بمعنى واحد شرعا لكنهما لفظين إذا افترقا اجتمعا وإذا اجتمعا افترقا فإذا ذكر الإسلام وحده دخل فيه الإيمان والعكس صحيح وإذا ذكر الإسلام والإيمان معا في نص واحد افترق المعنيان كما قال الله سبحانه

قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ (14الحجرات).

إذاً الإسلام إسلام قلب وإسلام وجه وعلاقة طيبة بالمسلمين بل بالناس أجمعين (ق) كما جاء في رواية أن النبي ﷺ قال المسلم من سلم الناس من لسانه ويده (152) وقد وضح رسول الله ﷺ شمول معنى الإسلام لحسن الأدب مع الله وحسن الأدب مع الناس حين قال (من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتي إلى الناس ما يحب أن يؤتي إليه) . (ك)

كثير ممن ينتسبون إلى الإسلام يسيئون علاقاتهم مع الناس وإذا نظرت إلى عبادتهم وجدتهم يصلون ويصومون ويحجون ويحسبون أنهم مهتدون ولم يعلموا أن إكرام المسلمين قد يصل أحيانا إلى درجة إجلال الله ﷻ كما قال رسول الله ﷺ

إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم وحامل القرآن غير الغالى فيه ولا الجافى عنه وإكرام ذي السلطان المقسط . (ل)

ليس هذا فحسب بل بلغ من تعظيم الإسلام لحقوق المسلمين أن قال رسول الله ﷺ

لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث فمن هجر فوق ثلاث فمات دخل النار .(م)

وقال رسول الله ﷺ

بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه . (ن)

ولم يتوقف تعظيم الإسلام لحقوق الأخوة إلى هذا الحد فحسب بل أعظم من ذلك أن رسول الله ﷺ قال (وَاللَّهُ فِي عَوْنِ العَبْدِ ما كانَ العَبْدُ في عَوْن أخيه) . (ه)

(ق) في مقام الدعوة والنصح والإرشاد . (152) صحيح رواه أحمد وغيره . (ك) رواه أحمد ومسلم وغيرهما. (ل) حسن رواه البخاري في الأدب وأبو داود وغيرهما. (م) صحيح رواه أبو داود والترمذي وغيرهما وهذا لفظ أبي داود .

وإسلام القلب في العقيدة معناه الفطرة وإسلام الوجه في العبادات البدنية والمعاملات اليومية معناه الصبغة فالإسلام فطرة وصبغة والمأساة أن كثيرا ممن ينتسبون للإسلام أسلموا وجوههم للغرب يوجهها حيث يشاء وأسلموا قلوبهم لشياطين الإنس والجن من اليهود والنصارى وأتباعهم هؤلاء ضالون غافلون وإنما إسلام القلب ألا يذهب قلبك إلا حيث يريد الله ورسوله ﷺ وإسلام الوجه ألا توجه وجهك إلا حيث يرضى الله ورسوله ﷺ

ولذلك جمع الله سبحانه وتعالى الإسلام كله في آية واحدة فقال سبحانه

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (30الروم).

والفطرة طبيعة الشيء بغير تغيير ولا تبديل والإسلام جسد الفطرة في أسمى معانيها حتى قال أحد العلماء لو كانت الفطرة جسم إنسان لكان الإسلام ثوبا مفصلا خصيصا لهذا الجسم موافقا له تماما بغير زيادة أو نقصان وما من كافر يفكر في الإسلام ويدرسه إلا وأقر بهذه الحقيقة الكبري ذلك أن الإسلام لم يأمر بشيء يخالف الفطر السوية ولم ينهى عن شيء يوافقها وصدق من قال

ورغبني في الدين أن دليله ... قوي ويخشى كل شر بجحده

وكرهني للكفر أن فساده ... جلي ويخشى كل شر بقصده

وأما الصبغة فإنها اتباع الرسول ﷺ ظاهرا وباطنا قولا وعملا تحقيقا للعبودية وتنفيذا للخيرية كما قال الله سبحانه وتعالى

صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ (138البقرة).

ويوم أن يحقق المسلمون هذه الصبغة في توحيدهم وفي شعائرهم ، في تعليمهم وملبسهم ، وفي زواجهم وتقاليدهم ، في وحدتهم واتحادهم وفي عداوتهم للكفار والمشركين ساعتها يتحقق فيهم وعد رسول الله ﷺ

(ن) رواه مسلم . (هـ) رواه مسلم .

لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهود من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود. (153)

واشددْ يديكَ بحبلِ الدينِ معتصماً ... فإنه الركنُ إن خانَتْكَ أركانُ

ولقد حقق الصحابة هذه الصبغة وتلك الفطرة في كل شيء وأسلموا لله حق الإسلام دون أن يجادلوا أو يماحلوا في إسقاط شيء أوجبه الله ﷻ .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال

لما نزلت على رسول الله ﷺ { لله ما في السماوات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم

أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير}[البقرة284] قال فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فأتوا رسول الله ﷺ ثم بركوا على الركب فقالوا أي رسول الله كلفنا من الأعمال ما نطيق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها قال رسول الله ﷺ أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا ؟ بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير فلما اقترأها القوم ذلت بها ألسنتهم فأنزل الله في إثرها { آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير } [البقرة / آية 285] فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى وأنزل الله عز وجل لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا (قال نعم) ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا (قال نعم) ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به (قال نعم أي فعلت) واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين (قال نعم*) [286 البقرة] (154)

وبهذا يتبين أن النطق بكلمة التوحيد يستلزم العمل بها كما قال رسول الله ﷺ

---

(153) رواه مسلم .

من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل . (155)

(وروح منه)منه هنا لابتداء الغاية لا للتبعيض قال أبى بن كعب : عيسى روح من الأرواح التى خلقها الله تعالى واستنطقها بقوله { ألست بربكم قالوا بلى } بعثه الله إلى مريم فدخل فيها . (156)

والختام على الإسلام هو الفضل الأكبر والنور الأزهر وبه يكون النعيم المقيم والفضل العظيم كما قال صلى الله عليه وسلم الأعمال بالخواتيم . (157)

فلا ينفع الإسلام أو يغني من عذاب الله إلا بالموت عليه كما قال الله ﷻ

وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ * (132البقرة).

فالموت على الإسلام هو ما أعنيه من هذا الشرط

فالناس ينقسمون تجاه الإسلام إلى ثلاثة أقسام

القسم الأول : فريق يعيش على الكفر ويموت على الإسلام ويقودني هذا إلى ذكر لبيد ابن ربيعة الصحابي الجليل الذي أسلم في سن كبير وكان من فحول الشعراء وقيل عنه إنه لم يقل شعرا بعد إسلامه إلا هذا البيت

الحمد لله إذ لم يأتني أجلي ... حتى اكتسيت من الإسلام سربالا

القسم الثاني: فريق يعيش على الإسلام ويموت على الكفر أعاذنا الله أجمعين كما قال الله ﷻ وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَـٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَـٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصۡحَـٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَـٰلِدُونَ (217البقرة).

---

(154) رواه مسلم . * (نعم أي قد فعلت كما في رواية البيهقي) . (155) رواه البخاري ومسلم . (156) أثر حسن رواه عبد الله بن أحمد والضياء وغيرهما . (157) رواه البخاري

وفي هذين القسمين قال رسول الله ﷺ فوالله إن أحدكم – أو الرجل – يعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها غير باع أو ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع أو ذراعين فيسبق عليه الكتاب* فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها . (158)

القسم الثالث : فريق يعيش على الإسلام ويموت على الإسلام جعلنا الله منهم ...آمين .

وفيهم قال رسول الله ﷺ

من كان آخر كلامه لا إله إلا الله لم يدخل النار .(159)

وفي رواية قال رسول الله ﷺ من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة . (160)

وفي رواية قال رسول الله ﷺ من كان آخر كلامه لا إله إلا الله وجبت له الجنة . (161)

مكانة الخوف والرجاء من التوحيد

الخوف والرجاء هما الركنان الأساسيان للتوحيد وإن فقدت أحدهما فقد فقدت حسن الظن بالله ﷻ وذللت في سوء الظن إذ اليأس من روح الله والأمن من مكر الله كبيرتان من الكبائر الخمس التي تتعلق بالقلوب كما علمني شيخي جودة الحنفي رحمه الله ورضي عنه...آمين . وليس معنى أن تحسن الظن بالله أن تخلو بمعاصيه وتعرض عن ما يرضيه لحسن الظن فيه بل حسن الظن في الله أن تعمل الصالحات ترجوا قبولها وتخاف ردها وتترك السيئات تخاف عقابها فإن الله سبحانه و تعالى يقبل التائبين و يعفو عن المسيئين . وما أجمل أن تعبد الله بالخوف و الرجاء .

---

(158) رواه البخاري ومسلم . *(الكتاب) الذي كتبه الملك على العبد وهو في بطن أمه .

(159) رواه الطبراني وابن عساكر . (160) صحيح رواه أبو داود والحاكم وغيرهما .

(161) حسن رواه أحمد والبيهقي .

قال الحسن البصري رضي الله عنه : طلبت خطبة النبي ﷺ في الجمعة فأعيتني فلزمت رجلا من أصحاب النبي ﷺ فسألته عن ذلك فقال : كان يقول في خطبته يوم الجمعة : يا أيها الناس إن لكم علما فانتهوا إلى علمكم ، وإن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم . وإن المؤمن بين مخافتين : بين أجل قد مضى لا يدري كيف يصنع الله عز وجل فيه وبين أجل قد بقي لا يدري كيف الله صانع فيه . فليتزود المرء لنفسه من نفسه ومن دنياه لآخرته ومن الشباب قبل الهرم ومن الصحة قبل السقم.فإنكم خلقتم للآخرة* والدنيا خلقت لكم . والذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب وما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار . وأستغفر الله عز وجل لي ولكم(163)

وعن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله ﷺ قبل موته بثلاثة أيام يقول لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل . (164)

ولله دَرُّ من قال

بعلم إلهي يوجد الضعف شيمتي   فلست مطيقا للغدو ولا المسرى

غبرت أسيرا في يديه ومن يكن   له كرم تكرم بساحته الأسرى

عن أنس : أن النبي ﷺ دخل على شاب وهو في الموت فقال كيف تجدك ؟ قال والله ! يا رسول الله ! إني أرجو الله وإني أخاف ذنوبي فقال رسول الله ﷺ لا يجتمعان في قلب عبد

في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف (165)

فوائد وكلمات في الأسماء والصفات

قال العلامة الطحاوي رحمه الله

---

(163) حديث ضعيف أخرجه البيهقي في الشعب من حديث الحسن عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وفيه انقطاع لكن معناه صحيح * ومعنى الآخرة إقامة العبودية لله في كل حين وعلى كل حال وليس معناها ترك الدنيا ...راجع تعريف العبادة شرعا . (164) رواه مسلم . (165)حديث حسن رواه الترمذي والبيهقي وغيرهما .

نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله : إن الله واحد لا شريك له ولا شيء مثله ولا شيء يعجزه ولا إله غيره . قديم بلا ابتداء دائم بلا انتهاء لا يفنى ولا يبيد ولا يكون إلا ما يريد

لا تبلغه الأوهام ولا تدركه الأفهام ولا يشبه الأنام حي لا يموت قيوم لا ينام .

خالق بلا حاجة رازق بلا مؤنة مميت بلا مخافة باعث بلا مشقة ما زال بصفاته قديما قبل خلقه لم يزدد بكونهم شيئا لم يكن قبلهم من صفته وكما كان بصفاته أزليا كذلك لا يزال عليها أبديا ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم الخالق ولا بإحداث البرية استفاد اسم الباري .

له معنى الربوبية ولا مربوب ومعنى الخالقية ولا مخلوق وكما أنه محيي الموتى بعدما أحياهم استحق هذا الاسم قبل إحيائهم كذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم . ذلك بأنه على كل شيء قدير وكل شيء إليه فقير وكل أمر عليه يسير لا يحتاج إلى شيء (لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ (11الشورى)).

إعلم أن الإيمان بأسماء الله الحسنى وصفاته من موجبات الإيمان بالله ﷻ وهو أن تؤمن بكل ما أثبت الله ﷻ لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ وتفهم الأحاديث والآيات الواردة في الصفات بمعناها الثابت في اللغة العربية من غير تحريف ولا تمثيل ولا تكييف ولا تعطيل ولا تأويل .

مثال توضيحي : يقول الله ﷻ

وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ (64المائدة).

فكما ترى أثبت الله ﷻ لنفسه صفة اليد فلله يدان مبسوطتان وكما قال رسول الله ﷺ

يد الله ملائ لا تغيضها نفقة سحاء الليل والنهار . وقال النبي ﷺ

أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماء والأرض فإنه لم يغض ما في يده وكان عرشه على الماء وبيده الميزان يخفض ويرفع . (166)

فيجب علينا أن نؤمن بأن لله يدين ولكن لا نكيفهما ولا نتصورهما كذا كل الصفات فإن المخلوق لا يحيط علما بالخالق كما قال الله ﷻ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمًا (110طه).

وقال تعالى لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ (11الشورى).

ولقد ضل في الإيمان بأسماء الله وصفاته فئام من الناس منهم من غلا في التنزيه فزل في التعطيل أو التأويل ومنهم من غلا في الإثبات فزل في التشبيه أو التكييف والحق وسط

بين الضلالتين . قال الله ﷻ

هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ

المحكم والمتشابه لهما معان فالمحكم لفظة تطلق على ما لم تتكرر ألفاظه والمتشابه لفظة تطلق على الآيات التي تتكرر في القرآن يشبه بعضها بعضا كالقصص والأمثال ونحو ذلك .

وقيل المحكم ما لا يحتمل إلا معنى واحدا . والمتشابه ما يحتمل معان متعددة .

وقيل المتشابه الحروف المقطعة في أوائل السور وما سوى ذلك محكم .

وأما التعريف الذي ينطبق على الآية هنا

هو أن المحكم ما يعرفه الراسخون في العلم والمتشابه ما ينفرد الله بعلم كيفيته كصفات الله لهذا قال الله ﷻ

---

(166) رواه البخاري . (تغيضها) تنقصها . (سحاء) دائمة العطاء من السح وهو الصب والهطل .

وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ* رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ (7،8آل عمران).

وعلى هذا التعريف تحمل قراءة الجمهور بالوقف على (وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ).

التأويل لغة له معان

الأول : صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى محتمل مرجوح لدليل ليقترن به وما كان من

غير دليل فهو مذموم شرعا كما قال الله ﷻ (ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ).

الثاني : تأويل الكلام هو عاقبته وحقيقته التي يؤول إليها فإن كان أمرا فتأويله وقوع المأمور به وإن كان خبرا فتأويله وقوع المخبر به .

الثالث : تفسير الكلام ومعرفة معانيه على التمام وفي هذا يقول ابن عباس رضي الله عنهما أنا ممن يعلمون تأويله . (167)

إذاً عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما يعرف معاني الآيات المتشابهات ولكن لا يعرف كيفيتها وعلى هذا التعريف تحمل قراءة من قرأ بالوصل

(وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ) والله أعلم .

عن عائشة رضي الله عنها قالت تلا رسول الله ﷺ هذه الآية { هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب } . قالت قال رسول الله ﷺ (فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم) .(168)

---

(167) صحيح رواه ابن جرير . (168) رواه البخاري ومسلم .

* ذكر الأثرين مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي في أقاويل الثقات .

وروى الخلال وابن عبد البر عن الوليد بن مسلم قال سألت الأوزاعي ومالك بن أنس وسفيان الثوري والليث بن سعد عن الأخبار التي جاءت في الصفات فقالوا أمروها كما جاءت وفي رواية فقالوا أمروها كما جاءت بلا كيف فقولهم رضي الله عنهم أمروها كما جاءت رد على المعطلة وقولهم بلا كيف رد على الممثلة . وروى الخلال عن مكحول والزهري مثله

وهذا مذهب الصحابة والسلف الصالح أجمعين وهو أحكم وأعلم وأسلم .

ويذكر أن الإمام أحمد رضي الله عنه سمع شخصا يروي حديث النزول ويقول ينزل بغير حركة ولا انتقال ولا تغير حال فأنكر أحمد ذلك وقال قل كما قال رسول الله ﷺ فهو كان أغير على ربه منك ولما سئل الأوزاعي عن حديث النزول قال يفعل الله ما يشاء *

وعلى هذا يحرم تأويل كيفية الصفات وتمثيلها بالخلق كما يحرم تعطيلها والله أعلم .

ولا أنسى ان أذكر قول شيخي العلامة محمد بدر الدين وفقه الله في قول الله تعالى ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ (5طه) . قال وفقه الله : صدق الله فيما أخبر وكذب عقلي فيما تصور ثم ذكر القول المأثور(كل ما خطر ببالك فهو هالك والله بخلاف ذلك) .

أنواع الصفات الإلهية **

أولاً : من حيث إثباتها ونفيها :

أ – **صفات ثبوتية** : وهي ما أثبته الله سبحانه وتعالى لنفسه ، أو أثبته له رسوله ﷺ ؛ كالاستواء ، والنُّزُول ، والوجه ، واليد ونحو ذلك ، وكلها صفات مدح وكمال ، وهي أغلب الصفات المنصوص عليها في الكتاب والسنة ، ويجب إثباتها.

** وهي تقسيمات إصطلاحية للرد على أهل البدع ذكر أكثرها العلامة علوي بن عبد القادر السَّقَّاف جزاه الله خيرا في كتابه الماتع " صفات الله عز وجل الواردة في القرآن والسنة ". (*) ويطلق على العلم والحياة والخبرة وما شابه – صفات معنوية أيضا . (169) رواه مسلم .

(170) رواه مسلم .

ب– صفات سلبية : وهي ما نفاه الله عن نفسه ، أو نفاه عنه رسوله ﷺ ، وكلها صفات نقص ؛ كالموت ، والسِّنة ، والنوم ، والظلم وغالباً تأتي في الكتاب أو السنة مسبوقة بأداة نفي ؛ مثل (لا) و (ما) و (ليس) ، وهذه تُنفى عن الله عَزَّ وجَلَّ ، ويُثبت ضدها من الكمال.

ثانياً : من حيث تعلقها بذات الله وأفعاله :

أ – صفات ذاتِيَّة : وهي التي لم يزل ولا يزال الله متصفاً بها ؛ كالعلم(*) ، والقدرة ، والحياة ، والسمع ، والبصر ، والوجه ، والقدم واليدين ونحو ذلك.

كما قال رسول الله ﷺ عن صفة اليدين :

إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا . (169)

ب– صفات فعليَّة : وهي الصفات المتعلقة بمشيئة الله وقدرته ، إن شاء فعلها ، وإن شاء

لم يفعلها ؛ كالمجيء ، والنُّزُول ، والغضب ، والفرح ، والضحك والاستواء ونحو ذلك ، وتسمى (الصفات الاختيارية) .

كما قال رسول الله ﷺ عن صفة النزول ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له ومن يسألني فأعطيه ومن يستغفرني

فأغفر له.(170)

الصفات المقيدة

ومن الصفات الفعلية أيضا الصفات المقيدة وقد أثبتها الله عَزَّ وَجَلَّ لنفسه صفات مقيدة لا تأتي إلا على سبيل المدح كصفة المكر والإستهزاء والخداع وغيرها كثير ، كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ (142النساء).

وكصفة الملل أيضا كما قال النبي ﷺ :
(خذوا من العمل ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا).(171)
ومثل صفة النسيان وليس النسيان على المعنى المشهور وإنما النسيان الترك عن علـم وعمـد يقـول الله ﷻ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ (67التوبة).
وليس في هذه الصفات نقص ولا تشبه صفات الخلق وإنما هي صفات تليق بالخالق عز وجل قال الله ﷻ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ (11الشورى) .
وأفعاله ﷻ لا منتهى لها ، ﴿وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاء﴾ ، وبالتالي صفات الله الفعليَّة لا حصر لها.
والصفات الفعليَّة من حيث قيامها بالذات تسمى صفات ذات ، ومن حيث تعلقها بما ينشأ
عنها من الأقوال والأفعال تسمى صفات أفعال ، ومن أمثلة ذلك صفة الكلام ؛ فكلام الله عَزَّ وجَلَّ باعتبار أصله ونوعه صفة ذات ، وباعتبار آحاد الكلام وأفراده صفة فعل .
ثالثاً : من حيث ثبوتها وأدلتها :
أ – **صفات خبرية** : وهي الصفات التي لا سبيل إلى إثباتها إلا السمع والخبر عن الله أو عن رسوله ﷺ ، وتسمى (صفات سمعية أو نقلية) ، وقد تكون ذاتِيَّة ؛ كالوجه ، واليدين، وقد تكون فعليَّة ؛ كالفرح ، والضحك ونحو ذلك .
ب – **صفات سمعية عقلية** : وهي الصفات التي يشترك في إثباتها الدليل السمعي (النقلي وهو معقول) والدليل العقلي(الذي يعتمد على العقل ولا نص معه) ، وقد تكون ذاتِيَّة ؛ كالحياة والعلم ، والقدرة ، وقد تكون فعليَّة ؛ كالخلق ، والإعطاء.

---

(171) رواه البخاري ومسلم .

قـــــــــــال الله ﷻ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوۡمٌ﴾ (البقرة255).

فحياة الله ﷻ كاملة لم تسبق بعدم ولا يلحقها زوال كما نقول (إلى عدد لا نهاية سالب أو موجب).

ليس من صفات الله ﷻ

الجنب – الشيء – الروح – السعي – الجهة – الحركة – الإستلقاء – الساعد – الظل – السفول – الحلول – الإتحاد – اليد اليسرى – الخيانة . وغير ذلك كثير والله أعلم .

واعلم أن ما أضافه الله ﷻ لنفسه على ثلاثة أقسام

الأول عين قائمة بنفسها كما قال الله ﷻ ﴿وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ﴾ (الحج26).

الثاني العين التي يقوم بها غيرها كقول الله ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾ (الشمس13).

وهذا كقول موسى عليه السلام في حديث الشفاعة لست لها ولكن عليكم بعيسى فإنه روح الله وكلمته .(172)

الثالث أن يكون وصفا محضا وهذه الصفات غير مخلوقة مثل قدرة الله وعزة الله كما قال الله ﷻ ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِ﴾ (البقرة272).

أين الله

يتحرج كثير من الناس عن هذا السؤال بل يرون أن هذا من سوء الأدب مع الله ﷻ ولكن كيف كان قول رسول الله ﷺ في هذه القضية ؟

روى مسلم في صحيحه عن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه أنه قال لرسول الله ﷺ :

(172) رواه البخاري ومسلم .

كانت لي جارية ترعى غنما لي قبل أحد والجوانية فاطلعت ذات يوم فإذا الذيب[الذئب؟؟] قد ذهب بشاة من غنمها وأنا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون لكني صككتها صكة فأتيت رسول الله ﷺ فعظم ذلك علي قلت يا رسول الله ﷺ أفلا أعتقها ؟ قال ائتني بها فأتيته بها فقال لها أين الله ؟ قالت في السماء قال من أنا ؟ قالت أنت رسول الله قال ﷺ أعتقها فإنها مؤمنة .

ومن عجب أني سمعت رأسا كبيرا من العلماء يكذب هذا الحديث وينفيه ويخالف صريح القرآن والسنة ويقول لا يسأل عن الله بأين ولا يقول بأن الله في السماء وإن قيل له إننا نرفع أيدينا إلى السماء عند الدعاء لأن السماء قبلة الدعاء كما أن الكعبة قبلة الصلاة ولو تفقد الأحاديث لوجد أن الكعبة قبلة الدعاء أيضا لا السماء فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال :

لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلا فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه(اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم آت ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض)فما زال يهتف بربه مادا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه ..الحديث(173) كذا في صلاة الإستسقاء والنصوص في هذا المعنى كثيرة دالة على استحباب استقبال القبلة عند الدعاء

والعجب أن يكون ذلك المخالف – الذي يدعي أن السماء قبلة الدعاء – من الذين يطلق عليهم لقب أهل السنة زورا وبهتانا ولم يفكر ذلك الرجل لماذا حث رسول الله

(173) رواه مسلم**وقد درجت في تخريجي للأحاديث على أن أكتفي بذكر البخاري ومسلم فقط إذا كانا رويا الحديث– في الصحيحين– وإن رواه غيرهما لم أذكره معهما ، وكذلك أذكر أحدهما فقط إن تفرد به عن الآخر وإن روى الحديث غيرهما . ذلك لما ذكره علماء الحديث من أن أصح الأحاديث ما رواه البخاري ومسلم ثم ما رواه البخاري ثم ما رواه مسلم ثم ما صح على شرط البخاري ومسلم ثم ما صح على شرط البخاري ثم ما صح على شرط مسلم ثم ما صح عند غيرهما من كتب السنة.

ﷺ على كثرة الدعاء في السجود ولم يأمرنا أن نرفع وجوهنا إلى السماء عند الدعاء . سبحان الله . ومع أن الحديث – حديث الجارية – صحيح رواه مسلم ** ولكن من شاء الإستزاده فقد روى الحديث غير مسلم كثيرون كمالك (رواية يحيى الليثي) وأبو داود والنسائي وأحمد وابن حبان والطيالسي والطبراني وعبد الرزاق وابن ابي شيبة والبيهقي وابن الجارود وابن عمرو الشيباني وغيرهم .

وقال يوسف بن موسى القطان قيل لأبي عبد الله والله تعالى فوق السماء السابعة على عرشهبائن من خلقه (بائن في اللغة تعني منفصل) وقدرته وعلمه بكل مكان .
قال نعم على عرشه لا
يخلو شيء من علمه . (174)

فالله ﷻ معنا بعلمه وسمعه وبصره وإحاطته وأما معية الله لنا بذاته فإليك مثال للتقريب لا للتشبيه فإنك مثلا تقول مشيت مع القمر وهو بعيد عنك لم يخالطك فكيف بالخالق العليم الذي ليس كمثله شيء .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام وبين كل سماء خمسمائة عام وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام وبين الكرسي والماء خمسمائة عام والعرش فوق الماء والله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم .(175)

وقال رسول الله ﷺ ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة بأرض فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة. (176)

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى:(وسع كرسيه السماوات والأرض) قال : الكرسي موضع القدمين والعرش لا يقدر قدره إلا الله تعالى . (177)

وقال أبو عمر بن عبد البر في كتاب الاستيعاب روينا من جوه صحاح أن عبد الله بن رواحة رضي الله عنه مشى ليلة الى أمة له فنالها فرأته امرأته فلامته فجحدها فقالت ان كنت صادقا فاقرأ القرآن فإن الجنب لا يقرأ القرآن فقال ... شهدت بأن وعد الله حق ... وأن النار مثوى الكافرينا ... وان العرش فوق الماء طاف ... وفوق العرش رب

العالمينا ... وتحمله ملائكة كرام ... واملاك إلإله مسومينا ... فقالت امرأته صدق الله وكذبت عيني وكانت لا تحفظ القرآن .

وبهذا يتبين بطلان مذهب من قال إن الله معنا بذاته – يعني بذلك الحلول والإتحاد والمخالطة

– فمن قال بذلك كفر أسأل الله السلامة والله الموفق لا إله غيره ولا رب سواه .

وروى الخلال بإسناد كل رجاله أئمة عن سفيان بن عيينة قال سئل ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن قوله الرحمن على العرش استوى : كيف استوى قال الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول ومن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التصديق وهذا الكلام مروي عن مالك تلميذ ربيعة .

فعن يحيى بن يحيى قال كنا عند مالك بن أنس فجاء رجل فقال يا أبا عبد الله الرحمن على العرش استوى كيف استوى فأطرق مالك رأسه ثم علاه الرحضاء ثم قال الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا مبتدعا فأمر به أن يخرج.(178)

وقال عبد الله بن المبارك رضي الله عنه

(نعرف ربنا بأنه فوق سبع سمواته على العرش استوى بائن من خلقه).(179)

وقال الأوزاعي : كنا . والتابعون متوافرون . نقول : إن الله فوق عرشه ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته أخرجه البيهقي في الصفات ورواته أئمة ثقات .

قال أبو عمر الطلمنكي في كتاب الأصول أجمع المسلمون من أهل السنة أن معنى قوله وهو معكم أينما كنتم ونحو ذلك من القرآن أن ذلك علمه وأن الله فوق السموات بذاته مستو على عرشه كيف شاء .

ولله در من قال عن الله سبحانه وتعالى

---

(174) صحيح رواه ابن ابي بطة . (175) صحيح رواه ابن خزيمة والطبراني وغيرهما. (176) صحيح رواه ابن عساكر وابن حبان وغيرهما . (177)صحيح رواه الطبراني وغيرهما .

(178) رواه البيهقي وغيره . (179) صحيح رواه الدارمي والحاكم والبيهقي . *نضول : متاعب .

أول في آخريته آخر في أوليته ظاهر في بطونه باطن في ظهوره
علو وفوقيه في قرب ومعيه وقرب ومعية في علو وفوقية
هذا في ذاك فقف أيـها العقل عند منتهاك فإنك لا تعرف إياك
أنت لا تعرف إياك و لا تدري من أنت ولا كيف الوصول
لا ولا تدري صفات ركبت فيك حارت في خفاياها العقول
أين منك الـروح في جوهرها هل تراها فترى كيف تجول
أنت أكل الخبـز لا تعرفه كيف يجري منك أم كيف تبول
فإذا كانت طوايـاك التي بين جنبيك كذا فيها نضول*
كيف تدري من على العرش استوى لا تقل كيف استوى كيف النزول
أم كيف يأتي الرب أم كيف يرى فورب ليس ذا إلا فضول
فهو لا شبيه له ولا مثيل له وهو رب الكيف والكيف مجهول
وهو فوق الفوق لا فوق له وبمعية علم في كل النواحي لا يزول

أسماء الله الحسنى

يظن كثير من الناس أن أسماء الله الحسنى محصورة في تسعة وتسعين اسما وما أصابوا فإن الرسول ﷺ لم يحصر الأسماء في عدد معين

قال رسول الله ﷺ :

(ما قال عبد قط إذا أصابه هم أو حزن : اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور بصري وجلاء حزني وذهاب همي إلا أذهب الله همه وأبدله مكان حزنه فرحا) قالوا : يا رسول الله ينبغي لنا أن نتعلم هذه الكلمات ؟ قال:(أجل ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن).(180)

ولكن من أحصى من أسماء الله تسعة وتسعين اسما دخل الجنة كما قال رسول الله ﷺ ورواه البخاري ومسلم . وأما الحديث المشهور الذي يحدد تسعة وتسعين اسما

---

(180) صحيح رواه ابن حبان والطبراني وغيرهما .

ويذكرهم فإنه حديث ضعيف رواه الترمذي وابن ماجة وابن حبان وغيرهم وإنما هذا العد مدرج في الحديث من كلام أحد الرواة .

معنى إحصاء الأسماء

يتوهم كثير من الناس أن إحصاء أسماء الله الحسنى يكون بحفظها وكثرة ترديدها وكثيرا ما يفعل هذا السفهاء في افتتاح حفلاتهم وسهراتهم وليس إحصاء الأسماء عدها فإن الفاجر قد يعدها . أولا : الإحاطة بها لفظا . ثانيا : فهمها معنى .

ثالثا : التعبد لله سبحانه وتعالى بمقتضاها ويكون على وجهين

الوجــه الأول : أن تتعرض لها في العبادة وتدعو الله بأسمائه وتتوسل إليه بها فتختار الاسم المناسب للشيء الذي ترجوه فتقول يا رحيم ارحمني يا غفور اغفر لي يا نصير انصرنا وهكذا.

الوجه الثاني : أن تحقق ما تقتضيه الأسماء من صور العبادة . فمثلا الرحمة من صور العبادة التي يقتضيها اسم الله الرحمن كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء الرحم شجنة من الرحمن فمن وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله .(181)

قال الإمام ابن القيم رضي الله عنه

لكل صفة – من صفات الله – عبودية خاصة هي من موجباتها ومقتضياتها أعنى من موجبات العلم بها والتحقق بمعرفتها وهذا مطرد في جميع أنواع العبودية التي على القلب والجوارح .

الإسم الأعظم

إن لله عز وجل إسماء حسنى عظمى – لا اسما واحدا – من سأله بها أو بأحدها أعطاه الله ومن دعاه بها أجابه .

عن أنس رضي الله عنه قال :

دخل النبي ﷺ المسجد ورجل قد صلى وهو يدعو ويقول في دعائه اللهم لا إلا أنت المنان بديع السموات والأرض ذا الجلال والإكرام فقال النبي ﷺ تدرون بما دعا الله ؟ دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى . (182)

وقال رسول الله ﷺ :

اسم الله الأعظم في ثلاث سور من القرآن البقرة وآل عمران وطه .(183)

قال أبو شامة : فالتمستها فوجدت في البقرة في آية الكرسي : الله لا إله إلا هو الحي القيوم وفي آل عمران : الله لا إله إلا هو الحي القيوم وفي طه : وعنت الوجوه للحي القيوم .

وعن بريدة رضي الله عنه قال

سمع النبي ﷺ رجلا يدعو وهو يقول اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت

الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد قال فقال والذي نفسي بيده لقد سأل الله

باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى. (184)

قال ابن حجر : وأرجحها – الأحاديث السابقة – من حيث السند الله لا إله إلا هو الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .

ليس من أسماء الله عز وجل

المعين – المغيث – الناصر – الحارس – الستار – العاطي – المتجلي– النور– الضار – النافع – المانع – الخافض – الرافع – المنعم – العالم – العلام – القيم – القيام – هو – مالك – المدبر – فاطر السماوات والأرض – عالم الغيب والشهادة – الدهر – الشفيع – الشافع – الغافر – غافر الذنب – المعبود – المقصود – الموجود – الصادق – الباقي – الفرد – الحاكم – المنتقم – المبديء – المعيد – المغني –

---

(181) صحيح رواه الترمذي وأحمد وغيرهما . (182) صحيح رواه الترمذي وأبو داود وغيرهما .

(183) صحيح رواه الطبراني والحاكم وغيره .

الشديد – البرهان – الواقي – الفاطر – السامع – الأبد – المنير – التام – الدائم – القديم. هذا ما وقفت عليه والله أعلم .

أسماء إختلف العلماء فيها أمن الأسماء الحسنى أم لا

الصبور – الرشيد – المحيي – المميت – المُسَعِّر – الباعث – النور – نور السماوات والأرض – المستعان – الوارث – الحنان – الوالي – مالك الملك – الجليل – جامع الناس – المعز – المذل – العدل – البديع – بديع السماوات والأرض – الواجد – الماجد – الكافي .

هذا ما وقفت عليه والله أعلم .

أنواع الأسماء الحسنى

أسماء الله الحسنى تأتي على المطابقة وهي الأسماء التي حث الله على الدعاء بها في الآية .

وتتضمن أنواعا

النوع الأول :

أسماء مفردة ويذكر الإسم منها وحده في النصوص ويصح الدعاء به وحده كاسم الله الأكرم ﷻ .

النوع الثاني :

أسماء مزدوجة ومنها ما لا يذكر وحده كاسمي الله الأول والآخر أو الظاهر والباطن ، ومنها ما يذكر من اسمين يجوز تفريقهما في الدعاء وقد يكونا قد أفردا – في النصوص – أحيانا أو اتصلا باسم آخر كاسم الله العزيز أو الغفور ﷻ .

شروط أسماء الله الحسنى

(184) صحيح رواه الترمذي وأبو داود وغيرهما .*بعض الألفاظ تطلق على الله تأتي على سبيل الإخبار – وقد يقال عنها أسماء مجازا والصواب أنه لا يقال عنها أسماء مهما كان – كالصانع والفاعل والمعذب وهكذا ولكن لا يدعى الله بها .

1 – أن تثبت الإسم علما على الذات (وهو ما يسمى بدلالة المطابقة وهي ما يدل عليه الإسم مطابقا لمدلوله).

فمثلا اسم الله العزيز ثابت لله يدل على ذاته ﷻ كما قال الله ﷻ

شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ (18آل عمران).

2– أن تثبت صفة الإسم (وهو ما يسمى بدلالة التضمن وهي ما يدل عليه الإسم ببعض مدلوله) فمثلا اسم الله العزيز يتضمن صفة العزة كما قال الله ﷻ

سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (180الصافات).

3– أن تثبت أثر الإسم (وهو ما يسمى بدلالة الإلتزام وهي ما يدل به الإسم على غيره)

فمثلا إسم الله العزيز يدل على الأسماء التي لا توجد العزة إلا بها كالنصير فلا يكون الإنسان عزيزا إلا بنصر الله ﷻ وتأييده له .

ولذلك لما نصر الله ﷻ نبيه ﷺ في غزوة بدر قال ﷻ

وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ * إِذۡ تَقُولُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ * بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ *وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۗ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ

(126:123آل عمران).

ولهذا قال العلامة ابن تيمية رضي الله عنه*

والعزة تتضمن القدرة والشدة والامتناع والغلبة تقول العرب عز يعز بفتح العين اذا صلب وعز يعز بكسرها اذا امتنع وعز يعز بضمها اذا غلب فهو سبحانه فى نفسه قوى متين وهو منيع لا ينال وهو غالب لا يغلب .

فقال العلامة ابن القيم ﷺ في نونيته معقبا على هذه المعان الثلاث

وهو العزيز فلن يرام جنابه أنى يرام جناب ذي السلطان

وهو العزيز القاهر الغلاب لم يغلبه شيء هذه صفتان

وهو العزيز بقوة هي وصفه فالعز حينئذ ثلاث معان

وهي التي كملت له سبحانه من كل وجه عادم النقصان

ومن شاء الإستزادة فليراجع "صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة" للسقاف عفا الله عنه أو توضيح المقاصد لأحمد بن إبراهيم بن عيسى غفر الله له أو شرح أسماء الله الحسنى للقحطاني أو بدائع الفوائد لابن القيم الذي ذكر فيه عشرين فائدة ثم قال رحمه الله .

فهذه عشرون فائدة مضافة إلى القاعدة التي بدأنا بها في أقسام ما يوصف به الرب تبارك وتعالى فعليك بمعرفتها ومراعاتها ثم اشرح الأسماء الحسنى إن وجدت قلبا عاقلا ولسانا قائلا ومحلا قابلا وإلا فالسكوت أولى بك فجناب الربوبية أجل وأعز مما يخطر بالبال أو يعبر عنه المقال وفوق كل ذي علم عليم حتى ينتهي العلم إلى من أحاط بكل شيء علما .

الإلحاد في أسماء الله الحسنى

قال الله ﷻ

وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ (180الأعراف).

الإلحاد **لغة** الميل ولهذا سمي اللحد لحدا لميله إلى جانب من القبر .

---

* إذا قلت : "**رضي الله عنه**" في بعض علماء المسلمين فإنما أقصد الدعاء لا الجزم بالرضى فهذا تماما كما يقال رحمه الله فهو خبر يقصد به الطلب والدعاء تفاؤلا واستبشارا .

والإلحاد **شرعا** كما قال ابن السكيت : الملحد المائل عن الحق المدخل فيه ما ليس منه . فالإلحاد فيما يخص أسماء الله وصفاته الميل عن الحق الثابت في الكتاب والسنة وهو أنواع .

النوع الأول: إنكار شيء من أسماء الله أو صفاته كما فعل الجاهليون فأنكروا اسم الله الرحمن.

وكأن ينكر ما تضمنته أسماء الله من الصفات كما يقولون إن الله تعالى رحيم بلا رحمة وسميع بلا سمع .

النوع الثاني : أن يسمي الله ﷻ بما لم يسم به نفسه .

ذلك لأن أسماء الله توقيفية لا يحل لأحد أن يسمي الله إلا بما سمى الله به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ فمن سمى الله بغير أسمائة فقد قال على الله بغير علم كما يسمي الفلاسفة الله ﷻ بالعلة الفاعلة وكما يسمي النصارى الله بالأب والمحبة .

النوع الثالث : أن يعتقد أن هذه الأسماء دالة على أوصاف المخلوقين وهو تمثيل للخلق بالخالق وهو كفر لقول الله ﷻ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ (11الشورى).

كما وقع في الزمن الغابر حين دخل بعض المنافقين على حاكم ظالم فقال له شئت أنت لا ما شاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار .

النوع الرابع : أن يشتق من اسماء الله أسماء للأصنام كاشتقاق اللات من الإله والعزى من العزيز ومناة من المنان .

أنواع التعطيل

التعطيل نوعان الأول : تعطيل تكذيب وهو كفر ومثاله رجل قال إن الله لم يستو على عرشه فهو مكذب كافر لأنه كفر وجحد صريح النصوص .

الثاني : تعطيل تأويل وهو على خلاف بين العلماء في تكفير فاعله ومال إلى عدم التكفير العلامة ابن عثيمين رضي الله عنه وقال : وهذا النوع في الحقيقة فيه تفصيل فأحيانا يكون الإنسان مبتدعا غير كافر وأحيانا يكون مبتدعا كافرا حسب ما تقتضيه النصوص الشرعية في ذلك .**

قاعدة هامة : التوافق في الأسماء أو الصفات لا يعني التماثل في المسميات أو الموصوفات

لله سبحانه وتعالى صفات وأسماء قد يتصف أو يتسمى ببعضها بعض البشر فمثلا الله عز وجل حي والإنسان حي فهل في هذا تشبيه ؟ لا تشبيه لأن حياة الإنسان محصورة بين عدمين بدأت ولها نهاية وأما حياة الله سبحانه وتعالى فهي حياة كاملة لم تسبق بعدم ولن تنتهي أبدا كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو فيقول اللهم أنت الأول فليس قبلك شئ وأنت الآخر فليس بعدك شئ وأنت الظاهر فليس فوقك شئ وأنت الباطن فليس دونك شئ اقض عنا الدين وأغننا من الفقر . (185)

قال الله سبحانه وتعالى عن نفسه سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى (1الأعلى).

وقال الله سبحانه وتعالى عن موسى عليه السلام قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ (68 طه).

وقال الله سبحانه وتعالى هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ (23الحشر).

وذكر الله سبحانه وتعالى عن حاكم مصر في عصر يوسف عليه السلام أنه ملك .

**(أكثر الكلام السابق في الأسماء والصفات منقول من كلام العلامة بن عثيمين في فتاوى العقيدة).

(185) مسلم . (اقض عنا الدين) يحتمل أن المراد بالدين هنا حقوق الله تعالى ويحتمل حقوق العباد واللفظ يشمل ويعم .

فإذا أطلقت هذه الكلمة – **الملك** – في حق المخلوقات فتصح ولا شيء فيها وأما إذا أطلقت بوجه عام فإنها لا تختص إلا بالله وحده فهو الملك الحق وكل الملوك غيره ملوك باطلة كما قال الله ﷻ

فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ (116 المؤمنون).

فإذا قيل عن رجل إنه كريم فلا تشبيه في هذا بكرم الله فكرم المخلوق ليس ككرم الخالق كذا الحلم والعفو والغضب والرضا ونحو ذلك من صفات الله وأسمائه والله أعلم .

الفرق بين أسماء الله ﷻ وصفاته

أولا : باب الصفات أوسع من باب الأسماء .

ذلك لأن الأسماء يشتق منها صفات ، أما الصفات ؛ فلا يشتق منها أسماء ، فنشتق من أسماء الله الرحيم والقادر والعظيم ، صفات الرحمة والقدرة والعظمة ، لكن لا نشتق من صفات الإرادة والمجيء والمكر اسم المريد والجائي والماكر.

ثانيا : الدعاء لا يكون إلا بأسماء الله ﷻ لا بصفاته .

ذلك لأن أسماء الله ﷻ أعلام على ذاته فمثلا الرحيم هو الله لكن الصفة ليست هي الموصوف ؛ فالرحمة ليست هي الله ﷻ ، بل هي صفةٌ لله ، وكذلك العزة ، وغيرها . وعلى هذا يكون الدعاء بالإسماء لا الصفات فتقول : يا رحيم ارحمنا ، ويا كريم أكرمنا ، ويا لطيف الطف بنا ، لكن لا تدعو صفات الله فتقول : يا رحمة الله ارحمينا ، أو : يا كرم الله ! أو :يا لطف الله !

ثالثا : لا تكون التسمية بإضافة العبودية إلى صفات الله ﷻ وإنما التسمية بإضافة العبودية

لأسمائه ﷻ فيقال : عبدالكريم ، وعبد الرحمن ، وعبد العزيز ولا يقال : عبد الكرم ، وعبد الرحمة ، وعبد العزة . (أ)

(أ) نقلا عن السقاف بمعناه . (186) رواه مسلم. (187) رواه البخاري . وليس هذا من قبيل الرأي . (188) صحيح رواه البخاري في الأدب وأحمد وغيرهما .

سرد الأسماء الحسنى الثابتة في القرآن والسنة الصحيحة

الرقم	الإسم	المعنى	الدليل من القرآن أو السنة
1	الرَّبُ	المالك والمصلح والقيوم والسيد.	قال رسول الله ﷺ فأما الركوع فعظموا فيه الرب عَزَّ وجَلَّ. (186)
2	الإلَـهُ	المعبود وهو إسم جامع لكل صفات الكمال ونعوت الجلال وهو من أسماء الله الحسنى ويدخل في كلمة الإله جميع الأسماء الحسنى.	قال خبيب ابن عدي وذلك في ذات الإله ...وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع.(187)
3	السَّيِّدُ	المالك ، والمولى ، والرب	قال رسول الله ﷺ السَّيِّد الله . (188)
4	اللَّهُ	هو المألوه المعبود ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين.(*)	قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ (8طه). وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَـٰدَتِهِۦ ۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا (65مريم).

قال
الله
﷾
هُوَ
ٱللَّهُ
ى
ٱلَّذِ
لَآ
لَٰهَ
إ
إِلَّا
هُوَ
لِكُ
ٱلْمَ
ٱل
سُ
دُّو
ٱلْقُ

ِنُ ُؤۡم لۡم ا ن ِيۡمِ ُه ٱلۡم ا	الْمُلْكُ	صاحب السلطان والعظمة.	ٱلۡجَبَّارُ
	الْقُدُّوسُ	المقدَّس المنَزَّه عن كل نقص وعيب وهو من أبْنِية المُبالَغَة .	ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ
	السَّلامُ	الذي سلم من كل عيب وبريء من كل آفة.(أ)	سُبۡحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ *
	الْمُؤْمِنُ	الذي يصدُق إيمان عباده ويصدق ما وعد وقيل غير ذلك .	هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَـٰلِقُ
	الْمُهَيْمِنُ	هو الشهيد والرقيب على خلقه بما يكون منهم من قول أو عمل .	ٱلۡبَارِئُ
	الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ	المنيع الذي لا ينال والغالب الذي لا يغلب والقوي المتين . الذي يجبر ضعف الضعفاء من عباده ، ويجبر كسر القلوب المنكسرة من أجله، الخاضعة	ٱلۡمُصَوِّرُۖ

(*) كذا قال السعدي . (أ) كذا قال ابن الاثير.

زِيزُ ٱلْع		لعظمته وجلاله و القهار و العلي .	لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (الحشر23،24).
	الْمُتَكَبِّرُ	أي العظيم ذو الكبْرياء والشرف وقيل المُتعالي عن صفات الخلق وقيل غير ذلك.	
5			
6	الْخَالِقُ	الذي أوْجد الأشياء جميعَها بعد أن لم تكنْ مَوْجُودة والذي قدر الأشياء تقديرا .	
7	الْبَارِيءُ	الخالق ، يُقال : برأ الخلق يبرؤهم ، والبريَّة : الخلق وقيل الباريء هو الذي ينفذ ما قدر .	
8	الْمُصَوِّرُ	الذي صوَّر جميع الموجودات ورتبها ، فأعطى كل شيء منها صورة خاصة وهيئة مفردة يتميز بها على اختلافها وكثرتها .(ب)	
9			
10			
11			

12 13 14 15			
16	الْغَفَّارُ	الستَّارِ لذُنوبِ عِبَاده وعُيوبهم المُتَجاوِز عَن خَطَاياهُم وذنوبهم . وأصل الغَفْر : التَّغْطِية . وهو من أبنِية المُبالَغة .	قال الله ﷻ رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّـٰرُ (66ص).
17	الْقَهَّارُ	هو الغالِب جميع الخلائق وهي مبالَغة في القهر . (ت)	قال الله ﷻ قُلِ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٍ وَهُوَ

			ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّـٰرُ (16الرعد).
18	الْوَهَّابُ	هو الذي يعطي بكثرة عطاء خالي من الأعْوَاضِ والأغْراض . وهو من أبْنِيَةِ المبالَغَة	قال الله ﷻ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ (8آل عمران).
19	الرَّزَّاقُ	هو الذي خَلَق الأرْزَاق وأعْطَى الخلائق أرْزَاقَها وأوْصَلها إليهم . وفعَّال من أبنِية المُبالغة . والأرْزَاق نوعان : ظاهرة للأبْدان كالأقْوات وباطِنَة للقُلوب والنُّفوس كالمعارف والعُلُوم . (ث)	قال الله ﷻ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ (58الذاريات).
20 21	الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ	هو الذي يفتح أبواب الرزق والرَّحْمة لعباده – الحاكم بين الخَصْمَيْن إذا فَصَل بينهما والفتَّاح من أبْنِية المبالَغَة . هو العالم المُحيطُ عِلْمُه بجميع الأشْياء ظاهِرها وباطِنها دَقِيقِها وجَلِيلِها أولها وآخرها على أتَمّ الإمْكان . وفَعِيل من أبنية المُبالَغَة. (ج)	قال الله ﷻ قُلۡ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفۡتَحُ بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَهُوَ ٱلۡفَتَّاحُ ٱلۡعَلِيمُ (26سبأ).

(ب) كذا قال ابن منظور . (ت) كذا قال ابن الاثير. (ث)كذا قال ابن الأثير . (ج) كذا قال ابن الأثير.

22	الْقَابِضُ	هو الذي يُمسك الرزق وغيرَه من الأشياء عن العباد بلُطْفه وحِكْمَتَه ويَقْبِض الأرْواح عند المَمات.(*) ويقبض الأرض يوم القيامة.	عن أنس رضي الله عنه قال : غلا السعر على عهد رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله غلا السعر فسعر لنا سعرا فقال رسول الله ﷺ : (إن الله هو الخالق القابض الباسط الرازق وإني لأرجو أن لا ألقى الله بمظلمة طلمتها أحدا منكم في أهل ولا مال .(189)
23	الْبَاسِطُ	هو الذي يَبْسُط الرزق لعباده ويُوسّعه عليهم بجُوده ورحمته ويَبْسُط الأرواح في الأجساد عند الحياة . (ح)	
24	السَّمِيعُ	وهو الذي لا يَعزُب عن إدْراكه مَسْموعٌ . وفَعِيل من أبنية المُبالغة .(−)	قال الله سبحانه وتعالى لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ (11الشورى).
25	الْبَصِيرُ	هو الذي يشاهد الأشياء كلَّها ظاهرَها وخافيها .(خ) ولا يعزب عنه ما تحت	

		الثرى. (د)	
26	الْحَقّ	وهو المتحقق كونه ووجوده وقضاء الله وكل أفعاله حق .	قال الله ﷻ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ
27	الْعَلِيُّ	الظاهر الذي ليس فوقَه شيءٌ وله علو الشأن وعلو القهر وعلو الفوقية ﷻ .	وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ
28	الْكَبِيرُ	الجليل – العظيم الذي كل شيء دونه ، وهو أعظم من كل شيء وله كمال الذَّات والصفات .	هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ (62 الحج).
29	الْمُبِينُ	البيِّن أمره ، وقيل : البيِّن الربوبية والملكوت ، يقال : أبان الشيء بمعنى تبين ، وقيل معناه : أبان للخلق ما احتاجوا إليه.(ذ)	قال الله ﷻ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ (25النور).
30	الْحَكَمُ	الحاكم الذي يمنع الفساد والظلم وينشر العدل والخير.	قال رسول الله ﷺ إن الله هو الحكم . (190)
31	الْحَكِيمُ	فَعِيلٌ بمعنى فاعلٍ أو هو الذي يُحْكِمُ الأشياء ويُتْقِنُها فهو فَعِيلٌ بمعنى مُفْعِلٍ . وقيل : الحكيمُ : ذو الحِكمةِ	قال الله ﷻ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ

(*) كذا قال ابن الأثير . (ح) كذا قال ابن الأثير. (189) صحيح رواه ابن حبان وأحمد وغيرهما .

(–) كذا قال ابن الأثير. (خ) كذا قال ابن الاثير. (د) كذا قال الغزالي .

		.(ر)	مِن دُونِهِۦ مِن شَىۡءٍۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ (42العنكبوت).
32	الْحَلِيمُ	هو الذي يمهل ولا يهمل ولا يستفِزُّه الغضب على العصاة ولكنه جعل لكل شيء مقدارا فهو مُنْتَهٍ إليه .(ز)	كان النبي ﷺ يدعو عند الكرب يقول : لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب السموات والأرض ورب العرش العظيم (191)
33 34	الْحَفِيظُ الْحَافِظُ	الحافظ الذي يحفظ على العباد ما عملوه من خير وشر – الحافظ لعباده من جميع ما يكرهون وحفظه لخلقه نوعان : عام وخاص.فالعام هو حفظه لجميع المخلوقات والنوع الثاني حفظه الخاص لأوليائه حفظاً زائداً على ما تقدم ؛ يحفظهم عما يضر إيمانهم ويزلزل يقينهم. (س) ولفظة الحفيظ أبلغ من لفظة الحافظ .	قال هود عليه السلام لقومه إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ حَفِيظٌ (57هود). قال الله ﷻ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظًاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ (64يوسف).
35	الْحَسِيبُ	هو الكافي الذي يكفي من وكل الأمور إليه كما قال محمد وإبراهيم عليهما السلام حسبنا الله ونعم	قال الله ﷻ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ

(ذ) كذا قال الاصبهاني . (190) صحيح رواه النسائي وعبد الرزاق وغيرهما . (ر) كذا قال ابن الأثير.

(ز) كذا قال ابن الأثير. (191) رواه البخاري ومسلم .

		الوكيل – الحفيظ – الشهيد – المحاسب الذي يحاسب عباده على ما عملوا.	وَتَخْشَوْنَهُۥ وَلَا تَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا (39الأحزاب).
36	الْحَيِيُّ	الرحيم الستير الذي لا يفضح عباده بما أجرموا بل يقبل الدعاء والرجاء منهم ولا يترك العطاء .	قال رسول الله ﷺ إن الله حيي كريم يستحيي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفرا خائبتين .(192)
37	الْحَيُّ	الموصوف بالحياة الكاملة الأبدية ، التي لا يلحقها موت ولا فناء .(ش) ولا يسبقها عدم .	قال الله ﷻ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ
38	الْقَيُّومُ	الحفيظ – العليم – الرقيب على كل نفس بما كسبت وقيل القائم بذاته المقيم لغيره وقيل القائم بتدبير خلقه وحفظه وقيل هو الذي لا ينام وقيل الذي لا بديل له . وهو من أوصاف المبالغة في الفعل.	ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ (255البقرة).
39	الْعَظِيمُ	صاحب القدر الأعلى والأسمى وله كَمال الذَّات والصّفات .الذي جلَّ عن حُدُود العُقُول حتى لا تُتَصَوَّر الإحاطةُ بكُنْهه وحِقيقته .	قال الله ﷻ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ (255البقرة).

(س)كذا قال الهراس . (ش) كذا قال الهراس. (192) صحيح رواه الترمذي وأبو داود وغيرهما. (193) رواه مسلم . (194) صحيح رواه ابن عساكر والضياء وغيرهما . (ص) كذا قال الخطابي . (195) صحيح رواه ابن أبي شيبة والطبراني وغيرهما. وهذا مما لا يقال بالرأي فهو في حكم المرفوع لرسول الله ﷺ .

40	الْجَمِيلُ	صاحب الحسن الأعظم في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وهو واهب الجمال لكل جميل.	قال رسول الله ﷺ إن الله جميل يحب الجمال.(193)
41	الْجَوَادُ	المحسن الكريم الذي يقبل المسيء إن تاب ويعطي بغير حساب ولا ينتظر ثواب .	قال رسول الله ﷺ إن الله كريم يحب الكرماء جواد يحب الجودة يحب معالي الأخلاق و يكره سفسافها.(194)
42	الْكَرِيمُ	الخالق الجواد المُعْطى الذي لا يَنْفَدُ عَطاؤه . وهو الكريم المُطْلَق.والكريم الجامع لأنواع الخير والشَّرَف والفضائل.	قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ * (6الإنفطار).
43	الأعَزُّ	صاحب المنعة والغلبة والقوة الكاملة وكل من سواه أذلاء له سبحانه .	وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقول في السعي بين الصفا والمروة : ((رب اغفر وارحم ، وتجاوز عمَّا تعلم ؛ إنك أنت الأعزُّ الأكرم)) (195).
44	الأكرم	صاحب العطاء الأعظم الذي يفيض جلائل النعم ويمنح العلم لمن لا يعلم . وهو في اللغة أبلغ من الكريم .	قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ * ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ (3،4العلق).
45	الْوِتْرُ	الفرد الواحد الذي لا شريك له ، ولا	قال رسول الله ﷺ

(196) صحيح رواه أحمد وابن ماجة وغيرهما . (197) حديث حسن رواه أحمد والحاكم وغيرهما .

		نظير له ، المتفرد عن خلقه ، البائن منهم بصفاته ، فهو سبحانه وِتْر ، وجميع خلقه شفع ، خُلقوا أزواجا .(ص)	إن الله وتر يحب الوتر فأوتروا يا أهل القرآن . (196)
46	الْوَاحِدُ	الفرد الذي لا شريك له في ذاته وصفاته وأفعاله .	قال الله ﷻ وَبَرَزُوا لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ (48إبراهيم).
47	الدَّيانُ	القهار – الحكم القاضي الذي يجازي عباده بما عملوا .	قال النبي ﷺ أن الله يحشر الناس يوم القيامة ثم يناديهم بصوت يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديان (197)
48 49	الْمَلِيكُ الْمُقْتَدِرُ	الرب المالك الملك الذي يملك ويحكم ولا يعجزه شيء . مبالغة في الوصف بالقدرة والأصل في العربية أن زيادة اللفظ زيادة المعنى فلما قلت اقتدر أفاد زيادة اللفظ زيادة المعنى.(ض)	قال الله ﷻ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ * فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ (54،55القمر)
50 51	الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ	وهما اسْمانِ مُشْتَقَّانِ من الرَّحْمة مثْل نَدْمَان ونَدِيم وهُما من أبْنِيـة المبالغة . ورَحْمَان أبْلَغ من رَحيم . والرَّحمان خاصٌّ للّه لا يُسمَّى به غيره ولا يُوصَف . والرَّحيمُ يُوصفُ به غيرُ	قال الله ﷻ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ (163البقرة).

(ض) كذا قال الزجاج .

		اللّه تعالى فيقال رجلٌ رحيمٌ ولا يقال رَحْمان.	
52	الرَّفِيقُ	الـرؤوف – اللطيـف – المحـسن – المنعم . فَعِيل بمعنى فَاعِل .	قال رسول الله ﷺ إن الله يحب الرفق في الأمر كله .(198)
53 54	الرَّقِيبُ الرَّؤُوفُ	وهو الحافظُ الذي لا يَغِيب عنه شيءٌ فعيلٌ بمعنى فاعل ومنه الحديث [ارقُبُوا مُحّمدا في أهل بَيْته] أي احفَظُوه فيهم .(199) (ط) الرأفة أبلغ الرحمة وأرقها ، ويقال : إنَّ الرأفة أخص وأرق والرحمة أعم	قال الله ﷻ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا (52الاحزاب). قال الله ﷻ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ (20النور).
55	الرَّازِقُ	الـذي لا تنقطـع أمـداده وفواضـله طرفة عين .	قـال الله سـبحانه ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ (58الحج).
56 57	الْمُقَدِّمُ الْمُؤَخِّرُ	هو الذي يُقَدِّم الأشياءَ ويَضَعها في مواضِعها فمن اسْتَحقّ التقديمَ قدّمه .(ظ) الذي يؤَخِّر الأشياء فَيَضَعُها في	كان رسول الله ﷺ يدعو بهذا الدعاء رب اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري كله وما أنت أعلم به مني . اللهم

(198) رواه البخاري ومسلم .(199)رواه البخاري .(ط) كذا قال ابن الأثير. (ظ) كذا قال ابن الأثير .

		مَوَاضعها وهو ضد المقدِّم .(ع)	اغفر لي خطاياي وعمدي وجهلي وهزلي وكل ذلك عندي . اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير .(200)
58	الْقَادِرُ	الذي يفعل ما أراد ولا يعترضه عجز ولا فتور .	قال الله ﷻ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ (65الانعام).
59	الْقَدِيرُ	القادر الذي له كمال الاستطاعة وكل شيء دان له بالطاعة .	قال الله ﷻ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (50الروم).
60	الْقَاهِرُ	العلي – الغالب جميع الخلائق ولا يكون إلا ما يريد .	قال الله ﷻ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ

			وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ (18الأنعام).
61	الطَّيِّبُ	المُنَـزَّهُ عـن النقـائص، المُقَـدَّسُ عـن الآفات .(غ)	قال رسول الله ﷺ : أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا.(201)
62 63	اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ	الرفيق – الرؤوف – الذي أحاط علمه بالسرائر والخفايا ، وأدرك الخبايا والبواطن والأمور الدقيقة. هو العالم بكنه الشيء ، المطلع على حقيقته والعالم بالأمورِ الباطنةِ (ف)	قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ (103الأنعام).
قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ	الأَوَّلُ الآخِرُ الظَّاهِرُ الْبَاطِنُ	المتقدم للحوادث بأوقات لا نهاية لها وهو الذي ليس قبله شيء سبحانه . (*) الباقي بعد كل الأشياء وليس بعده شيءسُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ . العلي المحيط بباطن كل شيء وهو الذي ليس فوقه شيء – الذي ظهر وجوده للعقول بحجج وبراهين وأدلة وحدانيته .	وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ (3الحديد).

(ع) كذا قال ابن الأثير .(200) رواه البخاري ومسلم . (201) رواه مسلم . (غ) كذا قال المباركفوري. (ف) كذا قال الخطابي وابن الأثير. (*) قال النبي ﷺ كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء وخلق السماوات والأرض . رواه البخاري .

خَ ٱلآَ و 64 65 66 67		القريب المحيط بباطن كل شيء بحيث يكون أقرب إليه من نفسه وهو الذي ليس دونه شئ.	
68	الْعَفُوُّ	الذي يصفح عن عباده ويسامحهم بغير مقابل.	قال الله ﷻ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا (43النساء).
69	الْغَفُورُ	السَّاترِ لذُنوبِ عِبَاده وعُيوبهم المُتَجاوِز عَن خَطَاياهُم وذنوبهم . وأصل الغَفْر : التَّغْطِية . وهو من أبنِية المُبالَغة .	قال الله ﷻ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ (53الزمر).

70	الشَّكُورُ	هو الذي يَزْكُو عنده القَلِيلُ من أعْمالِ العباد فيُضاَعف لهم الجَزَاء فشكْرُه لعباده مَغْفِرتُه لهم ويشكرهم حقيقة على الوجه الذي يريد. وهو الذي يعطي العبد ، ويوفقه إلى الشكر فشكر العبد لله يستلزم شكرا آخر على توفيقه لشكره .والشَّكُورُ من أبنية المُبالَغة .(ق)	قال الله سبحانه وتعالى إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ * لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ (29،30فاطر).
71 72	الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ	هو الذي لا يَحْتاج إلى أحَد في شيء وكُلّ أحَدٍ يَحْتاج إليه وهذا الغنِي المُطْلَق ولا يشارِك اللّهَ تعالى فيه غيرُه . المحمود على كل حال فَعيل بمعنى مفعول . والحمد والشكر مُتَقاربان . والحمد أعَمُّها لأنَّك تحمَد الإنسان على صِفاته الذَّاتيَّة وعلى عطائه ولا تَشْكُره على صِفاته. (ك)	قال الله سبحانه وتعالى يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ * إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ * وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ (15،16فاطر).
73	الْمَجِيدُ	صاحب الشرف الواسع والعظمة الكاملة.	قال الله سبحانه وتعالى رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ (73هود).

(ق) كذا قال ابن الاثير وابن القيم. (ك)كذا قال ابن الأثير .

74	الْمَنَّانُ	هو المُنْعِمُ المُعْطِي من المَنِّ : العَطاء لا مِنَ المِنَّةِ. (ل) فهو الذي يعطي النوال قبل السؤال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ .	عن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال:دخل النبي ﷺ المسجد ورجل قد صلى وهو يدعو ويقول في دعائه اللهم لا إلا أنت المنان بديع السموات والأرض ذا الجلال والإكرام فقال النبي ﷺ تدرون بما دعا الله ؟ دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى.(202)
75 76 77	الْمَوْلَى النَصِيرُ الْوَلِيُّ	هو الولي اللازم الولاية القائم بها الدائم عليها لمن تولاه بإسناد أمره إليه فيما ليس بمستطيع له . المولى والولي الذي يؤيد أولياءه ويدافع عنهم. هو النَّاصر . وقيل : المُتَوَلّي لأمور العَالَم والخَلائِق القائِمُ بها.(م)	قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَىٰكُمۡۚ نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ (40الأنفال). قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ(28الشورى.)
78	الْهَادِيُّ	الذي يرشد عباده إلى جميع المنافع وإلى دفع المضار ، ويعلمهم ما لا يعلمون ، ويوفقهم للخير ويلهمهم التقوى ، ويجعل قلوبهم منيبة إليه منقادة لأمره .(ن)	قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا (31الفرقان).

(ل) كذا قال ابن الأثير. (202) صحيح رواه الترمذي والحاكم وغيرهما .

(م) كذا قال ابن الأثير. (ن) كذا قال السعدي .

79	الْقَرِيبُ	الذي يقترب من عباده المؤمنين قربا يليق بجلاله لا يشابهه قرب .	قال الله ﷻ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ (186البقرة).
80	الْوَاسِعُ	هُو الغني الذِي وَسِعَ غِنَاه كُلَّ فَقيرٍ ووسعت رَحْمَتُه وعلمه وسمعه كُلَّ شيء. (هـ)	قال الله ﷻ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ (268البقرة).
81	الْوَدُودُ	المحب الذي يحبُّ عباده الصالحين ويجعل حبهم في قلوب عباده .	قال شعيب عليه السلام لقومه وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ (90هود).
82	الْوَكِيلُ	هو القَيِّم الكَفيل بأرزاق العِباد وهو الذي من أسند إليه شيئا ضمنه وحققه له.	قال الله ﷻ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ (173آل عمران).
83	الأَحَدُ	الذي لا نظيرله ولا وزير ولا نديد ولا شبيه ولا عديل ، ولا يطلق هذا اللفظ على أحدٍ في الإثبات إلا على الله	قال رسول الله ﷺ قال الله كذبني ابن آدم ولم

(هـ) كذا قال ابن الأثير بمعناه . (و)كذا قال ابن كثير. (ي) كذا قال في الجلالين.

84	الصَّمَدُ	عَزَّ وجَلَّ ؛ لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله. (و) المقصود في الحوائج على الدوام .(ي)	يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه إياي فقوله لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته وأما شتمه إياي فقوله اتخذ الله ولدا وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوا أحد .(203)
85	الأَعْلَى	العلي في فوقيته فهو على عرشه فوق كل مخلوقاته،العلي في قهره فهو القاهر لهم، العلي في شأنه كله فهو العظيم الجليل .	قال الله ﷻ سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى (1الاعلى).
86	الْبَرُّ	اللطيف المحسن الصادق في وعده .	قال الله ﷻ عن بعض أهل الجنة أنهم يقولون إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ (28الطور).
87	التَّوَّابُ	الذي يرجع على عبده بالمغفرة وقبول التوبة ويلهم عبده الرجوع إليه .	قال الله ﷻ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ (104التوبة).

(203) رواه البخاري . (204) رواه مسلم.

88	الْخَلاَّقُ	الذي يوجد الأشياء من العدم ويقدر الأشياء تقديرا وهو أبلغ في المعنى من لفظة الخالق كقولك عالم وعلام .	قال الله ﷻ إن رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ (86الحجر).
89	السُّبُّوحُ	المسَبَّح المقدَّس المنَزَّه عن كل نقص وعيب وهو من أبْنِيِة المُبالَغَة .	كان رسول الله ﷺ يقول في ركوعه وسجوده سبوح قدوس رب الملائكة والروح .(204)
90	السِتِّيرُ	سَتِير : فَعِيل بمعنى فَاعِل : أي من شَأنه وإرادتَهِ حُبُّ السَّتر والصَّون . (أ)	قال رسول الله ﷺ إن الله عز وجل حليم حيي ستير يحب الحياء والستر فإذا اغتسل أحدكم فليستتر. (205)
91	الشَّافِي	الذي يبرأُ ويداوي عباده من الأسقام سواء كانت أسقام قلوب أو أسقام أبدان .	ن عثمان بن أبي العاص أنه قال قدمت علىالنبي ﷺ وبي وجع قد كاد يبطلني فقال لي النبي ﷺ اجعل يدك اليمنى عليه وقل بسم الله . أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر . سبع مرات فقلت ذلك . فشفاني الله . (206)
92	الشَّاكِرُ	هو الذي يَزْكُو عنده القَلِيلُ من أعْمالِ العباد فيُضاعَف لهم الجَزَاء فشكْرُه لعباده مَغْفِرتُه لهم ويشكرهم	قال الله ﷻ وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرًا

(أ) كذا قال ابن الاثير. (205) صحيح رواه النسائي وأبو داود وغيرهما .

(206) صحيح رواه ابن ماجة والنسائي وغيرهما

		حقيقة على الوجه الذي يريد. وهو الذي يعطي العبد ، ويوفقه إلى الشكر فشكر العبد لله يستلزم شكرا آخر على توفيقه لشكره .	فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ (158البقرة).
93	الشَّهِيدُ	هو الذي لا يَغِيبُ عنه شيءٌ وهو الحاضر في حدوث كل شيء. وهو الذي يَشْهَد على الخَلْق يوم القيامة بما عَلِم وشاهد . وفَعِيلٌ من أبْنية المُبالغة في فاعِل فالشهيد أبلغ من الشاهد .	قال الله ﷻ إِن ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا (55الاحزاب).
94	الْمُتَعَالِي أوالْمُتَعَال	المستعلي على كل شيء بقدرته وقهره أو الذي كبر عن نعت المخلوقين وتعالى عنه (ب)	قال الله ﷻ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ (9الرعد).
95	الْمَتِينُ	هو القوِيّ الشديد الذي لا يَلْحقُه في أفعاله مَشَقَّة ولا كُلْفَة ولا تَعَب . (ت)	قال الله ﷻ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ (58الذاريات).
96	الْمُجِيبُ	وهو الذي يُقابِل الدُّعاء والسؤالَ بالقَبُول والعَطاء . (ث)	قال صالح عليه السلام لقومه ج إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ (61هود).
97	الْمُحْسِنُ	الذي ينعم بغير مقابل تفضلا وكرما والمتقن المحكم لما يريد.	قال رسول الله ﷺ إذا حكمتم

(ب) كذا قال القرطبي والبيضاوي. (ت) كذا قال ابن الاثير . (ث) كذا قال ابن الاثير .

(207) صحيح رواه ابن أبي عاصم والطبراني وغيرهما. (208) رواه البخاري. (ج) كذا قال ابن الأثير.

			فاعـدلوا، وإذا قتلـتم فأحـسنوا فإن الله مُحْسِنٌ يحب الإحسان (207)
98	الْمُحِيطُ	وهـو الـذي أحـاط بكـل شـيء علمـاً وعددا ومخبرا ومظهرا ولا يحيط أحد به علما.	قـال الله ﷻ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطٗا﴾ (126النساء).
99	الْمُعْطِي	الذي يمنح النعم بغير سؤال ويجازي على القليل من الأعمال . وهو الذي أنعم علـى العبـاد علـى قـدره وطلـب منهم الشكر على قدرهم .	قـال رسـول الله ﷺ مـن يـرد الله بـه خيـرا يفقهـه فـي الـدين والله المعطي وأنا القاسم (208)
100	الْمُقِيتُ	المقتدر و الحفيظ و الشاهد . وقيل : الذي يُعْطي أقوات الخلائق .(ج)	قال الله ﷻ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا﴾ (85النساء).
101	ذو الجلال والإكرام	المستحق لأن يجل . (ح) وقيل الذي لا جلال ولا كمال إلا وهو له ولا كرامة ولا مكرمة إلا وهي صادرة منه فالجلال له في ذاته والكرامة فائضة منه على خلقه وفنون إكرامه خلقه لا تكاد تنحصر وتتناهى . (خ)	عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ إذا سلم لم يقعد إلا مقدار ما يقول اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام(209)

بعض تصرفات الحكيم الخبير في قلوب العباد

1- الربط على القلوب بعقيدة التوحيد .

قال الله ﷻ

(ح) كذا قال الزجاج. (خ) كذا قال الغزالي.(209) صحيح رواه ابن ماجة وأبو داود وغيرهما .

وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ * فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًاۗ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ * وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ * وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ (القصص 7:10).

قال الزجاج : المعنى لولا ربطنا على قلبها والربط إلهام الصبر وتشديد القلب وتقويته .

وقال الله ﷻ

أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا * إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا * فَضَرَبۡنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ فِي ٱلۡكَهۡفِ سِنِينَ عَدَدٗا * ثُمَّ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِنَعۡلَمَ أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ أَحۡصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدٗا * نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى * وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطًا (الكهف 9:14).

2- تقليب القلوب وتصريفها .

قال الله ﷻ

وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَنَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ

(110 الانعام).

كم من البشر عاش على الكفران ثم حول الله ﷻ قلبه للإسلام وكم من البشر عاش على الإسلام ثم حول الله قلبه للكفران إنها إرادة الله وحكمته وقدرته وعدله لا يسأل عما يفعل وهم يسألون .

وعن أنس رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقلت يا رسول الله آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا ؟ قال نعم إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله يقلبهما كما يشاء . (أ)
وقال صلى الله عليه وسلم

إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك. (ب)

3- إزاغة القلوب .

قال الله ﷻ

فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِى ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَـٰسِقِينَ (5 الصف).

ولهذاا علمنا الله ﷻ ان ندعوه فنقول

رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ (8 آل عمران).

4- تثبيت القلوب .

قال الله ﷻ

وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ (120هود).

وقال ﷻ

(أ) صحيح رواه الترمذي وأحمد وغيرهما . (ب) رواه مسلم .

وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـًٔا قَلِيلاً * إِذٗا لَّأَذَقۡنَٰكَ ضِعۡفَ ٱلۡحَيَوٰةِ وَضِعۡفَ ٱلۡمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيۡنَا نَصِيرًا (74،75 الإسراء).

5- الختم والطبع على القلوب .

قال الله ﷻ

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ * خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ (6،7 البقرة).

وقال الله ﷻ

كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ (59 الروم).

وقال الله ﷻ

كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ (35 غافر).

وقال الله ﷻ

ۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡكَٰفِرِينَ (101 الأعراف).

قال ابن جرير الطبري رحمه الله :

وأصل الختم : الطبع والخاتم هو الطابع يقال منه : ختمت الكتاب إذا طبعته .

فإن قال لنا قائل : وكيف يختم على القلوب وإنما الختم طبع على الأوعية والظروف والغلف ؟

قيل : فإن قلوب العباد أوعية لما أودعت من العلوم وظروف لما جعل فيها من المعارف بالأمور فمعنى الختم عليها وعلى الأسماع التي بها تدرك المسموعات ومن قبلها يوصل إلى معرفة حقائق الأنباء عن المغيبات نظير معنى الختم على سائر الأوعية والظروف .أ. هـ .

عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ فَقَالَ أَيُّكُمْ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم

يَذْكُرُ الْفِتَنَ فَقَالَ قَوْمٌ نَحْنُ سَمِعْنَاهُ . فَقَالَ لَعَلَّكُمْ تَعْنُونَ فِتْنَةَ الرَّجُلِ فِى أَهْلِهِ وَجَارِهِ قَالُوا أَجَلْ . قَالَ تِلْكَ تُكَفِّرُهَا الصَّلاَةُ وَالصِّيَامُ وَالصَّدَقَةُ وَلَكِنْ أَيُّكُمْ سَمِعَ النَّبِىَّ صلى الله عليه وسلم يَذْكُرُ الْفِتَنَ الَّتِى تَمُوجُ مَوْجَ الْبَحْرِ قَالَ حُذَيْفَةُ فَأَسْكَتَ الْقَوْمُ فَقُلْتُ أَنَا . قَالَ أَنْتَ لِلَّهِ أَبُوكَ . قَالَ حُذَيْفَةُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ
« تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُوداً عُوداً فَأَىُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ وَأَىُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلاَ تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَالآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّياً لاَ يَعْرِفُ مَعْرُوفاً وَلاَ يُنْكِرُ مُنْكَراً إِلاَّ مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ ».(ج)

وقال ﷺ

إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء فإذا هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه وإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه وهو الران الذي ذكر الله { كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون}. (ح)
فأخبر صلى الله عليه وسلم أن الذنوب إذا تتابعت على القلوب أغلقتها وإذا أغلقتها أتاها حينئذ الختم من قبل الله عز وجل والطبع فلا يكون للإيمان إليها مسلك ولا للكفر منها مخلص فذلك هو الطبع والختم الذي ذكره الله تبارك وتعالى في قوله : { ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم } نظير الطبع والختم على ما تدركه الأبصار من الأوعية والظروف التي لا يوصل إلى ما فيها إلا بفض ذلك عنها ثم حلها فكذلك لا يصل الإيمان إلى قلوب من وصف الله أنه ختم على قلوبهم إلا بعد فضه خاتمه وحله رباطه عنها . (خ)

وإعلم أن الران بريد الطبع أو الختم قال مجاهد رضي الله عنه :
الران أيسر من الطبع والطبع أيسر من الأقفال والأقفال أشد ذلك كله . (د)
قال الله سبحانه وتعالى

(ج) رواه مسلم . (أَسْوَدُ مُرْبَادًّا)شِدَّةُ الْبَيَاضِ فِى سَوَادٍ. (الْكُوزُ مُجَخِّياً) مَنْكُوساً . (ح) حسن رواه الترمذي وابن ماجة وغيرهما . (خ) كذا قال ابن جرير . (د) رواه ابن جرير .

أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ (24 محمد).

أسأل الله سبحانه أن يجنبني وجميع المسلمين آثار سطه وغضبه وأن يرفع مقته وغضبه عنا إنه عفو غفور والحمد لله رب العالمين .

الإيمان بالملائكة

قال رسول الله ﷺ خلقت الملائكة من نور.(210)

الملائكة من نور لا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون ولهم صفات ليست كصفات البشر . ليسوا ذكورا ولا إناثا فمن قال إنهم ذكور فقد فسق ومن قال إنهم إناث فقد كفر .

وللملائكة القدرة على التشكل بالأشكال الحسنة دون الأشكال القبيحة

على العبادة مجبولون . من الأخطاء معصومون . قال الشيخ البيجوري وما نقل في قصة هاروت وماروت مما يذكره المؤرخون لم يصح فيه شيء من الأخبار بل هو من افتراء اليهود وكذبهم .

وللملائكة أجنحة لا يتصور شكلها ولا يعرف حجمها

قـــــال الله ﷻ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ (1فاطر).

وقال رسول الله ﷺ

إن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم . (211)

وقال رسول الله ﷺ

أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام (212)

(210) رواه مسلم. (211) صحيح رواه أبو داود وغيره.

(212) صحيح رواه أبو داود والطبراني وغيرهما .

وإنما هم مجبولون على طاعة الله لا اختيار لهم .
وقال الله ﷻ عن الملائكة
عِبَادٌ مُّكۡرَمُونَ * لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ * يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ (الأنبياء26:28).
يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ (الأنبياء20).

ليسوا بشركاء لله ﷻ في شيء ولا يعينون الله في فعل شيء بل قد لا يقبل الله شفاعة بعضهم كما قال الله ﷻ : وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ (النجم26).

بل إنهم لا يقدرون على شيء إلا بتأييد الله كما قال الله ﷻ
إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ (الأنفال12).

وقال رسول الله ﷺ لجبريل
يا جبريل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا) . فنزلت { وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا } . إلى آخر الآية .(213)
وللملائكة شفاعة يوم القيامة
كما جاء في الحديث (فيقول الله ﷻ شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون) (214)
ويستغفرون للمؤمنين ويسألون الله لهم الرحمة والمغفرة قال الله ﷻ
وقال الله ﷻ

---

(213) رواه البخاري . (214) رواه مسلم .

وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ (5الشوري).

ومن الملائكة الشفعاء حملة العرش وهم يوم القيامة ثمانية كما في سورة الحاقة .

قال الله ﷻ : ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ * رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ * وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ (9:7غافر).

وقال بعض أهل التفسير إن هذه الشفاعة الملائكية تكون يوم القيامة كما ذكره ابن كثير عن سعيد بن جبير رضي الله عنه .

وقال رسول الله ﷺ : الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه مالم يحدث فيه تقول اللهم اغفر له اللهم ارحمه .(215)

وقد أعطى الله الملائكة قدرة التشكل في أشكال جميلة وكان جبريل عليه السلام يتمثل * للنبي ﷺ في صورة رجل وهو دحية الكلبي رضي الله عنه وهكذا قد يرى الصالحون والمؤمنون بعض الملائكة في صورة البشر كرامة لهم .

بعض أعمال وأنواع الملائكة

* المعقبات

قال الله سبحانه لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ (11 الرعد).

---

(215) رواه البخاري ومسلم .* ويسمى جبريل عليه السلام بروح القدس والروح الأمين والروح وهو رسول الله من الملائكة إلى الأنبياء والمرسلين فهو أمين الوحي عليه السلام .

* النازعات

أي الملائكة التي تنزع أرواح الكفار.

* الناشطات

أي الملائكة التي تنشط أرواح المؤمنين أي تسلها برفق . كما ينشط العقال من يد البعير .

* السابحات

هم الملائكة يقبضون أرواح المؤمنين يسلونها سلا رفيقا ثم يدعونها حتى تستريح كالسابح بالشيء في الماء يرفق به

* السابقات

هم الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة وقيل تسبق الملائكة الشياطين بالوحي إلى الأنبياء وقيل غير ذلك .

* المدبرات

هم الملائكة المدبرة ما أمرت به من أمر الله وليس هم الأقطاب والأبدال والصالحين كما يقول بعض الصوفية . قال القشيري : أجمعوا على أن المراد هنا الملائكة وقال الماوردي الملائكة وهو قول الجمهور.

قال ابن كثير ولم يختلفوا في هذا . على خلاف بين المفسرين في معاني هذه الخمس .

* المقسمات

أي الملائكة التي تقسم أمر الله في خلقه ينزلها بأمره علي من يشاء .

قال رسول الله ﷺ

---

(216) رواه البخاري ومسلم .

يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون .(216)

* الصافون

من صف الأقدام في الصلاة يسبحون الله عز وجل

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال :

خرج علينا رسول الله ﷺ فقال مالي أراكم رافعي أيديكم كأنها أذناب خيل شمس ؟ اسكنوا في الصلاة قال ثم خرج علينا فرآنا حلقا فقال ما لي أراكم عزين ؟ قال ثم خرج علينا فقال ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها ؟ فقلنا يا رسول الله وكيف تصف الملائكة عند ربها ؟ قال يتمون الصفوف الأول ويتراصون في الصف .(أ)

وذكر ابن الجوزي عن ابن عباس قال هم الملائكة صفوف في السماء لا يعرف ملك منهم من إلى جانبه لم يلتفت منذ خلقه الله عز وجل وقيل هي الملائكة تصف أجنحتها في الهواء واقفة إلى أن يأمرها الله عز وجل بما يشاء .

(أ) رواه مسلم . (عزين) أي جماعات في تفرقة جمع عزة وأصلها عزوة فحذفت الواو وجمعت جمع السلامة على غير قياس . **روى الحاكم والطبراني بسند صحيح عن ابن مسعود أن الصافات والزاجرات والتاليات ملائكة . (ب)كما ذكر ابن الجوزي عن ابن عباس والجمهور .

(ج) قاله ابن مسعود والحسن والجمهور كما ذكر ابن الجوزي .

* الزاجرات**

وهم الملائكة التي تزجر السحاب .(ب)

* التاليات

وهم الملائكة تقرأ كتب الله تعالى .(ج)

* الحفظة

قال الله ﷻ

وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ * كِرَامًا كَٰتِبِينَ *يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (12:10الإنفطار)

مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (18ق).

* السفرة

وهم الملائكة الكتبة المكرمون عند الله تعالى المطيعون له والمطهرون من الذنوب .

ملكان يدعوان بالخلف والتلف

قال رسول الله ﷺ

ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا .(د)

* ملكان يسألان العباد في القبور

وهما منكر ونكير هكذا بالتنكير وبلتعريف على خلف في الروايات .

قال رسول الله ﷺ

إذا قبر الميت (أو قال أحدكم) أتاه ملكان أسودان أزرقان (يقال لأحدهما المنكر والآخر النكير فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول ما كان يقول هو عبد الله

(د) رواه البخاري ومسلم . (217) حديث حسن رواه الترمذي وابن حبان وغيرهما .

(ذ) رواه البخاري ومسلم.

ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله فيقولان قد كنا نعلم أنك تقول هذا ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا في سبعين ثم ينور له فيه ثم يقال له نم فيقول ارجع إلى أهلي فأخبرهم ؟ فيقولان نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك وإن كان منافقا قال سمعت الناس يقولون فقلت مثله لا أدري فيقولان قد كنا نعلم أنك تقول ذلك فيقال للأرض التئمي عليه فتلتئم عليه فتختلف فيها أضلاعه فلا يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك . (217)

* ملائكة الرحمة وملائكة العذاب

قال النبي ﷺ

(كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين إنسانا ثم خرج يسأل فأتى راهبا فسأله فقال له هل من توبة ؟ قال لا . فقتله فجعل يسأل فقال له رجل ائت قرية كذا وكذا فأدركه الموت فناء بصدره نحوها فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فأوحى الله إلى هذه أن تقربي وأوحى الله إلى هذه أن تباعدي وقال قيسوا ما بينهما فوجد إلى هذه أقرب بشبر فغفر له). (ذ)

* الزبانية

عن بن عباس رضي الله عنهما قال :

جاء أبو جهل إلى النبي ﷺ وهو يصلي فنهاه فتهدده النبي ﷺ فقال أتهددني أما والله إني

لأكثر أهل الوادي ناديا فأنزل الله { أرأيت الذي ينهي عبدا إذا صلى أرأيت إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى أرأيت إن كذب وتولى } قال بن عباس والذي نفسي بيده لو دعا ناديه لأخذته الزبانية . (ر)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال أبو جهل هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم ؟ قال فقيل نعم فقال واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته أو لأعفرن وجهه في التراب قال فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي زعم ليطأ على رقبته قال فما فجئهم

منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه قال فقيل له مالك ؟ فقال إن بيني وبينه لخندقا من نار وهولا وأجنحة

قال رسول الله ﷺ لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا .(ز)

* أصحاب النار وخزنتها

وهم ملائكة غلاظ شداد كما قال الله سبحانه وتعالى

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ (7التحريم).

وقال الله سبحانه وتعالى

وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ * لَا تُبۡقِى وَلَا تَذَرُ * لَوَّاحَةٌ لِّلۡبَشَرِ * عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ (30:27المدثر).

وللنار خازن يسمى مالك كما قال الله سبحانه وتعالى

إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ * لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ وَهُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ * وَمَا ظَلَمۡنَـٰهُمۡ وَلَـٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّـٰلِمِينَ * وَنَادَوۡاْ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ

(77:74 الزخرف).

* ملائكة يستمعون الذكر

قال رسول الله ﷺ

إذا كان يوم الجمعة وقفت الملائكة على باب المسجد يكتبون الأول فالأول ومثل المهجر كمثل الذي يهدي بدنة ثم كالذي يهدي بقرة ثم كبشا ثم دجاجة ثم بيضة فإذا خرج الإمام طووا صحفهم ويستمعون الذكر . (218)

(ر) صحيح رواه أحمد والطبراني وغيرهما . (ز) رواه مسلم .

* ملائكة ينزلون بالنصر

وهم الذين يوحي الله إليهم بالنزول مع المؤمنين تثبيتا لهم وقتالا معهم للكافرين كما قال الله ﷻ

إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ

(12الأنفال).

وقال الله ﷻ في غزوة بدر الكبرى

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ

(9 الأنفال).

قال ابن عباس رضي الله عنهما

بينما رجل من المسلمين يومئذ – يوم بدر – يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربه بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول أقدم حيزوم فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقيا فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك أجمع فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (صدقت ذلك مدد السماء الثالثة) فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين .(س)

وعن رافع بن خديج قال جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال :

ما تعدون أهل بدر فيكم ؟ قال ﷺ : (من أفضل المسلمين) .أو كلمة نحوها قال وكذلك من شهد

بدرا من الملائكة.(ش)

---

(218) رواه البخاري. (س) رواه مسلم . (مردفين) متتابعين . (أقدم حيزوم) بهمزة قطع مفتوحة وبكسر الدال من الإقدام قالوا وهي كلمة زجر للفرس معلومة في كلامهم والثاني بضم الدال وبهمزة وصل مضمومة من التقدم وحيزوم اسم فرس الملك وهو منادى بحذف حرف النداء أي يا حيزوم.

(فإذا هو قد خطم أنفه)الخطم الأثر على الأنف .

وقال النبي ﷺ في يوم بدر :
هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب .(ص)

ومن الملائكة ملك موكل بالأرحام وملك موكل بالجبال وملائكة موكلون بقبض الروح وملك الموت (_)

وكلهم يسبحون بحمد الله وقائمين بحوله وقوته وبتأييده ومعيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ .
وإسرافيل هو الملك الموكل بالنفخ في الصور.
وميكائيل هو الملك الموكل بالقطر والماء (*)

وسيد الملائكة أجمعين هو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ أمين وحي السماء وهو الموكل بالوحي الذي لا ينزل على أحد بعد موت رسول الله ﷺ إلا ليلة القدر فإنه ينزل لفضل هذه الليلة ولكن لا ينزل بوحي فقد انقطع الوحي بموت رسول الله ﷺ .
عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال :
قال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد وفاة رسول الله ﷺ لعمر انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها كما كان رسول الله ﷺ يزورها فلما انتهينا إليها بكت فقالا لها ما يبكيك ؟ ما عند الله خير لرسوله ﷺ فقالت ما أبكي أن لا أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسوله ﷺ ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء فهيجتهما على البكاء فجعلا يبكيان معها . (ض)

ولقد شاهد رسول الله ﷺ جبريل على حقيقته مرتين ولم ير الله تعالى بل رأى الحجاب وهذا الصواب .

(ش) رواه البخاري وفي لفظ ابن ماجة بسند صحيح قال كذلك هم عندنا خيار الملائكة . (ص) رواه البخاري . (–) (لم يصح أن اسمه عزرائيل) وليس فيما ذكرت حصرا لأنواع الملائكة وأعمالهم وإنما هو ذكر للمشهور منهم . (*) كما روى إسحاق بن راهويه وغيره . (ض) رواه مسلم .

عن مسروق رضي الله عنه قال :

كنت متكئا عند عائشة رضي الله عنها فقالت يا أبا عائشة ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية قلت ما هن ؟ قالت من زعم أن محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية قال وكنت متكئا فجلست فقلت يا أم المؤمنين أنظريني ولا تعجليني ألم يقل الله عز وجل

{ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ } (23التكوير).{ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ }(13النجم).فقالت رضي الله عنها :

أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين رأيته منهبطا من السماء سادا عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض فقالت أو لم تسمع أن الله يقول {وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ } [الشورى/51]

قالت : ومن زعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتم شيئا من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية والله يقول{يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ }[المائدة/67]

قالت : ومن زعم أنه يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية والله يقول ({ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُ } (النمل/65)).(219) [1]

ومن آمن بالملائكة استحيا أن يشاهدوه على معصية فضلا عن حيائه من الله رضي الله عنه وتنبه لأقواله وأفعاله التي عليه تحصى وبها يوفى .

---

(219) رواه مسلم.(أنظريني)من الإنظار وهو التأخير والإمهال (سادا عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض)هكذا هو في الأصول ما بين السماء إلى الأرض وهو صحيح وأما عظم خلقه فضبط على وجهين أحدهما عظم بضم العين وسكون الظاء والثاني عظم بكسر العين وفتح الظاء وكلاهما صحيح(ط)رواه مسلم.

بعض الأفعال التي تؤذي الملائكة

قال رسول الله ﷺ من أكل من هذه البقلة الثوم (وقال مرة من أكل البصل والثوم والكراث) فلا يقربن مسجدنا فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم . (ط)

وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها

أنها اشترت نمرقة فيها تصاوير فلما رآها رسول الله ﷺ قام على الباب فلم يدخله فعرفت في وجهه الكراهية فقلت يا رسول الله أتوب إلى الله وإلى رسوله ﷺ ماذا أذنبت ؟ .

فقال رسول الله ﷺ

(ما بال هذه النمرقة) . قلت : اشتريتها لك لتقعد عليها وتوسدها فقال رسول الله ﷺ :

(إن أصحاب هذه الصور يوم القيامة يعذبون فيقال لهم أحيو ما خلقتم) . وقال (إن البيت الذي فيه الصور لا تدخله الملائكة) . (220)

وفي رواية لمسلم (لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا تماثيل) .

وفي رواية لا تصحب الملائكة رفقة فيها كلب ولا جرس . (221)

ويحرم الاستهانة أو الاستهزاء بالملائكة وكذلك تشبيه النساء بالملائكة فإن ذلك يشبه أفعال أهل الجاهلية الذين كانوا يقولون بتأنيث الملائكة فأنكر الله سبحانه وتعالى عليهم وقال ﴿أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ﴾ (150الصافات). والله أعلم والحمد لله رب العالمين .

---

(220)رواه البخاري. (نمرقة) كساء مخطط وقيل هي وسادة صغيرة . (221) صحيح الترمذي وغيره .

الإيمان بالكتب

قال الله ﷻ

وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ (15الشورى).

قال الله ﷻ

إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ * صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ (18،19الأعلى).

و قال ﷻ

نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ * مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ (3،4آل عمران).

وقال عز من قائل وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا (163النساء).

أنزل الله ﷻ صحفا – كتابا – على إبراهيم وأنزل التوراة على موسى وأنزل الإنجيل على عيسى وأنزل الزبور على داود عليهم جميعا صلوات الله وسلامه .

تلك الكتب الأربع غير القرآن ثبت نزولها في القرآن ، يجب الإيمان بتلك الكتب مع القرآن .ولكنها الآن غير موجودة والموجود منها لا يعرف له إسناد والأصول المترجمة محرفة .

ومن العجائب في كتابهم المقدس أنه يحمل في طواياه عشر حالات من زنا المحارم ولعل هذا من أسباب ازدياد معدلات زنا المحارم في الغرب ولقد قرأت في كتابهم كلاما جنسيا مثيرا يجعل المرء يتعجب كيف يؤمنون أن هذا كلام الله ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ومثال ذلك ما جاء في سفر حزقيال (23–26) عن دعارة أهوله وأهوليبة . (*)

وأعظم الكتب التي أنزلها الله ﷻ القرآن العظيم وهو الكتاب الخاتم الذي هيمن على كل الكتب السابقة كما قال رسول الله ﷺ

أعطيت مكان التوراة السبع الطول وأعطيت مكان الزبور المئين وأعطيت مكان الإنجيل المثاني وفضلت بالمفصل . (222)

ولقد بلغ من تأثير القرآن الكريم أنه يجذب المخالف بطريقة ليس لها مثيل

قال المستشرق هرشفلد ليس للقرآن مثيل في قوة إقناعه ، وبلاغته وتركيبه وإليه يرجع الفضل في ازدهار العلوم بكافة نواحيها في العالم الإسلامي .

ولقد وصف الله ﷻ القرآن العظيم ببعض صفاته وسماه ببعض أسمائه

فالله ﷻ عظيم والقرآن عظيم ، قال الله ﷻ

وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ (87الحجر).

الله ﷻ عزيز والقرآن عزيز ، قال الله ﷻ

وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ (41فصلت).

الله ﷻ مجيد والقرآن مجيد ، قال الله ﷻ

قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ (1ق).

الله ﷻ مبين والقرآن مبين ، قال الله ﷻ

الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ (1يوسف).

الله ﷻ حكيم والقرآن حكيم ، قال الله ﷻ

تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ (2لقمان).

الله ﷻ هو العليّ ومن صفاته العلو والقرآن عليّ ، قال الله ﷻ

إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ * وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ (3،4الزخرف).

الله ﷻ كريم والقرآن كريم ، قال الله ﷻ

(*)وقد ذكرت كثيرا من الدلائل على بطلان كتب أهل الكتاب المقدسة في كتاب نور اليقين والحمد لله رب العالمين . (222) حسن رواه الطبري وأحمد وغيرهما .

إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ (77الواقعة).

الله ﷻ حق والقرآن حق ، قال الله ﷻ

بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ (5ق).

الله نور السماوات والارض(*) والقرآن نور

وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ (52الشورى).

الله ﷻ مهيمن والقرآن مهيمن

وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ (48المائدة).

القرآن وعاء اللغة العربية

قال الله ﷻ

وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ * نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ * عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ (192:195 الشعراء). (–)

(*) أي منور السماوات والأرض وليس النور من أسماء الله ﷻ وإن قال بذلك ابن القيم وغيره فهو قول مردود وفيه إيهام بأن الله نور والحق أنه خالق النور كما قال الله سبحانه في أول الانعام وقال القرطبي يجوز أن يقال : لله تعالى نور من جهة المدح لأنه أوجد الأشياء ونور جميع الأشياء منه ابتداؤها وعنه صدورها وهو سبحانه ليس من الأضواء المدركة جل وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

(–) القرآن عربي ميسر بتيسير الله ليس فيه شفرات تفك بالتفسير الباطني كما يزعم غلاة الصوفية كابن عربي وغيره .

القرآن كتاب لا يماثله كتاب فلا أعرف كتابا على مر عصور والأزمان حفظه الناس وقرأوه ورتلوه وفسروه كهذا الكتاب فكتب التفاسير المطبوعة عددها لا يقل عن ثلاثة آلاف والمخطوط منها أكثر ومع هذا فإن كل مفسر للقرآن يأتي بشيء لم يسبقه إليه أحد ومع هذا كله تجد القرآن غضا طريا كأنه أنزل في يومنا هذا والكل يروي من معينه الذي لا ينضب ويرى عجائبه التي لا تنفد حتى الأدباء إذا أرادوا أن يؤلفوا في الأدب فإنهم يحفظون القرآن أولا ليحسن ألفاظهم ويقومها ثم بعد ذلك يؤلفون فمثلا الكاتبة (مي إلياس زيادة) رغم أنها نصرانية إلا أنها حفظت القرآن لتتعلم منه البلاغة والأدب والقوة البيانية وهذا الإعجاب بالقرآن من أعدائه ومحبيه لا تجده في كتاب آخر أبدا فالقرآن وحده هو الكتاب المحكم وكل كتاب سواه غير محكم .

ما أكثر الذين سودوا الصحف في كلام فارغ لا فائدة منه ولا طائل من وراءه ثم أطلقوا على هذه الصحف كتبا وما هي بكتب إنما الكتاب الحق هو القرآن العظيم وكل كتاب يتصاغر أمامه

ويكون عالة عليه ذلك بأن القرآن نفسه يحوي كتبا كثيرة في كل المجالات كما قال الله ﷻ

رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ * فِيهَا كُتُبٞ قَيِّمَةٞ (2،3البينة).

ولكن الشيء المؤسف أن بعض الناس يظنون أن القواعد النحوية حاكمة على القرآن ونسي هؤلاء أن القرآن سبق علم النحو وأن أول من وضع النحو هو أبو الأسود الدؤلي بأمر علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

إذاً القرآن يحكم على النحو لا النحو الذي يحكم على القرآن وتأمل معي كيف حفظ الله ﷻ عقيدة التوحيد النقية الصافية بالقرآن الكريم وهو وعاء اللغة وبابها الأوسع فمثلا

1- الحسيب الكافي هو الله وحده ﷻ .

قال الله ﷻ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ (64الأنفال).

قوله تعالى (حسبك الله) مبتدأ وخبر، وقال قوم:

حسبك مبتدأ، والله فاعله:

أى يكفيك الله (ومن اتبعك) في من ثلاثة أوجه: **أحدها** جر عطفا على الكاف في حسبك، وهذا لايجوز عند البصريين لان العطف على الضمير المجرور من غير إعادة الجار لايجوز ورغم أن هذا لا يجوز عند البصريين إلا أنه يجوز بل يجب في عقيدة التوحيد ذلك لأن الحسيب الكافي هو الله وحده لا أحد معه ولا أحد غيره سبحانه كما قال الله ﷻ

ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ (173آل عمران).

و**الثانى** موضعه نصب بفعل محذوف دل عليه الكلام تقديره: ويكفى من اتبعك من المؤمنين وهذا هو الصواب .

و**الثالث** موضعه رفع على ثلاثة أوجه : أحدها هو معطوف على اسم الله، فيكون خبرا آخر كقولك: القائمان زيد وعمرو، ولم يثن حسبك لانه مصدر.

وقال قوم: هذا ضعيف لان الواو للجمع، ولا يحسن هاهنا كما لم يحسن في قولهم: ماشاء الله وشئت، وثم هنا أولى. والثانى أن يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره: وحسبك من اتبعك. (أ)

2- التوكل لا يكون إلا على الله ﷻ .

قال الله ﷻ

وَلَوۡ أَنَّهُمۡ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ (59التوبة).

فتضمنت هذه الاية الكريمة أدبا عظيما وسرا شريفا حيث جعل الرضا بما آتاه الله ورسوله ﷺ والتوكل على الله وحده وهو قوله:{وقالوا حسبنا الله } وكذلك الرغبة إلى الله وحده في التوفيق لطاعة الرسول ﷺ وامتثال أوامره وترك زواجره وتصديق أخباره والاقتفاء بآثاره.(ب)

3- رضوان الله عَزَّ وَجَلَّ .

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ (62التوبة).

كان المنافقون يسبون ويطعنون في رسول الله ﷺ فإذا بلغ ذلك رسول الله جاءوا إليه يعتذرون ويحلفون بالإيمان الكاذبة ليرضوا رسول الله ولئن رضي عنهم رسول الله بما حلفوا له فإن الله لا يرضى عنهم ولهذا طلب الله منهم أن يرضوه ويرضوا رسوله لا أن يرضوا الرسول ﷺ وحده لأن رضى الله هو الأصل ورضى رسوله فرع عنه كما قال رسول الله ﷺ لا طاعة لمخلوق في معصية الله عز وجل .(223)

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا (80النساء).

هنا سؤال . لماذا لم يقل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى والله ورسوله ﷺ أحق أن يرضوهما ؟

قال أبو عبيدة : العرب إذا أشركوا بين اثنين قصروا فخبروا عن أحدهما استغناء بذلك وتحقيقا لمعرفة السامع بأن الآخر قد شاركه ودخل معه في ذلك الخبر

قال الفراء : إن شئت اكتفيت بأحد المذكورين كقوله ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا وقوله وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها .

وكما قال الشاعر

نحن بما عندنا وأنت بما ... عندك راض والرأي مختلف

يريد نحن بما عندنا راضون وأنت بما عندك راض .

4- عيسى كآدم عليهما الصلاة والسلام .

(أ) كذا قال العكبري في إعراب القرآن . (ب) كذا قال ابن كثير رحمه الله .

(223) صحيح رواه أحمد وعبد الرزاق وغيرهما .

قال الله ﷻ

إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ (59آل عمران).

سألني أحد النصارى عن هذه الآية فقال إن الصحيح أن يقال كن فكان وليته فهم لغة العرب أو لغة القرآن بالأحرى . إن الله ﷻ عندما تحدث عن معجزة خلق المسيح وهي شيء يستغربه الناس كلهم في ذلك العصر الذي ولد فيه عيسى لأن جميع الناس كانوا يولدون بأب وأم فاستغرب الناس هذا كثيرا فقالوا إن عيسى عليه السلام ابنا لله ﷻ حتى ينفكوا عن هذا الإستغراب فوقعوا في مأزق أكبر وهو أن آدم عليه السلام خلق من غير أب ولا أم ولهذا ضرب الله لهم المثل للغريب بالأغرب لعل عقولهم تفهم هذا أو تدركه . ولأنهم كانوا يستغربون ذلك الأمر جاءهم الله بشيء بإعجاز آخر في كلمة (فيكون) فحدث بها ما يوهم أنه خرق للعادة في الكلام كما حدث بخلق عيسى خرق للعادة لأن المتكلم حكيم ومن حكمته أن جمع مثالا واسمين لنبيين كريمين عليهما السلام وثلاثة أفعال ماض ومضارع وأمر في آية واحدة .

ثم قال الله ﷻ له يعني لآدم ﷺ وقيل لعيسى ﷺ (كن فيكون) أي فكان والمستقبل يكون في موضع الماضي إذا عرف المعنى وهو ما يسمى بحكاية حال ماضية لاستحضار الصورة وهذا

شائع ومعروف في كلام العرب ومكرر في القرآن كما قال الله ﷻ (ويصنع الفلك) وقال الله

ﷻ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ (75الأنعام).

وكقول قوم صالح له عليه السلام أَتَنۡهَىٰنَآ أَن نَّعۡبُدَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا (62هود).

5- الله ﷻ علام الغيوب .

قال الله ﷻ

قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ (48ق).

لماذا لم يقل الله ﷻ علامة الغيوب مع إنها أبلغ كما يقال رجل عَلاَّمةٌ أي عالِمٌ جدا والهاء للمُبالغة . قال بعض العلماء إن الله لم يقل عن نفسه علامة لأنه قد يتوهم بعض الناس أن علامة لفظ يدل على مؤنث فقال علام ومع ذلك فإن غلاة الصوفية يصرون على وصف الله ﷻ بما لا يليق فمثلا تجد أن "ابن الفارض" تحدث عن الله ﷻ بضمير المؤنثة المخاطبة فهو يقول له: "أنتِ كذا أنتِ كذا أنتِ كذا" ولو رحت تسأل الصوفية لماذا تتحدثون عن الله بضمير المؤنثة المخاطبة؟ فإنهم يقولون لك: إننا لا نقصد الله ، وإنما نقصد الذات الإلهية فنحن نوجه ضمير المؤنثة المخاطبة للذات وليس لله فنوجهها الذات الإلهية، "ابن الفارض" يقول إن الله تجلى لقيس بصورة ليلى. وتجلى لكثير بصورة عزة، وتجلى لجميل في صورة بثينة في قصيدته التائية المعروفة فهو يعترف أن هذا من تجليات الحق . (*)

6- الله ﷻ عالم الغيب والشهادة .

قال الله ﷻ

عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ (9الرعد).

لماذا قدم الله سبحانه الغيب على الشهادة رغم أنه معلوم أن علم الغيب أوسع وأصعب من علم
الشهادة في نظر البشر ؟ فلماذا لم يقدم الأصعب على الأسهل ؟

ذلك لأن الله ﷻ علم أن الناس يعجزهم ويضنيهم علم الغيب أكثر من علم الشهادة فأراد الله ﷻ أن يبين لهم أن الغيب أهون عليه من الشهادة لأن الله ﷻ لا غيب

(*) كذا قال العلامة الشيخ جميل غازي رحمه الله الذي نفعني الله بعلمه كثيرا فأسأل الله أن يجزل له الثواب ويدخله الجنة بغير حساب وأن يجمعني وإياه في جنات النعيم مع النبي ﷺ أنه عفو كريم .

عنده فقدم الأعلى على الأدنى لبيان سعة علمه سبحانه ويشبه هذا ايضا دعاء إبراهيم عليه السلام

رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ

(38 إبراهيم).

7- الله وحده يعلم ما في الأرحام سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ .

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ (34لقمان).

ظن بعض الناس أن العلم الحديث إستطاع أن يعلم ما في الأرحام وذلك بمعرفة جنس الجنين وحاشى لله أن يشاركه أحد في علم ما في الأرحام فإن (ما) في اللغة العربية أقوى من (من) فإن من لا تستعمل إلا في العاقل كما تقول (من يستقم يوفقه الله) ولكن ما تستعمل في العاقل وغير العاقل فما تشير إلى علم الله عَزَّوَجَلَّ بحياة الجنين أو موته وتفاصيل حياته ورزقه وأجله وسعادته أو شقاوته وسبب موته إلى آخر ذلك من الأشياء التي لا يصح الإخبار عنها بلفظة (من) والله أعلم .

8- القرآن محفوظ .

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ (9 الحجر).

خاطبني أحد النصارى متهكما على قول المسلمين بحفظ الله للقرآن وهو كتاب الله مع عدم حفظه للتوراة والإنجيل وهما أيضا من عند الله فلماذا لم يحفظ التوراة والإنجيل كما حفظ القرآن . ولقد وجدت الجواب في كتاب الله كما أشار إليه علماء المسلمين فقد قال قتادة وغيره "حفظه الله–القرآن– من أن تزيد فيه الشياطين باطلا أو تنقص منه حقا فتولى سبحانه حفظه فلم يزل محفوظا وقال في غيره : { بما استحفظوا } فوكل حفظه إليهم فبدلوا وغيروا " .

يشيرون إلى قوله سبحانه

إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَ (44 المائدة).

قال يحيى بن أكثم : كان للمأمون – وهو أمير إذ ذاك – مجلس نظر فدخل في جملة الناس رجل يهودي حسن الثوب حسن الوجه طيب الرائحة قال : فتكلم فأحسن الكلام والعبارة قال : فلما تقوض المجلس دعاء المأمون فقال له : إسرائيلي ؟ قال نعم قال له : أسلم حتى أفعل بك وأصنع ووعده فقال : ديني ودين آبائي ! وانصرف قال : فلما كان بعد سنة جاءنا مسلما قال : فتكلم على الفقه فأحسن الكلام فلما تقوض المجلس دعاه المأمون وقال : ألست صاحبنا بالأمس ؟ قال له : بلى قال : فما كان سبب إسلامك ؟ قال : انصرفت من حضرتك فأحببت أن أمتحن هذه الأديان وأنت تراني حسن الخط فعمدت إلى التوراة فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وأدخلتها الكنيسة فاشتريت مني وعمدت إلى الإنجيل فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وأدخلتها البيعة فاشتريت مني وعمدت إلى القرآن فعملت ثلاث نسخ وزدت ونقصت وأدخلتها الوراقين فتصفحوها فلما أن وجدوا فيها الزيادة والنقصان رموا بها فلم يشتروها فعلمت أن هذا كتاب محفوظ فكان هذا سبب إسلامي قال يحيى بن أكثم : فحججت تلك السنة فلقيت سفيان بن عيينة فذكرت له الخبر فقال لي : مصداق هذا في كتاب الله عز وجل قال قلت : في أي موضع ؟ قال : في قول الله تبارك وتعالى في التوراة والإنجيل : { بما استحفظوا من كتاب الله } (44 المائدة) فجعل حفظه إليهم فضاع وقال عز وجل : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) فحفظه الله عز وجل علينا فلم يضع . رواه القرطبي في تفسيره .

إنه كتاب الله العزيزالذي قال الله عَزَّ وَجَلَّ فيه

وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ * لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ (41،42 فصلت). والحمد لله رب العالمين .

8- حول مريم البتول رضي الله عنها .

قال الله ﷻ

وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ (116المائدة).

زعم أحد زعماء النصارى أن القرآن به أخطاء منها هذه الآية قال فإن جميع طوائف النصارى لم تقل إن مريم إله فكيف يقول القرآن إنها إله ؟

الحق أن النصارى جعلوا مريم إلها من حيث لا يشعرون لأن عيسى عليه السلام كان في بطنها فإن كان الإله في نظرهم خرج من بطنها فكيف تكون هي إذاً ؟! إذا كانت مريم أم للإله في زعمهم فكيف تكون هي ؟. إن الله قطع أعناق المشركين بآيات الإخلاص فقال

قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤

ولم يفقه ذلك الجاهل المكذب أن التوالد لا يكون إلا من جنس واحد فلم نر يوما أن بشرا تزوج حيوانا فأولد إنسانا مشكل إنها المشكلة أن هؤلاء لا يفهمون شيئا عن الله فضلت حياتهم وزاغت أحلامهم . والحمد لله رب العالمين .

9- المسيح ﷺ يشهد على النصارى .

قال الله ﷻ

وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ * مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدًا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ

فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ * إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ (166:188المائدة).

وفي هذه الآيات إشارات لطيفة أقتطف منها إشارتين

أولا : قال الله لعيسى عليه السلام (ءَأَنتَ قُلۡتَ) ولم يقل أقلت أنت فبدأه الله بالسؤال عن الشخص القائل بالشرك ولم يبدأه بالسؤال عن القول لأن الله يعلم أن الذي قال هذا الكلام هو واحد غير عيسى كبولس وغيره من المضللين فأراد الله أن يوبخ ويقرع النصارى فجعل عيسى عليه السلام يشهد على النصارى بالحق الذي تشككوا فيه وأعرضوا عنه وهذه الآية تشبه قول الله ﷻ للملائكة للمعبودين من دون الله وهم برآء

وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمۡ أَضۡلَلۡتُمۡ عِبَادِي هَٰٓؤُلَآءِ أَمۡ هُمۡ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ * قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعۡتَهُمۡ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكۡرَ وَكَانُواْ قَوۡمَۢا بُورٗا * فَقَدۡ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسۡتَطِيعُونَ صَرۡفٗا وَلَا نَصۡرٗاۚ وَمَن يَظۡلِم مِّنكُمۡ نُذِقۡهُ عَذَابٗا كَبِيرٗا (17:19 الفرقان).

فما أصعبه من موقف أن يشهد المعبود على العابد ويتبرأ منه في يوم تبلى فيه السرائر وتكشف فيه الستائر .

ثانيا : قال عيسى عليه السلام (وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ) ولم يقل إنك أنت الغفور الرحيم لأن هذا مقام تبدوا فيه عزة الله وحكمته لا مغفرته ورحمته لأن الله لا يغفر للمشركين ولأن مقام إقامة الحدود في الدنيا والعذاب في الآخرة يستلزم العزة والحكمة كما قال الله سبحانه

وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (38المائدة).

وهذا بخلاف مقام التوبة والإستغفار . والله أعلم والحمد لله رب العالمين .

شكرا يا أعداء القرآن

لعلك تستغرب هذا العنوان ولكنها حقيقة فأنا أشكر أعداء القرآن على ما قدموه للإسلام من مجهودات فإنهم ينفقون أموالهم ليصدوا عن ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون وكلما أساءوا للقرآن كلما زاد وعي المستمعين فذهبوا يتعرفون على هذا القرآن ويقرأونه فيسلمون وهل يريد المسلم أكثر من ذلك شيئا ، ويكفي أن أول طبعة للقرآن الكريم طبعها غير المسلمين كذا المعجم المفهرس لألفاظ القرآن والسنة وغير ذلك كثير ، ليس هذا فحسب بل إنه ما من بلد من بلاد الكفر إلا وفي جامعاتها أقسام للدراسات الإسلامية والإستشراق . ملايين بل مليارات الدولارات ينفقها أعداء التوحيد فيجلبون بها إلى التوحيد أتباعا وتضيع عليهم أموالهم. (أ)

إن فئاما من الناس يريدون أن يسيئوا فيحسنوا من حيث لا يشعرون .

جاء في إحصائية في الولايات المتحدة الأمريكية أن عدد الذين يدخلون الإسلام هناك بنسبة سبعة عشر شخصا كل يوم . (ب)

وقال العلامة الراحل الشيخ احمد ديدات ﵁ أن الإحصائيات تشير إلى ان 50% من سكان العالم في العام 2050 م سيكونون من المسلمين وهذا ناتج عن التطور الطبيعي في المواليد في مختلف أرجاء المعمورة .

الغرب كله اليوم يتجه إلى الإسلام فلقد مل العالم من ربق الشهوات وفساد القيم وانحلال الأخلاق وبدأ يسعى حثيثا وراء ما يشفي روحه ويثلج صدره ويذهب غمه ومهما فعل المضللون من محاولات يائسة لهدم القرآن والإسلام فلن يفلحوا أبدا كما قال الله ﷻ

يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ * هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ (التوبة32،33).

ومثل هؤلاء المجرمين كمعزة ترطم قرنيها بصخرة لتحطمها فتدمى وتموت وتبقى الصخرة كما هي كما قال الشاعر

كَنَاطِحٍ صَخْرَةً يَوْماً لِيُوهِنَهَا ... فَلَمْ يَضِرْهَا وَأَوْهى قَرْنَهُ الْوَعِلُ (ج)

. والحمد لله رب العالمين .

الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام

كان الناس على الإسلام والتوحيد بغير شرك ثم عبدوا الأصنام فأرسل الله الرسل لتذكير الناس بالتوحيد وإقامة الحجة عليهم وكان أول الرسل نوح ﷺ.

قال الله ﷻ

كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ (البقرة213).

قال ابن عباس رضي الله عنه كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين . (224)

وقال الله ﷻ

(أ) يجوب أنحاء العالم أكثر من 60,000 مبشرا صرح بهذا الشيخ ديدات رحمه الله فتأمل كم ينفقون في الصد عن سبيل الله ﷻ (ب) وهذه الإحصائية منذ سنين فكيف تكون الإحصائية اليوم . (ج) الوعل معز جبلية لها قرنان قويان منحنيان كسيفين أحدبين .

رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (165النساء).

أما عن تحديد عدد الرسل والانبياء فلم يثبت في كتاب أو سنة صحيحة .

قال الله ﷻ

إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا * وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا (163،164النساء).

ومنهم أولوا العزم وهم خمسة رسل محمد ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

التوحيد موضوع رسالة الرسل

قال الله ﷻ

وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ (25الأنبياء).

الفرق بين النبي والرسول

الرسول عبد اصطفاه الله ﷻ بالوحي وأرسله إلى مجموعة من الناس لتبليغ دعوة الله وأجرى على يديه معجزة أو معجزات واختصه الله وقومه بشريعة فيها أحكام خاصة بهم .

النبي عبد اصطفاه الله بالوحي وأرسله إلى مجموعة من الناس لتبليغ دعوة الله وأجرى على يديه معجزة أو معجزات ولم يختصه الله وقومه بشريعة فيها أحكام خاصة بهم بل جعلهم تابعين لشريعة الرسول الأقرب لهم زمنيا .

ومثال ذلك موسى ﷺ رسول وأما هارون ﷺ فهو نبي .

---

(224) صحيح رواه الطبري .

وأيضا إسماعيل رسول ﷺ وأما إسحاق فهو نبي ﷺ .

وكذلك رسل بني إسرائيل وأنبيائها عليهم جميعا صلوات الله وسلامه .

وللمرسلين أربع صفات مشهورة الصدق والأمانة والتبليغ والفطانة .

وهم معصومون من الذنوب ولا يستطيع الشيطان أن يتمثل في صورهم ولا أن يلقي على ألسنتهم ما لا يعلمون وقد ثبت بطلان قصة الغرانيق فمن شاء التأكد والتحقق فليراجع كتاب

(نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق) للعلامة المحدث الألباني رحمه الله.

ولا أعرف دينا يعظم الأنبياء ويعرف حقوقهم كالإسلام فاليهود يؤمنون أن سليمان وداود نبيان من أنبياء الله ولكن أنظر ماذا نسبوا إليهم من أفعال يتحرج المرء أن يذكرها فذكروا **مثلا** في العهد القديم كتابا كاملا يسمى (نشيد الأنشاد) يحكون فيه قصة حب مثيرة وغزل فاتن بين سليمان عليه السلام وامرأة اسمها شولميث وإن أصحاب الفطر السوية رجالا ونساءا يستحيون أن يقرأوا هذا الكلام فكيف يقال هذا الكلام في نبي من أنبياء الله معصوم من صغائرالذنوب وكبائرها ؟!

ومثال آخر : قولهم عن نبي الله لوط ﷺ أنه عرض على الذكور الزنى بابنتيه عندما جاء الملكان لتدمير قرية سدوم ففي العهد القديم بالنص قال لوط

(لِي ابْنَتَانِ عَذْرَاوَانِ أُخْرِجُهُمَا إِلَيْكُمْ فَافْعَلُوا بِهِمَا مَا يَحْلُو لَكُمْ ، أَمَّا هَذَانِ الرَّجُلاَنِ فَلاَ تُسِيئُوا إِلَيْهِمَا لأَنَّهُمَا لَجَآ إِلَى حِمَى مَنْزِلِي) . (سفر التكوين 8:19).

بل أشد من ذلك وأنكى أنهم قالوا بأن لوطا زنى بابنتيه الكبرى والصغرى وإني لأخجل أن أنقل كلامهم بنصه ولكن يكفي ما جاء في آخر القصة

(وَهَكَذَا حَمَلَتْ الابْنَتَانِ كِلْتَاهُمَا مِنْ أَبِيهِمَا. فَوَلَدَتِ الْكُبْرَى ابْناً دَعَتْهُ مُوآبَ (وَمَعْنَاهُ مِنَ الأَبِ)، وَهُوَ أَبُو الْمُوآبِيِّينَ إِلَى الْيَوْمِ، أَمَّا الصُّغْرَى فَوَلَدَتِ ابْناً وَدَعَتْهُ «بَنْ عَمِّي» (وَمَعْنَاهُ ابْنُ قَوْمِي) وَهُوَ أَبُو بَنِي عَمُّونَ إِلَى الْيَوْمِ) . (سفر التكوين 36:19،37،38).**

إذا كان هذا قولهم عن الانبياء فليس من الغريب أن ينسبوا لله الولد أو يصفونه بصفات النقص والعيب سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا .

والأنبياء كلهم جاءوا من نكاح صحيح ولا سفاح في نسب آباءهم ولا أمهاتهم ولكن من العجائب أن إنجيل متى يضع نسبا طويلا للمسيح ولم يذكر في هذا النسب أن المسيح ابن الله ومن أجداد المسيح رجل يسمى فارص وفارص هذا الذي ذكر إنجيل متى أنه جد للمسيح ابن زنا وذلك أنه جاء من طريق هتك أبيه (يهوذا)عرض امرأة ابنه (ثامار) كما هو مفصل في سفر التكوين (38 :6 – 30) كيف يكون هذا في نسب نبي لا نسب له أصلا ؟؟!!..

وجاء نسبة المسيح في الإنجيلين متى ولوقا إلى يوسف النجار الذى ذكر متى أنه زوج مريم البتول (متى1:19،24) وذلك مما يحتج به اليهود في إتهام مريم عليها السلام بالزنا

ثم يذكر إنجيل لوقا في آخر النسب فيقول بْنِ شِيتِ، بْنِ آدَمَ ابْنِ اللهِ. فالسؤال هنا كيف يكون المسيح ابن آدم وابن الله في آن واحد وإن كان يقصد أن آدم عليه السلام ابن الله أي عبد الله فإن البشر جميعا بهذا المعنى عباد الله ﷻ .

وصدق الله ﷻ إذ يقول

أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا (82النساء).

وكل الأنبياء عملوا في رعاية الغنم

(ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم) . فقال أصحابه وأنت ؟ فقال ﷺ :

(نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة).(225)

ومن كذب رسولا واحدا فقد كذب جميع الرسل بل وكفر بالله الذي أرسل كما قال الله ﷻ

كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ (105الشعراء).

وخيرهم سيد المرسلين وخاتم النبيين سيدنا محمد ﷺ لما ثبت عنه أنه قال

---

(225) رواه البخاري. ** ولن أخوض أكثر من هذا في الأكاذيب التي يرويها اليهود عن الانبياء وكثير منها موجود في بعض كتب التفاسير.

أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر . (226)

ولا نبي بعده قال ﷺ : لا نبي بعدي .(227)

وقد ذكرت في شرط الإسلام أن الإسلام ملة جميع الأنبياء والمرسلين .

ولن يقبل الله عز وجل عبدا لم يؤمن برسول الله ﷺ

قال ﷺ

والذي نفسي محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار .(228)

معجزات الرسول ﷺ

ومعجزات رسول الله محمد ﷺ كثيرة لا تعد ولا تحصى وأهمها وأعظمها الوحيان الكتاب والسنة قال ﷺ :

ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله

إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة . (229)

حين تنظر إلى حياة الأنبياء تجد أن الله أيد كل نبي بمعجزة تختص بعلم نبغ فيه قوم ذلك النبي فمثلا عيسى عليه السلام كان يقرأ ويكتب وكان متعلما وكان يستفيد ويتعلم كثيرا من زوج خالته زكريا عليه السلام وكان بنو إسرائيل نابغين في الطب فبعث الله فيهم عيسى عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه – سبق الكلام ان معنى روح الله أي روح من الروح التي خلقها الله وكلمة الله أي خلق بكلمة كن – فأيده الله بمعجزات إبراء الأكمه أي الاعمى والأبرص وهو المصاب بمرض جلدي

---

(225) رواه البخاري . (قراريط) جمع قيراط وهو جزء من النقد وقيل قراريط اسم موضع قرب جياد بمكة . (226) صحيح الترمذي وابن ماجة وغيرهما . (227) رواه مسلم والبخاري . (227) رواه مسلم والبخاري .(228) رواه مسلم .

وإحياء الموت كل ذلك بإذن الله وأنبأه الله وأوحى إليه عن طريق جبريل عليه السلام .

موسى عليه السلام كان يقرأ ويكتب وكان بنو إسرائيل نابغين في السحر في مصر فبعث الله ﷻ إليهم موسى عليه السلام بمعجزات كالعصا التي تحول إلى حية تسعى ويضرب بنفس العصا الحجر فينفجر منه اثنا عشر عينا ويضرب بنفس العصا البحر فينفلق ويكون له ومن معه طريق في البحر يبسا وهكذا .

أما النبي الخاتم ﷺ فإنه نشأ في بيئة كلها فصاحة وبلاغة وبيان واسواق تقام في مكة لإنشاد الشعر والأدب كعكاظ ومجنة وذي المجاز ولم يثبت عند أهل مكة كلهم أن رسول الله ﷺ أنشد في هذه الاسواق أو كان له تأثير بلاغي فيها بل ولم يرد في كتب السيرة النبوية ان محمدا رسول الله ﷺ كان يتحدث ببلاغة أو شعر قبل البعثة ولم يرد نص واحد يثبت عنه ذلك بل إنه كان إذا تمثل ببيت شعري مشهور فإنه غالبا ما يلحن فيه وعندما بعث الله نبيه ﷺ أيده بمعجزة القرآن الكريم الذي قصم ظهور الفصحاء وأعيى ألسنة البلغاء فلم يقدروا أن يتفوهوا بكلام يماثله ولو كانت سورة واحدة كسورة الكوثر .

ثم إنك إن تفحصت كلام رسول الله ﷺ وكان لك سبق وفهم في اللغة العربية لأدركت حقا أن أسلوب كلام القرآن لا يماثل كلام الرسول ﷺ ولا يقارن به مطلقا وليس هذا إنتقاصا من بلاغة الرسول ﷺ وإنما هو بيان للفرق بين كلام الرب وكلام الرسول ﷺ ومع هذا فإن الله ﷷ أعطى رسوله ﷺ البلاغة والفصاحة والبيان فصار يتكلم كلاما يعجز كبراء المتكلمين في العرب جميعا ان يتكلموا مثله وليس هذا إلا لإمداد الله لرسوله ﷺ بجوامع الكلم كما قال رسول الله ﷺ عن نفسه فضلت على الأنبياء بست أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون . (230)

---

(229) رواه البخاري ومسلم . وقد ذكرت بحمد الله كثيرا من المعجزات الباهرات في كتاب نور اليقين .

وإذا كان العرب قد عجزوا أن يقاربوا فصاحة وبلاغة النبي الأمي في كلامه هو فكيف بكلام الله سبحانه وتعالى .

الشيء الغريب أن غير المسلمين يتهمون رسول الله ﷺ بإتهامات تضحك فيقول بعضهم إن محمدا ﷺ هو الذي ألف القرآن ويتغافل هؤلاء عن أن العرب أنفسهم الذين هم أبلغ آلاف المرات من أعلم علماء اللغة اليوم لم يقدروا أن يأتوا بسورة من القرآن أو بسورة من مثله بل والجن أنفسهم عجزوا عن ذلك بل و أفصح العرب رسول الله محمد ﷺ أيضا لا يقدر على هذا لأن الله سبحانه وتعالى يقول

قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (88الإسراء).

ثم إن الذي يؤلف كتابا ينسبه لنفسه وكثيرا ما يسرق متطفلون كتبا ثم يضعون أسماءهم
عليها وينسبونها لأنفسهم فكيف يصل بهم الذكاء إلى أن يقولوا إن محمدا ألف القرآن ثم نسبه لغيره ؟!

كيف يكون الإيمان برسول الله ﷺ

رسول الله ﷺ أحرص الخلق على الأمة فهو أب لكل موحد من هذه الامة كما ذكر ذلك ابن كثير والقرطبي وغيرهما عند تفسير قول لوط لقومه (قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم) (78هود). قال القرطبي: إذ نبي القوم أب لهم . ويقوي هذا أن في قراءة ابن مسعود – قراءة شاذة – : (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم)

---

(230) رواه مسلم .

(أ) رواه البخاري ومسلم . (العاقب) الذي ليس بعده أحد من الأنبياء . ولم يثبت أن من أسمائه ﷺ طه أو يس وأسماء رسول الله توقيفية فلا يصح أن يسمى رسول الله بما لم يثبت في القرآن أو السنة . (ب) حسن رواه الترمذي وأحمد وغيرهما . (المقفي) قال شمر هو بمعنى العاقب

إذاً أبوة النبي ﷺ للموحدين إنما هي أبوة ولاية لا أبوة نسب وأبوة الولاية خير من أبوة النسب فإن الآباء في الآخرة يتخلون عن أبناءهم بل ويودون لو يفتدون من عذاب يومئذ ببنيهم فهذه الأبوة لا تنفع ولا تغني في الآخرة وأما أبوة رسول الله ﷺ للمؤمنين فهي أبوة نافعة في الدنيا والآخرة يومئذ تضيق الأحوال ودعاء الأنبياء والملائكة اللهم سلم سلم يومئذ يشفع رسول الله ﷺ وليس بعد هذه الأبوة أبوة ولا يتصور أن يجهل الإبن أباه .

فمن هو رسول الله ﷺ ؟

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قُصَيِّ بْنِ كِلاَبِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِلْيَاسِ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ .

إلى هنا معلوم الصحة وما فوق عدنان مختلف فيه ولا خلاف أن عدنان من ولد إسماعيل واسماعيل بن إبراهيم عليهما الصلاة والسلام .

قال رسول الله ﷺ

إن لي أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب . (أ)

وفي رواية (أنا محمد وأنا أحمد وأنا نبي الرحمة ونبي التوبة وأنا المقفي وأنا الحاشر ونبي الملاحم).(ب)

وفي رواية [نَبيُّ المَلْحَمَة] يعني نَبِيُّ القِتَال .(ج)

ولد في مكة المكرمة في يوم الإثنين من شهر ربيع الأول من عام الفيل قيل في الثاني من

شهر ربيع وقيل في الثامن وقيل في العاشر وقيل في الثاني عشر الموافق للعشرين أو الثاني

وقال ابن الأعرابي هو المتبع للأنبياء يقال قفوته أقفوه وقفيته أقفيه إذا اتبعته وقافيته كل شيء آخره . (ج) صحيح رواه أحمد .

والعشرين من إبريل عام 571 ميلادي .

ورسول الله محمد ﷺ دعوة إبراهيم ﷺ فلقد كان من دعاء إبراهيم عليه السلام

رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولاً مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَـٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ (129البقرة).

وهو ﷺ بشرى عيسى بن مريم ﷺ

وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأۡتِى مِنۢ بَعۡدِى ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُ (6الصف).

تزوج خديجة بنت خويلد رضي الله عنها وكان عمره خمس وعشرون سنة وعمرها أربعون سنة (كما في كتب السير) وبعثه الله ﷻ نبيا ورسولا ﷺ في الأربعين من عمره وقد أناله الله الشهادة كما رزقه النبوة فهو خير الشهداء وسيد الأنبياء ﷺ

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

لأن أحلف تسعا : أن رسول الله ﷺ قتل قتلا أحب إلي من أن أحلف واحدة أنه لم يقتل وذلك أن الله عز وجل جعله نبيا واتخذه شهيدا قال الأعمش فذكرت ذلك لإبراهيم فقال كانوا يرون ويقولون أن اليهود سموه وأبا بكر رضي الله عنه . (-)

ورسول الله ﷺ أحسن الناس أخلاقا وأجملهم خلقا وخليقة وأكرمهم بذلا وعطاء ويكفيك من تعديل الله ﷻ له قوله ﷻ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ (4القلم).

وصدق من قال

إذا نحنُ شَبَّهناكَ بالبدر طالعاً بَخَسناك حَظاً أنتَ أبهى وأجملُ

ونَظلمُ إنْ قِسْناك باللَّيث في الوغَى لأنّك أحمَى للحريمِ* وأبسَلُ

وقال العلامة محمد بدر الدين عفا الله عنه

ناديتك صحوا ومناما وصحبتك في القلب دواما

(-) صحيح رواه أحمد وعبد الرزاق وغيرهما .*الحريم (ما تحميه وتقاتل عنه كالحرم وأصله من حريم البئر وغيرها وهو ما حولها من حقوقها ومرافقها) . وهذان البيتان للمتنبي .

مذ كنت صبيا يغلبني وأذوب مع الدمع غراما
أخفيه عن عين ترمي في عين العشاق سهاما
وأخذت أدونه شعرا في الحب وما زلت غلاما
وسعدت به إذ فيه هواك وإن يك في القلب ضراما
واليوم وقد امعن شيبي واجتاز العمر الأعوام
أقبلت أسوق إليك الشوق صلاة تزجى وسلاما
وسعيت أبل ببرد الوصل ضلوعا حرا وأواما
يا روح الروح وأين الروح إذا لم ألقك أياما
في حبك أزداد حياة تتراوح وصلا وهياما
فالبعد يأجج لهفتها فتبيت تناجي الأحلاما
والوصل يكفكف دماعتها فتذوق العيش البسام
يا بسمة هذا الكون الحي ونورا فيه يترامى
يا رحمة ربي للأكوان تجلت منه إنعاما
يا حسن الحسن ومن للحسن سواك بهاء وسهاما
يا أحمد من وطيء الغبراء وأشرف من حج وصاما
وأجل الخلق لدى المولى جنا وملاكا وأناما
وشفيع الخلق غداة الحشر وهول راع الأقواما
جبريل هنالك مذعور والمحشر في ظمأ هاما
والناس تدور على الشفعاء وأفق اليأس بهم غاما
فتجير الكل وتدعو الله فتؤتى ما شئت مراما
وا حر فؤادي إن أترك في يوم يطوي الأعواما
أأسوق إلى بابك شعري وأخاف عذابا وملاما
وهواك إذا قدس قلبا قد صار على النار حراما
قدمت الشعر لأهديه في مدحك درا ونظاما
وقضيت العمر أردده طيفا من حبك حواما
دقات القلب له وزن يهفو من بحرك أنساما

ما لـي فيه إلا رقم جل في حبك أنـغاما

أنت المعنى إن حسن القول وصغت من الذل كلاما

من بحرك أبتار كلام ويجيء مديحك إلهاما

أملي أن تدعوني أشدو في الخلد بمدحك إكراما

والنـاس تقول أنال الله الشاعر حقا ما راما

وأنا أشدو وتقول أعد فأعيد سعيدا بساما

وأنال هدية إنشادي من ربك تاجا ووساما

يا رب فصلنا بالمختار وزده صلاة وسلاما

أزواج النبي ﷺ أمهات المؤمنين رضي الله عنهن جميعا وقاتل الله من سبهن

خديجة بنت خويلد – سودة بنت زمعة – عائشة بنت أبي بكر الصديق – حفصة بنت عمر بن الخطاب الفاروق – زينب بنت خزيمة – أم سلمة هند بنت أمية – زينب بنت جحش – جويرية بنت الحارث – أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان – صفية بنت حيي بن أخطب – ميمونة بنت الحارث .

سراري النبي ﷺ

مارية القبطية المصرية رضي الله عنها – ريحانة بنت زيد رضي الله عنها وقيل إنها من أزواجه ﷺ.

أولاد النبي ﷺ

القاسم – عبد الله – إبراهيم ويسمى الطيب والطاهر رضي الله عنهم ولدت خديجة القاسم وعبد الله ، وولدت مارية إبراهيم وماتوا جميعا صغارا .

بنات النبي ﷺ

زينب – رقية – أم كلثوم – فاطمة رضي الله عنهن .

بدء النور

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه – وهو التعبد – الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ قال (ما أنا بقارىء) . قال ﷺ

فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ قلت ما أنا بقارىء فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارىء فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال { اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم }) . فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال (زملوني زملوني) . فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة وأخبرها الخبر (لقد خشيت على نفسي) . فقالت خديجة كلا والله ما يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق .

فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة وكان امرءا تنصر في الجاهلية وكان يمتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمي فقالت له خديجة يا بن عم اسمع من ابن أخيك . فقال له ورقة يا بن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى فقاله له ورقة هذا الناموس الذي نزله الله به على موسى يا ليتني فيها جذع ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك فقال رسول الله ﷺ : (أومخرجي هم) ؟

قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي وإن يدركن ي يومك أنصرك نصرا مؤزرا . ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي . (231)

ولكن هل معنى الإيمان برسول الله ﷺ أن يحمل المسلم اسم محمد أو يسمي أبناءه محمدا أو أحمد ثم يزعم بعد ذلك أن أمة محمد بخير وأن الرسول ﷺ يشفع فيه وفي كل من سمي باسمه حتى ذاعت وشاعت مقولة غريبة في أوساط المسلمين تقول إن

---

(231) رواه البخاري ومسلم . (الصالحة) الصادقة وهي التي يجري في اليقظة ما يوافقها . (فلق الصبح) ضياؤه ونوره ويقال هذا في الشيء الواضح البين . (الخلاء) الانفراد . (بغار حراء) الغار هو النقب في الجبل وحراء اسم لجبل معروف في مكة . (ينزع) يرجع . (ما أنا بقارىء) لا أعرف القراءة ولا أحسنها . (فغطني) ضمني وعصرني حتى حبس نفسي ومثله غتني . (الجهد) غاية وسعي . (أرسلني) أطلقني . (علق) جمع علقة وهي المني بعد أن يتحول إلى دم غليظ متجمد والآيات المذكورة أول ما نزل من القرآن الكريم وهي أوائل سورة العلق . (يرجف فؤاده) يخفق قلبه ويتحرك بشدة . (زملوني) لفوني وغطوني . (الروع) الفزع . (ما يخزيك) لا يذلك ولا يضيعك . (لتصل الرحم) تكرم القرابة وتواسيهم . (تحمل الكل) تقو بشأن من لا يستقل بأمره ليتم وغيره وتتوسع بمن فيه ثقل وغلاظة . (تكسب المعودم) تتبرع بالمال لمن عدمه وتعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك . (تقري الضيف) تهيىء له القرى وهو ما يقدم للضيف من طعام وشراب . (نوائب الحق) النوائب جمع نائبة وهي ما ينزل بالإنسان من المهمات وأضيفت إلى الحق لأنها تكون في الحق والباطل . (تنصر) ترك عبادة الأوثان واعتنق النصرانية . (الناموس) هو صاحب السر والمراد جبريل عليه السلام سمي بذلك لاختصاصه بالوحي . (فيها) في حين ظهور نبوتك . (جذع) شاب والجذع في الأصل الصغير من البهائم ثم استعير للشاب من الإنسان . (يومك) يوم إخراجك أو يوم ظهور نبوتك وانتشار دينك . (مؤزرا) قويا من الأزر وهو القوة . (أومخرجي هم)** وفيه إشارة إلى سنة الله في إخراج المكذبين رسلهم من أرضهم كما قال الله سبحانه

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ رَبُّهُمۡ لَنُهۡلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ * وَلَنُسۡكِنَنَّكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ (13،14 إبراهيم). (ينشب) يلبث . (فتر الوحي) تأخر عن النزول مدة من الزمن .

من سمي باسم رسول الله ﷺ أو سمي باسم نبي من الأنبياء فإنه يدخل الجنة فتأمل كيف لبس الشيطان على عقول هؤلاء .

. ليس من المهم أن تكون أسماء المسلمين مطابقة لأسماء رسول الله ﷺ أو أصحابه فعمر بن الخطاب وعثمان وعلي – مثلا – كانت أسمائهم في الجاهلية هي أسمائهم في الإسلام لم يطرأ عليها تعديل أو تغيير .

إذاً المهم والأهم أن يؤمن المسلم كما آمن رسول الله ﷺ وصحبه إيمانا علميا وعمليا إيمانا يزيل الشكوك وينير القلوب ويغير مسار الحياة كلها من طريق التقليد والتبعية إلى طريق الوحي والربانية ، أن يتحرر المسلم من قيود الشهوات وأسر الخرافات باتباع النور وهجر الظلمات ، أن يدع المسلم لروحه الفرصة أن تسمو إلى معالي الدرجات وأن تهتم همته بما يصرف الآفات ويجلب الخيرات ويصلح البال ويحسن الحال هكذا يكون الإيمان برسول الله ﷺ .

لماذا لا يستجيب المسلم لما استجاب إليه رسول الله ﷺ وأصحابه من آيات هاديات شافيات كقول الله سبحانه وتعالى

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ (207البقرة).

أن يبيع المسلم نفسه لله فيتاجر مع الله عز وجل تجارة رابحة أيما ربحان كما قال الله سبحانه وتعالى

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (12:10الصف).

لماذا لا يخلع المسلم عن قلبه حجاب الغفلة فيفكر ويسأل نفسه لماذا خلقت ؟ ماذا بعد الحياة ونعيمها ؟ ماذا بعد الموت ؟ لماذا يبيع المسلم نفسه وماله لمجموعة من المضللين لا أقدام لكذبهم وتضليلهم كوسائل الإعلام المفسدة والغرب الذي يمثل الوجه الكالح للكفر والشرك وهؤلاء يقودون إلى الضنك في الدنيا والنار في الآخرة لماذا يصنع المسلم هذا ويستبدل الأدنى بالذي هو خير لماذا يصر المسلم على الحياة بلا هدف ويدع الحياة الهادفة . حقا إنه شيء محير .

يقول الله ﷻ

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورًا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (28الحديد).

ذكر محمد رسول الله ﷺ في كتب أهل الكتاب

قال الله ﷻ

يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَـٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ (15المائدة).

جاء ذكر رسول الله محمد ﷺ في التوراة الإنجيل المحرفتين وهذا من العجائب التي أذهلت كثيرا من أحبارهم ورهبانهم فأسلم كثير منهم فمثلا

جاء في سفر التثنية (الإصحاح 33–2) : (أَقْبَلَ الرَّبُّ – أي أمر الرب بالرسول – مِنْ سِينَاءَ، وَأَشْرَفَ عَلَيْهِمْ مِنْ سَعِيرَ، وَتَأَلَّقَ فِي جَبَلِ فَارَانَ) وسيناء هي الموضع الذي كلم الله عز وجل فيه موسى ﷺ , وساعير الموضع الذي أوحى الله ﷻ فيه لعيسى ﷺ بفلسطين , وفاران هي جبال مكة , حيث أوحى الله لمحمد ﷺ وجبال فاران تشير إلى مكة ولا خلاف في ذلك لما ثبت في سفر التكوين من العهد القديم عن إسماعيل ﷺ

(وَسَمِعَ اللهُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَنَادَى مَلاَكُ اللهِ هَاجَرَ مِنَ السَّمَاءِ وَقَالَ لَهَا: «مَا الَّذِي يُزْعِجُكِ يَاهَاجَرُ؟ لاَ تَخَافِي، لأَنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ بُكَاءَ الصَّبِيِّ مِنْ حَيْثُ هُوَ مُلْقًى. قُومِي وَاحْمِلِي الصَّبِيَّ، وَتَشَبَّثِي بِهِ لأَنَّنِي سَأَجْعَلُهُ أُمَّةً عَظِيمَةً». ثُمَّ فَتَحَ عَيْنَيْهَا فَأَبْصَرَتْ بِئْرَ مَاءٍ، فَذَهَبَتْ وَمَلأَتِ الْقِرْبَةَ وَسَقَتِ الصَّبِيَّ. وَكَانَ اللهُ مَعَ الصَّبِيِّ فَكَبُرَ، وَسَكَنَ فِي صَحْرَ اءِ فَارَانَ)

(سفر التكوين 21− 17،18،19،20).

وفي سفر التثنية أيضا أن الله ﷻ أوحى إلى موسى ﷺ أن قل لبني إسرائيل (أُقِيمُ لَهُمْ نَبِيّاً مِنْ بَيْنِ إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ، وَأَضَعُ كَلاَمِي فِي فَمِهِ، فَيُخَاطِبُهُمْ بِكُلِّ مَا آمُرُهُ بِهِ).

(سفر التثنية الإصحاح 18−19،18).

فرسول الله محمد ﷺ مثل موسى عليه السلام كان زعيما في قومه وجاء بتشريع جديد وتزوج ومات ميتة طبيعية ودفن في قبر فموسى عليه السلام أشبه بمحمد ﷺ منه من عيسى عليه السلام .

وورد في التوراة أنه لن يخرج في بني إسرائيل أي نبي يشابه موسى: وَلَمْ يَظْهَرْ بَعْدُ نَبِيٌّ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مِثْلُ مُوسَى، الَّذِي خَاطَبَهُ الرَّبُّ وَجْهاً لِوَجْهٍ(سفر التثنية 34 : 10) و هذا دليل آخر على أن أشبه الناس بموسى هو محمد لأن محمد من نسب إسماعيل أبي العرب وعيسى من نسب إسحاق بن يعقوب الذي يسمى إسرائيل فهو من بني إسرائيل .

وقد صف الرسول ﷺ في سفر أشعيا

(إن علامة سلطانه على كتفه بقدر بيضة الحمام) ذكره الشيخ الزنداني حفظه الله .

وثبت أن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال عن الرسول ﷺ

---

(232) رواه مسلم . * هو قدّيس من قدّيسي النصارى بإتفاقهم. ورسول من رسلهم وركن من الأركان التى قامت عليها الدعاية المسيحية الأولى. و قد وجد إنجيل بإسمه يدل على أنّه كان من الحواريين الذين إختصّهم عيسى عليه السلام بالزلفى إليه. و التقرب منه (بل وجاء في دائرة المعارف الفرنسية أن برنابا حواري وأحد تلامذة المسيح و أنصاره عليه السلام . اهـ) ...

رأيت الخاتم (أي خاتم النبوة)عند كتفه مثل بيضة الحمامة . (232)

وجاء في إنجيل يوحنا يقول عيسى ﷺ

(رحيلي فائدة لكم لأنني إذا لم أرحل فإن الـparaclete لن يأتي إليكم – إلى أن قال– وهو بمجيئه سيذهل العالم فيما يخص الخطيئة والعدل والحكم) (يوحنا7–16،8).

وباراكليت معناها المرشد وأحمد أو الشخص المحمود باللغة اليونانية ومعناها باللغة الإنجليزية الشفيع والناصح (الأمين) ومعاني أخرى.

ثم يقول في (يوحنا15،26) (وهو نفسه– أي الباراكليت– سيشهد بي) .

وجاء في إنجيل برنابا* الذي ينكره النصارى (فلمّا انتصب آدم على قدميه. رأى فى الهواء كتابة تتألق كالشمس نصّها { لا إله إلا الله و محمد رسول الله }. ففتح آدم حينئذ فاه و قال: أشكرك أيها الرب إلهى لأنك تفضّلت فخلقتنى. و لكن أضرع إليك أن تنبئنى ما معنى هذه الكلمات { محمد رسول الله } ؟ فأجاب الله: مرحبا بك يا عبدى يا آدم. و إنّى أقول لك إنك أول إنسان خلقت. وهذا الذى رأيته هو إبنك الذى سيأتى إلى العالم بعد الآن بسنين عديدة)

وجاء في الباب 220 من إنجيل برنابا ما نصه

فلما كان الناس قد دعوني الله وابن الله على أني كنت بريئا في العالم اراد الله أن يهزأ الناس بي في هذا العالم بموت يهوذا– الرجل الذي صلب وهو شبيه المسيح – معتقدين أنني أنا الذي مت على الصليب لكيلا تهزأ الشياطين بي في يوم الدينونة ، وسيبقى هذا إلى أن يأتي محمد رسول الله ﷺ الذي متى جاء كشف هذا الخداع للذين يؤمنون بشريعة الله) .

... إتفق المؤرخون على أن أقدم نسخة عثروا عليها لهذا الإنجيل، نسخة مكتوبة باللغة الإيطالية، عثر عليها كريمر أحد مستشارى ملك بروسيا، و ذلك فى سنة 1709. و قد انتقلت النسخة مع بقية مكتبة ذلك المستشار فى سنة 1738 إلى البلاط الملكى بفينّا. و كانت تلك النسخة هى الأصل لكل نسخ هذا الإنجيل فى اللغات التى ترجم إليها .

و فى أوائل القرن الثامن عشر، و جدت نسخة أسبانية

وصدق البوصيري حين قال

بُشرَى لنا مَعشَرَ الاسلامِ إنَّ لنا   مِنَ العِنَايَةِ رُكنَاً غيرَ منهَدِمِ
لمَّا دَعَى اللهُ داعينا لطاعَتِهِ   بأكرمِ الرُّسْلِ كُنَّا أكرَمَ الأُمَمِ
محمد صفوة الباري وخيرته   محمد طاهر من سائر التهم
مُنَزَّهٌ عن شريكٍ في محاسِنِهِ   فجَوهَرُ الحُسنِ فيه غيرُ منقَسِمِ
فَهْوَ الذي تَمَّ معناهُ وصورَتُهُ   ثم اصطفاهُ حبيباً بارِيءُ النَّسَمِ
جاءت لِدَعوَتِهِ الأشجارُ ساجِدَةً   تمشِي إليه على ساقٍ بلا قَدَمِ
محمد أشرف الأعراب والعجم   محمد خير من يمشي على قدم
محمد باسط المعروف جامعه   محمد صاحب الإحسان والكرم
محمد تاج رسل الله قاطبة   محمد صادق الأقوال والكلم
محمد ثابت الميثاق حافظه   محمد طيب الأخلاق والشيم
محمد دينه حق ندين به   محمد مجملا حقا على علم
محمد ذكره روح لأنفسنا   محمد شكره فرض على الأمم
محمد سيد طابت مناقبه   محمد صاغه الرحمن بالنعم
محمد ضاحك للضيف مكرمه   محمد جاره والله لم يضم
محمد طابت الدنيا ببعثته   محمد جاء بالآيات والحكم
محمد يوم بعث الناس شافعنا   محمد نوره الهادي من الظلم
محمد قائم لله ذو همم   محمد خاتم للرسل كلهم

المسيح ﷺ عبد الله[1] ورسوله كما في كتب أهل الكتاب

قال الله سبحانه وتعالى

و لقد رجّح المحققون أن النسخة الإيطالية هى الأصل للنسخة الأسبانية، و ذلك أنها قدمت بمقدمة تذكر أن الذى كشف النقاب عن النسخة الأسبانية راهب لاتينى إسمه فرامينو الذى قص قصته فقال (أنه عثر على رسائل لإيريانوس و فيها رسالة يندد فيها بما كتبه بولس الرسول، و يسند تنديده إلى ما جاء فى إنجيل برنابا. فدفعه حب الإستطلاع إلى البحث عن إنجيل برنابا. و قد وصل إلى مبتغاه لمّا صار أحد المقربين من البابا سكتس الخامس، و عثر على ذلك الأنجيل فى مكتبة هذا البابا، فأخفاه بين أردانه و خرج به. ثم اعتنق الإسلام بعد قراءته) و يظهر أن تلك النسخة هى نفس النسخة التى عثر عليها سنة 1709 .

مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ * قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ (المائدة75،76).

1- عندما جاء أحد الكتبة وسأل المسيح عليه السلام قائلا أَيَّةُ وَصِيَّةٍ هِيَ أُولَى الْوَصَايَا جَمِيعاً؟» فَأَجَابَهُ يَسُوعُ: «أُولَى الْوَصَايَا جَمِيعاً هِيَ: اسْمَعْ يَاإِسْرَائِيلُ، الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ فَأَحِبَّ الرَّبَّ إِلهَكَ بِكُلِّ قَلْبِكَ وَبِكُلِّ نَفْسِكَ وَبِكُلِّ فِكْرِكَ وَبِكُلِّ قُوَّتِكَ. هَذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الأُولَى.(مرقص 12 : 28-34).

2- من أقوال المسيح عليه السلام : " ما جئت لأنقض بل لأكمل "(إنجيل متى الإصحاح 5 : 17). أي أن الهدف من بعثته هو إتمام ما سبق من الشرائع كغيره من الأنبياء .

3- " يسوع الناصري الذي كان إنسانًا نبياً مقتدراً في الفعل والقول "(إنجيل لوقا 24 : 19).

4- من أقوال المسيح عليه السلام : -" الآب الذي أرسلني "(إنجيل يوحنا 5 : 30). أطلق لفظ الأب على غير المفهوم الجسمي المتداول بين الناس في مواضع منها :-

5- اقال يوسف عليه السلام عن الله عز وجل " وهو قد جعلني أباً لفرعون " . (سفر التكوين 45 : 8).

6- قال أيوب عليه السلام " أب أنا للفقراء " (سفر أيوب 29 : 16).

7- عندما أبرأ المسيح عليه السلام عينا رجل ضرير بإذن الله سأل الفريسيون هذا الضرير بعدما شفي «وَمَا رَأْيُكَ أَنْتَ فِيهِ مَادَامَ قَدْ فَتَحَ عَيْنَيْكَ؟» فَأَجَابَهُمْ: «إِنَّهُ نَبِيٌّ!» " (إنجيل يوحنا 9 : 17).

8-من أقوال المسيح عليه السلام:-" الذي يؤمن بي ليس يؤمن بي بل بالذي أرسلني" . (إنجيل يوحنا 12 : 44) .

9- وَالْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ هِيَ أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ الْحَقَّ وَحْدَكَ، وَالَّذِي أَرْسَلْتَهُ: يَسُوعَ الْمَسِيحَ. .(يوحنا 17:3).

9- قال المسيح عليه السلام : " الآب الذي أرسلني هو أعطاني وصية ماذا أقول وبماذا أتكلم " (إنجيل يوحنا الإصحاح 12 : 49).

10- قال المسيح عليه السلام : "وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر". (إنجيل يوحنا 14 : 16).

ألا تدل "معزي آخر" على تشابهه مع المسيح عليه السلام أي أنه نبي آخر ؟ وإلا فمن المعزي الأول ؟

11- قال المسيح عليه السلام : "والكلام الذي تسمعونه ليس لي بل للآب الذي أرسلني" (إنجيل يوحنا الإصحاح 14 : 24) . فهو كسائر رسل الله سبحانه وتعالى ينقل رسالة الله سبحانه وتعالى للبشر ولا شيء من عنده .

12- قال المسيح عليه السلام : " أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته " (إنجيل يوحنا الإصحاح 17 : 3). يسوع رسول من عند الله سبحانه وتعالى أما كلمة المسيح فتعني تعيين شخص لأداء مهمة كما في (صموئيل الثاني الإصحاح 2 : 4 & 7)

مسح الله سبحانه وتعالى آخرين كما جاء في (المزمور 89 : 20) "وجدت داود عبدي بدهن قدسي مسحته ".

13- قال المسيح عليه السلام:" مملكتي ليست من هذا العالم " .(إنجيل يوحنا الإصحاح 18: 33- 36)

14- فَقَالَ – المسيح عليه السلام – لَهَا (لمريم المجدلية): «لاَ تُمْسِكِي بِي! فَإِنِّي لَمْ أَصْعَدْ بَعْدُ إِلَى الآبِ، بَلِ اذْهَبِي إِلَى إِخْوَتِي وَقُولِي لَهُمْ: إِنِّي سَأَصْعَدُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ، وَإِلهِي وَإِلهِكُمْ!» ذلك لأن أنبياء الله سبحانه وتعالى لا تهمهم الدنيا بل رضا الله والآخرة . (يوحنا 20:17).

شهادات على توحيد الله سبحانه وتعالى من كتب أهل الكتاب

1- يقول الرب «أَنَا هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ، وَلاَ إِلَهَ غَيْرِي.(سفر اشعياء الإصحاح 44 : 6).

2- " أن الرب هو الإله . ليس آخر سواه " . (سفر التثنية 4 : 35).

3- " إله الدهر الرب خالق أطراف الأرض لا يكل ولا يعيا " (سفر إشعياء 40 : 28).

أما المسيح عليه السلام فكان يتعب كما في إنجيل يوحنا الإصحاح 4 : 6 " كان يسوع قد تعب من السفر ".

4- قال الرب " أنا الرب صانع كل شيء " (سفر إشعياء 44 : 24).

وفي سفر إشعياء 45 : 5 "أنا الرب وليس آخر. لا إله سواي " .

5- قال المسيح عليه السلام" ألست أنت منذ الأزل يا ربُّ إلهي قدوسي لا تموت " (سفر حبقوق 1 : 12)

وجاء في (رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس الإصحاح 6 : 16) عن الرب سبحانه " الذي وحده له عدم الموت ".

فالله سبحانه وتعالى حي لا يموت أما المسيح عليه السلام فقد كان ميتا كما قال عن نفسه :

"وكنت ميتاً وها أنا حي " (رؤيا يوحنا الإصحاح 1 : 18).

6- قال المسيح عليه السلام": " تحب الرب إلهك من كل قلبك .....هذه هي الوصية الأولى والعظمى" (إنجيل متى الإصحاح 22 : 37 - 38).

7- " اسْجُدُوا لِمَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَالْيَنَابِيعَ " (رؤيا 14:7).أي سجدوا لله وحده.

8- " سيكونون كهنةً لله والمسيح " (رؤيا يوحنا الإصحاح 20 : 6).

تدل على أن الله سبحانه وتعالى والمسيح عليه السلام منفصلان .

9- " الرب إلهنا رب واحد " . (سفر التثنية الإصحاح 6 : 4).

الرسول القدوة صلى الله عليه وسلم

لماذا أعرض المشركون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يؤمنوا به ؟

يقولون كيف يرسل الله رسولا بشرا كما قال الله سبحانه وتعالى

وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولاً (94الإسراء).

مع إن القائلين هذا الكلام هم أنفسهم الذين كانوا يعبدون إلها حجرا فتأمل تناقضهم يرفضون أن يرسل الله رسولا بشرا ويعبدون إلها حجرا . ثم إن الله ﷻ رد حجتهم الواهية فقال

قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولاً (95الإسراء).

وكان من كلامهم الذين يجادلون به رسول الله ﷺ أن قالوا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٌ (8الأنعام).

إن الملائكة لا تنزل بظهور إلا بالحق عند الموت وإهلاك القرى الظالمة فإذا كان ذلك كذلك فما الداعي لنزولهم ثم إن الإيمان بالملائكة من أركان الإيمان فإذا نزلت الملائكة وظهرت فما معنى الإيمان بالغيب ساعة إذ ؟! قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ * وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلاً وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ (8،9الأنعام).

حقا إن الكفر ليس له رجل يمشي عليها وليس له يد يبطش بها ولا عقل يفكر به إنه الكبر ولهذا قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ وَعَتَوۡ عُتُوًّا كَبِيرًا * يَوۡمَ يَرَوۡنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشۡرَىٰ يَوۡمَئِذٍ لِّلۡمُجۡرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجۡرًا مَّحۡجُورًا (21،22الفرقان).

وكان من حججهم الداحضة قولهم

لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ (31الزخرف)

لماذا يستكثرون على سيدنا محمد ﷺ أن يكون رسولا وهم الذين كانوا يلقبونه بالصادق الأمين ويضعون عنده أماناتهم

وأعجبني كثيرا قول أحد المستشرقين – يقول للنصارى– إنكم لا تصدقون أن محمدا رسول ﷺ ولكن هل تصدقون أن محمدا عربي . يريد بذلك إعجاز القرآن وتفرده في اللغة العربية التي أعجزت كل العرب في عصر الفصاحة والبلاغة عندما تحداهم الله أن يأتوا بمثل القرآن أو عشر سور من مثله أو سورة مثله أو سورة من مثله فلم يستطيعوا فضلا عن غيرهم .

ولهذا أجاب الله عليهم قائلا

أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (32الزخرف).

الكفر له طرق جدل كثيرة وكلها واهية مردودة والحمد لله رب العالمين . ولكن الداعي للكلام هنا عن هذه الحجج أن الرسول ﷺ أرسله الله سبحانه ليقيم به الحجة على العالمين فهو بشر مثل البشر يوحى إليه كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ (110الكهف).

فعندما يقال لأحد الناس لماذا لا تصلي فقد يقول شغلني عملي وزوجي وأولادي فلو كان الرسول ملكا لعذرت هذا القائل ولكن الله سبحانه جعل رسوله ﷺ بشرا يأكل كما يأكل البشر ويتزوج كما يتزوج البشر ويمشي في الأسواق ، كان له من الزوجات تسع زوجات وأمتان (وبلغ عدد غزواته التي غزاها في ثلاث وعشرين سنة إحدى وعشرين غزوة) .(233)

ومع ذلك لم يشغله هذا كله عن الصلاة وأدائها لا أقول في جماعة وإنما إماما للمسلمين .

---

(233) رواه مسلم .

فوجب على كل مسلم إتباع رسول الله ﷺ والعمل بكتاب الله فإن الله قال لرسوله ﷺ

كِتَـٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (2الأعراف).

ثم قال الله ﷻ في عقبها

ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (3الأعراف).

إذاً القرآن أنزل إلى الرسول ﷺ وإلينا وأنزل عليه وعلينا فكما وجب على رسول الله ﷺ تحكيم كتاب الله والعمل به وجب ذلك علينا نحن أيضا .

وصدق الله ﷻ إذ يقول

لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا (21الأحزاب).

ولقد ثبتت الشفاعة لرسول الله ﷺ .

كما قال الله ﷻ

وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا (79الإسراء).

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ تلا قول الله عز وجل في إبراهيم { رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فإنه مني } [إبراهيم 36] الآية وقال عيسى عليه السلام إن تعذبهم فإنهم عبادك و إن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم [المائدة118] فرفع يديه وقال اللهم أمتي أمتي وبكى فقال الله عز وجل يا جبريل اذهب إلى محمد وربك أعلم فسله ما يبكيك ؟ فأتاه جبريل عليه الصلاة

---

(234) رواه مسلم.

والسلام فسأله فأخبره رسول الله ﷺ بما قال وهو أعلم فقال الله يا جبريل اذهب إلى محمد فقل إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك . (234)

(وقال عيسى) قال القاضي عياض قال بعضهم قال هو اسم للقول لا فعل يقال قال قولا وقالا وقيلا كأنه قال وتلا قول عيسى (إنا سنرضيك) هذا موافق لقول الله عز وجل ولسوف

يعطيك ربك فترضى) .

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : صلى رسول الله ﷺ ليلة فقرأ بآية حتى أصبح يركع بها ويسجد بها

{ إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم } فلما أصبح قلت يا رسول الله ما زلت تقرأ هذه الآية حتى أصبحت تركع بها وتسجد بها قال إني سألت ربي عز وجل الشفاعة لأمتي فأعطانيها وهى نائلة إن شاء الله لمن لا يشرك بالله عز وجل شيئا . (235)

وقال رسول الله ﷺ :

من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمد الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة (236).

وقال ﷺ لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا (237)

وقال ﷺ شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي . (238)

عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

يجمع الله الناس يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا فيأتون آدم فيقولون أنت الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة

---

(235) حديث حسن رواه أحمد وابن أبي شيبة وغيرهما . (236) رواه البخاري. (237) رواه مسلم. (238)صحيح رواه أبو داود وغيره .(239) رواه البخاري ومسلم .

فسجدوا لك فاشفع لنا عند ربنا .فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته ويقول ائتوا نوحا أول رسول بعثه الله فيأتونه فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته ائتوا إبراهيم الذي اتخذه الله خليلا فيأتونه فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته ائتوا موسى الذي كلمه الله فيأتونه فيقول لست هناكم فيذكر خطيئته ائتوا عيسى فيأتونه فيقول لست هناكم ائتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتوني فأستأذن على ربي فإذا رأيته وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله ثم يقال لي ارفع رأسك سل تعطه وقل يسمع واشفع تشفع فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمني ثم أشفع فيحد لي حدا ثم أخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ثم أعود فأقع ساجدا مثله في الثالثة أو الرابعة حتى ما يبقى في النار إلا من حبسه القرآن .(وكان قتادة يقول عند هذا أي وجب عليه الخلو د).(239)

ورحم الله البوصيري إذ يقول

يا نَفْسُ لا تَقنَطِي مِن زَلَّةٍ عَظُمَتْ ... اِنَّ الكَبَائِرَ في الغُفرَانِ كاللَّمَمِ

لعَلَّ رَحمَةَ رَبِّي حينَ يَقسِمُهَا ... تَأتِي على حَسَبِ العِصيَانِ في القِسَمِ

يا رَبِّ واجعَلْ رجائِي غيرَ مُنعَكِسٍ ... لَدَيْكَ واجعلْ حِسَابِي غيرَ مُنخَرِمِ

والطُفْ بعَبدِكَ في الدَّارَينِ اِنَّ لَهُ ... صَبراً مَتَى تَدعُهُ الأهوالُ ينهَزِمِ

وائذَنْ لِسُحْبِ صلاةٍ منك دائِمَةٍ ... على النبِيِّ بِمُنْهَلّ(أ) ومُنسَجِم(ب)

ما رَنَّحَتْ عَذَبَاتِ(ج) البَانِ(د) رَيحُ صَبَا ... وأَطرَبَ العِيسَ(هـ) حادِي العِيسِ (و) بالنَّغَمِ

ثُمَّ الرِّضَا عَن أبي بَكرٍ وعَن عُمَرَ ... وعَن عَلِيٍّ وعَن عثمانَ ذِي الكَرَمِ

والآلِ والصَّحبِ ثُمَّ التَّابِعِينَ فَهُمْ ... أهلُ التُّقَى والنَّقَى والحِلْمِ والكَرَمِ

الإيمان باليوم الآخر

قال الله ﷻ

يَـٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَـٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَـٰعٌ وَإِنَّ ٱلۡأَٓخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ * مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا ۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٌ فَأُوْلَـٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٍ (39،40غافر).

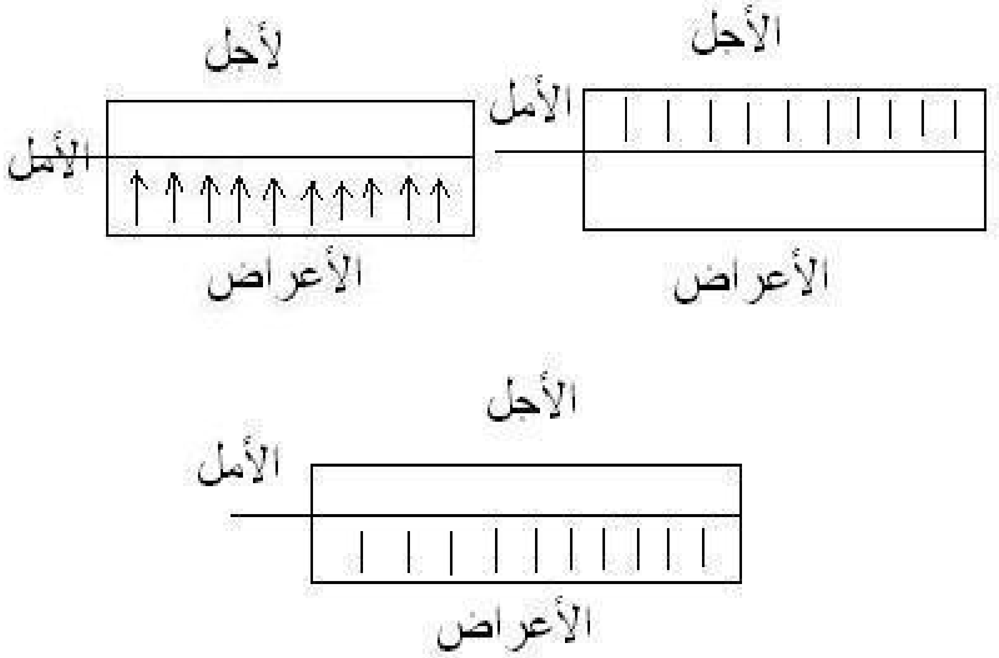
الدار الآخرة أول منازلها الموت كما قيل من وافته منيته فقد قامت قيامته وعند الموت يأتيك الخبر بالخير أو بالشر وعند الإحتضار يؤمن الكافر ويوقن الفاجر ويصدق الكاذب فالموت هو اليقين الذي لا ريب فيه فعلام يطيل المرء أمله في الدنيا وهو يعلم يقينا أنه راحل عنها ولهذا خط النبي صلى الله عليه وسلم خطا مربعا وخط خطا في الوسط خارجا منه وخط خططا صغارا إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط وقال (هذا الإنسان وهذا أجله محيط به – أو قد أحاط به – وهذا الذي هو خارج أمله وهذه الخطط الصغار الأعراض فإن أخطأه هذا نهشه هذا وإن أخطأه هذا نهشه هذا . (240) قال النووي رحمه الله وهذه صورته (انظر رسم توضيحي رقم 1)

(أ)المَنْهَلُ كُلُّ ماءٍ على الطَّرِيقِ . (ب)مُنسَجِم يقال انسجم الماء فهو منسجم انصب وأسجمت السحابة دام مطرها. (ج) عَذَبَاتِ أغصان الشجر . (د) رَنَّحَتْ تمايلت . (ه) البان ضرْب من الشجر .

(و)العِيسُ بالكسر الإبل البيض التي يُخالط بياضها شيء من الشُقرة .

(240)رواه البخاري . (مربعا) شكلا ذا أضلاع أربع متساوي الزوايا . (خارجا منه) ممتدا إلى خارجه . (الأعراض) الآفات التي تعرض له من مرض وشغل وآخرها الموت . (أخطأه) لم يصبه . (نهشه) أصابه والنهش أخذ الشيء بمقدم الأسنان . (241)رواه البخاري .

رسم توضيحي رقم 1



وصدق من قال

يا من بدنياه اشتغل   وغره طول الامل

الموت يأتي بغتة   والقبر صندوق العمل

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال

أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل) . وكان ابن عمر يقول إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك .(241)

ولله در من قال

أيها الشامت المعير بالشي ... ب أقلن بالشباب افتخارا

قد لبست الشباب غضاً طريا ... فوجدت الشباب ثوباً معارا

وقالوا : ودع حبيب القلب يوم المولد ....   أو أنت تدري هل يعيش إلى غد

وقال لَبيدٌ رضي الله عنه فيما نسب إليه

تُبَكِّي على إثْرِ الشَّبابِ الّذي مَضى   ألا إنَّ إخوانَ الشَّبابِ الرَّعارِعُ*

أَتجزَعُ ممّا أَحدَثَ الدَّهْرُ   بالفتى   وأَيُّ كريمٍ لمْ تُصبِهُ القَوارِعُ

وما المالُ والأَهلونَ إلاّ وَديعَةٌ ولا بُدَّ يوماً أَنْ تُرَدَّ الوَدائعُ

فيَمضونَ أَرْسالاً ونَخْلُفُ بعدَهُم كما ضَمَّ أُخرى التّالياتِ المُشايِعُ

فالمؤمن يعيش في شغل بطاعة الله في الدنيا حتى يصل إلى الجنات حيث الشغل بالنعيم ولهذا قال رسول الله ﷺ لرجل و هو يعظه : اغتنم خمسا قبل خمس : شبابك قبل هرمك و صحتك قبل سقمك و غناك قبل فقرك و فراغك قبل شغلك و حياتك قبل موتك .(242) وصدق من قال

إنَّا لنفرحُ بالأيام نقطعها وكل يوم مضى جزءٌ من العمرِ

إنك إن أحببت فعل شيء وتعلقت به كثيرا فإنه يصعب عليك أن تتركه أو تفقده فهكذا الدنيا تصنع مع من يتعلق بها

فلو كانت الدنيا تبقى لأهلها ... لكان رسول الله – ﷺ – حيا وباقيا

لكنها تفنى ويفنى نعيمها ... وتبقى الذنوب والمعاصي كما هي

لهذا كان الموت حسرة على الفجار الذين عاشوا مستمسكين بالدنيا وما فيها وأما الأبرار الذين عاشوا وقلوبهم فارغة من حب الدنيا ومتعلقة آمالهم بالجنة ورؤية الله ورضاه فهؤلاء يكون الموت رحمة لهم كما قيل

لا تظنوا الموت موتا إنه ... لحياة هي غايات المنى

لا ترعكم فجأة الموت فما ... هي إلا نقلة من ههنا

وقال النبي صلى الله عليه وسلم :

(من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه)

قالت عائشة أو بعض أزواجه إنا لنكره الموت قال (ليس ذاك ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته فليس شيء أحب إليه مما أمامه فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه وإن الكافر إذا حضر بشر بعذاب الله وعقوبته فليس شيء أكره إليه مما أمامه فكره لقاء الله وكره الله لقاءه .(243)

وعند ساعة الإحتضار يكون هذا حال الكافرين كما قال الله ﷻ

---

* (الرعارع) يقال للغُلام إذا شَبَّ واسْتَوَت قامَتُه رَعْراعٌ ورَعْرَعٌ (المُشايِعُ) اللاّحِقُ .

(242) صحيح رواه الحاكم واحمد وغيرهما .

وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۙ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَـٰرَهُمۡ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ * ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ (الأنفال50،51). [1]

وأما المؤمنون فقد قال الله ﷻ

إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمۡ تُوعَدُونَ * نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِى ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِى ٱلۡأَخِرَةِ ۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِىٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلاً مِّنۡ غَفُورٍ رَّحِيمٍ (فصلت30:32).

مصيبة المصائب (موت رسول الله ﷺ)

مرض رسول الله ﷺ وجعه الذي توفي فيه في العام العاشر من الهجرة بعد عودته من حجة الوداع وخرج علي بن أبي طالب رضي الله عنه من عند رسول الله ﷺ فقال الناس يا أبا الحسن كيف أصبح رسول الله ﷺ ؟ فقال أصبح بحمد الله بارئا فأخذ بيده عباس بن عبد المطلب فقال له والله لأرى رسول الله ﷺ سوف يتوفى من وجعه هذا إني لأعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت . (244)

زاد الوجع على رسول الله ﷺ وقال (هريقوا علي من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن لعلي أعهد إلى الناس) . ففعلوا. (245)

إنها الساعات الأخيرة من حياة رسول الله ﷺ الرجل الذي علم الإنسانية كلها وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب .

---

(243) رواه البخاري ومسلم . (حضر) حضره النزع للموت .

(244) رواه البخاري . (245) رواه البخاري .

الرجل الذي إنفعل لكلامه الجماد والإنسان والحيوان كان يخطب إلى جذع فلما اتخذ المنبر تحول إليه فحن – بكى بصوت يسمع – الجذع فأتاه يمسح يده عليه .(246)

الرجل الذي كان يقول ويعي ما يقول ويعمل بما يقول ﷺ

الرسول الذي كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه فيقال له لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فيقول أفلا أكون عبدا شكورا . (247)

الرسول الذي كان يطعم اليتامى ويغيثهم ويحفظ الأرامل ويَمْنَعُهن من الضَّياع والحاجة .

وأبْيض يُسْتسْقى الغَمَامُ بوجْهِه ... ثِمَالُ اليتَامَى عِصْمَةٌ لِلأَرَامِل (248) ﷺ

الزوج الذي كان يعدل بين أزواجه وكان في خدمة أهله (249) فهو خير الناس لأهله (250)

قال رسول الله أنا خيركم لأهلي . ﷺ

القائد الذي خاض المعارك بنفسه وقاتل بنفسه وكان إذا احمر البأس ولقي القوم القوم اتقى به أصحابه فما يكون منهم أحد أدنى من القوم منه ﷺ . (251)

الحاكم العادل الذي بلغ من عدله أن اليهود كانوا يحتكمون إليه عند النزاع . (252) ﷺ .

لقد خالط جميع أنواع البشر بدأ الدعوة إلى الإسلام وحده وعمره أربعون سنة ومات بعد أن خلف بعده رجالا مسلمين موحدين عددهم لا يحصيه ديوان فهم عشرات الألوف ، كل واحد منهم أمة ، إنتشروا في الآفاق وجابوا البقاع والأصقاع ونشروا

---

(246) رواه البخاري . (247) رواه البخاري ومسلم . (تتفطر) تتشقق . (248) رواه البخاري .

(249) رواه البخاري عن عائشة بلفظ مهنة أهله . (250) صحيح رواه الترمذي وابن ماجة وغيرهما . (251) صحيح قاله علي ابن ابي طالب ورواه أحمد وأبو يعلى وغيرهما . (252) مثال ذلك حادثة قتل رجل من بني النضير رجلا من بني قريظة وفيها نزلت الآية42،50المائدة . صحيح رواه أبو داود والنسائي وغيرهما .

دين الله في كافة أنحاء المعمورة ، وليس هذا إلا بفضل النبي الأمي الذي أنقذ الله به من النار بشرا كثيرين وحرر الله سبحانه به البشرية من أسر الخرافات والبدع والضلالات والجهالات .

بلغ كل شيء وظل يبلغ حتى النفس الأخير . ﷺ

الرجل الذي زرع الرحمة في قلوب العباد فقالﷺ من لا يرحم لا يرحم (253) إرحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء (254) ﷺ

دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض(255) . ﷺ

غفر الله لبغي من بغايا بني إسرائيل بكلب عطشان سقته ماء (256) ﷺ

رحيم بكل الخلق رحيم بالإنسان رحيم بالحيوان رحيم بالنساء ﷺ

استوصوا بالنساء خيرا فإنهن خلقن من ضلع وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته وأن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيرا .(257) ﷺ

الرسول الذي بكى من أجلنا وما بكينا من أجله ﷺ .

الرسول الذي أخذ أموال اليهود كلها يوم قريظة . (فجاءته بعض نسائه يسألنه شيئا من المتعة) (258) . فأنزل الله عقب الآيات التي تتحدث عن بني قريظة مباشرة يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً * وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا (28،29الأحزاب).

الرسول الإنسان ﷺ .

---

(253) رواه البخاري ومسلم . (254) صحيح رواه أبو داود والترمذي وغيرهما . (255) رواه البخاري ومسلم . (256) رواه البخاري ومسلم وهذا معناه . (257) رواه البخاري . (258) (حفصة وعائشة رضي الله عنهن كذا رواه مسلم) . (259) رواه البخاري .

ومات رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعا من شعير.(259) .

أتدرون لماذا فعل ذلك رسول الله ﷺ

إن كثيرا من الناس يتعجلون فيكذبون هذا الحديث يقولون كيف تقولون إن النبي ﷺ مات و درعه مرهونة عند يهودي مع أنه كان في صحابته الأغنياء والأثرياء والمرزوقون لأنه أبى أن يقترض منه صحابته أو يأخذ من واحد منهم حتى لا يكون رسولا متسولا يأخذ أجرا على دعوته وإنما لجأ إلى يهودي لا يؤمن به فرهنه درعه مقابل أموال قليلة ينفقها عليه وعلى أزواجه . الرجل الذي كانت تمر الأهلة وما يوقد في بيته نار .(260).الرجل الذي مات ولم يكن في بيته شيء يأكله ذو كبد إلا شطر من شعير في رف لعائشة .(261). الرجل الذي زهد الدنيا ومال عنها فمالت إليه ورفضها ﷺ .

ولم يكن من الأغنياء أو المترفين وإنما كان رزقه قوتا (وخرج من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير).(262). ﷺ .

وقبل موته همس في أذن فاطمة ابنته فبكت ثم سارها فضحكت فسألتها عن ذلك فقالت أما حيث بكيت فإنه أخبرني أنه ميت فبكيت ثم أخبرني انى أول أهله لحوقا به فضحكت (263)

وكانت فاطمة تبكيه قبل موته وتقول : واكرب أباه

آلام شديدة يا أبتاه . ولكنه كان يقول لها (ليس على أبيك كرب بعد اليوم) (264) ﷺ

أبوك يا فاطمة تعب كثيرا أبوك يا فاطمة عاش في حرب الصنم ثلاثا وعشرين عاما فلتبدأ أمته المسير من بعده . أبوك منذ أن قال الله سبحانه وتعالى له (إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا) وهو يحمل القول الثقيل . أبوك لما قال له ربه (وجاهدهم به جهادا كبيرا)

---

(260) ثلاثة أهلة كذا رواه البخاري ومسلم . (261) رواه البخاري ومسلم . (262) رواه البخاري . (263) صحيح رواه أحمد والبخاري وغيرهما . (264) رواه البخاري. (265) رواه البخاري ومسلم .

وهو يجاهد في إذلال الصنم وفي تحطيم الصنم حتى لا تقوم له معابد في قلوب الناس سواء أكان هذا الصنم بشرا أم حجرا أم شجرا أم شمسا أم قمرا . لا كرب على أبيك بعد اليوم ﷺ .

فلما نزل به – الموت – ورأسه على فخذ عائشة غشي عليه ساعة ثم أفاق فأشخص بصره إلى السقف ثم قال (اللهم الرفيق الأعلى) (265).

كان بين يدي رسول الله ﷺ وعاء به ماء فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه يقول (لا إله الإ الله إن للموت سكرات) .

وكان رأسه بين سحر ونحر أمنا عائشة خير بين الدنيا والآخرة كما خير من قبله النبيون

فاختار الآخرة واختار جوار الله لهذا كان آخر كلامه بل الرفيق الأعلى من الجنة . (266)

اللهم الرفيق الأعلى (267)

ومات رسول الله ﷺ ولفظ النفس الأخير

قام عمر فقال : إن رجالا [1]من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ قد توفي وإن رسول الله والله ما مات ولكنه قد ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران فقد غاب عن قومه أربعين

---

(266) صحيح رواه أبو يعلى وأحمد وغيرهما . (267) رواه البخاري ومسلم . (268) صحيح رواه ابن إسحاق . (269) رواه البخاري . النشج البكاء بصوت . (270) رواه البخاري . (*) رواه البخاري .

ليلة ثم رجع إليهم بعد أن قيل مات ووالله ليرجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد حين كما رجع موسى فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أنه قد مات . (268)

وحين مات رسول الله ﷺ وأبو بكر بالسنح – مسكنه بالعالية من المدينة – فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله قال بأبي أنت وأمي طبت حيا ميتا والذي نفسي بيده لا يذيقنك الله الموتتين أبدا ثم خرج فقال أيها الحالف – يعني عمر– على رسلك – لا تعجل – فلما تكلم أبو بكر جلس عمر فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه وقال ألا من كان يعبد محمدا ﷺ فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت . وقال { إنك ميت وإنهم ميتون } .

وقال { وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفأن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين } . فنشج الناس يبكون . (269)

مات رسول الله ﷺ

وفتنت الأمة وأصاب الأمة أعظم أزمة على الإطلاق وهي موت رسول الله حتى أنست الفاجعة الصحابة آيات نزلت في كتاب الله . فو الله لكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت حتى تلاها أبو بكر يومئذ وأخذها الناس عن أبي بكر فإنما هي في أفواههم .

فقال عمر فو الله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعثرت حتى وقعت على الأرض ما تحملني رجلاي وعرفت أن رسول الله ﷺ قد مات . (*)

مات عظيما كما عاش عظيما ما استراح لحظة ما خف عنه الكرب لحظة

أبوك يا فاطمة فتح له باب السعادة على مصراعيه . أبوك لا يذوق كربا ولا نصبا ولا تعبا . أبوك في الرفيق الأعلى من الجنة . لن يجد هناك أبا جهل ولا أبا لهب ولا عقبة بن أبي معيط ولا الوليد بن المغيرة ولا هؤلاء جميعا إنما سيجد جبريل وميكائيل وإسرافيل وحملة العرش

وَٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ * سَلَـٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ (الرعد23،24).

فلما توفي رسول الله ﷺ قالت فاطمة : يا أبتاه أجاب ربا دعاه يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه يا أبتاه إلى جبريل ننعاه .

فلما دفن قالت فاطمة عليها السلام :

يا أنس أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب ؟ . (270)

قال أنس بن مالك رضي الله عنه : لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء ولما نفضنا عن رسول الله ﷺ الأيدي وإنا لفي دفنه حتى أنركنا قلوبنا . (271)

مات رسول الله ﷺ ولكن حرمته ميتا كحرمته حيا وكل مصيبة دون مصيبة موته تهون

إصبر لكل مصيبة وتجلد   واعلم بأن المرء غير مخلد
وإذا أتتك مصيبة فاصبر لها   واذكر مصابك بالنبي محمد

مات رسول الله ﷺ لكن سنته لم ولن تموت أبدا وعلى الأمة أن تعظم رسول الله ﷺ باتباع سنته والسير على هديه المستقيم وتحكيمه في كل شئون دنياها ودينها حتى يكون اللقاء على الحوض حين يسقي رسول الله ﷺ أتباعه ويجاوره أتباعه في جنات النعيم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

القبر

ما أصعبه من موقف عندما يرجع المال والأهل والصاحب ويبقى العمل ويوصد القبر على صاحبه . إنه أشد موقف يحتاج فيه العبد التثبيت ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم

(270) رواه البخاري . (271) صحيح رواه ابن ماجة وأحمد وغيرهما .

إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فإنه الآن يسأل . (272)

والقبر وراءه نعيم للموحدين وجحيم للكفار والفاسقين . قال الله ﷻ في سياق الكلام عن الموت و احتضار الروح :

فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ *فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ * وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ * فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ * وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ *فَنُزُلٞ مِّنۡ حَمِيمٖ * وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ (الواقعة94:88).

وقال رسول الله ﷺ :

العبد إذا وضع في قبره وتولي وذهب أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فأقعداه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل محمد صلى الله عليه وسلم ؟ فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال انظر إلى مقعدك في النار أبدلك الله به مقعدا من الجنة) . قال النبي ﷺ (فيراهما جميعا وأما الكافر أو المنافق فيقول لا أدري كنت أقول ما يقول الناس . فيقال لا دريت ولا تليت ثم يضرب بطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين . (273)

وقال سيدنا رسول الله ﷺ إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجع إلى جسده يوم يبعث . (274)

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال

قال رسول الله ﷺ " لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل

---

(272) صحيح رواه أبو داود والحاكم وغيرهما . (273) البخاري ومسلم . (تولي) تولى مشيعوه وذهبوا . (قرع نعالهم) صوتها عند المشي . (لا دريت ولا تليت) دعاء عليه أي لا كنت داريا ولا تاليا فلا توفق في هذا الموقف ولا تنتفع بما كنت تسمع أو تقرأ . (يليه) من ملائكة وغيرهم . (الثقلين) الإنس والجن سموا بذلك لثقلهم على الأرض . (274) صحيح رواه ابن ماجة والطبراني وغيرهما. (نسمة المؤمن) أي روحه . (يعلق) أي يأكل .

العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ إخواننا عنا أنا أحياء في الجنة نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عند الحرب ؟ فقال الله سبحانه أنا أبلغهم عنكم قال فأنزل الله { ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون } [آل عمران169]. (275)

ولما سأل ابن مسعود عن هذه الآية قال أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل .(276)

فليس بعد الموت من دار إلا الجنة أو النار وفي حديث الرؤية الطويل قال جبريل وميكائيل للنبي ﷺ يعبران له ما رآى :

والدار الأولى التي دخلت دار عامة المؤمنين وأما هذه الدار فدار الشهداء وأنا جبريل وهذا مكيائيل فارفع رأسك فرفعت رأسي فإذا فوقي مثل السحاب قالا ذاك منزلك قلت دعاني أدخل منزلي قالا إنه بقي لك عمر لم تستكمله فلو استكملت أتيت منزلك . (277)

عذاب القبر

قال الله ﷻ عن آل فرعون

وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ * ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۖ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ (45،46غافر).

وقال رسول الله ﷺ

لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر .(*)

ولا يعفى المسلم العاصي المصر على الذنوب من عذاب القبر إلا أن يشاء الله ﷻ

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال

(275) حديث حسن رواه ابو داود وغيره .(276) رواه مسلم . (277) رواه البخاري ومسلم .

(*) رواه مسلم . (278) رواه البخاري . (رطبة) خضراء لم تيبس بعد .

مر النبي ﷺ بقبرين فقال (إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان لا يستتر من البول وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة) . ثم أخذ جريدة رطبة فشقها نصفين فغرز في كل قبر واحدة . قالوا يا رسول الله لم فعلت هذا ؟ قال (لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا) (278)

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال :

خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله وكأن على رءوسنا الطير وفي يده عود ينكت في الأرض فرفع رأسه فقال استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثا ثم قال ان العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ثم يجئ ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الطيبة أخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان قال فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء (*) فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض قال فيصعدون بها فلا يمرون يعنى بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذا الروح الطيب فيقولون فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح لهم فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهى به إلى السماء السابعة فيقول الله عز وجل اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى قال فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول ربي الله فيقولان له ما دينك فيقول ديني الإسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هو رسول الله ﷺ فيقولان له وما علمك فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت فينادى مناد في السماء ان

(*) وفي سهولة خروج الروح أيضا قال رسول الله ﷺ إن المؤمن يموت بعرق الجبين .

صدق عبدي فافرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة قال فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره قال ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول له من أنت فوجهك الوجه يجئ بالخير فيقول أنا عملك الصالح فيقول رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي وما لي قال وان العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ثم يجئ ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الخبيثة أخرجي إلى سخط من الله وغضب قال فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذا الروح الخبيث فيقولون فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهى به إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله ﷺ { إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ } فيقول الله عز وجل اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى فتطرح روحه طرحا ثم قرأ { وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ} فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول هاه هاه لا أدري فيقولان له ما دينك فيقول هاه هاه لا أدري فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هاه هاه لا أدري فينادى مناد من السماء ان كذب فافرشوا له من النار وافتحوا له بابا إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول أبشر بالذي يسوءك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول من

أنت فوجهك الوجه يجئ بالشر فيقول أنا عملك الخبيث فيقول رب لا تقم الساعة . (279)

وقال رسول الله ﷺ :

(إذا قبر أحدكم أو الإنسان أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما : المنكر والآخر : النكير فيقولان له : ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ؟ فهو قائل ما كان يقول فإن كان مؤمنا قال : هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله فيقولان له : إن كنا لنعلم إنك لتقول ذلك ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا في سبعين

ذراعا وينور له فيه فيقال له : نم فينام كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك .

وإن كان منافقا قال : لا أدري كنت أسمع الناس يقولون شيئا فكنت أقوله فيقولان له :

إن كنا لنعلم أنك تقول ذلك ثم يقال للأرض : التئمي عليه فتلتئم عليه حتى تختلف فيها أضلاعه فلا يزال معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك). (280)

وللقبر ضغطة لا ينجو منها مؤمن ولا كافر .

قال النبي ﷺ

إن للقبر لضغطة لو نجا منها أحد لنجا منها سعد بن معاذ.(281)

علامات الساعة

والأحاديث في أشراط الساعة كثيرة متواترة وقد تقرر في حديث جبريل علي اختلاف ألفاظه وتباين طرقه ذكره صلى الله عليه وسلم من أماراتها أن تلد الأمة ربتها وأن

---

(279) صحيح رواه أحمد والحاكم وغيرهما .

(280) صحيح رواه ابن حبان والترمذي وزاد فيقول – المؤمن – ارجع إلى أهلي فأخبرهم ؟ فيقولان نم كنومة العروس الذي لا يوقظه..إلخ . (281) صحيح رواه اسحاق ابن راهويه وابن حبان وغيرهما . (282)رواه مسلم والبخاري . * كذا قال الحكمي رحمه الله . (283)حديث حسن رواه أحمد وهناد والطبراني وغيرهم.(284) رواه مسلم .

ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان* ومن أماراتها بعثة النبي كما قال ﷺ

بعثت أنا والساعة كهاتين وضم السبابة والوسطى . (282)

وفي رواية بعثت أنا والساعة جميعا إن كادت لتسبقني . (283)

وعن حذيفة رضي الله عنه قال قام فينا رسول الله ﷺ مقاما ما ترك شيئا يكون في مقامة ذلك إلى قيام الساعة إلا حدث به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه أصحابي هؤلاء وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه .(284)

للساعة علامات صغرى وعلامات كبرى

العلامات الصغرى

وهي كثيرة جدا وردت في السنة الصحيحة منها على سبيل المثال من أقوال رسول الله ﷺ :

* لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج وهو القتل القتل حتى يكثر فيكم المال فيفيض . (285)

* لا تقوم الساعة حتى ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد . (286)

---

(285) رواه البخاري . (286) رواه البخاري.(287) رواه البخاري ومسلم. (288) رواه البخاري ومسلم . (289)صحيح رواه الطبراني وغيره .(290) صحيح رواه ابو يعلى والطبراني وغيرهما . (الرويبضة) تصغير رابضة قال في تاج العروس قال الأَزْهَرِيُّ : الرُّوَيْبِضَةُ هو الَّذِي يَرْعَى الغَنَم وقيل هو العَاجِز الَّذِي رَبَضَ عن مَعَالِي الأُمُورِ وقَعَدَ عن طَلَبِهَا وزِيَادَةُ الهاءِ في الرّابِضَةِ لِلْمُبَالَغَةِ . كما يُقَال دَاهِيَة – قال : والغَالِبُ عِنْدِي أَنَّه قِيلَ للتّافِهِ من النّاسِ : رابِضَةٌ ورُوَيْبِضَةٌ لِرُبُوضه في بَيْتِه وقِلَّةِ انْبِعَاثِه في الأُمُور الجَسِيمَةِ . (291) رواه مسلم . ورواه البخاري ومسلم عن النبي قال لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني مكانه وفي لفظ أحمد بسند صحيح ولفظه يا ليتني كنت مكانك . (البلاء) أي إن الحامل له على التمني ليس الدين بل البلاء وكثرة المحن والفتن وسائر الضراء . (292) رواه البخاري .

* لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود حتى يقول الحجر وراءه اليهودي يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله .(287)

* لا تقوم الساعة حتى يقتتل فئتان فيكون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما واحدة . ولا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريبا من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله (288).

* من أشراط الساعة الفحش والتفحش وقطيعة الأرحام وتخوين الأمين وائتمان الخائن . (289)

* (إن بين يدي الساعة سنين خوادع يصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق ويؤتمن فيها الخائن ويتكلم فيها الرويبضة) قالوا : يارسول الله وما الرويبضة ؟ قال : (الفويسق يتكلم في أمر العامة).(290)

* والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتى يمر الرجل على القبر فيتمرغ عليه ويقول يا ليتني كنت مكان صاحب هذا القبر وليس به الدين إلا البلاء . (291)

* لا تقوم الساعة – وإما قال من أشراط الساعة – أن يرفع العلم ويظهر الجهل ويشرب الخمر ويظهر الزنا ويقل الرجال ويكثر النساء حتى يكون للخمسين امرأة القيم الواحد . (292)

* والذي نفسي بيده لا تفنى هذه الأمة حتى يقوم الرجل إلى المرأة فيفترشها في الطريق فيكون خيارهم يومئذ من يقول : لو واريتها وراء هذا الحائط . (293)

* يوشك الفرات أن يحسر عن كنز من ذهب فمن حضره فلا يأخذ منه شيئا .(294)

* لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها شبرا بشبر وذراعا بذراع . فقيل يا رسول الله كفارس والروم ؟ فقال (ومن الناس إلا أولئك) . (295)

* وعن عوف بن مالك رضي الله عنه قال :

---

(293)صحيح رواه أبو يعلى . (294) رواه البخاري ومسلم . وفي رواية مسلم لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب يقتتل الناس عليه فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون ويقول كل رجل منهم لعلي أكون أنا الذي أنجو . (يحسر) ينكشف بعد أن يذهب ماؤه . (الفرات) النهر المشهور شمال بلاد الشام . (فلا يأخذ . .) لما ينشأ عن ذلك من الفتنة واقتتال الناس عليه . (295) رواه البخاري.(بأخذ القرون) تسير بسيرة الأمم قبلها . (شبرا بشبر)

أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبة من أدم فقال (اعدد ستا بين يدي الساعة موتي ثم فتح بيت المقدس ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطا ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفا) (296)

وما أظن هذه الفتنة التي دخلت بيوت المسلمين –إلا من رحم الله – إلا التلفاز بما يحمله من إفساد للقيم وضياع للمباديء ونشر للفواحش . والله أعلم.

*وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:

عدا الذئب على شاةٍ فأخذها، فطلبه الراعي فانتزعها منه، فأقعى الذئب على ذنبه، وقال: ألا تتقي الله ، تنزع مني رزقًا ساقه الله إليَّ، فقال: يا عجبًا! ذئبٌ مُقْعٍ على ذنبه يكلمني بكلام الإنس؟ فقال الذئبُ: ألا أخبرك بأعجب من ذلك: محمدٌ بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق. قال: فأقبل الراعي يسوقُ غنمهُ حتى دخل المدينة، فزواها إلى زاوية من زواياها، ثم أتى رسول اللَّه ﷺ فأخبره. فأمر رسول اللَّه ﷺ فنودي: الصلاة جامعة، ثم خرج، فقال للراعي: «أخبرهم» فأخبرهم. فقال رسول اللَّه: «صدق، والذي نفسي بيده! لا تقوم الساعة حتى تكلِّم السباعُ الإنسَ ويكلم الرجلَ عذبةُ سوطه، وشراكُ نعله، ويخبره فخذُهُ بما أحدث أهلُه بعده». (297)

* وعن حذيفة رضي الله عنه قال :

الشبر ما بين رأس الإبهام ورأس الخنصر والكف مفتوحة مفرقة الأصابع والمراد بيان شدة اتباعهم والمبالغة في تقليدهم . (296).رواه البخاري وأحمد وابن ماجة والحاكم . (قبة) كل بناء مدور . (أدم) جلد مدبوغ . (اعدد ستا) من العلامات . (بين يدي الساعة) قدام قيامها ومن أشراطها القريبة منها . (موتان) موت كثير الوقوع بسبب طاعون أو نحوه . (كقعاص الغنم) داء يصيب الغنم فيسيل من أنوفها شيء فتموت فجأة . (استفاضة المال) كثرته وزيادته عن الحد المعتاد .

(فتنة) تقاتل واضطراب في الأحوال . (هدنة) صلح . (بني الأصفر) هم الروم . (غاية) راية سميت بذلك لأنها غاية المتبع إذا وقفت وقف وإذا مشت مشى .

قال رسول الله ﷺ يدرس الإسلام كما يدرس– أي يزول ويمحى – وشي الثوب لا يدري ما صيام و لا صدقة و لا نسك و يسري على كتاب الله عز و جل في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية و يبقى طوائف من الناس الشيخ الكبير و العجوز الكبيرة يقولون : أدركنا آباءنا على هذه الكلمة لا إله إلا الله فنحن نقولها فقال صلة : فما تعني عنهم لا إله إلا الله لا يدرون ما صيام و لا صدقة و لا نسك فأعرض عنه حذيفة رضي الله عنه فردد عليه ثلاثا كل ذلك يعرض عنه ثم أقبل عليه في الثالثة فقال : يا صلة تنجيهم من النار تنجيهم من النار تنجيهم من النار .(*)

علامات الساعة الكبرى

العلامات الكبرى عشر وأولها طلوع الشمس من مغربها

قال رسول الله ﷺ

إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وأيهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريبا. (298)

عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال :

اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر فقال ما تذاكرون ؟ قالوا نذكر الساعة قال إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم ﷺ ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم .(299)

بعض ما ورد عن الدجال

---

(297) صحيح رواه أحمد والترمذي وغيرهما.(*) صحيح رواه الحاكم وابن ماجة وغيرهما .

(298) رواه مسلم .

(299) رواه مسلم . (300) صحيح رواه الترمذي وابن ماجة وغيرهما . والمجان جمع مجن وهو الترس . وقال السندي الترس المطرق الذي بجعل على ظهر طراق . والطراق جلد يقطع على

قال رسول الله ﷺ الدجال يخرج من أرض بالمشرق يقال لها خراسان يتبعه أقوام كان وجهوهم المجان المطرقة . (300)

وقال رسول الله ﷺ

ألا أحدثكم حديثا عن الدجال ما حدث به نبي قومه إنه أعور وإنه يجيء معه بمثال الجنة والنار فالتي يقول إنها الجنة هي النار وإني أنذركم كما أنذر به نوح قومه.(301)

وقال ﷺ إن مع الدجال إذا خرج ماء ونارا فأما الذي يرى الناس أنها النار فماء بارد وأما الذي يرى الناس أنه ماء بارد فنار تحرق فمن أدرك منكم فليقع في الذي يرى أنها نار فإنه عذب بارد .(302)

وقال ﷺ على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال . (303)

وقال ﷺ ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة ليس له من نقابها نقب إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فيخرج الله كل كافر ومنافق . (304)

وقال مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب . (305)

وقال عبد الله رضي الله عنه

ذكر النبي ﷺ يوما بين ظهري الناس المسيح الدجال فقال (إن الله ليس بأعور ألا إن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية . (306)

وقال ﷺ :

مقدار الترس فيلصو على ظهره . شبه وجوههم بالترس لبسطها وتدويرها . وبالمطرقة لغلظها وكثرة لحمها. .(301) رواه البخاري ومسلم . (302) رواه البخاري ومسلم . (303)رواه البخاري ومسلم . أنقاب) جمع نقب مداخلها والطرق المؤدية إليها . (الطاعون) الوباء الذي يكثر بسببه الموت . (304) رواه البخاري ومسلم . (سيطؤه) سيدخله . (ترجف) تزلزل . (305) رواه مسلم .

من سمع بالدجال فلينأ عنه فو الله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات أو لما يبعث به من الشبهات .(307)

وعن يسير بن جابر رضي الله عنه قال

هاجت ريح حمراء بالكوفة فجاء رجل ليس له هجيري إلا يا عبدالله بن مسعود جاءت الساعة قال فقعد وكان متكئا فقال إن الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث ولا يفرح بغنيمة ثم قال بيده هكذا (ونحاها نحو الشام) فقال عدو يجمعون لأهل الإسلام ويجمع لهم أهل الإسلام قلت الروم تعني ؟ قال نعم وتكون عند ذاكم القتال ردة شديدة فيشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشرطة ثم يشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشرطة ثم يشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة فيقتتلون حتى يمسوا فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشرطة فإذا كان يوم الرابع نهد إليهم بقية أهل الإسلام فيجعل الله الدبرة عليهم فيقتلون مقتلة – إما قال لا يرى مثلها وإما قال لم ير مثلها – حتى إن الطائر ليمر بجنباتهم فما يخلفهم حتى يخر ميتا فيتعاد بنو الأب كانوا مائة فلا يجدونه بقي منهم إلا الرجل الواحد فبأي غنيمة يفرح ؟ أو أي ميراث يقاسم ؟ فبينما هم كذلك إذ سمعوا ببأس هو أكبر من ذلك فجاءهم الصريخ إن الدجال قد خلفهم في ذراريهم فيرفضون ما في أيديهم ويقبلون فيبعثون عشرة فوارس طليعة

قال رسول الله ﷺ :

إني لأعرف أسمائهم وأسماء آبائهم وألوان خيولهم هم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ أو من خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ .(308)

---

(306) رواه البخاري ومسلم . (عنبة طافية) ناتئة عن حد أختها من الطفو وهو أن يعلو الماء ما وقع فيه والعنبة الطافية هي الحبة الكبيرة التي خرجت عن أخواتها . (307) صحيح رواه أبو داود وأحمد وغيرهما.

وأما عن مكان الدجال فقد قال الشيخ العلامة فوزي السعيد أكرمه الله إن الدجال في مثلث برمودة وذكر على ذلك دلائل وبراهين وأرى ان كلامه محتمل لقول النبي ﷺ (بل من قبل المشرق ما هو) فقد تكون ما نافية . والله أعلم .

نزول المسيح عليه السلام وقتل المسيح الدجال

قال رسول الله ﷺ :

والله لينزلن ابن مريم حكما عادلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية ولتتركن القلاص فلا يسعى عليها ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد وليدعون (وليدعون) إلى المال فلا يقبله أحد .(309)

وعن عائشة رضي الله عنها قالت :

دخل علي رسول الله ﷺ وأنا أبكي فقال : (ما يبكيك) ؟ قالت : يارسول الله ﷺ ذكرت الدجال قال : (فلا تبكين فإن يخرج وأنا حي أكفيكموه وإن مت فإن ربكم ليس بأعور وإنه يخرج معه اليهود فيسير حتى ينزل بناحية المدينة وهي يومئذ لها سبعة

---

(308) رواه مسلم . (ليس له هجيري) أي شأنه ودأبه ذلك والهجيري بمعنى الهجير (لأهل الإسلام) أي لقتالهم (ردة شديدة) أي عطفة قوية (فيشترط) ضبطوه بوجهين أحدهما فيشترط والثاني فيتشرط (شرطة) طائفة من الجيش تقدم للقتال (فيفيء) أي يرجع (نهد) أي نهض وتقدم (فيجعل الله الدبرة عليهم) أي الهزيمة ورواه بعض رواة مسلم الدائرة وهو بمعنى الدبرة وقال الأزهري الدائرة هم الدولة تدور على الأعداء وقيل هي الحادثة (بجنباتهم) أي نواحيهم وحكى القاضي عن بعض رواتهم بجثمانهم أي شخوصهم (فما يخلفهم) أي يجاوزهم وحكى القاضي عن بعض رواتهم فما يلحقهم أي يلحق آخرهم (فيتعاد بنو الأب) في النهاية أي يعد بعضهم بعضا (إذا سمعوا ببأس هو أكبر) هكذا هو في نسخ بلادنا ببأس هو أكبر وكذا حكاه القاضي عن محققي رواتهم وعن بعضهم بناس أكثر قالوا والصواب الأول (فيرفضون) قال ابن فارس الراء والفاء والضاد أصل واحد وهو الترك . كذا قال الشيخ محمد فؤاد في شرحه على مسلم . (309) رواه مسلم . (ولتتركن القلاص) القلاص جمع قلوص وهي من الإبل كالفتاة من النساء والحدث من الرجال ومعناه أن يزهد فيها ولا يرغب في اقتنائها لكثرة الأموال وإنما ذكرت القلاص لكونها أشرف الإبل التي هي أنقص الأموال عند العرب .

أبواب على كل باب ملكان فيخرج إليه شرار أهلها فينطلق حتى يأتي لد فينزل عيسى ابن مريم فيقتله ثم يلبث عيسى في الأرض أربعين سنة أو قريبا من أربعين سنة إماما عدلا وحكما مقسطا . (310)

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال :

ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا فقال ما شأنكم ؟ قلنا يا رسول الله ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل فقال غير الدجال أخوفني عليكم إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم إنه شاب قطط عينه طافئة كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف إنه خارج خلة بين الشام والعراق فعاث يمينا وعاث شمالا يا عباد الله فاثبتوا قلنا يا رسول الله وما لبثه في الأرض ؟ قال أربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم ؟ قال لا اقدروا له قدره قلنا يا رسول الله وما إسراعه في الأرض ؟ قال كالغيث استدبرته الريح فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرا وأسبغه ضروعا وأمده خواصر ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم ويمر بالخربة فيقول لها أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في

---

(310) صحيح رواه ابن حبان وأحمد وغيرهما .

الجنة فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى إني قد أخرجت عبادا لي لا يدان لأحد بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرا من مائة دينار لأحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله طيرا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة ثم يقال للأرض أنبتي ثمرك وردي بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك في الرسل حتى أن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم* ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة .(311)

* وهؤلاء هم آخر طائفة تموت من الموحدين وهذا معنى حديث النبي لاتزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال . (312)

وقال رسول الله ﷺ إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع يقول اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن شر فتنة المسيح الدجال . (-)

ظهور

يصاحب نزول المسيح عليه السلام ظهور المهدي .

---

(311) رواه مسلم . قال الشيخ محمد فؤاد رحمه الله . (فخفض فيه ورفع)المشهور بتخفيف الفاء في خفض ورفع.وروى تشديد الفاء فيهما على التضعيف والتكثير.والمعنى أي بالغ في تقريبه واستعمل فيه كل فن من خفض ورفع.(أخوفني عليكم)قال السندي أخوف اسم تفضيل المبني للمفعول.وأصله أخوف مخوفاتي عليكم ثم حذف المضاف إلى الياء فاتصل بها أخوف.لكن جيء بالنون بينهما تشبيها بالفعل.وقد جاء مثله على قلة.

كذا قيل.(حجيجه)الغالب الحجة.أي فأنا حجيجه دونكم أي محاجه ومدافعه ومبطل أمره من غير افتقار إلى معين.(فامرؤ)من باب عموم النكرة في الإثبات.مثل علمت نفس.فلذلك صح وقوعه مبتدأ مع كونه نكرة.

(قطط)أي شديد جعودة الشعر.(خلة)أي طريق بينهما.(فعاث)من العيث وهو أشد الفساد.(ياعباد الله اثبتوا)قال القاضي أبو بكر هذا من كلام النبي ﷺ تثبيتا للخلق.أي اثبتو اعلى الإسلام يحذرهم من الفتنة. (وتروح)

أي ترجع آخر النهار.(سارحتهم)أي ماشيتهم.(ذري)جمه ذروة وهو أعلى سنام البعير.(وأسبغه ضروعا)أي أطوله لكثرة اللبن.(وأمده خواصر) لكثرة امتلائها من الشبع.(فيردون عليه)أي فيكذبونه. (ممحلين)مجدبين.(بالخربة)أي بالأرض الخراب.(يعاسيب النحل)هي جماعة النحل .وكنى عن الجماعة باليعسوب.هو أميرها لأنه متى طار تبعته جماعته.(جزلتين)أي قطعتين.(رمية الغرض)قال النووي ومعنى رمية الغرض أنه يجعل بين الجزلتين مقدار رميته . هذا هو الظاهر المشهور.وحكى القاضي هذا ثم قال وعندي أن فيه تقديما وتأخيرا . وتقديره فيصيبه إصابة رميه الغرض فيقطعه جزلتين.والصحيح الأول(المنارة البيضاء شرقي دمشق)قال ابن كثير هذا هو الأشهر في موضع نزوله.قال وقد وجدت منارة في زماننا في سنة إحدى وأربعين وسبعمائة من حجارة بيض.ولعل هذا يكون من دليل النبوة الظاهرة.(بين مهرودتين)قال الإمام النوويمعناه لابس مهرودتين.أي ثوبين مصبوغين بورس ثم بزعفران.(واضع)كذا بصورة المرفوع في نسخة ابن ماجة . وفي مسلم واضعا بالنصب وهو ظاهر.ولا يستبعد أن يقرأ بالنصب.فإن أهل الحديث كثيرا ما يكتبون المنصوب بصورة المرفوع.(جمان كاللؤلؤ) قال النووي الجمان حبات من الفضة تصنع على هيئة اللؤلؤ الكبار .والمراد يتحدر منه الماء على هيئة اللؤلؤ في صفائه . فسمى الماء جمانا لشبهه به في الصفاء.(باب لذ)بلدة قريبة من بيت المقدس.(لا يدان لأحد)أي لاقوة ولاقدرة ولاطاقة.وفي النهاية المباشرة والدفاع إنما تكون باليد . فكأن يديه معدومتان لعجزه عن

وقال رسول الله ﷺ :

(لا تقوم الساعة حتى يملك الناس رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي فيلمؤها قسطا وعدلا . (313)

وقال رسول الله ﷺ المهدي من عترتي (ولد الرجل لصلبه) من ولد فاطمة . (314)

وقال رسول الله ﷺ:

الدفاع.(وأحرز)من الإحراز وهو الجمع والضم والإدخال في الحرز.(حدب)أي مرتفع من الأرض.(ينسلون) أي يسرعون.(النغف)دود يكون في أنف الإبل والغنم واحدته نغفة.(فرسى)كقتلى لفظا ومعنى.احدهم فريس.(زهمهم ونتنهم)هو عطف تفسير.والزهم مصدر زهمت يده تزهم من رائحة اللحم.والزهمة الريح المنتنة.(البخت) هي جمال طوال الأعناق. واحدها بختى.(ريكن)أي لا يستر ولا يقي.(بيت مدر)هو الطين الصلب.(كالزلقة)وروى الزلفة. واختلفوا في معناه . قيل كالمرآة . وقيل كمصانع الماء.أي إن الماء يستنقع فيها حتى تصير كالمصنع الذي يجتمع فيه الماء.(العضابة)الجماعة من الناس من العشرة إلى الأربعين . ولا واحد لها من لفظها.(بقحفها)هو مقعر قشرها . شبهها بقحف الرأس وهو الذي فوق الدماغ.وقيل ما نفلق من جمجمته وانفصل.(الرسل)اللين.(اللقحة)الناقة القريبة العهد بالنتاج.(الفئام)الجماعة الكثيرة.(الفخذ)هم الجماعة من الأقارب وهم دون البطن.والبطن دون القبيلة . قال ابن فارس الفخذ هنا بإسكان الخاء لاغير.(يتهارجون)قال الإمام النووي أي يجامع الرجال النساء بحضرة الناس كما يفعل الحمير ولا يكترثون لذلك.والهرج بإسكان الراء الجماع.يقال هرج زوجته أي جامعها يهرجها بفتح الراء وكسرها وضمها. (312) صحيح رواه أبو داود وأحمد وغيرهما . بعض العلماء يقولون إن هذه الطائفة قائمة حتى قيام الساعة وليس صحيحا وإنما قبل قيام الساعة.(–) رواه مسلم .

(313) حسن رواه ابن حبان . (314) صحيح رواه أبو داود وغيره . (315) حديث حسن رواه أبو داود وغيره . (الجلي هو انحسار الشعر عن مقدم الرأس) (أقنى القَنا في الأنف طوله ودِقَّة أَرْنبته مع حدَب في وسطه) (316)حسن رواه ابن ماجة . (يصلحه الله في ليلة) قال ابن كثير أي يتوب عليه ويوفقه يلهمه رشده بعد أن لم يكن كذلك . (317)صحيح رواه الحاكم . (318) رواه مسلم . ** وقد ذكر الكتاني في نظم المتناثر أحاديث خروج المهدي عن عشرين صحابيا ثم قال وقد نقل غير واحد عن الحافظ السخاوي أنها متواترة والسخاوي ذكر ذلك في فتح المغيث ونقله عن أبي الحسن الآبري .

المهدي مني أجلى الجبهة أقنى الأنف يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما ويملك سبع سنين . (315)

وقال رسول الله ﷺ

(المهدي منا أهل البيت يصلحه الله في ليلة) . (316)

وقال رسول الله ﷺ

يخرج في آخر أمتي المهدي يسقيه الله الغيث و تخرج الأرض نباتها و يعطى المال صحاحا و تكثر الماشية و تعظم الأمة يعيش سبعا أو ثمانيا يعني حججا . (317)

وقال رسول الله ﷺ :

لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة قال فينزل عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم فيقول أميرهم تعال صل لنا فيقول لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة . (318) **

بعض ما جاء عن الدابة

قال الله ﷻ

وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ 82النمل).

عن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها قالت :

سمعت نداء المنادي منادي رسول الله ﷺ ينادي الصلاة جامعة فخرجت إلى المسجد فصليت مع رسول الله ﷺ فكنت في صف النساء التي تلي ظهور القوم فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته جلس على المنبر وهو يضحك فقال ليلزم كل إنسان مصلاه ثم قال أتدرون لما جمعتكم ؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال إني والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة ولكن جمعتكم لأن تميما الداري كان رجلا نصرانيا فجاء فبايع وأسلم وحدثني حديثا وافق الذي كنت أحدثكم عن مسيح الدجال حدثني أنه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلا من لخم وجذام فلعب بهم الموج شهرا في

البحر ثم أرفؤا إلى جزيرة في البحر حتى مغرب الشمس فجلسوا في أقرب السفينة فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة أهلب كثير الشعر لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر فقالوا ويلك ما أنت ؟ فقالت أنا الجساسة قالوا وما الجساسة ؟ قالت أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل في الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق قال لما سمت لنا رجلا فرقنا منها أن تكون شيطانة قال فانطلقنا سراعا حتى دخلنا الدير فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خلقا وأشده وثاقا مجموعة يداه إلى عنقه ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد قلنا ويلك ما أنت ؟ قال قد قدرتم على خبري فأخبروني ما أنتم ؟ قالوا نحن أناس من العرب ركبنا في سفينة بحرية فصادفنا البحر حين اغتلم فلعب بنا الموج شهرا ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه فجلسنا في أقربها فدخلنا الجزيرة فلقيتنا دابة أهلب كثير الشعر لا يدري ما قبله من دبره من كثرة الشعر فقلنا ويلك ما أنت ؟ فقالت أنا الجساسة قلنا وما الجساسة ؟ قالت اعمدوا إلى هذا الرجل في الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق فأقبلنا إليك سراعا وفزعنا منها ولم نأمن أن تكون شيطانة فقال أخبروني عن نخل بيسان قلنا عن أي شأنها تستخبر ؟ قال أسألكم عن نخلها هل يثمر ؟ قلنا له نعم قال أما إنه يوشك أن لا تثمر قال أخبروني عن بحيرة الطبرية قلنا عن أي شأنها تستخبر ؟ قال هل فيها ماء ؟ قالوا هي كثيرة الماء قال أما إن ماءها يوشك أن يذهب قال أخبروني عن عين زغر قالوا عن أي شأنها تستخبر ؟ قال هل في العين ماء ؟ وهل يزرع أهلها بماء العين ؟ قلنا له نعم هي كثيرة الماء وأهلها يزرعون من مائها قال أخبروني عن نبي الأميين ما فعل ؟ قالوا قد خرج من مكة ونزل يثرب قال أقاتله العرب ؟ قلنا نعم قال كيف صنع بهم ؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه قال لهم قد كان ذلك ؟ قلنا نعم قال أما إن ذلك خير لهم أن يطيعوه وإني مخبركم عني إني أنا المسيح وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج فأخرج فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة فهما محرمتان علي كلتاهما كلما أردت أن أدخل واحدة أو واحدا منهما استقبلني ملك بيده السيف صلتا يصدني عنها وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها قالت قال رسول الله ﷺ وطعن بمخصرته في المنبر هذه طيبة هذه طيبة هذه طيبة يعني المدينة ألا هل كنت حدثتكم ذلك ؟ فقال الناس نعم فإنه أعجبني حديث تميم أنه

وافق الذي كنت أحدثكم عنه وعن المدينة ومكة ألا إنه في بحر الشام أو بحر اليمن لا بل من قبل المشرق ما هو من قبل المشرق ما هو من قبل المشرق ما هو وأومأ بيده إلى المشرق قالت فحفظت هذا من رسول الله ﷺ . (319)

وقال رسول الله ﷺ :

تخرج الدابة فتسم الناس على خراطيمهم ثم يغمرون فيكم حتى يشترى الرجل البعير فيقول ممن اشتريته فيقول اشتريته من أحد المخطمين . (320)

بعض ما جاء عن يأجوج ومأجوج

جاء في الحديث السابق طرفا من الكلام عن إفساد يأجوج ومأجوج وذريتهما في الأرض .

قال الله سبحانه وتعالى في سياق الكلام عن ذي القرنين

---

(319) رواه مسلم . (الصلاة جامعة) هو بنصب الصلاة وجامعة الأول على الإغراء والثاني على الحال

(لأن تميما الداري) هذا معدود من مناقب تميم لأن النبي صلى الله عليه وسلم روى عنه هذه القصة وفيه رواية الفاضل عن المفضول ورواية المتبوع عن تابعه وفيه رواية خبر الواحد (ثم أرفؤا إلى جزيرة) أي التجأوا إليها قال في اللسان أرفأت السفينة إذا أدنيتها إلى الجدة والجدة وجه الأرض أي الشط (فجلسوا في أقرب السفينة) الأقرب جمع قارب على غير قياس والقياس قوارب وهي سفينة صغيرة تكون مع الكبيرة كالجنيبة يتصرف فيها ركاب السفينة لقضاء حوائجهم وقيل أقرب السفينة أدانيها أي ما قارب إلى الأرض منها (أهلب) الأهلب غليظ الشعر كثيره (فإنه إلى خبركم بالأشواق)أي شديد الأشواق إليه أي إلى خبركم (فرقنا منها) أي خفنا (أعظم إنسان) أي أكبره جثة أو أهيب هيئة (بالحديد) الباء متعلق بمجموعة

(وما بين ركبتيه إلى كعبيه) بدل اشتمال من يداه (اغتلم) أي هاج وجاوز حده المعتاد (نخل بيسان) هي قرية بالشام (بحيرة الطبرية) هي بحر صغير معروف بالشام (عين زغر) هي بلدة معروفة في الجانب القبلي من الشام (طيبة) هي المدينة ويقال لها أيضا طابة (صلتا) بفتح الصاد وضمها أي مسلولا (ما هو) قال القاضي لفظة ما هو زائدة صلة للكلام ليست بنافية والمراد إثبات أنه في جهة الشرق .

(320) صحيح رواه أحمد وغيره .

حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا *قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا * قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا * ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا * فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا * قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا (الكهف93:98).

وقال الله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ * وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ (الأنبياء96،97).

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال :

تفتح يأجوج ومأجوج . فخرجون كما قال الله تعالى وهم من كل حدب ينسلون . فيعمون الأرض . وينحاز منهم المسلمون . حتى تصير بقية المسلمين في مدائنهم وحصونهم . ويضمون إليهم مواشيهم . حتى أنهم ليمرون بالنهر فيشربونه حتى ما يذرون ؟ ؟ فيه شيئا فيمر آخرهم على أثرهم . فيقول قائلهم لقد كان بهذا المكانن مرة . ويظهرون على الأرض . فيقول قائلهم هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم ولننازلن أهل السماء . حتى إن أحدهم ليهز حربته إلى السماء فترجع مخضبة بالدم . فيقولون قد قتلنا أهل السماء . فبنينما هم كذلك إذ بعث الله دواب كنغف الجراد . فتأخذ بأعناقهم فيموتون موت الجراد . يركب بعضهم بعضا . فيصبح المسلمون لا سسمعون لهم حسا . فيقولون من رجل يشري نفسه وينظر مافعلوا . فينزل منهم رجل قد وطن نفسه على أن يقتلوه . فيجدهم موتى . فيناديهم ألا أبشروا . فقد هلك عدوكم

. فيخرج الناس ويخلون سبيل مواشيهم . فما يكون لهم رعي إلا لحومهم . فتشكر عليها كأحسن ماشكرت من نبات أصابته قط . (321)

وعن زينب بنت جحش رضي الله عنها

أن النبي ﷺ دخل عليها فزعا يقول (لا إله إلا الله ويل للعرب من شر اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه) . وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها قالت زينب بنت جحش فقلت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال (نعم إذا كثر الخبث).(322)

وقال رسول الله ﷺ :

سيوقد المسلمون من قسي يأجوج ومأجوج ونشابهم وأترستهم سبع سنين . (323)

قال رسول الله ﷺ :

(يقول الله يا آدم فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك قال يقول أخرج بعث النار قال وما بعث النار ؟ قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فذاك حين يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكرى وما هم بسكرى ولكن عذاب الله شديد) . فاشتد ذلك عليهم فقالوا يا رسول الله أينا ذلك الرجل ؟ قال (أبشروا فإن من يأجوج ومأجوج ألفا ومنكم رجلا ثم قال والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة) . قال فحمدنا الله وكبرنا ثم قال (والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة إن مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود أو كالرقمة في ذراع الحمار).(324)

---

(321)صحيح رواه ابن ماجه وغيره . (حدب) هو غليظ الأرض ومرتفعها . (ينسلون) نسل في العدو أسرع . (كنف الجراد) دود تكون في أنوف الإبل والغنم واحدتها نغفة . (فتشكؤ عليها) أي تسمن وتمتلئ شحما . يقال شكرت الناقة تشكر شكرا إذا سمنت وامتلأ ضرعها لبنا . (322) رواه البخاري ومسلم . (ويل) كلمة تستعمل للحزن والهلاك والمشقة . (ردم) سد . (حلق بإصبعه الإبهام والتي تليها) يعني جعل الإصبع السبابه في أصل الإبهام وضمها حتى لم يبق بينهما إلا خلل يسير والمعنى أنه لم يبق لمجيء الشر إلا اليسير من الزمن . (الخبث) الفسوق والفجور والمعاصي . (323) صحيح رواه ابن ماجة . (قسي) جمع قوس . (نشابهم) هي السهام . (أترستهم) جمع ترس .

وكما لا ينفع الإيمان عند الموت فإنه لا ينفع أيضا إذا ظهرت علامة من العلامات الكبرى

قال رسول الله ﷺ :

ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض . (325)

وقال رسول الله ﷺ

إن الله فتح بابا قبل المغرب عرضه سبعون عاما للتوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس منه . (326)

النفخ في الصور

ينفخ في الصور ثلاث نفخات .

الأولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة القيام لرب العالمين .

قال الله سبحانه وتعالى

وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوۡهُ دَٰخِرِينَ (87النمل).

وقال عز وجل

(323) صحيح رواه ابن ماجة . (قسي) جمع قوس . (نشابهم) هي السهام . (أترستهم) جمع ترس . (324) رواه البخاري ومسلم . وفي رواية في الصحيحين وإني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة) . فكبرنا ثم قال (ثلث أهل الجنة) . فكبرنا ثم قال (شطر أهل الجنة) . فكبرنا(لبيك) أنا ملازم طاعتك لزوما بعد لزوم . (سعديك) أي إسعادا لك بعد إسعاد. (بعث النار) حزبها وأهلها . (فذاك حين . .) أي من شأنه أن يشيب الصغير لو وجد وتضع الحامل لو كانت . (وترى الناس سكرى وما هم بسكرى) وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف وقراءة حفص { سكارى } في الموضعين . (الرقمة) الخط والرقمتان في الحمار هما الأثران اللذان في باطن عضديه والغاية بيان قلة عدد المؤمنين بالنسبة إلى الكافرين وأنهم غاية في القلة . (325) رواه مسلم . (326) صحيح رواه الترمذي وغيره.

وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ (68الزمر).

وقال ﷻ

فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ (101المؤمنون).

وقال ﷾

وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ (51يس).*

قال ابن عباس : { فلا أنساب بينهم } في النفخة الأولى ثم ينفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله فلا أنساب بينهم عند ذلك ولا يتساءلون ثم في النفخة الآخرة { أقبل بعضهم على بعض يتساءلون } . (227)

وقال رسول الله ﷺ كيف أنعم وصاحب القرن وقد التقم القرن واستمع الإذن متى يؤمر بالنفخ فينفخ فكأن ذلك ثقل على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا . (228)

وتقوم الساعة في يوم جمعة كما قال رسول الله ﷺ

(إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة . فيه خلق آدم . وفيه النفخة . وفيه الصعقة . فأكثروا علي من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة علي) فقال رجل يا رسول الله كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت يعني بليت ؟ فقال (إن الله قد حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء . (-)

بعض أهوال الساعة

وعند قيام الساعة تحدث أهوال عظام يتغير بها حال السماوات والأرض كما قال الله ﷾

*(ينسلون) أي يخرجون بسرعة . (227)رواه عبد الرزاق والحاكم وصححه. (228) صحيح رواه الترمذي وأحمد وغيرهما . (-) صحيح رواه ابن ماجة وأبو داود وغيرهما وزادت رواية ابو داود وفيه قبض (يعني آدم عليه السلام) .

يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ (48إبراهيم).

وتلك الأهوال ذكرها الله ﷻ في كتابه في سور كثيرة على سبيل المثال – لا الحصر– سورة التكوير والإنشقاق والإنفطار والقارعة والحاقة والقيامة وهود .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ :

من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ { إذا الشمس كورت } و { إذا السماء انفطرت } و { إذا السماء انشقت }.(229)

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال يأخذ الله عز وجل سماواته وأرضيه بيديه فيقول أنا الله (ويقبض أصابعه ويبسطها)* أنا الملك حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه حتى إني لأقول أساقط هو برسول الله ﷺ ؟ (230).

وقال رسول الله ﷺ :

تدني الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل . قال سليم بن عامر رضي الله عنه :

فوالله ما أدري ما يعني بالميل ؟ أمسافة الأرض أم الميل الذي تكتحل به العين .

---

(229) صحيح رواه الترمذي وغيره وفي رواية أحمد بسند حسن قال ابن عمر وأحسبه أنه قال وسورة هود .(230) رواه مسلم . (يقبض أصابعه ويبسطها) هو النبي ﷺ قال القاضي في هذا الحديث ثلاثة ألفاظ يقبض ويطوي ويأخذ كله بمعنى الجمع لأن السموات مبسوطة والأرضين مدحوة وممدودة ثم يرجع ذلك إلى معنى الرفع والإزالة وتبديل الأرض غير الأرض والسموات فعاد كله إلى ضم بعضها إلى بعض ورفعها وتبديلها بغيرها قال وقبض النبي صلى الله عليه وسلم أصابعه وبسطها تمثيل لقبض هذه المخلوقات وجمعها بعد بسطها وحكاية للمبسوط والمقبوض وهو السموات والأرضون لا إشارة إلى القبض والبسط الذي هو صفة القابض والباسط ﷻ .(أ) رواه مسلم . (ب) صحيح رواه الترمذي وابن حبان وغيرهما .

قال ﷺ فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق فمنهم من يكون إلى كعبيه ومنهم من يكون إلى ركبتيه ومنهم من يكون إلى حقويه ومنهم من يلجمه العرق إلجاما قال وأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فيه . (أ)

وفي رواية فتصهرهم الشمس فيكونون في العرق بقدر أعمالهم ..الحديث . (ب)

فمن أراد أن ينجو من هذه الأهوال فعليه بتوحيد الله ﷺ وإحسان معاملة خلق الله سبحانه وتعالى كما قال رسول الله ﷺ

سبعة يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عدل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه معلق في المساجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه . (ج)

و قال رسول الله ﷺ :

من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه . (ح)

و قال ﷺ :

إن رجلا كان فيمن كان قبلكم أتاه الملك ليقبض روحه فقيل له هل عملت من خير ؟ قال ما أعلم قيل له انظر قال ما أعلم شيئا غير أني كنت أبايع الناس في الدنيا وأجازيهم فأنظر الموسر وأتجاوز عن المعسر فأدخله الله الجنة . (خ)

أسماء يوم القيامة

(ج) رواه البخاري ومسلم . (ح) رواه مسلم . (خ) رواه البخاري ومسلم . (أجازيهم) أتقاضاهم الحق الذي لي عليهم . (فأنظر) أؤخر المطالبة بحقي . (*) بعض الناس يفهمون أن الله سبحانه قد أنظر إبليس لعنه الله إلى ذلك اليوم المعلوم وليس صحيحا لأنه هناك فرق بين اليوم المعلوم ويوم الوقت المعلوم وهذا الوقت المعلوم الذي استأثر الله بعلمه ويجهله إبليس فيموت إبليس ثم يبعث ذكره القرطبي وقال بعض المفسرين إن الله أنظره إلى النفخة الأولى حيث يموت الخلق كلهم و كان طلب الإنظار إلى النفخة الثانية حيث يقوم الناس لرب العالمين فأبى الله ذلك عليه والله أعلم **كذا قال العلامة عبد الله بن الصديق الغماري رحمه الله .

يوم الدين – اليوم الآخر – اليوم المشهود – يوم البعث – الساعة – يوم الفصل – يوم الحساب – يوم التلاقي – يوم الآزفة – يوم التناد – يوم الجمع – الواقعة – اليوم المعلوم(*)– يوم التغابن – الحاقة – اليوم الموعود – الغاشية – القارعة – يوم عظيم – اليوم الحق – يوم الحسرة – يوم الحشر – يوم كبير . ولاشك أن كثرة الأسماء تدل على عظم هذا اليوم وشدة هوله نسأل الله أن يهونه علينا وينجينا من كربه إنه قريب مجيب . **

مقدار يوم القيامة

قال الله ﷻ

فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ (4 المعارج).

وقال رسول الله ﷺ

:ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار قيل يا رسول الله فالإبل ؟ قال ولا صاحب إبل لا يؤدي منها حقها ومن حقها حلبها يوم وردها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر أو فر ما كانت لا يفقد منها فصيلا واحدا تطؤه بأخفافا وتعضه بأفواهها كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار قيل يا رسول الله : فالبقر والغنم ؟ قال ولا صاحب بقر ولا غنم يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر لا يفقد منها شيئا ليس فيها عقصاء ولا جلحاء ولا عضباء تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها كلما مر عليه أولادها رد عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار .. الحديث (*) .

(*) رواه مسلم

البعث (النشر)

البعث رد الأرواح في الأبدان وهو النشر كما قال الله ﷻ

قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ * مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ * مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ * ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ * ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ * ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ (17:22عبس).

وقال الله ﷻ

ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ (15،16المؤمنون).

وقال ﷻ

وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ * لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي يَخۡتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰذِبِينَ (38،39 النحل).

وإذا كانت هذه هي لهجة الكفر في دفع البعث فلقد أمر الله ﷻ رسوله محمدا ﷺ أن يقسم بذاته سبحانه في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم لتأكيد قيام الساعة والبعث والجزاء .

قال الله ﷻ

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ (3سبأ).

و قال الله ﷻ

زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ (7 التغابن).

و قال الله ﷻ

وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ (53يونس).

وعن يعقوب بن عاصم الثقفي أن رجلا جاء عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما فقال :

ما هذا الحديث الذي تحدث به ؟ تقول إن الساعة تقوم إلى كذا وكذا فقال : سبحان الله أو لا إله إلا الله أو كلمة نحوهما لقد هممت أن لا أحدث أحدا شيئا أبدا إنما قلت إنكم سترون بعد قليل أمرا عظيما يحرق البيت ويكون ويكون ثم قال قال رسول الله ﷺ :

يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين (لا أدري أربعين يوما أو أربعين شهرا أو أربعين عاما) فيبعث الله عيسى بن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشأم فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه قال سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا فيتمثل لهم الشيطان فيقول ألا تستجيبون ؟ فيقولون فما تأمرنا ؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان وهم في ذلك دار رزقهم حسن عيشهم ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا ورفع ليتا قال وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله قال فيصعق ويصعق الناس ثم يرسل الله – أو قال ينزل الله – مطرا كأنه الطل أو الظل (نعمان الشاك) فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ثم يقال يا أيها الناس هلم إلى ربكم وقفوهم إنهم مسؤلون قال ثم يقال أخرجوا بعث النار فيقال من كم ؟ فيقال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين قال فذاك يوم يجعل الولدان شيبا وذلك يوم يكشف عن ساق . (–)

(–) رواه مسلم .(فيبعث الله عيسى) قال القاضي رحمه الله تعالى نزول عيسى عليه السلام وقتله الدجال حق وصحيح عند أهل السنة للأحاديث الصحيحة في ذلك وليس في العقل ولا في الشرع ما يبطله فوجب إثباته (في كبد جبل) أي وسطه وداخله وكبد كل شيء وسطه (في خفة الطير وأحلام السباع) قال العلماء معناه يكونون في سرعتهم إلى الشرور وقضاء الشهوات

الحشر *

قال الله ﷻ قُلۡ هُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ (24الملك).

أي تجمعون من قبوركم لموقف الحساب .

موضع الحشر

قال رسول الله ﷺ : يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة نقي } .

قال سهل أو غيره (ليس فيها معلم لأحد) . (231)

وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ :

(تحشرون حفاة عراة غرلا) . قالت عائشة فقلت يا رسول الله الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض ؟ فقال (الأمر أشد من أن يهمهم ذاك). (332)

فالمؤمنون يحشرون راكبين** والكافرون يحشرون على أشكال شتى

قال الله ﷻ

يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا * وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدٗا (85،86 مريم).

والفساد كطيران الطير وفي العدوان وظلم بعضهم بعضا في أخلاق السباع العادية (أصغى ليتا ورفع ليتا) أصغى أمال والليت صفحة العنق وهي جانبه (يلوط حوض إبله) أي يطينه ويصلحه . *والحَشْرُ السَّوْقُ إِلَى جهَة وحَشَر الناس جمعهم و المَحْشِرُ أو المَحْشَر بكسر الشين أو فتحها . (231) رواه البخاري ومسلم . (عفراء) بيضاء مشوبة بحمرة . (كقرصة نقي) كرغيف مصنوع من دقيق خالص من الغش والنخالة . (معلم) علامة يستدل بها أي مستوية لا حدب فيها ولا بناء عليها ولا شيء سواه .

(332). رواه البخاري ومسلم . (غرلا) جمع أغرل وهو الذي لم تقطع منه قلفة الذكر وهي الجلدة التي تقطع عند الختان ومثلها كل عضو قطع من الإنسان فإنه يرجع على حاله . (الأمر) الحال والموقف .

(ذاك) نظر بعضهم إلى عورة بعض. ** قيل إن زمان الحشر في الآية بعد الخروج من القبور وقيل عقب الحساب . والله أعلم . (أ) رواه البخاري ومسلم .

وَفْدًا أي ركوبا و وِرْدًا أي عطاشا .

وقال الله ﷻ

وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُمۡ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِهِۦۖ وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗاۖ مَّأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا (97 الإسراء).

وثبت أن رجلا قال لرسول الله يانبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة ؟ قال (أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادرا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة) .

قال قتادة بلى وعزة ربنا .(أ)

الشهود على المجرمين

قال الله سبحانه

وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ (21 ق).

قال بعض المفسرين سائق أي ملك يسوقها إلى الله وشهيد أي شاهد عليه من نفسه .

وقال الله ﷻ

وَيَوۡمَ يُحۡشَرُ أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ * حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ * وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ * وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ أَن يَشۡهَدَ عَلَيۡكُمۡ سَمۡعُكُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُكُمۡ وَلَا جُلُودُكُمۡ وَلَٰكِن ظَنَنتُمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعۡلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَعۡمَلُونَ * وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ أَرۡدَىٰكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ (23:19 فصلت).

وقال الله عز وجل

يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ *يَوۡمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ (24،25 النور).

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن الأرض

يَوۡمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا (4 الزلزلة).

قال كثير من المفسرين : المعنى أن تشهد الأرض على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها تقول عمل علي يوم كذا كذا فهذه أخبارها .

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال :

كنا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال هل تدرون مما أضحك ؟ قال قلنا الله ورسوله أعلم قال من مخاطبة العبد ربه يقول يا رب ألم تجرني من الظلم ؟ قال يقول بلى قال فيقول فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهدا مني قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا قال فيختم على فيه فيقال لأركانه انطقي قال فتنطق بأعماله قال ثم يخلى بينه وبين الكلام قال فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل . (م)

وأما المؤمنون فلهم شهود كثيرون منها

ما قاله رسول الله ﷺ لبعض النساء " عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس واعقدن بالأنامل

فإنهن مسئولات مستنطقات ولاتغفلن فتنسين الرحمة " . (*)

وقال ﷺ : لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة .(ق)

وقال بعض السلف من سجد في موضع عن شجر أو حجر شهد له عند الله يوم القيامة .

(م) رواه مسلم . (لأركانه) أي جوارحه (أناضل) أي أدافع وأجادل .

قال القرطبي رحمه الله : فتفكر يا أخي و إن كنت شاهدا عدلا بأنك مشهود عليك في كل أحوالك من فعلك و مقالك و أعظم الشهود لديك المطلع عليك الذي لا تخفى عليه خافية عين و لا يغيب عنه زمان و لا أين قال الله تعالى { لا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه } فاعمل عمل من يعلم أنه راجع إليه و قادم عليه يجازي على الصغير و الكبير و القليل و الكثير سبحانه لا إله إلا هو .

شهادة الرسول ﷺ

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا * يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا (النساء41،42).

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال لي النبي ﷺ

(اقرأ علي) . قلت يا رسول الله آقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال (نعم) . فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية { فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا } . قال (حسبك الآن) . فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان . (336)

(*)حسن رواه الترمذي وأبو داود وغيرهما.(والتقديس) أي قول سبحان الملك القدوس أو سبوح قدوس رب الملائكة والروح (واعقدن) بكسر القاف أي اعددن عدد مرات التسبيح وما عطف عليه(بالأنامل) أي بعقدها أو برؤوسها يقال عقد الشيء بالأنامل عده.(فإنهن) أي الأنامل كسائر الأعضاء(مسؤولات)أي يسألن يوم القيامة عما اكتسبن وبأي شيء استعملن(مستنطقات) بفتح الطاء أي متكلمات بخلق النطق فيها فيشهدن لصاحبهن أو عليه بما اكتسبه.(فتنسين الرحمة)بفتح التاء بصيغة المعروف من النسيان أي فتتركن الرحمة ويجوز أن يكون بضم التاء بصيغة المجهول من الانساء قال القارىء والمراد بنسيان الرحمة نسيان أسبابها أي لا تتركن الذكر فإنكن لو تركتن الذكر لحرمتن ثوابه فكأنكن تركتن الرحمة. .(ق) رواه البخاري . (مدى الصوت) آخر ما يصل إليه الصوت . (336) رواه البخاري .

يشهد رسول الله ﷺعلى أمته أنه بلغهم ويشهد على هجرانهم كتاب الله بما أطلعه الله في الدنيا أن أمته تهجر القرآن . والله أعلم .

قال الله ﷻ

وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيۡهِم مِّنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَجِئۡنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَنَزَّلۡنَا

عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنًا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدًى وَرَحۡمَةً وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ (89النحل).

ولكن لماذا ربط الله ﷻ الكلام عن الشهادة بالكلام عن القرآن العظيم ؟ أرى والله أعلم أن في هذا إشارة إلى أن شهادة الرسول ﷺ تحسن وتجمل على من اتبع ما أنزل الله في كتابه وأما إن قصرت همم المسلمين عن تلاوة كتاب الله واستماعه وتدبره والعمل به والتحاكم إليه فإن الرسول ﷺ يشهد عليهم كما قال الله ﷻ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورًا * وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا (30،31الفرقان).

وهؤلاء الصنف كما قال الإمام ابن القيم رحمه الله *

درست معالم الإيمان في قلوبهم فليسوا يعرفونها ودثرت معاهده عندهم فليسوا يعمرونها وأفلت كواكبه النيرة من قلوبهم فليسوا يحيونها وكسفت شمسه عند اجتماع ظلم آرائهم وأفكارهم فليسوا يبصرونها لم يقبلوا هدى الله الذي أرسل به رسوله ﷺ ولم يرفعوا به رأسا ولم يروا بالإعراض عنه إلى آرائهم وأفكارهم بأسا خلعوا نصوص الوحي عن سلطنة الحقيقة وعزلوها عن ولاية اليقين وشنوا عليها غارات التأويلات الباطلة فلا يزال يخرج عليها منهم كمين بعد كمين نزلت عليهم – آيات القرآن – نزول الضيف على أقوام لئام فقابلوها بغير ما ينبغي لها من القبول والإكرام وتلقوها من بعيد ولكن بالدفع فى الصدور منها والأعجاز وقالوا : ما لك عندنا من عبور وإن

* نقلا عن مدارج السالكين .

كـان لا بـد فعلـى سـبيل الاجتيـاز أعـدوا لـدفعها – آيـات القـرآن – أصـناف العـدد وضروب القوانين وقالوا لما حلت بساحتهم : مالنا ولظواهر لفظية لا تفيدنا شيئا من اليقين وعوامهم قالوا : حسبنا ما وجدنا عليه خلفنا من المتأخرين فإنهم أعلم بها من السلف الماضين وأقوم بطرائق الحجج والبراهين وأولئك غلبت عليهم السذاجة وسلامة الصدور .

شهادة أمة الرسول ﷺ على الأمم

قال رسول الله ﷺ

(يجيء نوح وأمته فيقول الله تعالى هل بلغت ؟ فيقول نعم أي رب فيقول لأمته هل بلغكم ؟

فيقولون لا ما جاءنا من نبي فيقول لنوح من يشهد لك ؟ فيقول محمد صلى الله عليه وسلم وأمته فنشهد أنه قد بلغ وهو قوله جل ذكره { وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس }) . (337)

الحوض

قال رسول الله ﷺ

إن لكل نبي حوضا وإنهم يتباهون أيهم أكثر واردة وإني أرجو أن أكون أكثرهم واردة . (–)

قال رسول الله ﷺ

(حوضي مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منها فلا يظمأ أبدا).(238)

وقال ﷺ

---

(337)رواه البخاري . (–)صحيح رواه الترمذي والطبراني وغيرهما . (أيهم أكثر واردة) أي ناظرين أيهم أكثر أمة واردة ذكره الطيبي رحمه الله وقيل أيهم موصولة صدر صلتها محذوف أو مبتدأ وخبر . (238) رواه البخاري ومسلم . (كيزانه) جمع كوز والتشبيه بالنجوم من حيث الكثرة والضياء .(يظمأ) يعطش . (ب) رواه البخاري ومسلم .

ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي. (ب)
(ومنبري على حوضي) قال القاضي عياض قال أكثر العلماء المراد منبره بعينه الذي كان في الدنيا قال وهذا هو الأظهر .
وحوض النبي يكون في الموقف قبل الميزان والصراط .

عن أبي هريرة رضي الله عنه

أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة فقال السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون وددت أنا قد رأينا إخواننا قالوا أولسنا إخوانك يا رسول الله ؟ قال أنتم أصحابي وإخواننا الذين لم يأتوا بعد فقالوا كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله ﷺ ؟ فقال أرأيت لو أن رجلا له خيل غر محجلة بين ظهري خيل دهم بهم ألا يعرف خيله ؟ قالوا بلى يا رسول الله قال فإنهم يأتون غرا محجلين من الوضوء وأنا فرطهم على الحوض ألا ليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال أناديهم ألا هلم فيقال إنهم قد بدلوا بعدك فأقول سحقا سحقا .(239)

وقال رسول الله ﷺ :

أنا فرطكم على الحوض وليرفعن رجال منكم ثم ليختلجن دوني فأقول يا رب أصحابي*؟ فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك . (340)

عن أبي ذر رضي الله عنه قال :

قلت يا رسول الله ما آنية الحوض ؟ قال والذي نفس محمد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها ألا في الليلة المظلمة المصحية آنية الجنة من شرب منها لم يظمأ آخر ما

---

(239) رواه مسلم . (بين ظهري خيل دهم بهم) والمعنى بين أفراس وقوله دهم بهم أي سود لم يخالط لونها لون آخر . (ألا هلم) معناه تعالوا قال أهل اللغة في هلم لغتان أفصحهما هلم للرجل والرجلين والمرأة والجماعة من الصنفين بصيغة واحدة(سحقا سحقا) معناه بعدا بعدا والمكان السحيق البعيد ونصب على تقدير ألزمهم الله سحقا أو سحقهم سحقا .

(340) رواه البخاري ومسلم . (فرطكم) هو الذي يتقدم الواردين ليصلح لهم الحياض والدلاء ونحوها من أمور الاستقاء . (ليرفعن) يظهرهم الله تعالى لي حتى أراهم . (ليختلجن) يعدل

بهم عن الحوض ويجذبون من عندي . (دوني) قبل أن يصلوا إلي . *المقصود بأصحابي من ارتد بعد موت رسول الله ﷺ ومات على ذلك وليس المقصود الفتنة التي دارت بين الصحابة رضوان الله عليهم لأنهم لم يرتدوا رضوان الله عليهم وقال بعض العلماء المقصود بأصحابي كل المبتدعين والمرتدين عموما من أمة محمد صلى الله عليه وسلم . قال الحافظ ابن حجر في الفتح قال الفربري ذكر عن أبي عبد الله البخاري عن قبيصة قال هم الذين ارتدوا على عهد أبي بكر فقاتلهم أبو بكر يعني حتى قتلوا وماتوا على الكفر وقد وصله الإسماعيلي من وجه اخر عن قبيصة وقال الخطابي لم يرتد من الصحابة أحد وانما ارتد قوم من جفاة الاعراب ممن لانصرة له في الدين وذلك لا يوجب قدحا في الصحابة المشهورين ويدل قوله اصيحابي بالتصغير على قلة عددهم وقال غيره قيل هو على ظاهره من الكفر والمراد بأمتي امة الدعوة لا امة الإجابة ورجح بقوله في حديث أبي هريرة فأقول بعدا لهم وسحقا ويؤيده كونهم خفي عليه حالهم ولو كانوا من امة الإجابة لعرف حالهم بكون اعمالهم تعرض عليه وهذا يرده قوله في حديث أنس حتى إذا عرفتهم وكذا في حديث أبي هريرة وقال بن التين يحتمل أن يكونوا منافقين أو من مرتكبي الكبائر وقيل هم قوم من جفاة الاعراب دخلوا في الإسلام رغبة ورهبة وقال الداودي لا يمتنع دخول أصحاب الكبائر والبدع في ذلك وقال النووي قيل هم المنافقون والمرتدون فيجوز ان يحشروا بالغرة والتحجيل لكونهم من جملة الأمة فيناديهم من اجل السيما التي عليهم فيقال إنهم بدلوا . (ما أحدثوا) من بدعة وفتنة ومعصية .

(341) صحيح رواه ابن حبان .

(ألا في الليلة المظلمة) بتخفيف ألا وهي التي للاستفتاح وخص الليلة المظلمة المصحية لأن النجوم ترى فيها أكثر والمراد بالمظلمة التي لا قمر فيها مع أن النجوم طالعة فإن وجود القمر يستر كثيرا من النجوم (آنيةِ الجنة) ضبطه بعضهم برفع آنية وبعضهم بنصبها وهما صحيحان فمن رفع فخبر مبتدأ محذوف أي هي آنية الجنة ومن نصب فبإضمار أعني أو نحوه (يشخب) الخاء مضمومة ومفتوحة والشخب السيلان وأصله ما خرج من تحت يد الحالب عند كل غمزة وعصرة لضرع الشاة (ميزابان) قال في اللسان وزب الشيء يزب وزوبا إذا سال قال الجوهري الميزاب المثعب فارسي معرب قال وقد عرب بالهمز وربما لم يهمز والجمع مآزيب إذا همزت وميازيب إذا لم تهمز والمعنى أي يَصُبَّان في الحوض ولا يَنْقَطعُ انْصِبابُهما (عمان) هي بلدة بالبلقاء من الشام قال الحازمي قال ابن الأعرابي يجوز أن يكون فعلان من عم يعم فلا ينصرف معرفة وينصرف نكرة قال ويجوز أن يكون فعالا من عمن فينصرف معرفة ونكرة إذا عنى بها البلد هذا كلامه والمعروف في روايات الحديث وغيرها ترك صرفه.

عليه يشخب فيه ميزابان من الجنة من شرب منه لم يظمأ عرضه مثل طوله ما بين عمان إلى أيلة ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل . رواه مسلم . وفي رواية ينبعث فيه ميزابان مدادهما الجنة أحدهما در والآخر ذهب . (341)

الشفاعة

الشفاعة فيما يتعلَّق بأمُور الدنيا والآخرة هي السُّؤالُ في التَّجاوُز عن الذُّنوب. ويقال شَفَعَ إلى فلان شَفاعَةً أي توسل إليه بوسيلة وشَفَعَ في فلان أي كان شفيعا فيه .

ويقال المُشَفِّع : الذي يَقْبل الشَّفاعةَ ممن طلبها والمُشَفَّع الذي تُقْبَل شفاعتُه كرسول الله ﷺ .

الشفاعة ثابتة في القرآن والسنة لا تكون إلا في الآخرة ولها قواعد أربع

القاعدة الأولى

الشفاعة لا تكون إلا لله فهي من تشريع الله ﷻ لا من تشريع البشر كما قال الله ﷻ

قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ

(44الزمر).

القاعدة الثانية

الشفاعة لا تكون إلا بإذن الله كما قال الله ﷻ

مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ (255البقرة).

القاعدة الثالثة

الشفاعة لا تكون إلا لمن رضي الرحمن عنه ورضي له قولا كما قال الله ﷻ

وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ (26النجم).

وقال الله ﷻ

يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا (109طه).

القاعدة الرابعة

الشفاعة لا تكون إلا للمؤمنين ولا تنفع الكافرين والمشركين كما قال الله ﷻ عنهم

فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ (48المدثر).

والشفاعة تنقسم إلى خمسة أقسام – فيما أعلم – شفاعة المؤمنين وشفاعة الشهداء وشفاعة الملائكة وشفاعة النبيين وشفاعة الصيام والقرآن ورحمة الله **.

شفاعة الرسول ﷺ

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال

أتي رسول الله ﷺ بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة ثم قال (أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون مم ذلك ؟ يجمع الله الناس الأولين والآخرين في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس ألا ترون ما قد بلغكم ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم ؟ فيقول بعض الناس لبعض عليكم بآدم فيأتون آدم عليه السلام فيقولون له أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه ألا ترى إلى ما قد بلغنا ؟ فيقول آدم إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح . فيأتون نوحا فيقولون يا نوح إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وقد سماك الله عبدا شكورا اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ فيقول إن ربي عز وجل قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى إبراهيم . فيأتون إبراهيم فيقولون يا إبراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ فيقول لهم إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإني قد كنت كذبت ثلاث كذبات نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى موسى . فيأتون موسى فيقولون يا موسى أنت رسول الله فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ فيقول إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإني قد قتلت نفسا لم أومر بقتلها نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى عيسى . فيأتون عيسى فيقولون يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم

**وستأتي رحمة الله سبحانه وتعالى وشفاعة الأنبياء وشفاعة المؤمنين في باب الصراط . (لم أقل شفاعة الله لأن الله عز وجل هو المُشَفِّع الذي يقبل الشفاعة سبحانه) .

وروح منه وكلمت الناس في المهد صبيا اشفع لنا ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ فيقول عيسى إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله قط ولن يغضب بعده مثله – ولم يذكر ذنبا – نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى محمد ﷺ . فيأتون محمدا ﷺ فيقولون يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجدا لربي عز وجل ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلي ثم يقال يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسي فأقول أمتي يا رب أمتي يا رب فيقال يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ثم قال والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمير أو كما بين مكة وبصرى .(342)

شفاعة الشهداء

قال رسول الله ﷺ : للشهيد عند الله ست خصال يغفر له في أول دفعة ويرى مقعده من الجنة ويجار من عذاب القبر ويأمن من الفزع الأكبر ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور [العين] ويشفع في سبعين من أقاربه . (343)

---

(342) رواه البخاري ومسلم . (كذبات) أي فيما يظهر للناس وبالنسبة لفهم السامعين وهي ليست كذبا في حقيقة الأمر لأنها من المعاريض . (سقيم) مريض قال ذلك لقومه حتى لا يخرج معهم ويبقى ليكسر الأصنام . (المصراعين) جانبي الباب .(حمير) أي بلد حمير وهي صنعاء عاصمة اليمن. (قتلت نفسا) وهو القبطي الذي قتله خطأ. وروى مسلم أن رسول الله ﷺ اقال: لم يكذب إبراهيم النبي عليه السلام قط إلا ثلاث كذبات ثنتين في ذات الله قوله إني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وواحدة في شأن سارة فإنه قدم أرض جبار ومعه سارة وكانت أحسن الناس فقال لها إن هذا الجبار إن لا يعلم أنك امرأتي يغلبني عليك فإن سأل فأخبريه أنك أختي فإنك أختي في الإسلام فإني لا أعلم في الأرض مسلما غيري وغيرك .

والصيام والقرآن يشفعان للمؤمن الصائم القارئ كما قال رسول الله ﷺ الصيام و القرآن يشفعان للعبد يوم القيامة يقول الصيام : أي رب إني منعته الطعام و الشهوات بالنهار فشفعني فيه يقول القرآن : رب منعته النوم بالليل فشفعني فيه فيشفعان .(344)

الميزان

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ (47الأنبياء) .

قال أبو الحسن الأشعري رحمه الله : الميزان له لسان (345) وكفتان توزن في إحدى كفتيه الحسنات وفى الأخرى السيئات فمن رجحت حسناته دخل الجنة ومن رجحت سيئاته دخل النار ومن رجحت سيئاته دخل النار ومن تساوت حسناته وسيئاته تفضل الله عليه فادخله الجنة .

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ (9،8الأعراف).

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

---

(343)صحيح رواه الترمذي وابن ماجة وغيرهما . (ست خصال) المذكورات سبع . إلا أن يجعل الإجازة والأمن من الفزع واحدة(دفعة)أي من دمه كما في رواية ابن ماجة والدفعة بالضم ما دفع من إناء أو سقاء فانصب بمرة . وكذلك الدفعة من المطر.(حلة الإيمان) إضافة الحلة إلى الإيمان بمعنى أنها مسببة عنه .(344) صحيح رواه البيهقي والحاكم وغيرهما . (345) (ولم أجد دليلا على أن للميزان لسانا إلا ما رواه الكلبي الكذاب عن أبي صالح عن ابن عباس وهو كذب وكل ما رواه الكلبي كذب) .

فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُۥ * فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُۥ * فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌۢ (11:6 القارعة).

فالأعمال توزن والعباد أنفسهم يوزنون أيضا

كما قال رسول الله ﷺ

إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة . وقال اقرؤوا إن شئتم { فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا }. (346)

عن مصعب بن سعد قال : كنت أقرأ على أبي حتى إذا بلغت هذه الآية { قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا } قلت : يا أبتاه أهم الخوارج ؟ قال : لا يا بني اقرأ الآية التي بعدها : { أولئك الذين } { فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا } قال : هم المجتهدون من النصارى كان كفرهم بآيات ربهم بمحمد و لقائه و قالوا : ليس في الجنة طعام و لا شراب و لكن الخوارج هم الفاسقون الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه و يقطعون ما أمر الله به أن يوصل و يفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون . (347)

بينما ساق رجل من أصحاب رسول الله ﷺ تزن جبل أحد وهو عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه تلك الساق التي كانت تسعى إلى المساجد والدعوة إلى الله والصلح بين الناس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه :

أمر النبي صلى الله عليه وسلم بن مسعود فصعد علي شجرة أمره أن يأتيه منها بشيء فنظر أصحابه إلى ساق عبد الله بن مسعود حين صعد الشجرة فضحكوا من حُمُوشة ساقيه فقال رسول الله ﷺ ما تضحكون لرجل عبد الله أثقل في الميزان يوم القيامة من أحد .(348)

---

(346) رواه البخاري ومسلم . (العظيم) الضخم في جسمه ولا إيمان في قلبه .

(347) صحيح رواه الحاكم . (348) حديث حسن رواه أحمد والحاكم وغيرهما . (حُمُوشة) أي دقة .

تطاير الصحف

قال الله ﷻ

وَكُلَّ إِنسَـٰنٍ أَلۡزَمۡنَـٰهُ طَـٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ‌ۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا يَلۡقَٮٰهُ مَنشُورًا * ٱقۡرَأۡ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبًا (13،14الإسراء).

قال معمر وتلا الحسن البصري { عن اليمين وعن الشمال قعيد } يا ابن آدم بسطت لك صحيفتك ووكل بك ملكان كريمان أحدهما عن يمينك والاخر عن شمالك فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك وأما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك فاعمل ما شئت أقلل أو أكثر حتى إذا مت طويت صحيفتك فجعلت في عنقك معك في قبرك حتى تخرج يوم القيامة كتابا تلقاه منشورا اقرأ كتابك الاية فقد عدل والله من جعلك حسيب نفسك .

و قال الحسن رضي الله عنه: يقرأ الإنسان كتابه أميا أو غير أمي كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا أي محاسبا وقال بعض الصلحاء : هذا كتاب لسانك قلمه وريقك مداده وأعضاؤك قرطاسه إن كنت المملي على حفظتك ما زيد فيه ولا نقص منه ومتى أنكرت منه شيئا يكون فيه الشاهد منك عليك .

قال القرطبي رحمه الله

مثل و قوفك يوم العرض عريانا ... مستوحشا قلق الأحشاء حيرانا

والنار تلهب من غيظ ومن حنق ... على العصاة و رب العرش غضبانا

اقرأ كتابك ياعبدي على مهل ... فهل ترى فيه حرفا غير ما كانا

لما قرات و لم تنكر قراءته ... إقرار من عرف الأشياء عرفانا

نادى الجليل : خذوه يا ملائكتي ... وامضوا بعبد عصى للنار عطشانا

المشركون غدا في النار يلتهبوا ... والمؤمنون بدار الخلد سكانا

فتوهم نفسك يا أخي إذا تطايرت الكتب و نصبت الموازين و قد نوديت باسمك على رؤوس الخلائق أين فلان ابن فلان هلم إلى العرش على الله تعالى و قد وكلت

الملائكة بأخذك فقربتك إلى الله لا يمنعها اشتباه الأسماء باسمك و اسم أبيك إذ عرفت أنك المراد بالدعاء إذ قرع النداء قلبك فعلمت أنك المطلوب فارتعدت فرائصك و اضطربت جوارحك و تغير لونك و طار قلبك تحظى بك الصفوف إلى ربك للعرض عليه و الوقوف بين يديه و قد رفع الخلائق إليك أبصارهم و أنت في أيديهم و قد طار قلبك و اشتد رعبك لعلمك أين يراد بك

فتوهم نفسك و أنت بين يدي ربك في يدك صحيفة مخبرة بعملك لا تغادر بلية كتمتها و لا مخبأة أسررتها و أنت تقرأ ما قيها بلسان كليل و قلب منكسر و الأهوال محدقة بك من بين يديك و من خلفك فكم من بلية قد كنت نسيتها ذكرتها و كم من شيئة قد كنت أخفيتها قد أظهرها و أبداها و كم من عمل ظننت أنه سلم لك و خلص فرده عليك في ذلك الموقف و أحبطه بعد أن كان أملك فيه عظيما فيا حسرة قلبك و يا أسفك على ما فرطت فيه من طاعة ربك . أ.هـ.

قال الله ﷻ

يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ * فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَـٰبِيَهْ * إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَـٰقٍ حِسَابِيَهْ * فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ* فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ *قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَـٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَـٰبِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ * يَـٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ * مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّى سُلْطَـٰنِيَهْ * خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ * إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ * وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ * فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَـٰهُنَا حَمِيمٌ * وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ * لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَـٰطِـُٔونَ (الحاقة18:37).

ورحم الله من قال

وطارت الصحف في الأيدي منشرة ... فيها السرائر والأخبار تطلع

فكيف سهوك والأنباء واقعة ... عما قليل ولا تدري بما تقع

أفي الجنان وفوز لا انقطاع له   أم الجحيم فلا تبقي ولا تدع
تهوي بساكنها طورا وترفعهم   إذا رجوا مخرجا من غمها قمعوا
طال البكاء فلم يرحم تضرعهم   فيها ولا رقية تغني ولا جزع
لينفع العلم قبل الموت عالمه   قد سال قوم بها الرجعى فما رجعوا

العرض

وليس ذلك عرضا يعلم – الله ﷻ – به ما لم يكن عالما به بل معناه الحساب وتقرير الأعمال عليهم للمجازاة . كذا قال القرطبي رحمه الله .

قال الله ﷻ

فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ * وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ * فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ * وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ * وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ * يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ (13:18الحاقة).

وقال الله عز وجل

وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّٗا لَّقَدۡ جِئۡتُمُونَا كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةِۭۚ بَلۡ زَعَمۡتُمۡ أَلَّن نَّجۡعَلَ لَكُم مَّوۡعِدٗا (48 الكهف).

الحساب

حينما تقع حادثة من الحوادث في الدنيا فإنه يقبض على المجرم ليبدأ معه التحقيق وقد ينجو من العقوبة بمكر أو خداع ولكن فيما يتعلق بالآخرة فإن العبد له ملف مليئ بالقضايا وقد حكم الله ﷻ عليه حكما بالأعدام لا نقض له ولا إبرام .

ۚ وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ (41 الرعد).

وساعة تنفيذ الحكم يقبض على المتهم المجرم كالعبد الآبق ويبدأ معه التحقيق بأسئلة ثلاث ثم تقام عليه العقوبة كاملة غير منقوصة إلا أن يشاء الله ﷻ .

قال الله ﷻ

فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُۥ بِيَمِينِهِۦ *فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ * فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا * وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا * إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا * إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ * بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا (15:7الإنشقاق).

(يحور أي يرجع إلى الله).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت

قال رسول الله ﷺ من حوسب يوم القيامة عذب فقلت أليس قد قال الله عز وجل { فسوف يحاسب حسابا يسيرا ؟ } [الإنشقاق8]

فقال ليس ذاك الحساب إنما ذاك العرض . من نوقش الحساب يوم القيامة عذب . (ج)

قال القرطبي قال بعض العلماء : ذكر الله تعالى الحساب جملة و جاءت الأخبار بذلك و في بعضها ما يدل على أن كثيرا من المؤمنين يدخلون الجنة بغير حساب فصار الناس إذاً ثلاث فرق : فرقة لايحاسبون أصلا و فرقة تحاسب حسابا يسيرا و هما من المؤمنين و فرقة تحاسب حسابا شديدا يكون منها مسلم وكافر و إذا كان من المؤمنين من يكون أدنى إلى رحمة الله فلا يبعد أن يكون من الكفار من هو أدنى إلى غضب الله فيدخله النار بغير حساب . أ . هـ .

(ج) رواه مسلم والبخاري . (من نوقش الحساب يوم القيامة عذب) معنى نوقش استقصى عليه قال القاضي وقوله عذب له معنيان أحدهما أن نفس المناقشة وعرض الذنوب والتوقيف عليها هو التعذيب لما فيه من التوبيخ والثاني أنه مفض إلى العذاب بالنار ويؤيده قوله في الرواية الأخرى هلك مكان عذب هذا كلام القاضي وهذا الثاني هو الصحيح ومعناه أن التقصير غالب في العباد فمن استقصى عليه ولم يسامح هلك ودخل النار ولكن الله تعالى يعفو ويغفر ما دون الشرك لمن يشاء .

وقال بعض العلماء يحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة و من كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار ثم قرأ { فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون * ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم } ثم قال إن الميزان يخف بمثقال حبة أو ترجح قال و من استوت حسناته و سيئاته كان من أصحاب الأعراف .

قال رسول الله ﷺ

إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة فإن هو هم بها وعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة . (-)

طريقة الحساب

اتفق العلماء على تكليم الله سبحانه وتعالى للمؤمنين الموحدين ورؤيتهم له سبحانه واتفقوا على أن الكافر والمنافق لا يرى الله لقول الله سبحانه

كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ (15المطففين).

واختلفوا في تكليم الله ﷻ للكافرين والمنافقين والله اعلم بالصواب .

قال القرطبي وجاء عن النبي ﷺ أنه قال : [ما منكم من أحد إلا وسيكلمه الله ليس بينه و بينه ترجمان] . (د) فقيل إن الله يحاسب المكلفين بنفسه و يخاطبهم معا و لا يحاسبهم واحدا بعد واحد و المحاسبة حكم فلذلك تضاف إليه كما يضاف الحكم إليه قال الله تعالى : { ألا له الحكم } و قال { و هو خير الحاكمين } .

وقال البغوي وغيره في الآية { و لا يكلمهم الله }

أي لا يكلمهم بالرحمة وبما يسرهم إنما يكلمهم بالتوبيخ .

(-) رواه البخاري ومسلم . (فلم يعملها) أي الحسنة لعائق حال بينه وبين فعلها أو السيئة خوفا من الله عز وجل . (د) رواه البخاري ومسلم .

و قيل : إن الملائكة يحاسبون بأمر الله كما أن الحكام يحكمون بأمر الله تعالى و قد قال الله تعالى : { إن الذين يشترون بعهد الله و أيمانهم ثمنا قليلا } إلى قوله { و لا يكلمهم الله } و إن من لم يكن بهذه الصفة فإن الله تعالى يكلمه فيكلم المؤمنين و يحاسبهم حسابا يسيرا من غير ترجمان إكراما لهم كما أكرم موسى عليه السلام في الدنيا بالتكليم ولا يكلم الكفار فتحاسبهم الملائكة و يميزهم بذلك عن أهل الكرامة فتتسع قدرته لمحاسبة الخلق كلهم معا كما تتسع قدرته لإحداث خلائق كثيرة معا .

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى :

{ ما خلقكم و لا بعثكم إلا كنفس واحدة } أي إلا كخلق نفس واحدة .

ما أجمل أن يسمع العبد صوت خالقه ومولاه يكلمه برحمة ويحدثه بالخير. إنها ساعة لا تعدلها الدنيا بما فيها وأجمل من ذلك وأفضل أن يرى المخلوق خالقه فاللهم أنل المسلمين أجمعين هذا الفضل العظيم . آمين .

أول حساب

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته فإن صلحت فقد أفلح وأنجح وإن فسدت فقد خاب وخسر فإن انتقص من فريضته شيء قال الرب عز وجل انظروا هل لعبدي من تطوع ؟ فيكمل بها ما انتقص من الفريضة ثم يكون سائر عمله على ذلك . (ذ)

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أول ما يحاسب به العبد الصلاة وأول ما يقضى بين الناس في الدماء . (ر)

وقال عليّ بن ابي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ :

(ذ) صحيح رواه الترمذي وأبو داود وغيرهما . (ر) صحيح رواه النسائي والطبراني وغيرهما .

(ز) رواه البخاري . (أول) أي لأنه من أوئل المجاهدين من هذه الأمة . (يجثو) يقعد على ركبتيه مخاصما . (خصمان) مثنى خصم . وهو صفة بوصف بها الفوج أو الفريق كأنه قيل هذان فوجان – أو فريقان – يختصمان . (اختصموا في ربهم) أي بسبب دينه .

أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة . وقال قيس بن عباد وفيهم أنزلت { هذان خصمان اختصموا في ربهم } . قال هم الذين تبارزوا يوم بدر حمزة وعلي وعبيدة أو أبو عبيدة بن الحارث وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة . (ز)

السؤال

سيسأل الله المكلفين أجمعين كما قال ﷻ

فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ (6الأعراف).

فأما الرسل فالله ﷻ يقول

يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ (109المائدة).

وأما الذين أرسل إليهم فالله ﷻ يقول

وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ * فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ (65،66القصص).

قال القرطبي رحمه الله : وسؤالهم – أي المجرمون – سؤال تقرير وتوبيخ وإفضاح وسؤال الرسل سؤال استشهاد بهم وإفصاح أي عن جواب القوم لهم وهو معنى قوله { لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ } [8 الأحزاب]

وقال النبي ﷺ لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن علمه ماذا عمل فيه.(349)

وقال رسول الله ﷺ

---

(349) صحيح رواه الطبراني وغيره . (350) رواه البخاري .

(هـ) صحيح رواه الترمذي ومسلم وغيرهما .

(ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ولا حجاب يحجبه) . (350)

وقال رسول الله ﷺ :

يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقول الله له ألم أجعل لك سمعا وبصرا ومالا وولدا وسخرت لك الأنعام والحرث وتركتك ترأس وتربع فكنت تظن أنك ملاقي يومك هذا ؟ قال فيقول لا فيقول له اليوم أنساك كما نسيتني . (هـ)

وقال ﷺ :

إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره فيقول أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا ؟ فيقول نعم أي رب حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه هلك قال سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته . وأما الكافر والمنافق فيقول الأشهاد { هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين }.(351)

الظلمة

عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال رضي الله عنه :

كنت قائما عند رسول الله ﷺ فجاء حبر من أحبار اليهود فقال السلام عليك يا محمد فدفعته دفعة كاد يصرع منها فقال لم تدفعني ؟ فقلت ألا تقول يا رسول الله فقال اليهودي إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله فقال رسول الله ﷺ :

إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي فقال اليهودي جئت أسألك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أينفعك شيء إن حدثتك ؟ قال أسمع بأذني فنكت رسول الله ﷺ بعود معه فقال سل فقال اليهودي أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات ؟ فقال رسول الله ﷺ هم في الظلمة دون الجسر قال فمن أول الناس إجازة ؟ قال فقراء المهاجرين قال اليهودي فما تحفتهم حين يدخلون الجنة ؟ قال زيادة كبد النون قال فما غذاؤهم على إثرها ؟ قال ينحر لهم ثور الجنة الذي كان

يأكل من أطرافها قال فما شرابهم عليه ؟ قال من عين فيها تسمى سلسبيلا قال صدقت. (352)

إمتحان المؤمنين والمنافقين

قال الله ﷻ

يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَـٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ * يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَـٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ * فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ (الحديد13:15).

---

(351) رواه البخاري ومسلم . (يدني) يقرب . (كنفه) ستره وحفظه. (هلك) باستحقاقه العذاب على ذنوبه. (الأشهاد) جمع شاهد وشهيد وهم الرسل والملائكة والمؤمنون من الإنس والجن. (كذبوا على ربهم) بنسبة الشريك له والولد وأن الله تعالى لا يبعثهم بعد موتهم سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا.

(لعنة الله) الطرد من رحمته والعذاب الدائم في جهنم.(الظالمين)المشركين والكافرين ومن على شاكلتهم.

(352) رواه مسلم . (فنكت) معناه يخط بالعود في الأرض ويؤثر به فيها وهذا يفعله المفكر (الجسر) بفتح الجيم وكسرها لغتان مشهورتان والمراد به هنا الصراط (إجازة) الإجازة هنا بمعنى الجواز والعبور(تحفتهم) بإسكان الحاء وفتحها لغتان وهي ما يهدي إلى الرجل ويخص به ويلاطف(النون)النون هو الحوت وجمعه نينان (زيادة كبد النون) والزيادة والزائدة شئ واحد وهو طرف الكبد وهو أطيبها.(غذاؤهم) روي على وجهين غذاؤهم وغداؤهم قال القاضي عياض هذا الثاني هو الصحيح وهو رواية الأكثرين (سلسبيلا) قال جماعة من أهل اللغة والمفسرين السلسبيل اسم للعين وقال مجاهد وغيره هي شديدة الجري وقيل في السلسلة اللينة .

(253) رواه مسلم . (354) رواه مسلم . (355) صحيح رواه أحمد.

وفي حديث الصراط الطويل قال رسول الله ﷺ :
فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه.(253)

الصراط

الصراط جسر ممدود على ظهر جهنم فيه كلاليب وخطاطيف وشوك صلب من حديد يعبر عليه الموحدون من الأمم بقدر أعمالهم ويتفاوتون في السرعة والإبطاء على قدر ذلك وتزل فيه أقدام من شاء الله سبحانه وتعالى .
قال أبو سعيد بلغني أن الجسر أدق من الشعرة وأحد من السيف . (354)
قال ﷺ (وبجنبتيه الملائكة يقولون اللهم سلم سلم) . (355)
وفي رواية قال ﷺ :
يجمع الله تبارك وتعالى الناس فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة فيأتون آدم فيقولون يا أبانا استفتح لنا الجنة فيقول وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم لست بصاحب ذلك اذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله قال فيقول إبراهيم لست بصاحب ذلك إنما كنت خليلا من وراء وراء اعمدوا إلى موسى ﷺ الذي كلمه الله تكليما فيأتون موسى ﷺ فيقول لست بصاحب ذلك اذهبوا إلى عيسى كلمة الله وروحه فيقول عيسى ﷺ لست بصاحب ذلك فيأتون محمدا ﷺ فيقوم فيؤذن له وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط يمينا وشمالا فيمر أولكم كالبرق قال قلت بأبي أنت وأمي أي شيء كمر البرق ؟ قال ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين ؟ ثم كمر الريح ثم كمر الطير وشد الرجال تجري بهم أعمالهم ونبيكم قائم على الصراط يقول رب سلم سلم حتى تعجز أعمال العباد حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفا قال وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به فمخدوش ناج ومكدوس في النار قال أبو هريرة والذي نفس أبي هريرة بيده إن قعر جهنم لسبعون خريفا . (356)

واعلم أن من استقام على صراط الله في الدنيا استقام على الصراط في الآخرة ومن زاغ عن الصراط في الدنيا زل عن الصراط في النار في الآخرة .

عن عائشة رضي الله عنها أنها سألت رسول الله ﷺ عن قوله { والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه } قال قلت فأين الناس يومئذ يا رسول الله ؟ قال على جسر جهنم .(357)

عن حفصة رضي الله عنها قالت قال النبي ﷺ :

إني لأرجو ألا يدخل النار أحد إن شاء الله تعالى ممن شهد بدرا والحديبية } قالت قلت يا رسول الله أليس قد قال الله وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا . قال :

(ألم تسمعيه يقول ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ؟).(358)

صفة الصراط

وأما عن صفة الصراط ومرور الناس عليه فسأنقل لك حديثا صحيحا بتمامه لعظيم الفائدة

عن أبي سعيد الخدري أن ناسا في زمن رسول الله ﷺ قالوا

يا رسول الله هل نري ربنا يوم القيامة ؟ قال رسول الله ﷺ نعم قال هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحاب ؟ وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب ؟ قالوا لا يا رسول الله قال ما تضارون في رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما إذا كان يوم القيامة

---

(356) رواه مسلم . (وترسل الأمانة والرحم) إرسال الأمانة والرحم لعظم أمرهما وكثير موقعهما فتصوران مشخصتين على الصفة التي يريدها الله تعالى (جنبتي الصراط) معناهما جانباه ناحيتاه اليمنى واليسرى (وشد الرجال) الشد هو العدو البالغ والجري . (تزلف) أي تقرب كما قال الله تعالى وأزلفت الجنة للمتقين أي قربت . (357) صحيح رواه أحمد . (358) صحيح رواه ابن ماجة ومسلم وغيرهما .

أذن مؤذن ليتبع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله سبحانه من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغبر أهل الكتاب فيدعى اليهود فيقال لهم ما كنتم تعبدون ؟ قالوا كنا نعبد عزير بن الله فيقال كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون ؟ قالوا عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار إليهم ألا تردون ؟ فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون في النار ثم يدعى النصارى فيقال لهم ما كنتم تعبدون ؟ قالوا كنا نعبد المسيح بن الله فيقال لهم كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فيقال لهم ماذا تبغون ؟ فيقولون عطشنا يا ربنا فاسقنا قال فيشار إليهم ألا تردون ؟ فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون في النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله تعالى من بر وفاجر أتاهم رب العالمين سبحانه وتعالى في أدنى صورة من التي رأوه فيها قال فما تنتظرون ؟ تتبع كل أمة ما كانت تعبد قالوا يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئا (مرتين أو ثلاثا) حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب فيقول هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها ؟ فيقولون نعم فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة فقال أنا ربكم فيقولون أنت ربنا ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم قيل يا رسول الله وما الجسر ؟ قال دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسك تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاود الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس في نار جهنم حتى إذا خلص المؤمنين من النار فوالذي نفسي بيده ما منكم من أحد بأشد منا شدة لله في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار يقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم أخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا قد أخذت النار إلى نصف ساقيه وإلى ركبتيه ثم يقولون ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به فيقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال

دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحدا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا .

وكان أبو سعيد الخدري ﷺ يقول :

إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرؤوا إن شئتم { إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما } [النساء / 4] فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل ألا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر ما يكون إلى الشمس أصيفر وأخيضر وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض ؟ فقالوا يا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية قال فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم يعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم فيقولون ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحدا من العالمين فيقول لكم عندي أفضل من هذا فيقولون يا ربنا أي شيء أفضل من هذا ؟ فيقول رضاي فلا أسخط عليكم بعده أبدا . (359)

---

(359) رواه مسلم .(وغبر أهل الكتاب) معناه بقاياهم جمع غابر (كأنها سراب) السراب ما يتراءى للناس في الأرض القفر والقاع المستوى وسط النهار في الحر الشديد لامعا مثل الماء يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا (يحطم بعضها بعضا) معناه لشدة اتقادها وتلاطم أمواج لهبها والحطم الكسرة

والإهلاك والحطمة اسم من أسماء النار لكونها تحطم ما يلقى فيها (فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم) معنى قولهم التضرع إلى الله تعالى في كشف هذه الشدة عنهم وأنهم لزموا طاعة

سبحانه وتعالى وفارقوا في الدنيا الناس الذين زاغوا عن طاعته سبحانه من قراباتهم وغيرهم ممن كانوا يحتاجون في معايشهم ومصالح دنياهم إلى معاشرتهم للارتفاق بهم (ليكاد أن ينقلب) هكذا هو في الأصول بإثبات أن وإثباتها مع كاد لغة كما أن حذفها مع عسى لغة ومعنى ينقلب أي يرجع عن الصواب للامتحان الشديد الذي جرى (فيكشف عن ساق) ضبط يكشف بفتح الياء وضمها وهما صحيحان وهي صفة لله تعالى كما قال رسول الله يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له .الحديث رواه البخاري ومسلم . (طبقة واحدة) قال الهروي وغيره الطبق فقار الظهر أي صار فقارة واحدة كالصفيحة فلا يقدر على السجود لله تعالى (ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة) الجسر بفتح الجيم وكسرها لغتان مشهورتان وهو الصراط ومعنى تحل الشفاعة بكسر الحاء وقيل بضمها أي تقع ويؤذن فيها (دحض مزلة) الدحض والمزلة بمعنى واحد وهو الموضع الذي تزل فيه الأقدام ولا تستقر ومنه دحضت الشمس أي مالت وحجة داحضة أي لا ثبات لها (فيها خطاطيف وكلاليب وحسك) أما الخطاطيف فجمع خطاف بضم الخاء في المفرد والكلاليب بمعناه وقد تقدم بيانهما وأما الحسك فهو شوك صلب من حديد . (وكأجاويد الخيل والركاب) من إضافة الصفة إلى الموصوف قال في النهاية الأجاويد جمع أجواد وهو جمع جواد وهو الجيد الجري من المطي والركاب أي الإبل واحدتها راحلة من غير لفظها فهو عطف على الخيل والخيل جمع الفرس من غير لفظه(بنجد) مكان مرتفع (فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس في نار جهنم) معناه أنهم ثلاثة أقسام قسم يسلم فلا يناله شيء أصلا وقسم يخدش ثم يرسل فيخلص وقسم يكردس ويلقى فيسقط في جهنم قال في النهاية وتكدس الإنسان إذا دفع من ورائه فسقط ويروى بالشين المعجمة من الكدش وهو السوق الشديد والكدش الطرد والجرح أيضا ويقال مكدوس أي مصروع أو مدفوع مطرود .(في استقصاء الحق) أي تحصيله من خصمه والمتعدي عليه (من خير) قال القاضي عياض رحمه الله قيل معنى الخير هنا اليقين قال والصحيح أن معناه شيء زائد على مجرد الإيمان لأن مجرد الأيمان الذي هو التصديق لا يتجزأ وإنما يكون هذا التجزؤ لشيء زائد عليه من عمل صالح أو ذكر خفي أو عمل من أعمال القلب من شفقة على مسكين أو خوف من الله تعالى ونية صادقة (لم نذر فيها خيرا) هكذا هو خير بإسكان الياء أي صاحب خير . (فيقبض قبضة من النار) معناه يجمع جماعة (قد عادوا حمما) معنى عادوا صاروا وليس بلازم في عاد أن يصير إلى حالة كان عليها قبل ذلك بل معناه صاروا أما الحمم فهو الفحم واحدته حممة كحطمة (في أفواه الجنة) الأفواه جمع فوهة وهو جمع سمع من العرب على غير قياس وأفواه الأزقة والأنهار أوائلها قال صاحب المطالع كأن المراد في الحديث مفتتح من مسالك قصور الجنة ومنازلها (الحبة في حميل السيل) الحبة بالكسر بزور البقول وحب الرياحين وقيل هو نبت صغير ينبت في الحشيش

القنطرة

قال رسول الله ﷺ

يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا (360).

تحول الأعمال إلى أعراض يوم القيامة

قال رسول الله ﷺ

يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادي مناد يا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا ؟ فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه . ثم ينادي يا أهل النار فيشرئبون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا ؟ فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه فيذبح . ثم يقول يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت . ثم قرأ { وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة – وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا – وهم لا يؤمنون .(361)

وحميل السيل هو ما يجيء به السيل غثاء وغيره... ..... من طين أو فعيل بمعنى مفعول فإذا اتفقت فيه حبة واستقرت على شط مجري السيل فإنها تنبت في يوم وليلة فشبه بها سرعة عود أبدانهم وأجسامهم إليهم بعد إحراق النار لها (ما يكون إلى الشمس أصيفر وأخيضر وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض) أما يكون في الموضعين الأولين فتامة ليس لها خبر معناها ما يقع وأصيفر وأخيضر مرفوعان وأما يكون أبيض فيكون فيه ناقصة وأبيض منصوب وهو خبرها (فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم) الخواتم جمع خاتم بفتح التاء وكسرها قال صاحب التحرير المراد بالخواتم هنا أشياء من ذهب أو غير ذلك تعلق في أعناقهم علامة يعرفون بها قال معناه تشبيه صفائهم وتلألئهم باللؤلؤ (هؤلاء عتقاء الله) أي يقولون هؤلاء عتقاء الله . قال التعليق الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي رحمه الله . (360) رواه البخاري . (361) رواه البخاري ومسلم . يؤتى الموت } أي يجسد ويؤتى به . (كهيئة) كخلقة . (كبش) ذكر الغنم . (أملح) أبيض يشوبه سواد . (فيشرئبون) يمدون أعناقهم لينظروا . (خلود) استمرار وعدم فناء . (الحسرة) الندم على التقصير . (قضي الأمر) فرغ من الحساب .

وقال رسول الله ﷺ

اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه اقرؤوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فرقان من طير

صواف تحاجان عن أصحابهما اقرؤوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة .(362)

الجنة والنار توقيف لا اختيار

لا يحل لمسلم أن يقطع لأحد بالجنة أو النار إلا من شهد لهم الله ورسوله

قال أبو هريرة : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

" كان رجلان في بني إسرائيل متواخيين فكان أحدهما يذنب والآخر مجتهد في العبادة فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب فيقول أقصر فوجده يوما على ذنب فقال له أقصر فقال خلني وربي أبعثت علي رقيبا ؟ فقال والله لا يغفر الله لك أو لا يدخلك الله الجنة فقبض أرواحهما فاجتمعا عند رب العالمين فقال لهذا المجتهد أكنت بي عالما ؟ أو كنت على ما في يدي قادرا ؟ وقال للمذنب اذهب فادخل الجنة برحمتي وقال للآخر اذهبوا به إلى النار قال أبو هريرة والذي نفسي بيده لتكلم بكلمة أوبقت (أهلكت) دنياه وآخرته . (ع)

وعن خارجة بن زيد بن ثابت رضي الله عنه

أن أم العلاء امرأة من الأنصار بايعت النبي ﷺ أخبرته أنه أقسم المهاجرون قرعة فطار لنا عثمان بن مظعون فأنزلناه في أبياتنا فوجع وجعه الذي توفي فيه فلما توفي

.(362) رواه مسلم . (غمامتان أو كأنهما غيايتان) الغمامة والغياية كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه من سحابة وغبرة وغيرهما . (فرقان) بكسر الفاء وإسكان الراء أو الحزقان بكسر الحاء المهملة واسكان الزاي ومعناهما واحد وهما قطيعان وجماعتان يقال في الواحد فرق وحزق وحزيقة أي جماعة . (البطلة) السحرة. (ع) صحيح رواه أبو داود وأحمد وغيرهما. (*) وسيأتي مزيد كلام عن أصحاب رسول الله ﷺ في باب كفر من سب أصحاب النبي ﷺ .

وغسل وكفن في أثوابه دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت رحمة الله عليك يا أبا السائب فشهادتي عليك لقد أكرمك الله . فقال النبي ﷺ :
(وما يدريك أن الله أكرمه) . فقلت بأبي أنت يا رسول الله فمن يكرمه الله ؟ فقال (أما هو فقد جاءه اليقين والله إني لأرجو له الخير والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي (*)) . قالت فوالله لا أزكي أحدا بعد أبدا . (غ)

فلا يقطع لشخص معين بالجنة إلا من شهد لهم الله ﷻ ورسوله ﷺ كالعشرة المبشرين بالجنة وأهل بدر وأصحاب بيعة الرضوان وأطفال المسلمين والمشركين وغيرهم كثير.

وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت :

دعي رسول الله ﷺ إلى جنازة صبي من الأنصار فقلت يا رسول الله طوبى لهذا عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه قال أو غير ذلك يا عائشة إن الله خلق للجنة أهلا خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم وخلق للنار أهلا خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم . (د)

قال النووي أجمع من يعتد به من علماء المسلمين على أن من مات من اطفال المسلمين فهو من اهل الجنة لأنه ليس مكلفا وتوقف فيه بعض من لا يعتد به لحديث عائشة هذا وأجاب العلماء بانه لعله نهاها عن المسارعة إلى القطع من غير أن يكون عندها دليل قاطع كما انكر على سعد بن ابي وقاص في قوله اعطه إني لأراه مؤمنا قال أو مسلما الحديث ويحتمل أنه ﷺ قال هذا قبل أن يعلم أن أطفال المسلمين في الجنة فلما علم قال ذلك في قوله ﷺ مامن مسلم يموت له ثلاثة من

(غ) رواه البخاري . *وفي لفظ للبخاري (ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل به) ورجحه ابن كثير فقال وهذا أشبه أن يكون هو المحفوظ بدليل قولها فأحزنني ذلك . وقيل إن هذا الحديث وقع قبل نزول قول الله "ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر" . (د) رواه مسلم . ** الغلام هو من قصر عمره عن البلوغ والإحتلام ويُقال للغلام إذا شَبَّ واسْتَوَتْ قامَتُه وبلغ الحلم شاب ألم تر أن رسول الله ﷺ قال يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليزوج . رواه البخاري ومسلم .ولم يقل يا معشر الغلمان .

الولد لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم وغير ذلك من الاحاديث والله اعلم . وقال الصحيح أن أطفال المشركين من أهل الجنة. أ . هـ .

وأما قوله ﷺ إن الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرا ولو عاش لأرهق أبويه طغيانا وكفرا . رواه مسلم . فمن المؤكد أن الغلام** قد كفره أحد غير والديه فمات على كفره لأن الله لا يحاسب العباد على علمه فيهم إلا بما عملوه والذي يدل على هذا المعنى ما صح أن غلاما يهوديا كان يخدم النبي ﷺ فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده فقعد عند رأسه فقال له (أسلم) . فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له أطع أبا القاسم صلى الله عليه وسلم فأسلم فخرج النبي ﷺ وهو يقول (الحمد لله الذي أنقذه من النار) . (ذ)

فمن مات على الفطرة من أطفال المشركين هو لا شك في الجنة لأن النبي ﷺ لما سئل عن أطفال المشركين ؟ قال : هم خدم أهل الجنة . (ت)

وأما من مات على خير من أمة محمد ﷺ فيرجى له الجنة ولا يقطع له بالجنة ولا يقطع لشخص بالنار إلا إن ثبت أنه مات على الكفر .

ومن مات من الموحدين على معصية فلا يقطع له بالنار لأن أمره موكول إلى الله سبحانه وتعالى إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه . والله أعلم .

لعن الكافر

اللعن هو الطرد من الرحمة ولا يطرد الله سبحانه من رحمته إلا الأشقياء ولهذا لا يجوز لعن الكافر المعين فإنه قد يسلم ويسبق إلى الجنة فتعود اللعنة على اللاعن كما قال رسول الله ﷺ

من لعن شيئا ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه . (ث)

وإنما يجوز لعن الكافرين عموما كما قال الله سبحانه وتعالى

(ذ) رواه البخاري . (ت) صحيح رواه الطبراني وأبو يعلى وغيرهما .

(ث) صحيح رواه أبو داود والترمذي وغيرهما .

إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا (64الأحزاب).

وكذلك يجوز أيضا لعن علماء السوء عموما كما قال الله ﷻ

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ * إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ (159،160البقرة).

ويجوز لعن الذين يقعون فيما توعد فيه باللعنة عموما كالذابحين لغير الله والسارقين والواشمات إلى آخر من وردت اللعنة فيهم في الكتاب السنة .

الجزاء من جنس العمل

اعلم أن ما يعاقب الله به الفجار في الآخرة هو من جنس أعمالهم وأن ما يجازي به المؤمنين هو أيضا من جنس أعمالهم

قال رسول الله ﷺ

حجبت النار بالشهوات وحجبت الجنة بالمكاره .(363)

إذاً الذين يفرطون في طاعة الله ﷻ ومخالفة شهواتهم الدنيئة في الدنيا يعاقبهم الله بسلبهم شهواتهم في الآخرة ليس هذا فحسب بل ويعاقبهم بأشد العذاب كما قال الله ﷻ

وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا فَٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَفۡسُقُونَ (20الأحقاف).

واما المؤمنون فإنهم يخالفون شهواتهم في الدنيا ويحيدون عن اتباع أهواءهم فيجازيهم الله في الآخرة بتعويضهم نعيما خيرا من نعيم الدنيا الذين تنازلوا عنه ويمتعهم بما يشتهون في الآخرة كما قال الله ﷻ في هذا الصنف

فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ (22:24الحاقة).**

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال تجشأ رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال

كف جشاءك عنا . فإن أطولكم جوعا يوم القيامة أكثركم شبعا في دار الدنيا . (364)

وقال رسول الله ﷺ :

يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة ثم يقال : يا ابن آدم هل رأيت خيرا قط هل مر بك نعيم قط ؟ فيقول : لا والله يا رب ويؤتى بأشد الناس بؤسا في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ في الجنة فيقال له : يا ابن آدم هل

---

(363)رواه البخاري ومسلم.(حجبت الجنة بالمكاره)وفي رواية مسلم حفت وكلاهما صحيح قال العلماء هذا من بديع الكلام وفصيحه وجوامعه التي أوتيها صلى الله عليه وسلم من التمثيل الحسن ومعناه لا يوصل إلى الجنة إلا بارتكاب المكاره والنار إلا بالشهوات وكذلك هما محجوبتان بهما فمن هتك الحجاب وصل إلى المحبوب فهتك حجاب الجنة باقتحام المكاره وهتك حجاب النار بارتكاب الشهوات.**والفرق بين هؤلاء المؤمنين والمجرمين بين فالمجرمون يقال لهم في الدنيا والعياذ بالله

كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلاً إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ(46 المرسلات).

(364)حسن رواه ابن ماجة والترمذي وغيرهما . (تجشأ) أخرج من فمه الجشاء . وهو ريح يخرج من الفم مع صوت عند الشبع . (365) رواه مسلم .

رأيت بؤسا قط هل مر بك شدة قط ؟ فيقول : لا والله ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط .(365)

فلو كانت الدنيا جزاء لمحسن ... إذاً لم يكن فيها معاش لظالم
لقد جاع فيها الأنبياء كرامة ... وقد شبعت فيها بطون البهائم

وقالوا :

تنام الأسد في الغابات جوعا ... ولحم الضأن يرمى للكلاب
وذو جهل ينام على حرير ... وذو علم ينام على التراب

وقال أبو عثمان إسماعيل الصابوني رحمه الله

طيب الحياة لمن خفت مؤونته ... ولم تطب لذوي الأثقال والمؤن
هذا يزجى بيسر عمره طربا ... وذا يذوب من الأهوال والمحن
فاجهد لتزهد في الدنيا وزينتها ... إن الحريص على الدنيا لفي حزن
يخوض في غمرات الشغل ليس له ... إلا الحصول على البغضاء والإحن
فارغب إلى الرب في تيسيره سببا ... تنجو به من بلايا حادث الزمن
فإنه خير مرغوب إليه ومن ... يكفي المكاره ذو الآلاء والمنن

الجنة

ورد للجنة أسماء في القرآن الكريم

الجنة – دار السلام – الحسنى – عدن – الفردوس – روضة – دار المقامة – المأوى – النعيم – رحمة الله – الغرفة . **

ولقد حرم الله سبحانه وتعالى الجنة على الكفار والمشركين حرمة أبدية فقال سبحانه

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا * إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا (168،169النساء).

** كذا قال العلامة عبد الله بن الصديق الغماري وزدت الغرفة . (366) صحيح رواه النسائي وغيره .

وقال ﷻ

﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ (72المائدة).

واعلم أنه لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة .(366)

قال الله ﷻ

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ (100التوبة).

وقال الله ﷻ

﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ * سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ * وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ﴾ (6:4محمد).

قال رسول الله ﷺ : في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مائة عام . (367)

وفي رواية قال رسول الله ﷺ : الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين منهما كما بين السماء والأرض الفردوس أعلاها درجة منها تفجر أنهار الجنة الأربعة ومن فوقها يكون العرش وإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس .(368)

وفي الجنة ما لا يخطر ببال ولا يحويه مقال كما قال رسول الله ﷺ

.(267) صحيح رواه الترمذي وغيره . (268) صحيح رواه أحمد . (269) رواه البخاري ومسلم .

(370) رواه مسلم . (371)حديث حسن رواه الطبراني . (372) رواه البخاري . (على إثرهم) أي بعدهم وعقبهم . (لا يسقمون) لا يمرضون .

قال الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) . فاقرؤوا إن شئتم { فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين (369).

أول من يدخل الجنة

قال رسول الله ﷺ آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن من أنت ؟ فأقول محمد فيقول بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك .(370)

وقال الجنة حرمت على الأنبياء حتى أدخلها وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتي . (371)

وقال ﷺ أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين على إثرهم كأشد كوكب إضاءة قلوبهم على قلب رجل واحد لا اختلاف بينهم ولا تباغض لكل امرئ منهم زوجتان كل واحدة منهما يرى مخ ساقها من وراء لحمها من الحسن يسبحون الله بكرة وعشيا لا يسقمون ولا يتمخطون ولا يبصقون آنيتهم الذهب والفضة وأمشاطهم الذهب وقود مجامرهم الألوة – قال أبو اليمان يعني العود – ورشحهم المسك

وقال مجاهد : الإبكار أول الفجر والعشي ميل الشمس إلى أن – أراه – تغرب.(372)

قال رسول الله ﷺ هل تدرون أول من يدخل الجنة من خلق الله قالوا الله ورسوله أعلم قال أول من يدخل الجنة من خلق الله الفقراء والمهاجرون الذين تسد بهم الثغور ويتقي بهم المكاره ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء فيقول الله عز وجل لمن يشاء من ملائكته ائتوهم فحيوهم فتقول الملائكة نحن سكان سمائك وخيرتك من خلقك أفتأمرنا ان نأتي هؤلاء فنسلم عليهم قال انهم كانوا عبادا يعبدوني لا يشركون بي شيئا وتسد بهم الثغور ويتقي بهم المكاره ويموت أحدهم وحاجته في

صدره لا يستطيع لها قضاء قال فتأتيهم الملائكة عند ذلك فيدخلون عليهم من كل باب { سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار }. (373)

في الجنة ما يشتهي المؤمنون

عن أبي هريرة رضي الله عنه

أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يوما يحدث وعنده رجل من أهل البادية (أن رجلا من أهل الجنة استأذن ربه في الزرع فقال له ألست فيما شئت ؟ قال بلى ولكني أحب أن أزرع قال فبذر فبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده فكان أمثال الجبال فيقول الله دونك يا ابن آدم فإنه لا يشبعك شيء) . فقال الأعرابي والله لا تجده إلا قرشيا أو أنصاريا فإنهم أصحاب زرع وأما نحن فلسنا بأصحاب زرع فضحك النبي صلى الله عليه وسلم . (374)

وقال رسول الله ﷺ المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنة كان حمله ووضعه وسنه في ساعة كما يشتهي . (375)

أبواب الجنة

قال الله ﷻ

هَـٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ * جَنَّـٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ (ص49،50).

قال رسول الله ﷺ :

---

(373)صحيح رواه أحمد وابن حبان وغيرهما . (374) رواه البخاري . (فيما شئت) من المشتهيات والنعيم . (فبادر الطرف نباته) أي أسرع نباته وسبق طرفه والطرف امتداد لحظ الإنسان حيث أدرك وقيل حركة العين . (استواؤه) قيامه على سوقه قويا شديدا . (استحصاده) أسرع يبسه وصار وقت قلعه .

(لا تجده) أي لا يكون ذلك الرجل الذي اشتهى الزرع . (375) صحيح رواه الترمذي والدارمي وغيرهما .

في الجنة ثمانية أبواب فيها باب يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون.(376)
وأبواب الجنة الثمانية باب الصلاة وباب الصدقة وباب الصيام وباب الجهاد وباب التوبة وباب الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس وباب الراضين والباب الأيمن الذي يدخل منه من لا حساب عليه كما قال القاضي عياض بورود هذه الأبواب في الأحاديث .

وقال رسول الله ﷺ

من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أبواب الجنة يا عبد الله هذا خير فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة .

فقال أبو بكر رضي الله عنه :

بأبي وأمي يا رسول الله ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها ؟ . قال (نعم وأرجو أن تكون منهم) . (377)

وقال رسول الله ﷺ

ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ (أو فيسبغ) الوضوء ثم يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبد الله ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء .(378)

ولهذا جاء في حديث الشفاعة فيقال :

---

(376) رواه البخاري . (الريان) صيغة مبالغة من الري وهو نقيض العطش . (377) رواه البخاري ومسلم . قال الهروي في تفسير هذا الحديث قيل ما زوجان ؟ قال فرسان أو عبدان أو بعيران وقال ابن عرفة كل شيء قرن بصاحبه فهو زوج يقال زوجت بين الإبل إذا قرنت بعير ببعير وقيل درهم ودينار أو درهم وثوب قال والزوج يقع على الاثنين ويقع على الواحد وقيل إنما يقع على الواحد إذا كان معه آخر ويقع الزوج أيضا على الصنف وفسر بقوله تعالى وكنتم أزواجا ثلاثة . (من ضرورة) من مضرة أي قد سعد من دعي من الأبواب جميعا ودعوته منها جميعا أن يخير في الدخول من أيها شاء وهذا مزيد تكريم وفضل . (فيبلغ أو يسبغ) هما بمعنى واحد أي يتمه ويكلمه فيوصله مواضعه على الوجه المسنون . (378) رواه مسلم .

يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ثم قال والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع
الجنة كما بين مكة وحمير أو كما بين مكة وبصرى .(379)

وقال رسول الله ﷺ ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة وليأتين عليها يوم وهو كظيظ من الزحام .(380)

الموحدون من أمة محمد ﷺ هم أكثر أهل الجنة

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال

خرج علينا النبي صلى الله عليه وسلم يوما فقال (عرضت علي الأمم فجعل يمر النبي معه الرجل والنبي معه الرجلان والنبي معه الرهط والنبي ليس معه أحد ورأيت سوادا كثيرا سد الأفق فرجوت أن يكون أمتي فقيل هذا موسى وقومه ثم قيل لي انظر فرأيت سوادا كثيرا سد الأفق فقيل لي انظر هكذا وهكذا فرأيت سوادا كثيرا سد الأفق فقيل هؤلاء أمتك ومع هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب) . فتفرق الناس ولم يبين لهم فتذاكر أصحاب النبي ﷺ فقالوا أما نحن فولدنا في الشرك ولكنا آمنا بالله ورسوله ولكن هؤلاء هم أبناؤنا فبلغ النبي ﷺ فقال (هم الذين لا يتطيرون ولا

---

(379) رواه البخاري ومسلم . (إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة) المصراعان جانبا الباب (هجر) هجر مدينة عظيمة هي قاعدة بلاد البحرين قال الجوهري في صحاحه هجر اسم بلد مذكر مصروف والنسبة إليه هاجري قال النووي وهجر هذه غير هجر المذكورة في حديث إذا بلغ الماء قلتين بقلال هجر تلك قرية من قرى المدينة كانت القلال تصنع بها وهي غير مصروفة (وبصرى) بصرى مدينة معروفة بينها وبين دمشق نحو ثلاث مراحل . (380) رواه مسلم . (381)رواه البخاري . (سوادا) كناية عن الجماعة الكثيرة . (الأفق) ناحية السماء . (382) صحيح رواه الترمذي وابن ماجة وغيرهما .

(ثلاث حثيات) يحتمل الرفع عطف على سبعون . والنصب على أنه عطف على سبعين . والأول أقرب لفظا وأبلغ معنى . أي ثلاث غرف بيديه . قال ابن الأثير هو كناية عن المبالغة في الكثرة .

يسترقون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون) . فقام عكاشة بن محصن فقال أمنهم أنا يا رسول الله ؟ قال (نعم) . فقام آخر فقال أمنهم أنا ؟ فقال (سبقك بها عكاشة) . (381)

وقال رسول الله ﷺ : وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب من كل ألف سبعون ألفا وثلاث حثيات من حثياته .(382)

وقال رسول الله ﷺ

أهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الأمة وأربعون من سائر الأمم . (383)

وقال رسول الله ﷺ

ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة . (384)

عرض الجنة

قال الله سبحانه وتعالى

وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ(133 آل عمران).

قال النبي ﷺ ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقا فيسكنهم فضل الجنة. (385)

أشجار الجنة

قال رسول الله ﷺ

إن في الجنة لشجرة يسير الركب في ظلها مائة سنة * واقرؤوا إن شئتم { وظل ممدود } . ولقاب قوس أحدكم في الجنة خير مما طلعت عليه الشمس أو تغرب] (386).

وقال رسول الله ﷺ ما في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب .(387)

أعظم أشجار الجنة

وقال رسول الله ﷺ في سياق حديث المعراج ورفعت لي سدرة المنتهى فإذا نبقها كأنه قلال هجر وورقها كأنه آذان الفيول في أصلها أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران فسألت جبريل فقال أما الباطنان ففي الجنة وأما الظاهران النيل والفرات (388).

ريحان الجنة

قال رسول الله ﷺ سيد ريحان أهل الجنة الحناء .(389)

قال رسول الله ﷺ لقيت إبراهيم ليلة أسري بي فقال يا محمد أقرئ أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر .(390)

---

(383). صحيح رواه الترمذي وابن ماجة وابن حبان وغيرهم . (384)رواه البخاري ومسلم . (أعطي ما مثله آمن عليه البشر) أجري على يديه من المعجزات الشيء الذي يقتضي إيمان من شاهدها بصدق دعواه لأنها من خوارق العادات حسب زمانه ومكانه . (أوتيته) المعجزة التي أعطيتها . (وحيا) قرآنا موحى به من الله تعالى يبقى إعجازه على مر الأزمان ولذلك يكثر المؤمنون به ويوم القيامة يكون أتباعه العاملون بشريعته المنزلة أكثر من الأتباع العاملين بالشرع الحق لكل نبي . (385) رواه مسلم . (386) رواه البخاري ومسلم . * وفي رواية لا يقطعها . (في ظلها) قال العلماء المراد بظلها كنفها وذراها وهو ما يستر أغصانها وقيل الشجرة هي طوبى . (لقاب قوس) هو ما بين مقبضه وطرفه فيكون المعنى أن مقدار ذلك من الجنة خير مما ذكر . (387) صحيح رواه الترمذي وغيره .

خيام الجنة

قال رسول الله ﷺ

إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلا للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا .(391)

وقال ﷺ إن في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها ويرى من باطنها في ظاهرها قيل لمن هي يا رسول الله قال لمن أطاب الكلام وأفشى السلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وبات بالليل قائما والناس نيام .(392)

رائحة الجنة

قال رسول الله ﷺ

من قتل نفسا معاهدا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما .(393)

نساء الدنيا في الجنة

قال رسول الله ﷺ : أيما امرأة توفي عنها زوجها فتزوجت بعده فهي لآخر أزواجها. (394)

وقال رسول الله ﷺ : أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم ابنة عمران رضي الله عنهن أجمعين .(395)

وأفضلهن مريم وخديجة

قال رسول الله ﷺ خير نسائها مريم ابنة عمران وخير نسائها خديجة .(396)

---

(388) رواه البخاري ومسلم . (سدرة المنتهى) شجرة ينتهي إليها علم الملائكة ولم يجاوزها أحد إلا رسول الله ﷺ . (نبقها) حملها وثمرها . (قلال) جرار معروفة عند المخاطبين ومعلومة القدر عندهم وتقدر القلة بمائة لتر تقريبا . (هجر) مدينة في اليمن . (نهران باطنان) قيل هما السلسبيل والكوثر . (389) صحيح رواه الطبراني وغيره . (390) حديث حسن رواه الترمذي والطبراني وغيرهما . (391) رواه مسلم . (لخيمة) الخيمة بيت مربع من بيوت الأعراب . (392) صحيح رواه الطبراني والبيهقي وغيرهما .

وأفضلهن على الإطلاق مريم

قال رسول الله ﷺ سيدات نساء أهل الجنة بعد مريم بنت عمران فاطمة و خديجة و آسية امرأة فرعون . (397)

أسياد أهل الجنة

قال رسول الله ﷺ أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والاخرين إلا النبيين والمرسلين . (398)

وقال رسول الله ﷺ الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة .(399)

طيور الجنة

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : سئل رسول الله ﷺ ما الكوثر ؟ قال ذاك نهر أعطانيه الله يعني في الجنة أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل فيها طير أعناقها كأعناق الجزر قال عمر إن هذه لناعمة قال رسول الله ﷺ أكلتها أحسن منها .(400) وفي رواية قال آكلها أنعم منها .(401)

---

(393) رواه البخاري . وفي رواية صحيحة لابن حبان وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمس مئة عام . (معاهدا) ذميا من أهل العهد أي الأمان والميثاق . (لم يرح) لم يجد ريحها ولم يشمها . (مسيرة) مسافة يستغرق سيرها هذه المدة . (394)صحيح رواه الطبراني وغيره . (395) رواه البخاري ومسلم . (396) صحيح رواه احمد وابن حبان وغيرهما . (397) صحيح رواه الطبراني . (398) صحيح رواه ابن حبان وابن ماجة والترمذي وأحمد وغيرهم . (399) صحيح رواه الترمذي وابن ماجة وغيرهما .

صفة أهل الجنة

قال النبي ﷺ :

يدخل أهل الجنة الجنة جردا مردا مكحلين أبناء ثلاثين أو ثلاث وثلاثين سنة.(402)

وقال رسول الله ﷺ

فكل من يدخل الجنة على صورة آدم . (403)

(وهم على خلق آدم صلى الله عليه وسلم ستون ذراعا في سبعة أذرع. (404)

أكثر أهل الجنة

إذا أردت رؤية وجوه تدخل الجنة فأكثر ملازمة الفقراء الذين يواظبون على الجمع والجماعات ويشكرون الله في السراء والضراء . الرضا حالهم والقناعة ملبسهم والإستغفار صاحبهم والتوحيد طريقهم والجنة مصيرهم .

قال رسول الله ﷺ

اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء . (405)

وقال ﷺ يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام نصف يوم . (406)

وقال رسول الله ﷺ

---

(400) حديث حسن صحيح رواه الترمذي وأحمد وغيرهما .(401) صحيح رواه الحاكم والنسائي . (الجزر) بضم الجيم والزاي جمع جزور وهو البعير . (أكلتها) بفتح الهمزة والكاف واللام أوبمد الهمزة وكسر الكاف . (402) حديث حسن رواه الترمذي وأحمد والطبراني وغيرهم . (403) رواه البخاري ومسلم . (404) حديث حسن الطبراني وغيره) . (على صورة آدم) على هيئته في الطول والحسن والجمال والسلامة من النقائص والعيوب . (405). رواه البخاري ومسلم . (اطلعت) أشرفت عليها ليلة الإسراء أو في المنام ورؤيا الأنبياء حق . (406) صحيح رواه الترمذي وابن ماجة وغيرهما .

ألا أدلكم على أهل الجنة ؟ كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره وأهل النار كل جواظ عتل مستكبر .(407)

درجات الجنة

قال رسول الله ﷺ

إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق *من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم } . قالوا يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال (بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين . (408)

*وفي رواية وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما .(409)

مع رسول الله ﷺ

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال :

---

(407) رواه البخاري ومسلم . قال القاضي وقد يكون الضعف هنا رقة القلوب ولينها وإخباتها للإيمان والمراد أن أغلب أهل الجنة هؤلاء كما أن معظم أهل النار القسم الآخر وليس المراد الاستيعاب في الطرفين . (لو أقسم على الله لأبره) معناه لو حلف يمينا طمعا في كرم الله تعالى بإبراره لأبره وقيل لو دعاه لأجابه يقال أبررت قسمه وبررته والأول هو المشهور (كل عتل جواظ مستكبر) العتل الجافي الشديد الخصومة بالباطل وقيل الجافي الفظ الغليظ وأما الجواظ فهو الجموع المنوع وقيل الكثير اللحم المختال في مشيته وقيل الفاخر وأما المستكبر فهو صاحب الكبر وهو بطر الحق وغمط الناس . (408) رواه البخاري ومسلم . وفيه أن الجنة تجمع الأبرار من كل الأزمان والأمصار بغير تفرقة أو اختيار والحمد لله رب العالمين . (يتراءون) يرون وينظرون ويتكلفون لذلك . (أهل الغرف) أصحاب المنازل العالية والغرف جمع غرفة وهي العلية . (الغابر) الذاهب أو الباقي بعد انتشار ضوء الفجر . (الأفق) أطراف السماء . (409) صحيح رواه الترمذي وابن ماجة وغيرهما . (410) رواه مسلم . (من عال جاريتين) معنى عالهما قام عليهما بالمؤنة والتربية ونحوهما مأخوذ من العول وهو القرب ومنه قوله ابدأ بمن تعول (أنا وهو وضم أصابعه) معناه جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين .

قال رسول الله ﷺ من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو وضم أصابعه .(410)

قال رسول الله ﷺ :

(أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا) . وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئا .(411)

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله والله إنك لأحب إلي من نفسي وإنك لأحب إلي من أهلي ومالي وأحب إلي من ولدي وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وإني إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك فلم يرد عليه النبي ﷺ شيئا حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين الآية. (412)

بعض صور النعيم

قال الله ﷻ

وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ (25البقرة).

قال ابن عباس رضي الله عنهما

ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلا الأسماء . (413)

---

(411) رواه البخاري . (وأشار ...) لبيان شدة قرب كافل اليتيم منه صلى الله عليه وسلم . (السبابة) هي المسبحة وفي نسخة (بالسباحة) . (فرج) فرق قليلا لبيان التفاوت بين الأنبياء وغيرهم . (412) صحيح رواه الطبراني وغيره . (413)صحيح رواه هناد والطبري وغيرهما . (414) رواه البخاري ومسلم .

وقال الله ﷻ ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ (46الرحمن).

وقال رسول الله ﷺ

جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن .(414)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قلنا يا رسول الله : الجنة ما بناؤها قال لبنة من ذهب ولبنة من فضة ملاطها المسك الأذفر وحصباؤها الياقوت واللؤلؤ وترابها الزعفران من يدخلها يخلد فيها ينعم لا يبؤس لا يفنى شبابهم ولا تبلى ثيابهم .(415)

وقال رسول الله ﷺ عن تربة الجنة : درمكة بيضاء مسك خالص . (416)

وقال رسول الله ﷺ

إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون قالوا فما بال الطعام ؟ قال جشاء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس . (417)

وقال رسول الله ﷺ :

إن الرجل من أهل الجنة يعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والشهوة والجماع (418).

فاكهة الجنة

---

(415) حديث حسن رواه الدارمي والطيالسي وغيرهما .

(416) رواه مسلم . (ملاطها) بكسر الميم الملاط الطِّينُ الَّذِي يُجْعَلُ بَيْنَ سافَيِ البِنَاءِ ويُمَلَّطُ بِهِ الحائط . (حصباؤها) أي حصاها . قال العلماء معناه أنها في البياض درمكة والدرمك هو الدقيق الحواري الخالص البياض وفي الطيب مسك . (417) رواه مسلم . (ولا يتفلون) بكسر الفاء وضمها حكاهما الجوهري وغيره أي لا يبصقون (جشاء) هو تنفس المعدة من الامتلاء . (418) صحيح رواه أحمد والطبراني وغيرهما . (419) رواه البخاري ومسلم . (تكعكعت) تأخرت إلى الوراء وفي رواية مسلم كففت .

جاء في حديث الخسوف عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قالوا يا رسول الله رأيناك تناولت شيئا في مقامك هذا ثم رأيناك تكعكعت ؟ فقال (أني رأيت الجنة أوأريت الجنة فتناولت منها عنقودا ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا ورأيت النار فلم أر كاليوم منظر قط ورأيت أكثر أهلها النساء..الحديث .(419)

ومن الآيات المحكمات الباهرات قول الله ﷻ

وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ (21،20الواقعة).

فقدم الفاكهة على اللحم وهذا ما اكتشفه الأطباء اليوم بأن أكل الفواكه والسكريات قبل أكل اللحم يفيد الجسم وينشط المعدة لتستعد لتلقي الطعام ثم الهضم . فتأمل يرحمك الله .

الطقس في الجنة

قال الله ﷻ

مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۖ لَا يَرَوۡنَ فِيهَا شَمۡسٗا وَلَا زَمۡهَرِيرٗا * وَدَانِيَةً عَلَيۡهِمۡ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتۡ قُطُوفُهَا تَذۡلِيلٗا (13،14الإنسان).

زوجات الدنيا المؤمنات

قال الله تعالى

وَفُرُشٖ مَّرۡفُوعَةٍ * إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ * فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا * عُرُبًا أَتۡرَابٗا * لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ * ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ * وَثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ (34:40الواقعة).

الحور العين

قال الله ﷻ

وَحُورٌ عِينٞ * كَأَمۡثَٰلِ ٱللُّؤۡلُوِٕ ٱلۡمَكۡنُونِ *جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ (22:24الواقعة).

---

(420) رواه البخاري . (421) صحيح رواه الترمذي وابن ماجة وغيرهما .

قال رسول الله ﷺ ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحا ولنصيفها – يعني الخمار – خير من الدنيا وما فيها .(420)

وقال نبي الله ﷺ : لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا (421)

وقال رسول الله ﷺ إن ازواج أهل الجنة ليغنين أزواجهن بأحسن أصوات سمعها أحد قط إن مما يغنين به ... نحن الخيرات الحسان ... أزواج قوم كرام ... ... ينظرن بقرة أعيان ... وإن مما يغنين به ... نحن الخالدات فلا يمتنه ... نحن الآمنات فلا يخفنه ... ... نحن المقيمات فلا يظعنه (422)

مناديل الجنة

عن البراء رضي الله عنه قال :

أهديت للنبي ﷺ حلة حرير فجعل أصحابه يمسونها ويعجبون من لينها فقال (أتعجبون من لين هذه ؟ لمناديل سعد بن معاذ خير منها وألين .(423)

صحف وأكواب الجنة

قال الله سبحانه وتعالى

يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ (71الزخرف).

وقال الله سبحانه وتعالى

---

(422) صحيح رواه الطبراني . (423) رواه البخاري ومسلم . (حلة) ثوبان من نوع واحد . (المناديل) جمع منديل وهو ما يحمل في اليد ويتمسح به . (424) رواه مسلم . (سيحان) (جيحان) اعلم أن سيحان وجيحان غير سيحون وجيحون فأما سيحان وجيحان المذكوران فى هذا الحديث اللذان هما من أنهار الجنة فى بلاد الأرمن فجيحان نهر المصيصة وسيحان نهر إذنه وهما نهران عظيمان جدا أكبرهما جيحان .

وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَاْ * قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا * وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً * عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلاً (18:15الإنسان).

أنهار الجنة

قال رسول الله ﷺ سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة . (424)

وقال الله ﷻ

مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَـٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَـٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَـٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ (15محمد).

وقال رسول الله ﷺ

إن في الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تشقق الأنهار بعد . (425)

سوق الجنة

---

(425)صحيح رواه الترمذي والطبراني وغيرهما .

(425)صحيح رواه الترمذي والطبراني وغيرهما . (426) رواه مسلم . (لسوقا) المراد بالسوق مجمع لهم يجتمعون كما يجتمع الناس في الدنيا في السوق (يأتونها كل جمعة) أي في مقدار كل جمعة أي أسبوع وليس هناك حقيقة أسبوع لفقد الشمس والليل والنهار والسوق يذكر ويؤنث وهو أفصح (الشمال) هي التي تأتي من دبر القبلة قال القاضي وخص ريح الجنة بالشمال لأنها ريح المطر عند العرب كانت تهب من جهة الشام وبها يأتي سحاب المطر وكانوا يرجون السحاب الشامية .

إن في الجنة لسوقا يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسنا وجمالا فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسنا وجمالا فيقول لهم أهلوهم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا فيقولون وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا . (426)

آخر من يدخل الجنة

عن أنس عن ابن مسعود رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال

آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشي مرة ويكبو مرة وتسفعه النار مرة فإذا ما جاوزها التفت إليها فقال تبارك الذي نجاني منك لقد أعطاني الله شيئا ما أعطاه أحدا من الأولين والآخرين فترفع له شجرة فيقول أي رب أدنني من هذه الشجرة فلأستظل بظلها وأشرب من مائها فيقول الله عز وجل يا ابن آدم لعلي إن أعطيتكها سألتني غيرها فيقول لا يا رب ويعاهده أن لا يسأله غيرها وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها ثم ترفع له شجرة هي أحسن من الأولى فيقول أي رب أدنني من هذه لأشرب من مائها وأستظل بظلها لا أسألك غيرها فيقول يا ابن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها ؟ فيقول لعلي إن أدنيتك منها تسألني غيرها ؟ فيعاهده أن لا يسأله غيرها وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة هي أحسن من الأوليين فيقول أي رب أدنني من هذه لأستظل بظلها وأشرب من مائها لا أسألك غيرها فيقول يا ابن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها ؟ قال بلى يا رب هذه لا أسألك غيرها وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليها فيدنيه منها فإذا أدناه منها فيسمع أصوات أهل الجنة فيقول أي رب أدخلنيها فيقول يا ابن آدم ما يصريني منك ؟ أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها ؟ قال يا رب أتستهزئ مني وأنت رب العالمين فضحك ابن مسعود فقال ألا تسألوني مم أضحك ؟ فقالوا مم تضحك ؟ قال هكذا ضحك رسول الله ﷺ فقالوا مم تضحك يا رسول الله ؟ قال من

ضحك رب العالمين حين قال أتستهزئ مني وأنت رب العالمين ؟ فيقول إني لا أستهزئ منك ولكني على ما أشاء قادر . (427)

وقال رسول الله ﷺ :

سأل موسى ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة ؟ قال هو رجل يجيء بعد ما أدخل أهل الجنة الجنة فيقال له ادخل الجنة فيقول أي رب كيف ؟ وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم ؟ فيقال له أترضى أن يكون لك مثل ملك ملك من ملوك الدنيا ؟ فيقول رضيت رب فيقول لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله فقال في الخامسة رضيت رب فيقول هذا لك وعشرة أمثاله ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك فيقول رضيت رب قال رب فأعلاهم منزلة ؟ قال أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر قال ومصداقه في كتاب الله عز وجل { فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين . (428)

وقال رسول الله ﷺ :

يوم كذا وكذا كذا وكذا وعملت يوم كذا وكذا كذا وكذا فيقول نعم لا يستطيع أن ينكر وهو

مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه فيقال له فإن لك مكان كل سيئة حسنة فيقول رب قد عملت أشياء لا أراها ههنا فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه . (أ)

وعن عطاء بن يزيد الليثي أن أبا هريرة رضي الله عنه أخبره أن ناسا قالوا لرسول الله ﷺ يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله ﷺ هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ؟ قالوا لا يا رسول الله قال هل تضارون في الشمس ليس دونها

---

(427) صحيح رواه مسلم . ورواه الفاداني بمعناه مطولا مسلسلا بالتبسم ولكن بسند ضعيف .

(428) رواه مسلم . (أردت) معناه اخترت واصطفيت (غرست) معناه اصطفيتهم وتوليتهم فلا يتطرق إلى كرامتهم تغيير .

(أ) رواه مسلم .

سحاب ؟ قالوا لا يا رسول الله قال فإنكم ترونه كذلك يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئا فليتبعه فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد القمر القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله تبارك وتعالى في صورة غير صورته التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله تعالى في صورته التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيتبعونه ويضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيز ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم السعدان ؟ قالوا نعم يا رسول الله قال فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله تخطف الناس بأعمالهم فمنهم المؤمن بقي بعمله ومنهم المجازى حتى ينجى حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئا ممن أراد الله تعالى أن يرحمه ممن يقول لا إله إلا الله فيعرفونهم في النار يعرفونهم بأثر السجود تأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود فيخرجون من النار وقد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون منه كما تنبت الحبة في حميل السيل ثم يفرغ الله تعالى من القضاء بين العباد ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار وهو آخر أهل الجنة دخولا الجنة فيقول أي رب اصرف وجهي عن النار فإنه قد قشبني ريحها وأحرقني ذكاؤها فيدعو الله ما شاء الله أن يدعوه ثم يقول الله تبارك وتعالى هل عسيت إن فعلت ذلك بك أن تسأل غيره فيقول لا أسألك غيره ويعطي ربه من عهود ومواثيق ما شاء الله فيصرف الله وجهه عن النار فإذا أقبل على الجنة ورآها سكت ما شاء الله أن يسكت ثم يقول أي رب قدمني إلى باب الجنة فيقول الله له أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك لا تسألني غير الذي أعطيتك ويلك يا ابن آدم ما أغدرك فيقول أي رب ويدعو الله حتى يقول ل فهل عسيت إن أعطيتك ذلك أن تسأل غيره فيقول لا وعزتك فيعطي ربه ما شاء الله من عهود ومواثيق فيقدمه إلى باب الجنة فإذا قام على باب الجنة انفهقت له الجنة فرأى ما فيها من الخير والسرور فيسكت ما شاء الله أن يسكت ثم يقول أي رب أدخلني

الجنة فيقول الله تبارك وتعالى له أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك أن لا تسأل غير ما أعطيت ويلك يا ابن آدم ما أغدرك فيقول أي رب لا أكون أشقى خلقك فلا يزال يدعو الله حتى يضحك الله تبارك وتعالى منه فإذا ضحك الله منه قال ادخل الجنة فإذا دخلها قال الله ﷻ له تمنه فيسأل ربه ويتمنى حتى إن الله ليذكره من كذا وكذا حتى إذا انقطعت به الأماني قال الله ﷻ ذلك لك ومثله معه.

قال عطاء بن يزيد وأبو سعيد الخدري مع أبي هريرة لا يرد عليه من حديثه شيئا حتى إذا حدث أبو هريرة إن الله قال لذلك الرجل ومثله معه قال أبو سعيد أشهد أني حفظت من رسول الله ﷺ قوله ذلك لك وعشرة أمثاله قال أبو هريرة وذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولا الجنة. (ب)

أدنى أهل الجنة نعيما

(ب) (هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر وفي الرواية الأخرى هل تضامون) وروى تضارون بتشديد الراء وبتخفيفها والتاء مضمومة فيهما ومعنى المشدد هل تضارون غيركم في حالة الرؤية بزحمة أو مخالفة في الرؤية أو غيرها لخفائه كما تفعلون أول ليلة من الشهر ومعنى المخفف هل يلحقكم في رؤيته ضير وهو الضرر وروى أيضا تضامون بتشديد الميم وتخفيفها فمن شددها فتح التاء ومن خففها ضم التاء ومعنى المشدد هل تتضامون وتتلطفون في التوصل إلى رؤيته ومعنى المخفف هل يلحقكم ضيم وهو المشقة والتعب ومعناه لا يشتبه عليكم وترتابون فيه فيعارض بعضكم بعضا في رؤيته (فإنكم ترونه كذلك) معناه تشبيه الرؤية بالرؤية في الوضوح وزوال الشك والمشقة والاختلاف (ويضرب الصراط بين ظهري جهنم) معناه يمد الصراط عليها (فأكون أنا وأمتي أول من يجيز) معناه يكون أول من يمضي عليه ويقطعه يقال أجزت

الوادي وجزته لغتان بمعنى واحد وقال الأصمعي أجزته قطعته وجزته مشيت فيه (وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان) أما الكلاليب فجمع كلوب وهي حديدة معطوفة الرأس يعلق فيها اللحم وترسل فيها التنور قال صاحب المطالع هي خشبة في رأسها عقافة حديد وقد تكون حديدا كلها ويقال لها أيضا كلاب وأما السعدان فهو نبت له شوكة عظيمة مثل الحسك من كل الجوانب (بقي بعمله) ذكر القاضي أنه روي على ثلاثة أوجه أحدها المؤمن بقي والثاني والثالث الموبق يعني بعمله قال القاضي هذا أصحها وكذا قال صاحب المطالع هذا الثالث هو الصواب قال وفي

عن عبد الله رضي الله عنه

قال النبي صلى الله عليه وسلم (إني لأعلم آخر أهل النار خروجا منها وآخر أهل الجنة دخولا رجل يخرج من النار حبوا فيقول الله اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول يا رب وجدتها ملأى فيقول اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول يا ربي وجدتها ملأى فيقول اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها أو إن لك مثل عشرة أمثال الدنيا فيقول أتسخر مني أو تضحك مني وأنت الملك) . فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه وكان يقال ذلك أدنى أهل الجنة منزلة .(ج)

أعظم نعيم أهل الجنة رؤية ملك الملوك وعلام الغيوب ﷻ

قال الله ﷻ

وُجُوهٌ يَوۡمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (22،23القيامة).

يقي على الوجه الأول ضبطان أحدهما بالباء الموحدة والثاني بالياء المثناة قال النووي والموجود في معظم الأصول ببلادنا هو الوجه الأول (قد امتحشوا) معناه احترقوا (فينبتون منه) معناه ينبتون بسببه (كما تنبت الحبة في حميل السيل) الحبة هي بزر البقول والعشب تنبت في البراري وجوانب السيول وجمعها حبب وحميل السيل ما جاء به السيل من طين أو غثاء ومعناه محمول السيل والمراد التشبيه في سرعة النبات وحسنه وطراوته (قشبني ريحها وأحرقني ذكاؤها) قشبني معناه سمني وآذاني وأهلكني كذا قاله الجماهير من أهل اللغة والغريب وقال الداودي معناه غير جلدي وصورتي وأما ذكاؤها فمعناه لهبها واشتعالها وشدة وهجها والأشهر في اللغة ذكاها مقصور وذكر جماعات أن المد والقصر لغتان (هل عسيت) لغتان بفتح السين وكسرها قال في الكشاف عند قوله تعالى (هل عسيتم إن كتب عليكم القتال أن لا تقاتلوا) وخبر عسيتم أن لا تقاتلوا والشرط فاصل بينهما والمعنى هل قاربتم أن لا تقاتلوا يعني هل الأمر كما أتوقعه أنكم لا تقاتلون أراد أن يقول عسيتم أن لا تقاتلوا بمعنى أتوقع جبنكم عن القتال فأدخل هل مستفهما عما هو متوقع عنده ومظنون وأراد بالاستفهام التقرير وتثبيت أن المتوقع كائن وأنه صائب في توقعه (انفهقت) معناه انفتحت واتسعت (ليذكره من كذا وكذا) معناه يقول له تمن من الشيء الفلاني ومن الشيء الآخر يسمى له أجناس ما يتمني .

(ج) رواه البخاري ومسلم . (حبوا) زحفا . (مثل الدنيا) أي أرضها من حيث السعة والنفع .

وعن جرير رضي الله عنه قال

كنا جلوسا عند النبي ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر قال (إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروب الشمس فافعلوا) .(ح)

وعن صهيب عن النبي ﷺ قال

إذا دخل أهل الجنة الجنة قال يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيئا أزيدكم ؟ فيقولون ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل (خ)

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يسكننا جنات النعيم ويمتعنا بالنظر إلى وجهه الكريم إنه عفو كريم

والحمد لله رب العالمين .

النـــار**

النار موعد المشركين والكفار ومن تابعهم من أهل النفاق كما قال الله سبحانه وتعالى
وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِيَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (68التوبة).

(ح) رواه البخاري ومسلم . وفي رواية للبخاري (لا تضاهون) من المضاهاة أي لا يشتبه عليكم ولا ترتابون.(لا تضامون) بتخفيف الميم أي لا ينالكم ضيم أي تعب أو ظلم . (خ) رواه مسلم وغيره وزادت رواية أحمد بسند صحيح ثم تلا رسول الله ﷺ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ (26) يونس. ** ليس الكلام عن النار يخص الكافرين فقط فإن الكافرين لا يؤمنون بالقرآن وإنما هو تخويف وإنذار للأبرار والفجار فالإسلام بشارة ونذارة أيضا والنبي ﷺ هو البشير النذير وهو القائل"الجنة أقرب إلى أحدكم من شِرَاكِ نَعْلِه والنار مثل ذلك". رواه البخاري والشراك سير النعل على ظهر القدم.فمن ترك الكلام عن النار وزعم أنه آمن من دخولها فجدير به أن يتحسر على أمنه من مكر الله فإن لم يخف المسلم من عذاب الله فمن أي شيء يخاف؟!

قال رسول الله ﷺ حيثما مررت بقبر مشرك فبشره بالنار . (د)

وقال ﷺ حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار . (ذ)

وقال الله سبحانه عن المنافقين

إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (145النساء).

ويعذب الله سبحانه وتعالى بالنار الموحد العاصي الذي لم يتب من ذنبه إن لم يعف عنه لكن لا يخلد في النار .

ومن شاء أن يشاهد النار بما فيها من عذاب وجحيم فليقرأ سورة الحاقة والواقعة والغاشية وغيرها .

حوارات بين السعداء والأشقياء

قال الله سبحانه وتعالى

يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ * يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ * فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ (15:13الحديد).

وقال الله سبحانه وتعالى

(د) صحيح رواه ابن ماجة . (ذ) صحيح رواه الطبراني والبزار وغيرهما.

وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ (44الأعراف) .

وقال ﷻ

وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ * ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا (50،51الأعراف) .

وقال الله ﷻ

كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ * إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ * فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ * عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ * مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ * قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ * وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ * وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ * حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ * فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ (38:48 المدثر).

وقال رسول الله ﷺ

إذا اجتمع أهل النار في النار ومعهم من شاء الله من أهل القبلة يقول الكفار ألم تكونوا مسلمين قالوا بلى قالوا فما أغنى عنكم إسلامكم وقد صرتم معنا في النار قالوا كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فيسمع ما قالوا فأمر بمن كان من أهل القبلة فأخرجوا فلما رأى ذلك أهل النار قالوا يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج كما خرجوا قال وقرأ رسول الله ﷺ آلر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين . (429)

---

(429) صحيح رواه ابن أبي عاصم والحاكم وغيرهما .

التحذير من النار

قال الله ﷻ

فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ (14الليل). تلظى أي تلهب وتتوقد وأصلها تتلظى .

عن أبي هريرة قال قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله عز وجل { وأنذر عشيرتك الأقربين } . قال (يا معشر قريش – أو كلمة نحوها – اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئا يا بني مناف لا أغني عنكم من الله شيئا يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا ويا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئا ويا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئا) . (430)

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال

بلغ رسول الله ﷺ عن أصحابه شيء فخطب فقال عرضت علي الجنة والنار فلم أر كاليوم في الخير والشر ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا قال فما أتى على أصحاب رسول الله ﷺ يوم أشد منه قال غطوا رؤوسهم ولهم خنين قال فقام عمر فقال رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا (431)

و قال سفيان بن عيينة رضي الله عنه : خلق الله النار رحمة يخوف بها عباده لينتهوا . (ز)

عن سماك بن حرب قال :

.(430) رواه البخاري ومسلم . (431) رواه مسلم . (ولهم خنين) هكذا هو في معظم النسخ ولمعظم الرواة خنين ولبعضهم بالحاء المهملة حنين قالوا ومعناه بالمعجمة صوت البكاء وهو نوع من البكاء دون الانتحاب قالوا وأصل الخنين خروج الصوت من الأنف بغنة أما الحنين بالمهملة فصوت من الفم . (ز) أخرجه أبو نعيم . (432) حديث حسن رواه أحمد والدارمي وغيرهما . (433) رواه البخاري ومسلم.

التي تقع في النار } ما يتهافت في النار من الحشرات الطيارات . (ينزعهن) يدفعهن ويمنعهن . (فيقتحمن) يهجمن ويرمين بأنفسهن . (آخذ) أمسك بشدة . (بحجزكم) جمع حجزة وهي معقد الإزار وهو كناية عن حرصه صلى الله عليه وسلم على منع أمته عن الإتيان بالمعاصي

سمعت النعمان بن بشير ﵁ يخطب يقول سمعت رسول الله ﷺ يخطب يقول : أنذرتكم النار أنذرتكم النار أنذرتكم النار حتى لو أن رجلا كان بالسوق لسمعه من مقامي هذا قال حتى وقعت خميصة كانت على عاتقه عند رجليه .(432)

قال رسول الله ﷺ إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها فجعل ينزعهن ويغلبنه فيقتحمن فيها فأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقحمون فيها . (433)

صفة النار

قال الله ﷻ

وَجِاْىٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ (23الفجر).

قال رسول الله ﷺ :

يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها . (434)

قال رسول الله ﷺ (ناركم جزء من سبعين جزءا من نار جهنم) . قيل يا رسول الله إن كانت لكافية قال (فضلت عليهن بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها) .

(435)

وقال رسول الله ﷺ :

إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم وضربت بالبحر مرتين ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعة لأحد (436)

التي تؤدي بهم إلى الدخول في النار . (وأنتم تقحمون) أصلها تتقحمون فحذفت إحدى التائين تخفيفا .

(434). رواه مسلم . (435) رواه البخاري ومسلم . (فضلت عليهن) أي على نيران الدنيا وفي رواية مسلم (عليها) ولعلها أرجح لأن المفضل عليه مفرد . (436) صحيح رواه أحمد . (437) صحيح رواه ابن حبان والترمذي وغيرهما قد مضى الحديث بطوله في شرط الإخلاص ولله الحمد والمنة .

أول من يدخلون النار

قال رسول الله ﷺ عن ثلاثة أصناف :

(رجل جمع القرآن ورجل يقتل في سبيل الله ورجل كثير المال) – مرائون ليسوا مخلصين – أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة (437)

قعر النار وعمقها

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :

كنا مع رسول الله ﷺ إذ سمع وجبة فقال النبي صلى الله عليه وسلم تدرون ما هذا ؟ قال قلنا الله ورسوله أعلم قال هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفا فهو يهوي في النار الآن

حتى انتهى إلى قعرها .(438)

وقال ﷺ لو أن حجرا مثل سبع خلفات ألقى من شفير جهنم هوى فيها سبعين خريفا لا يبلغ قعرها .(439)

وقال النبي ﷺ : إن الصخرة العظيمة لتلقى من شفير جهنم فتهوي فيها سبعين عاما وما تفضي إلى قرارها قال وكان عمر يقول أكثروا ذكر النار فإن حرها شديد وإن قعرها بعيد وإن مقامعها حديد (440)

دركات النار

للنار دركات كما قال الله سبحانه وتعالى

---

(438) رواه مسلم وفي رواية له قال هذا وقع في أسفلها فسمعتم وجبتها . (وجبة) أي سقطة . (خريفا) الخريف السنة والمراد مسيرة سبعين سنة . (439) صحيح رواه هناد والطبراني وغيرهما . (خلفات) جمع خلفة وهي الناقة الحامل . (440). صحيح رواه الترمذي وغيره . (441) رواه ابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم . (442) حديث حسن رواه ابن حبان والطيالسي وغيرهما . (443). رواه ابن جرير والبيهقي وابن أبي حاتم .

إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا (145النساء).

وقال بعض العلماء للنار درجات سفلية واستدلوا بقول الله ﷻ

هُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ (163آل عمران).

عن عكرمة رضي الله عنه في قوله : { لها سبعة أبواب } قال : لها سبعة أطباق .

وقال قتادة رضي الله عنه هي والله منازل بأعمالهم (441)

وقال رسول الله ﷺ : ولجهنم سبعة أبواب وبعضها أفضل من بعض. (442)

وعن عليّ رضي الله عنه أنه قال إن أبواب جهنم بعضها فوق بعض. (443)

وعن ابن جريج في قوله :

{ لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ } (44الحجر).

قال : أولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية والجحيم فيها أبو جهل . (444)

وعن الضحاك أنه قال هي سبعة أدراك بعضها فوق بعض فأعلاها فيه أهل التوحيد يعذبون على قدر ذنوبهم ثم يخرجون والثاني فيه النصارى والثالث فيه اليهود والرابع فيه الصائبون والخامس فيه المجوس والسادس فيه مشركو العرب والسابع فيه المنافقون .(445)

النار مؤصدة لها سرادق

قال الله ﷻ

إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا (29الكهف).

---

(444) رواه ابن جرير وابن المنذر وروى مثله عن الأعمش عبد الرزاق وابن أبي حاتم . (445) رواه ابن جرير وابن أبي حاتم . (446) صحيح رواه الترمذي ومسلم . الزمهرير البرد الشديد . السموم ريح حارة من النار تدخل في مسام البدن .

قال الزجاج : السرادق : كلٌّ ما أحاطَ بشَيء نحو الحائط المشتمل على الشيء .

وقال تعالى

نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ * ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ * إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٌ (6،7،8الهمزة).

النار تتنفس

قـــال الله ﷻ إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ * تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِ (7،8الملك).

النار تأكل

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ اشتكت النار إلى ربها وقالت أكل بعضي بعضا فجعل لها نفسين نفسا في الشتاء ونفسا في الصيف فأما نفسها في الشتاء فزمهرير * وأما نفسها في الصيف فسموم* . (446)

النار تتكلم

قال الله ﷻ

يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٍ (30ق).

وقال رسول الله ﷺ :

تخرج عنق من النار يوم القيامة لها عينان تبصران وأذنان تسمعان ولسان ينطق يقول إني وكلت بثلاثة بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله إلها آخر وبالمصورين . (447)

خسران أهل النار

---

(447) صحيح رواه الترمذي وأحمد وغيرهما .

قد يخسر الإنسان في حياته بعض المال أو بعض المتاع كل ذلك خسران قد يعوض في الدنيا بالكد والسعي أو السؤال والدين لكن الخسران الأكبر الذي لا يعوض ولا يكافئه خسران أن يخسر الإنسان نفسه في نار الله حيث لا نصير كما قال الله ﷻ ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ (15الزمر).

أي تفارقوا – النفس والأهل – فلا التقاء لهم أبدا وسواء ذهب أهلوهم إلى الجنة وقد ذهبوا هم إلى النار أو أن الجميع أسكنوا النار ولكن لا اجتماع لهم ولا سرور . وقيل : خسران الأهل أنهم لو آمنوا لكان لهم أهل في الجنة من الحور العين . كذا قال ابن كثير .

﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَـٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ (45الشورى).

صفة أهل النار

قال رسول الله ﷺ

إن غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعا وإن ضرسه مثل أحد وإن مجلسه من جهنم كما بين مكة والمدينة . (448)

وقال ﷺ

ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد وعرض جلده سبعون ذراعا وفخذه مثل ورقان* ومقعده من النار مثل ما بيني وبين الربذة* .(449).

طعام أهل النار

---

(448) صحيح رواه الترمذي وغيره . (449) حديث حسن رواه أحمد وأبو يعلى وغيرهما .

(ورقان) جَبَلٌ أَسْوَدُ بَيْن العَرْج والرُّوَيْثَة على يَمين المَارِّ من المدينة إلى مَكَّة . (الربذة)

قال الله ﷻ

إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ * طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ * كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ * كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ (الدخان43:46).

وقال رسول الله ﷺ

ولو أن قطرة من الزقوم قطرت لأمرت على أهل الأرض عيشهم فكيف من ليس لهم طعام الا الزقوم . (450)

و اعلم أن تفاوت أهل النار في العذاب هو بحسب تفاوت أعمالهم

وفي حديث الخسوف قال رسول الله ﷺ لقد رأيت في مقامي هذا كل شيء وعدته حتى لقد رأيت أريد أن آخذ قطفا من الجنة حين رأيتموني جعلت أتقدم ولقد رأيت جهنم يحطم بعضها بعضا حين رأيتموني تأخرت ورأيت فيها عمرو بن لحي وهو الذي سيب السوائب .(451)

وعن عبد الله بن عمرو : في قوله عز و جل : { و نادوا يا مالك ليقض علينا ربك } قال : يخلي عنهم أربعين عاما لا يجيبهم ثم أجابهم : { إنكم ماكثون } فيقولون : { ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون } قال : فيخلى عنهم مثل الدنيا ثم أجابهم : { اخسؤوا فيها و لا تكلمون } قال : فو الله ما ينبس* القوم بعد هذه الكلمة إن كان إلا الزفير و الشهيق . (452)

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : في قوله عز و جل : { و نادوا يا مالك ليقض علينا ربك } قال : مكث عنهم ألف سنة ثم قال : { إنكم ماكثون } . (453)

بكاء أهل النار

موضع قرية على ثلاث مراحل من المدينة فيه قبر أبي ذر رضي الله عنه . (450) صحيح رواه أحمد وابن حبان وغيرهما . (451) رواه البخاري ومسلم . (سيب السوائب) سيب النوق وسن لهم هذه العادة والسوائب جمع سائبة وهي الناقة التي تترك فلا تركب ولا تصد عن ماء أو مرعى يفعلون ذلك نذرا وتقربا لآلهتهم .

قال الله ﷻ

وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ (37فاطر).

قال رسول الله ﷺ : يرسل البكاء على أهل النار . فيبكون حتى تنقطع الدموع . (454)

شراب أهل النار

قال الله ﷻ

مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسۡقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ * يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ

(16،17إبراهيم).

وقال سبحانه

وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ (15محمد).

سلاسل النار

قال الله ﷻ

خُذُوهُ فَغُلُّوهُ *ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ

(30:32الحاقة) .

قال رسول الله ﷺ

---

(452)صحيح رواه الحاكم وابن أبي شيبة وغيرهما ولفظ الطبراني ثم ييأس القوم فما هو إلا الزفير والشهيق تشبه أصواتهم أصوات الحمير أولها شهيق وآخرها زفير .*ينبس أي ينطق .

(453) صحيح رواه الحاكم . (454) صحيح رواه ابن ماجة وابن المبارك وغيرهما .

لو ان رصاصة مثل هذه وأشار إلى مثل جمجمة أرسلت من السماء إلى الأرض وهى مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الأرض قبل الليل ولو انها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفا الليل والنهار قبل ان تبلغ أصلها أو قعرها . (455)

صور من العذاب

قال الله سبحانه وتعالى

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا (56النساء).

قال الله سبحانه

تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَـٰلِحُونَ * أَلَمْ تَكُنْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ * قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ * رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَـٰلِمُونَ * قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ(104:108المؤمنون).

معلوم أن الذي تلفحه النار في الدنيا يقاومها ويجاهدها بيديه ولكن تأمل كيف يكون الحال في الآخرة والعياذ بالله يقول الله عَزَّوَجَلَّ

أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّـٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ

(24 الزمر).

---

(455) حسن رواه أحمد والترمذي وغيرهما . (لو أن رصاصة) بفتح الراء والصادين المهملتين أي قطعة من الرصاص قال في القاموس الرصاص كسحاب معروف لا يكسر ضربان أسود وهو الأسرب وأبيض وهو القلعي (جمجمة) والجُمْجُمة بالضم عظام الرأس . (أرسلت من رأس السلسلة) أي المذكورة في قوله تعالى ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه فالمراد من السبعين الكثرة أو العدد على الحقيقة .

وقال رسول الله ﷺ :

منهم من تأخذه النار إلى كعبيه ومنهم من تأخذه النار إلى ركبتيه ومنهم من تأخذه النار إلى

حجزته ومنهم من تأخذه النار إلى ترقوته (456)

وقال رسول الله ﷺ

لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبريل ؟ قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم . (*)

وهؤلاء صور شتى للعذاب

وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال :

كان رسول الله ﷺ – يعني – مما يكثر أن يقول لأصحابه (هل رأى أحد منكم من رؤيا) . قال فيقص عليه من شاء الله أن يقص وإنه قال ذات غداة (إنه أتاني الليلة آتيان وإنهما ابتعثاني وإنهما قالا لي انطلق وإني انطلقت معهما وإنا أتينا على رجل مضطجع وإذا آخر قائم عليه بصخرة وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فيثلغ رأسه فيتدهده الحجر ها هنا فيتبع الحجر فيأخذه فلا يرجع إليه حتى يصح رأسه كما كان ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل به مرة الأولى قال قلت لهما سبحان الله ما هذان ؟ قال قالا لي انطلق انطلق قال فانطلقنا فأتينا على رجل مستلق لقفاه وإذا آخر قائم عليه بكلوب من حديد وإذا هو يأتي أحد شقي وجهه فيشرشر شدقه إلى قفاه ومنخره إلى قفاه وعينه إلى قفاه – قال وربما قال أبو رجاء فيشق – قال ثم يتحول إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصح ذلك الجانب كما كان ثم يعود عليه فيفعل مثل مل فعل المرة الأولى قال قلت سبحان الله ما هذان ؟ قال قالا لي انطلق انطلق فانطلقنا فأتينا على مثل التنور –

---

(456) رواه مسلم.(إلى ترقوته) هي العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق .(*) صحيح رواه ابو داود وأحمد وغيرهما.وقال رسول الله ﷺ أتدرون ما الغيبة ؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره قيل أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته.رواه مسلم .

قال وأحسب أنه كان يقول – فإذا فيه لغط وأصوات قال فاطلعنا فيه فإذا فيه رجال ونساء عراة وإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا قال قلت لهما ما هؤلاء ؟ قال قالا لي انطلق انطلق قال فانطلقنا فأتينا على نهر – حسبت أنه كان يقول – أحمر مثل الدم وإذا في النهر رجل سابح يسبح وإذا على شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة وإذا ذلك السابح يسبح ما يسبح ثم يأتي ذلك الذي قد جمع عنده الحجارة فيفغر له فاه فيلقمه حجرا فينطلق يسبح ثم يرجع إليه كلما رجع إليه فغر له فاه فألقمه حجرا قال قلت لهما ما هذان ؟ قال قالا لي انطلق انطلق قال فانطلقنا فأتينا على رجل كريه المرآة كأكره ما أنت راء رجلا مرآة فإذا عنده نار يحشها ويسعى حولها قال قلت لهما ما هذا ؟ قال قالا لي انطلق انطلق فانطلقنا فأتينا على روضة معتمة فيها من كل لون الربيع وإذا بين ظهري الروضة رجل طويل لا أكاد أرى رأسه طولا في السماء وإذا حول الرجل من أكثر ولدان رأيتهم قط قال قلت لهما ما هذا ما هؤلاء ؟ قال قالا لي انطلق انطلق قال فانطلقنا فانتهينا إلى روضة عظيمة لم أر روضة قط أعظم منها ولا أحسن قال قالا لي ارق فيها قال فارتقينا فيها فانتهينا إلى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة فأتينا باب المدينة فاستفتحنا ففتح لنا فدخلناها فتلقانا فيها رجال شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راء وشطر كأقبح ما أنت راء قال قالا لهم اذهبوا فقعوا في ذلك النهر قال وإذا نهر معترض يجري كأن ماءه المحض في البياض فذهبوا فوقعوا فيه ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا في أحسن صورة قال قالا لي هذه جنة عدن وهذاك منزلك قال فسما بصري صعدا فإذا قصر مثل الربابة البيضاء قال قالا لي هذاك منزلك قال قلت لهما بارك الله فيكما ذراني فأدخله قالا أما الآن فلا وأنت داخله قال قلت لهما فإني قد رأيت منذ الليلة عجبا فما هذا الذي رأيت ؟ قال قالا لي أما إنا سنخبرك أما الرجل الأول الذي أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة وأما الرجل الذي أتيت عليه يشرشر شدقه إلى قفاه ومنخره إلى قفاه وعينه إلى قفاه فإنه الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق وأما الرجال والنساء العراة الذين في مثل بناء التنور فإنهم الزناة والزواني وأما الرجل الذي أتيت عليه يسبح في النهر ويلقم الحجارة فإنه آكل الربا وأما الرجل

الكريه المرآة الذي عند النار يحشها ويسعى حولها فإنه مالك خازن جهنم وأما الرجل الطويل الذي في الروضة فإنه إبراهيم صلى الله عليه وسلم وأما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة) . قال فقال بعض المسلمين يا رسول الله وأولاد المشركين ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (وأولاد المشركين وأما القوم الذين كانوا شطرا منهم حسن وشطرا منهم قبيح فإنهم قوم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا تجاوز الله عنهم . (*)

حسرات أهل النار

قال الله ﷻ

وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَـٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ * بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ * وَقَالُوٓاْ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ * وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَـٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ * قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ

(*) رواه البخاري ومسلم . قال البغا في الشرح(فيتدهده)ينحط من علو إلى سفل وفيرواية(فيتدأدأ)......

....أي يتدحرج . (فيشرشر) يقطع . (فيشق) أي بدل (فيشرشر) . (ضوضوا) رفعوا أصواتهم مختلطة . (المرآة) المنظر . (معتمة) وفي نسخة (معتمة) أي غطاها الخصب أي كثيرة النبت . (لون الربيع) وفي نسخة (نور الربيع) أي زهر الشجر في الربيع . (ارق) اصعد . (المحض) اللبن الخالص من الماء (فسما بصري) نظر إلى فوق . (صعدا) صاعدا في ارتفاع كثير . (الربابة) السحابة وقيل السحابة التي ركب بعضها بعضا . (ذراني . (فإنهم الزناة) قال في الفتح مناسبة العري لهم لاستحقاقهم أن يفضحوا لأن عادتهم) اتركاني أن يستتروا في الخلوة فعوقبوا بالهتك . والحكمة في إتيان العذاب لهم من تحتهم كون جنايتهم من أعضائهم السفلى . (الفطرة) أصل الخلقة التي خلقه الله تعالى عليها قبل أن تغيره المجتمعات الآثمة والنفوس الشريرة وهذه الفطرة هي الإيمان بالله تعالى وتوحيده .

بَغۡتَةً قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ (31:27الأنعام).

لقد صبروا على عبادة الأصنام في حياتهم الدنيا وظنوا أن من وراء هذا الصبر النجاة فقادهم صبرهم إلى الخسران حيث لا ينفع الصبر في النيران وليس وراء العذاب إلا عذابا

قال الله ﷻ

وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعًا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا مِنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ قَالُواْ لَوۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيۡنَٰكُمۡۖ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٖ (21 إبراهيم).

و قال الله ﷻ

يَوۡمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا * هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ * أَفَسِحۡرٌ هَٰذَآ أَمۡ أَنتُمۡ لَا تُبۡصِرُونَ * ٱصۡلَوۡهَا فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ (16:13 الطور).

جهنم تطلب المزيد

قال الله ﷻ

يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ (30ق).

وقال رسول الله ﷺ

---

(457) رواه البخاري ومسلم . (يضع قدمه) الله تعالى أعلم بحقيقة ذلك فإن كان (لفظ القدم) من المتشابه فيجري مجرى الصفات التي لا يعلم كيفها إلا الله وهذا هو الأظهر وقيل المعنى يذللها تذليل من يوضع تحت الرجل والعرب تضرب الأمثال بالأعضاء ولا تريد أعيانها كقولهم للنادم يعض أصبعه ولو لم يفعل ذلك . (قط قط) حسبي وكفاني .

لا تزال جهنم تقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فتقول قط قط وعزتك ويزوى بعضها إلى بعض . (457)

الفراش والغطاء

قال الله ﷻ

لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ (41الأعراف).

ثياب أهل النار

قال الله ﷻ

هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ

رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ * يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ * وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ * كُلَّمَآ

أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ (22:19الحج).

ولكن هل ينفع الكافر توبته واعترافه بذنبه في الآخرة ؟!

قال الله ﷻ

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوۡنَ لَمَقۡتُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ مِن مَّقۡتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡ إِذۡ تُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلۡإِيمَٰنِ فَتَكۡفُرُونَ * قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ * ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡۖ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ (12:10غافر).

وقال ﷻ

وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ * فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ (10،11الملك).

لا تقبل المعاذير ولا يشفع الخشوع ويجدي الخضوع ولا تغني الدموع .

قال الله ﷻ

وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ (37فاطر).

وقال ﷻ

وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ * وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ * فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمۡۖ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ (14:12السجدة).

أهون أهل النار عذابا

قال رسول الله ﷺ :

إن أهون أهل النار عذابا يوم القيامة لرجل توضع في أخمص قدميه جمرة يغلي منها دماغه . (458)

خطبة الشيطان في أهل النار

(458) رواه البخاري ومسلم . وهو أبو طالب كما صرحت به بعض الروايات الصحيحة .
(أخمص قدميه) تجويف القدم الذي لا يصيب الأرض عند المشي . (جمرة) قطعة من النار ملتهبة .

قال الله ﷻ

وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (22 إبراهيم).

أعظم عذاب أهل النار

إن أعظم العذاب الحجب عن رؤية رب الأرباب سبحانه وتعالى

قال الله ﷻ

كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ (15المطففين).

فكما أنهم حجبوا قلوبهم وأبدانهم عن نور الله في الدنيا عاقبهم الله بالحجب عن نوره في الآخرة ... عافنا اللهم أجمعين .

ومن شاء المزيد عن الجحيم فلينظر كتاب " الجحيم رؤية من الداخل " لفضيلة الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق غفر الله له .

الناجون من النار

---

(459) رواه مسلم . (فكاكك) بفتح الفاء وكسرها والفتح أفصح وأشهر وهو الخلاص والفداء . (460). رواه مسلم . .**ذكر ابن كثير وغيره هذا المعنى في تفسير الآية . .(461) صحيح رواه ابن ماجة والبيهقي . .(462) صحيح رواه الترمذي والنسائي وغيرهما . (*) رواه مسلم .

الناجون من النار

قال النبي ﷺ إذا كان يوم القيامة دفع الله عز وجل إلى كل مسلم يهوديا أو نصرانيا فيقول هذا فكاكك من النار. (459)

وقال النبي ﷺ لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله مكانه النار يهوديا أو نصرانيا. (460) وبهذا يرث الكافر مكان المؤمن من النار ويرث المؤمن مكان الكافر من الجنة* كما قال الله ﷻ

وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّـٰلِحُونَ (105الأنبياء).

وقال الله سبحانه

أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ * ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُون (10،11المؤمنون).**

وقال رسول الله ﷺ

مامنكم من أحد إلا له منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار . فإذا مات فدخل النار ورث أهل الجنة منزله . فذلك قوله تعالى أولئك هم الوارثون . (461)

وقال رسول الله ﷺ : لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعوده اللبن في الضرع ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم . (462)

وقال رسول الله ﷺ :

يخرج من النار أربعة فيعرضون على الله فيلتفت أحدهم فيقول أي رب إذ أخرجتني منها فلا تعدني فيها فينجيه الله منها . (*)

وعن أبي ريحانة رضي الله عنه أنه كان مع رسول الله ﷺ في غزوة فسمعه ذات ليلة وهو يقول حرمت النار على عين سهرت في سبيل الله وحرمت النار على عين دمعت من خشية الله قال

---

(459) رواه مسلم . (فكاكك) بفتح الفاء وكسرها والفتح أفصح وأشهر وهو الخلاص والفداء . (460). رواه مسلم . .**ذكر ابن كثير وغيره هذا المعنى في تفسير الآية . .(461) صحيح رواه ابن ماجة والبيهقي . .(462) صحيح رواه الترمذي والنسائي وغيرهما . (*) رواه مسلم .

وقال الثالثة فنسيتها قال أبو شريح سمعت من يقول ذاك حرمت النار على عين غضت عن محارم الله أو عين فقئت في سبيل الله عز وجل .(463)

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

قال النساء للنبي صلى الله عليه وسلم غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوما من نفسك فوعدهن يوما لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن فكان فيما قال لهن (ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها إلا كان لها حجابا من النار) . فقالت امرأة واثنين ؟ فقال (واثنين) . (464)

من كان له ثلاث بنات فصبر عليهن وأطعمهن وسقاهن وكساهن من جدته كن له حجابا من النار يوم القيامة . (465)

وعن معبد بن هلال العنزي قال اجتمعنا ناس من أهل البصرة فذهبنا إلى أنس بن مالك رضي الله عنه وذهبنا معنا بثابت البناني إليه يسأله لنا عن حديث الشفاعة فإذا هو في قصره فوافقناه يصلي الضحى فاستأذنا فأذن لنا وهو قاعد على فراشه فقلنا لثابت لا تسأله عن شيء أول من حديث الشفاعة فقال يا أبا حمزة هؤلاء إخوانك من أهل البصرة جاؤوك يسألونك عن حديث الشفاعة فقال : حدثنا محمد صلى الله عليه وسلم قال :

(إذا كان يوم القيمة ماج الناس بعضهم في بعض فيأتون آدم فيقولون اشفع لنا إلى ربك فيقول لست لها ولكن عليكم بإبراهيم فإنه خليل الرحمن فيأتون إبراهيم فيقول لست لها ولكن عليكم بموسى فإنه كليم الله فيأتون موسى فيقول لست لها ولكن عليكم بعيسى فإنه روح الله وكلمته فيأتون عيسى فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد صلى الله عليه وسلم فيأتونني فأقول أنا لها فأستأذن على ربي فيؤذن لي ويلهمني محامد أحمده بها لا تحضرني الآن فأحمده بتلك المحامد وأخر له ساجدا فيقال يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع فأقول يا رب أمتي أمتي فيقال انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان فأنطلق فأفعل ثم

---

(463) حديث حسن رواه الدارمي وأحمد وغيرهما . (464). رواه البخاري ومسلم .

(غلبنا عليك الرجال) أفادوا منك أكثر منا لملازمتهم لك وضعفنا عن مزاحتمهم . (يوما) تعلمنا فيه وتخصنا به . (من نفسك) من اختيارك أو من أوقات فراغك . (تقدم) يموت لها في حياتها . (حجابا) حاجزا يحجبها . (465) صحيح رواه ابن ماجة وأحمد وغيرهما . (من جدته) أي من غناه .

أعود فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا فيقال يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع فأقول يا رب أمتي أمتي فيقال انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان فأنطلق فأفعل ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا فيقال يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع فأقول يا رب أمتي أمتي فيقول انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال حبة خردل من إيمان فأخرجه من النار فأنطلق فأفعل .

فلما خرجنا من عند أنس قلت لبعض أصحابنا لو مررنا بالحسن وهو متوار في منزل أبي خليفة فحدثناه بما حدثنا أنس بن مالك فأتيناه فسلمنا عليه فأذن لنا فقلنا له يا أبا سعيد جئناك من عند أخيك أنس بن مالك فلم نر مثل ما حدثنا في الشفاعة فقال هيه فحدثناه بالحديث فانتهى إلى هذا الموضع فقال هيه فقلنا لم يزد لنا على هذا فقال لقد حدثني وهو جميع منذ عشرين سنة فلا أدري أنسي أم كره أن تتكلوا قلنا يا أبا سعيد فحدثنا فضحك وقال خلق الإنسان عجولا ما ذكرته إلا وأنا أريد أن أحدثكم حدثني كما حدثكم به وقال (ثم أعود الرابعة فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا فيقال يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع فأقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله فيقول وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله) (466)

أسأل الله ﷻ أن يجيرنا من النار أجمعين وان يدخلنا الجنة بغير حساب إنه عفو كريم .

واالحمد لله رب العالمين .

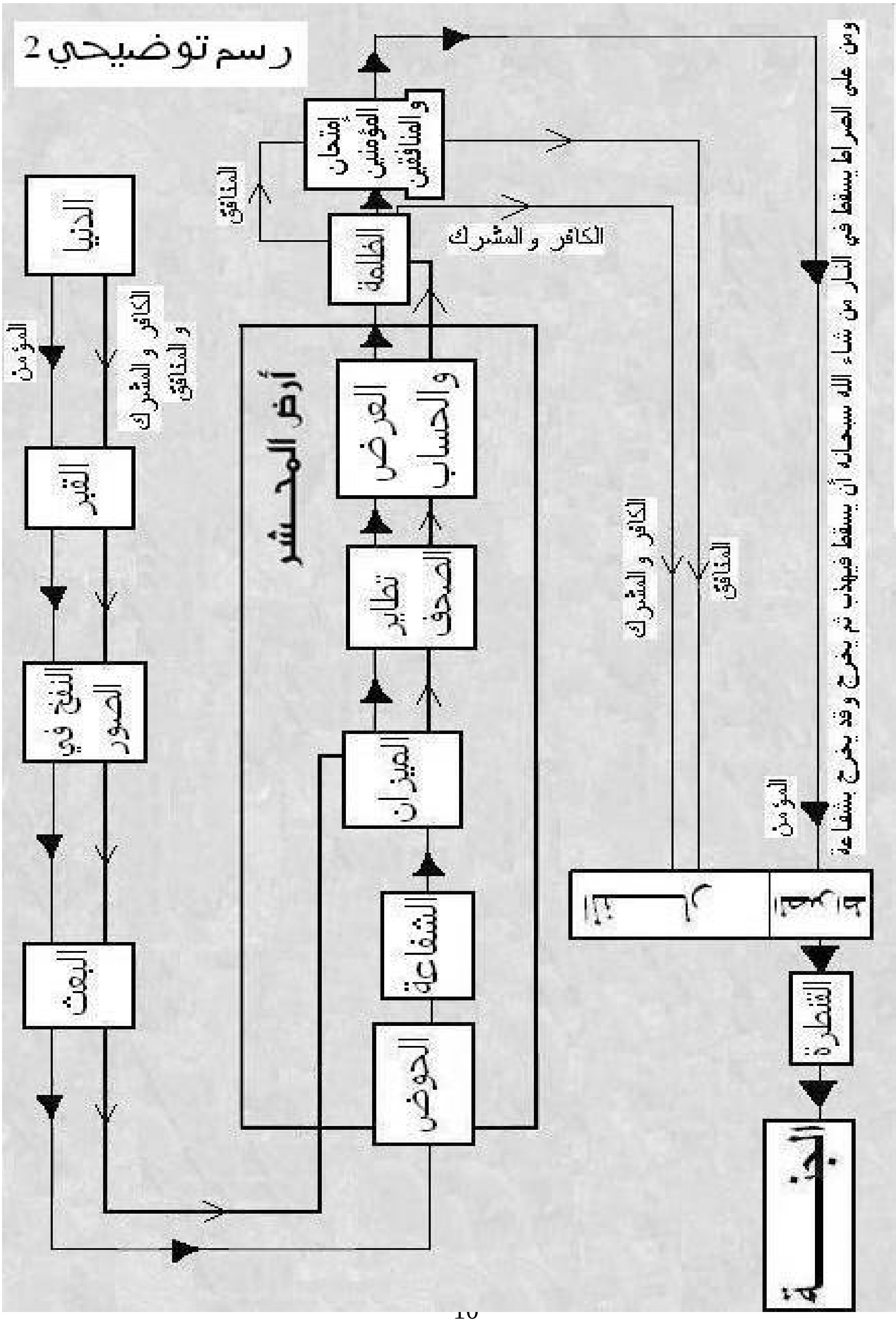
وإليك هذا الرسم (**رسم توضيحي 2**) الذي يشير إلى أشهر المواقف في الدار الآخرة .

---

(466) رواه البخاري ومسلم .

(روح الله وكلمته) أي الذي خلقه مباشرة بكلمة منه دون واسطة أب . (فأستأذن على ربي) أتوسل إليه أن يأذن لي بالشفاعة . (متوار) مختف في منزل أبي خليفة الطائي البصري خوفا من الحجاج .

(بالحسن) البصري . (هيه) زد من هذا الحديث . (وهو جميع) مجتمع وهو الرجل الذي بلغ أشده أراد أنه كان شابا حين حدثه بذلك (تتكلوا } تعتمدوا على الشفاعة فتتركوا العمل .


رسم توضيحي 2
الدنيا
المؤمن
الكافر و المشرك و المنافق
القبر
النفخ في الصور
البعث
أرض المحشر
الحوض
الشفاعة
الميزان
تطاير الصحف
العرض والحساب
الظلمة
إمتحان المؤمنين و المنافقين
المنافق
الكافر و المشرك
الصراط
القنطرة
الجنة
النار
ومن على الصراط يسقط في النار من شاء الله سبحانه أن يسقط فيها فيعذب ثم يخرج وقد يخرج بشفاعة

الإيمان بالقضاء والقدر

قال الله ﷻ

إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ (49القمر).

وقال عز وجل

ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ (8 الرعد).

وقال الله ﷻ

وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا (38الأحزاب).

وقال عز من قائل

وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ (21 الحجر).

وقال عز وجل

وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡزُونٖ (19 الحجر).

القدر والقضاء لفظتان لكل منهما معنى ومدلول

القدر تقدير الله ﷻ في الأزل ، والقضاء حكم الله ﷻ بالشيء عند وقوعه فإذا قدر الله تعالى أن يكون الشيء المعين في وقته فهذا قدر فإذا جاء الوقت الذي يكون فيه هذا الشيء فإنه يكون قضاء . وهذا كثير في القرآن الكريم مثل قوله تعالى (قضي الأمر) وقوله (والله يقضي بالحق) . وما أشبه ذلك .

وإذا أطلق القضاء شمل القدر وإذا أطلق القدر شمل القضاء ولكن إذا قيل القضاء والقدر صار بينهما فرق . فإنهما لفظتان متَى اجتمعَتَا تفرّقَتَا ومتَى تفرّقَتَا اجتمعَتَا .

قال النبي ﷺ

لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم غير ظالم لهم ولو رحمهم كانت رحمته لهم خيرا من أعمالهم ولو كان لك جبل أحد أو مثل جبل أحد ذهبا أنفقته في سبيل الله ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر * وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وإنك إن مت على غير هذا دخلت النار . (467)

القدر السر الذي حارت فيه عقول وضلت فيه أقدام وزاغت فيه أفهام

هذه القضية التي من أجلها افترق الناس إلى نوع شقي يقول بالجبر أو يقول بالخيرة ونوع سعيد يؤمن بالقدر كما أراد الله سبحانه وتعالى .

ولقد دارت خلافات عنيفة بين القدرية – الذين يقولون بإن الإنسان حر يفعل ما يشاء كما يشاء وقتما يشاء إلا في الأفعال الإضطرارية كالخلق والموت وما شابه ذلك – والجبرية – الذين يقولون بجبر الإنس قالو الإنسان مجبور وهو كريشة معلقة في الهواء تسيرها الرياح حيثما سارت – بالنثر والشعر أحيانا

فقال القدرية للجبرية ما حيلة المرء والأقدار جارية عليها فيما ترى يا أيها الرائي

ألقاه في اليم مكتوفا وقال له ... إياك إياك أن تبتل بالماء

فرد الجبرية وقالوا

لو قدر الله له نجاة لا يمسسه من بلل ولم يبال بتكتيف وإلقاء

فإن يكن قدر المولى إماتته فهو الغريق ولو يلقى بصحراء**

والحق أن المرء مجبور في أشياء كالخلق والإحياء والإماته وما يعرض للمرء في حياته من أشياء لا دخل له فيها والمرء مخير في أشياء كالإيمان والكفر والطاعة والمعصية

ولكل عبد مشيئة خاصة به تلك المشيئة لا تفعل شيئا غير الذي قدره الله في مشيئته كما بين الله سبحانه وتعالى في سورة الإنسان فقال

إِنَّا هَدَيْنَـٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (3الإنسان).

وقال الله عز وجل

---

(467) صحيح رواه أحمد وأبو داود وغيرهما. * (خيره وشره كما في صحيح مسلم).

** كذا قال العلامة الشيخ جميل غازي رحمه الله .

إِنَّ هَـٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٌۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلاً * وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (29،30الإنسان).

إذاً قضية الهداية ليست لأحد من البشر إلا بإذن الله كما قال الله ﷻ

إِنَّكَ لَا تَهۡدِى مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِى مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ (56القصص).

ولكن قد ينشأ ظن من بعض الناس أن هناك تعارضا في القرآن حيث نفى الله الهداية عن الرسول ﷺ في الآية السابقة وأثبتها في آية أخرى حين قال ﷻ

وَإِنَّكَ لَتَہۡدِىٓ إِلَىٰ صِرَٲطٍ مُّسۡتَقِيمٍ (52الشورى).

لأن الهداية المذكورة في الآية الأولى في سورة القصص هداية التوفيق والهداية التي في سورة الشورى هداية البيان .

إن الذين يريدون الهداية ويسعون إليها ويبحثون عن الحق بإخلاص لا يخيب الله سعيهم ولا يضيع سؤلهم بل يوفقهم ويهديهم كما قال الله ﷻ

ۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِىٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ (27الرعد).

واعلم يرحمك الله أن الله سبحانه لا يقدر إلا الخير ولا يقضي إلا بالحق

كما قال رسول الله ﷺ وهو يدعو الله في استفتاح الصلاة

لبيك وسعديك والخير كله في يديك والشر ليس إليك أنا بك وإليك تباركت وتعاليت أستغفرك وأتوب إليك . (468)

وقال الله ﷻ

وَٱللَّهُ يَقۡضِى بِٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقۡضُونَ بِشَىۡءٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ (20غافر).

فقد يكون الفعل شرا في المقدور بينما لا يكون الفعل شرا في القدر أبدا كما في قصة النبيين

---

(468) رواه مسلم .

موسى والخضر عليهما الصلاة والسلام حين خرق الخضر عليه السلام السفينة وقتل الغلام ثم قال الخضر عليه السلام

أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا * وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا * فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا (الكهف81:79).

فقضاء الله كله خير فيا لسعادة المؤمنين بتقديرات الله سبحانه وتعالى

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : تبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : عجبت للمؤمن ! إن الله لا يقضي له قضاء إلا كان خيرا له . (ق)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له . (ك)

مراتب الإيمان بالقضاء والقدر

هناك أربع مراتب للإيمان بالقضاء والقدر جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبر بها عن ربه تعالى

المرتبة الأولى (العلم) : علم الله السابق بما يعمله ولا يعمله الخلق قبل إيجادهم .

فالله سبحانه علم ما كان وما يكون وما لا يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون كما قال الله سبحانه وتعالى عن أهل النار وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ (الأنعام27).

فأجاب الله سبحانه وتعالى عليهم لعلمه بكونهم ينكثون العهود ولن يتوبون ولو ردهم الله للدنيا فقال بَلۡ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ مِن قَبۡلُۖ وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ (الأنعام28).

(ق) صحيح رواه أبو يعلى والبيهقي وغيرهما . (ك) رواه مسلم .

فعلم الله لا حدود له ومهما تقدم العلم الظني البشري فلن يبلغ ذرة من علم الله الواسع الذي يطلع على الغيب والشهادة ويعلم ما يخطر بالبال قال الله ﷻ

يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ (19غافر).

وقال ﷻ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُ (235البقرة).

إن العلم مجرد العلم بأن الله ﷻ يعلم كل شيء مشهودا كان أو غيبيا ظاهرا أو خفيا يجعل العبد يخاف أن يعلم الله ﷻ عنه سُوءاً فيحسن العمل ويدرأ الخلل وإن شئت فتأمل دقة علم الله في قوله ﷻ

وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ (59،60الأنعام).

وانظر قوله ﷻ

عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ (3سبأ).

إذاً الله سبحانه وتعالى يعلم ويرى ويسمع الذرة والمجردة ولا يشغله شيء عن شيء .

وهكذا كان الصالحون يربون أبناءهم على تعظيم الله ﷻ ولفت عقولهم إلى سعة علم الله قبل أن يأمرونهم بالصلاة كما قال لقمان الحكيم رضي الله عنه لابنه

يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ (16لقمان).

ولعلم الله الأزلي بين ﷻ لنا في كتابه كل خير وكل شر لئلا نضل فقال الله ﷻ

يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ (آخر النساء).

المرتبة الثانية (الكتابة) : كتابته سبحانه ذلك العلم في الذكر عنده قبل خلق السموات والأرض.

قال الله ﷻ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ (6هود).

وقال الله ﷻ

مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٍۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ (38الأنعام).

وقال الله ﷻ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ (12يس).

وقال ﷻ

مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ * لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٍ فَخُورٍ (22،23الحديد).

وقال ﷻ وَكُلُّ شَيۡءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ * وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسۡتَطَرٌ (52،53القمر).

عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال :

سمعت رسول الله ﷺ يقول كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة قال وعرشه على الماء . (469)

---

(469) رواه مسلم . وبهذا الحديث يتضح جليا بطلان ما اشتهر على السنة العامة من قولهم عن ناج من حادث " كتب له عمر جديد " فإن الأعمار مكتوبة قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة .

(كتب الله مقادير الخلائق) قال العلماء المراد تحديد وقت الكتابة في اللوح المحفوظ أو غيره لا أصل التقدير فإن ذلك أزلي لا أول له (وعرشه على الماء) أي قبل خلق السموات والأرض .

وقال عبادة بن الصامت ﵁ لابنه يا بني إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك سمعت رسول الله ﷺ يقول " إن أول ما خلق الله تعالى القلم فقال له اكتب فقال رب وماذا أكتب ؟ قال اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة " يا بني إني سمعت رسول الله ﷺ يقول " من مات على غير هذا فليس مني" (أ)

والإيمان بكتابة الله ﷻ للمقادير يدخل فيه كتابات وتقديرات

أولا : التقدير قبل خلق السماوات والأرض

عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال

سمعت رسول الله ﷺ يقول كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة قال وعرشه على الماء .(470)

ثانيا : التقدير قبل خلق آدم عليه السلام بأربعين سنة

قال رسول الله ﷺ

احتج آدم وموسى فقال له موسى يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة قال له آدم يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده أتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة ؟ فحج آدم موسى فحج آدم موسى } . ثلاثا .(471)

ثالثا : التقدير يوم القبضتين

قال رسول الله ﷺ (خلق الله آدم ثم أخذ الخلق من ظهره فقال : هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي) قال قائل : يا رسول الله فعلى ماذا نعمل ؟ قال (على مواقع القدر) . (472)

ولقد أخذ الله ﷻ الميثاق على بني آدم كما قال رسول الله ﷺ :

أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان يعنى عرفة فاخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلا قال { أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا

(أ) صحيح رواه أبو داود وغيره. (470) رواه مسلم (471) رواه البخاري ومسلم .

(472) صحيح رواه ابن حبان وأحمد وغيرهما .

عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ * أَوۡ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةٗ مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ أَفَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ .(172،173 الأعراف). }. (473)

رابعا : الكتابة والإنسان جنين في بطن أمه

عن أبي الزبير المكي أن عامر بن واثلة حدثه أنه سمع عبدالله بن مسعود ﷺ يقول الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد من وعظ بغيره فأتى رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ يقال له حذيفة بن أسيد الغفاري فحدثه بذلك من قول ابن مسعود فقال وكيف يشقى رجل بغير عمل ؟ فقال له الرجل أتعجب من ذلك ؟ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال يا رب أذكر أم أنثى ؟ فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يقول يا رب أجله فيقول ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يقول يا رب رزقه فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص . (474)

وقال رسول الله ﷺ

إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله إليه ملكا بأربع كلمات فيكتب عمله وأجله ورزقه وشقي أم سعيد ثم ينفخ فيه الروح فإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة . وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار . (475)

وهنا قد يدور سؤال وهو إذا كان الله سبحانه وتعالى قد كتب ما وقع وما سيقع وحدد أهل الجنة والنار ففيما العمل إذن ؟ ولقد سئل الرسول ﷺ هذا السؤال فعن علي رضي الله عنه قال

كان النبي ﷺ في جنازة فأخذ شيئا فجعل ينكت به الأرض فقال

(ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة) . قالوا يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل ؟ قال (اعملوا فكل ميسر لما خلق له أما من كان من أهل السعادة

---

(473) صحيح رواه أحمد والحاكم وغيرهما. (474) رواه مسلم . (475) رواه البخاري ومسلم .

فييسر لعمل أهل السعادة وأما من كان من أهل الشقاء فييسر لعمل أهل الشقاوة ثم قرأ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ * وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ * وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ (الليل5:10). (476)

وذكرني هذا بكلام الشيخ محمد عبده رحمه الله حين قال سبق العلم الإلهي لا يعني الجبرية في القدر . إنتهى بمعناه .

وأبين لك بمثال : إننا نحن البشر إذا علمنا بأن شيئا ما في مكان ما سوف يحدث قبل حدوثه فليس هذا يعني أننا فعلنا هذا الشيء واخترناه وقدرناه بل علمنا به فما بالنا بعلم الله عالم الغيب والشهادة الحكيم الخبير الذي لا يظلم أحدا ولا يجبر أحدا على الهداية أو الضلال .

فلئن استقر الإيمان بعلم الله وكتابته سبحانه لما قدر إلى يوم القيامة في قلب المسلم ما ذل مسلم لأحد أبدا خوفا من فوات رزق أو ضياع حق وما ضعف أمام موقف تقال فيه كلمة حق ولذلك علم رسول الله ﷺ أصحابه أن يستحضروا علمهم بقدر الله في حياتهم

عن ابن عباس قال : كنت خلفت رسول الله ﷺ يوما فقال يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف . (477)

خامسا : التقدير الحولي في ليلة القدر يقدر فيها كل ما يكون في السنة .

قال الله سبحانه وتعالى

إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (الدخان3،4).

وليست ليلة النصف من شعبان كما زعموا وإنما هي ليلة القدر في رمضان كما قال تعالى إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ (القدر1).

---

(476) رواه البخاري ومسلم . (477) صحيح رواه الترمذي وغيره.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله : (فيها يفرق كل أمر حكيم) قال : يكتب من أم الكتاب في ليلة القدر ما يكون في السنة من رزق أو موت أو حياة أو مطر حتى يكتب الحاج يحج فلان ويحج فلان . (478)

وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – في قوله ﷻ

يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ (39 الرعد) .

قال : ينزل الله تعالى في كل شهر رمضان إلى سماء الدنيا يدبر أمر السنة إلى السنة في ليلة القدر فيمحو ما يشاء ويثبت إلا الشقوة والسعادة والحياة والممات . (479)

وروى عن ابن عمر ومجاهد وأبي مالك والضحاك رضي الله عنهم : في ليلة القدر يفصل من اللوح المحفوظ إلى الكتبة أمر السنة وما يكون فيها من الآجال والأرزاق وما يكون فيها إلى آخرها .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال :

قالت أم حبيبة رضي الله عنها : اللهم متعني بزوجي رسول الله ﷺ وبأبي أبي سفيان وبأخي معاوية فقال لها رسول الله ﷺ إنك سألت الله لآجال مضروبة وآثار موطوءة وأرزاق مقسومة لا يعجل شيئا منها قبل حله ولا يؤخر منها شيئا بعد حله ولو سألت الله أن يعافيك من عذاب في النار وعذاب في القبر لكان خيرا لك . (ب)

وعن أيوب قال قيل لابن أبي مليكة رضي الله عنه إن زيادا المنقري وكان قاصا يقول إن أجر ليلة النصف من شعبان مثل أجر ليلة القدر فقال بن أبي مليكة لو سمعته يقول ذلك وفي يدي عصا لضربته بها . (480)

سادسا : التقدير اليومي وهو سوق المقادير إلى المواقيت التي قدرت لها فيما سبق

قال الله ﷻ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ (29الرحمن).

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه

(478) رواه محمد بن نصر وابن المنذر وابن أبي حاتم . (479) رواه عبد الرزاق والفريابي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب . (ب) رواه مسلم . (480) رواه عبد الرزاق .

(481) حديث حسن رواه ابن ماجة وابن حبان وابن أبي عاصم وغيرهم ولفظه ويجيب داعيا .

عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى { كل يوم هو في شأن } قال (من شأنه أن يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويخفض آخرين) . (481)

وبذلك يتبين معنى قوله ﷺ

لا يرد القضاء إلا الدعاء ولا يزيد العمر إلا البر . (482)

وهذا يعني أنه كتب في اللوح المحفوظ أن فلانا يحدث له كذا وأنه سيدعو الله فيصرف الله عنه هذا القضاء بقضاء آخر كما كان يدعو رسول الله ﷺ في قنوت الوتر ويقول وقني شر ما قضيت إنك تقضي ولا يقضى عليك . (483) والله أعلم .

المرتبة الثالثة (المشيئة) : مشيئة الله ﷻ المتناولة لكل موجود فلا خروج لكائن عن مشيئته كما لا خروج له عن علمه .

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ (40النحل).

واعلم أن الإرادة الإلهية تنقسم إلى قسمين : إرادة شرعية وإرادة كونية .

فأما الشرعية فإن كل ما أراده الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من عباده لصلاح أحوالهم ودنياهم ودينهم يندرج تحت هذه الإرادة الشرعية كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ (185البقرة).

وقال عز وجل : وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ (27النساء).

وأحب أن أذكر هنا أن فعل الخيرات ودخول الجنات من أيسر الأشياء وإنما المشقة والإعسار في سلوك سبيل أهل النار كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ (286البقرة).

---

(482) حديث حسن رواه ابن ماجة والترمذي وغيرهما .

(483) صحيح رواه أبو داود والنسائي وابن ماجة وغيرهم .

قال ابن عطية : ويظهر لي في هذا أن الحسنات هي مما تكتسب دون تكلف إذ كاسبها على جادة أمر الله تعالى ورسم شرعه والسيئات تكتسب ببناء المبالغة إذ كاسبها يتكلف في أمرها خرق حجاب نهي الله تعالى ويتخطاه إليها فيحسن في الآية مجيء التصريفين إحرازا لهذا المعنى .

وأما الإرادة الكونية فإن كل ما أراد الله وقوعه في الكون من إيمان وكفر أو خير وشر فيندرج تحت إرادة الله الكونية كما قال الله ﷻ

إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ (82يس).

وقال عز وجل

وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا (16الإسراء).

وإنما أراد الله ﷻ كل ما يجري في الكون على اختلاف وجوهه وتعدد ألوانه لحكمته سبحانه وقد أظهر الله ﷻ بعض الحكم في كتابه فقال عن علة الصراع بين الكفار والأبرار

وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖۗ (4محمد).

وقال الله سبحانه

مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمۡ أَجۡرٌ عَظِيمٞ (179آل عمران).

المرتبة الرابعة (الخلق) : خلق الله للأعمال وإيجادها فإنه لا خالق إلا الله والله خالق كل شيء كما قال الله ﷻ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ (96الصافات).

وقال الله عز وجل

قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ (16الرعد).

فكل ما يفعله العباد مؤمنين أو كافرين من أعمال بمقادير الذر من خير أو شر من خلق الله القاهر الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم .

والمرء يسعى وإلى الله المنتهى

وكل امرئ يوما سيعلم سعيه ... إذا كشفت عند الإله المحاصد

وإذا كان الأمر كذلك فإنه قد يحتج بالقدر في المصائب ولا يحتج به في المعائب كما في الحديث أن رسول الله ﷺ قال

(احتج آدم وموسى فقال له موسى يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة قال له آدم يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده أتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة ؟ فحج آدم موسى فحج آدم موسى) . ثلاثا (484)

أثر الإيمان بالقدر في حياة السلف الصالح رضوان الله عليهم

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى الشام حتى إذا كان بسرغ لقيه أمراء الأجناد أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه فأخبروه أن الوباء قد وقع بأرض الشام . قال ابن عباس فقال عمر ادع لي المهاجرين الأولين فدعاهم فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام فاختلفوا فقال بعضهم قد خرجت لأمر ولا نرى أن ترجع عنه وقال بعضهم معك بقية الناس وأصحاب رسول الله ﷺ ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء فقال ارتفعوا عني ثم قال ادع لي الأنصار فدعوتهم فاستشارهم فسلكوا سبيل المهاجرين واختلفوا كاختلافهم فقال ارتفعوا عني ثم قال ادع لي من كان ها هنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح فدعوتهم فلم يختلف منهم عليه رجلان فقالوا نرى أن

---

(484). رواه البخاري ومسلم .

(خيبتنا) أوقعتنا في الخيبة وهي الحرمان . (خط لك بيده) أنزل عليك كتابه التوراة . (أربعين سنة) إختلف الشراح فيها فمنهم من قال إنها مدة لبثه طينا إلى أن نفخت فيه الروح وقال آخرون المراد بالتقدير هنا الكتابة في اللوح المحفوظ أو في صحف التوراة وألواحها وهذا القول الأخير أدق وأصوب والله أعلم . (فحج) غلبه بالحجة . (ثلاثا) كررها ثلاث مرات . قال النووي معناها إنك تعلم أنه مقدر فلا تلمني عليه – وأيضا اللوم شرعي لا عقلي وإذا تاب الله عليه وغفر له ذنبه زال عنه اللوم فمن لامه كان محجوجا .

ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء فنادى عمر في الناس إني مصبح على ظهر فأصبحوا عليه . قال أبو عبيدة بن الجراح أفرارا من قدر الله ؟ فقال عمر لو غيرك قالها يا أبا عبيدة ؟ نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله أرأيت لو كان لك إبل هبطت واديا له عدوتان إحداهما خصبة والأخرى جدبة أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله ؟ قال فجاء عبد الرحمن بن عوف وكان متغيبا في بعض حاجته فقال إن عندي في هذا علما سمعت رسول الله ﷺ يقول (إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه) . قال فحمد الله عمر ثم انصرف . (485)

عن عطاء بن السائب رضي الله عنه قال كان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في سفر مع سليمان بن عبد الملك فأصابتهم السماء برعد وبرق وظلمة وريح شديدة حتى فزعوا لذلك وجعل عمر بن عبد العزيز يضحك فقال له سليمان ما يضحكك يا عمر أما ترى ما نحن فيه فقال له يا أمير المؤمنين هذه آثار رحمته فيها شدائد ما ترى فكيف بآثار سخطه وغضبه . (486)

أسأل الله سبحانه أن يحقق لنا اجمعين الإيمان بالقدر والقضاء إنه سميع قريب مجيب الدعاء والحمد لله رب العالمين .

كرامات الأولياء

(485) رواه البخاري ومسلم . (بسرغ) قرية في طريق الشام مما يلي الحجاز . (الأجناد) أي الجند الوباء) المرض العام وهو الطاعون . (بقية الناس) أي بقية الصحابة وسماهم الناس تعظيما لهم .
(ارتفعوا عني) قوموا واذهبوا عني . (فسلكوا سبيل المهاجرين) مشوا على طريقتهم فيما قالوه .
(مشيخة قريش) شيوخهم أي كبارهم في السن . (مهاجرة الفتح) الذين هاجروا إلى المدينة عام الفتح (مصبح على ظهر) مسافر في الصباح . (لو غيرك) ممن ليس في منزلتك (قالها) قال هذه المقالة أي لأدبته . أو لم أتعجب منه . (هبطت) نزلت(عدوتان) طرفان والعدوة طرف الوادي المرتفع منه .
(خصبة) ذات عشب كثير . (جدبة) قليلة العشب والمرعى . (به) بوجود الطاعون . (فحمد الله) على موافقة اجتهاده واجتهاد كثير من الصحابة لحديث رسول الله ﷺ . (486) رواه ابن أبي الدنيا .

ذهب جمهور أهل السنة والجماعة إلى جواز الكرامات للأولياء وكان أحمد ابن حنبل ﵁ يذهب إلى جواز الكرامات للأولياء ويفرق بينها وبين المعجزة وذلك أن المعجزة توجب التحري إلى صدق من جرت على يده فإن جرت على يدي ولي كتمها وأسرها.كما قالوا

من أطلعوه على سر فباح به ... لم يأمنوه على الأسرار ما عاشا

وصاحب المعجزة مأمون العاقبة وصاحب الكرامة لا يأمن تغيير عاقبته كما تغيرت عاقبة بلعام بن باعورا بعد ظهور كراماته .

ولا شك أن الله ﷻ قد ميز المؤمنين عن الفاسقين قال الله ﷻ

أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ (18السجدة).

وكما جعل الله ﷻ للفاسقين حسرات فإنه أيضا جعل للأولياء كرامات قال الله ﷻ

أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ *

ولكن هل الأولياء هم قوم يتميزون بملبس معين ؟ أم هم الذين يحملون المسبحات الألفية ؟ أم هم الذين يتميزون بنسب متصل إلى خير البرية ؟! تساؤلات كثيرة عن الأولياء يجيب عليها القرآن الكريم فيقول الله سبحانه معرفا للأولياء في كتابه الكريم

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ * لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (63،64يونس).

إذاً الولي هو من آمن واتقى كما قيل :

من كان مؤمنا وتقيا .....كان لله وليا

فالولي هو من تولى الله بالعبادة فتولاه الله بالحفظ والرعاية ، فكيف يكون العبد وليا لله وهو معرض عن هدي رسول الله ﷺ وغافل عن آيات الله ثم يزعم أن بينه وبين النبي ﷺ نسبا

وها هو عمر بن الخطاب ﵁ يحذر من الإتكال على النسب فيقول لسعد بن أبي وقاص ﵁ * خال النبي ﷺ يا سعد . سعد بني وهيب (لأن أبا سعد هو مالك بن وهيب) لا يغرنك من الله أن قيل خال رسول الله وصاحب رسول الله ﷺ فإن الله عز وجل لا يمحو السيء بالسيىء ولكنه يمحو السيء بالحسن فإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته فالناس

شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواء . الله ربهم وهم عباده يتفاضلون بالعافية ويدركون ما

عنده بالطاعة . (487)

وقال رسول الله ﷺ : من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه . (488)

وصدق من قال

لعمرُ الله ما الإنسانُ إلاَّ بدينه فلا تترك التقوى اتِّكالاً على النَّسب
لقد رفع الإسلامُ سلمانَ فارسٍ وقد وضع الشركُ النَّسِيبَ أبا لهب

فالجنة لمن أطاع رسول الله ﷺ وإن كان عبدا حبشيا والنار لمن عصاه وإن كان نسيبا قرشيا.
نعم للأولياء كرامات يؤيد الله بها المؤمنين ويزيد في إيمانهم ولكن اعلم أن الإستقامة أعظم كرامة فلئن انتظر المؤمن كرامة من الله جزاء على عمله فإنه قد ورط نفسه في مصيبة كبرى وهي العجب ويكون بذلك قد زكى نفسه ومدح نفسه بالتقوى والله سبحانه يقول
فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ (32النجم).

قال ابن الجوزي رضي الله عنه وقد اندس في الصوفية أقوام وتشبهوا بهم وشطحوا في الكرامات وادعائها وأظهروا للعوام مخاريق صادوا بها قلوبهم .
والمصيبة العظمى أن يخرج علينا أقوام ينسبون للأولياء كرامات عجيبة لا يؤمن بها قلب ولا يدركها عقل فينسبون للرفاعي رحمه الله كرامة عجيبة يقولون إن الشيخ أحمد الرفاعي لما حج (سنة خمسمائة وخمسة وخمسون) وقف تجاه قبر جناب جده الأعظم صلى الله عليه وسلم وقال السلام عليك يا جدي فقال له الحبيب الكريم : وعليك السلام يا ولدي فهام لذلك وتواجد وأنشد
في حالة البعد روحي كنت أرسلها تقبل الأرض عني فهي نائبتي
وهذه دولة الأشباح قد حضرت فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي
فمدت له يد جده الكريم صلى الله عليه وسلم فقبلها والألوف من الناس ينظرون .

---

(487) رواه الطبري في التاريخ . * سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه هو الصحابي الواحد الذي قال له النبي ارم فداك أبي وأمي . (488) رواه مسلم .

والقصة باطلة وكذب منسوب للرفاعي رحمه الله لأسباب

أولا : إن الصحابة الذين هم خير الناس لم تحدث لهم هذه الكرامات بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم كذا التابعون ألم تعلم أن رسول الله ﷺ قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثلاثا . (489)

ولم يثبت لأحد من القرون الأربعة الخيرة هذه الكرامة فكيف بمن بعدهم .

ثانيا : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال وددت أني لقيت إخواني فقال أصحاب النبي ﷺ أو ليس نحن إخوانك قال أنتم أصحابي ولكن إخواني الذين آمنوا بي ولم يروني (490)

ثالثا لا خروج من القبور إلا يوم القيامة كما قال الله سبحانه وتعالى

ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ (15،16المؤمنون).

وقال رسول الله ﷺ أنا أول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة ولا فخر . (491)

وقد سبق القول من الله أنه لا رجوع إلا الدنيا كما قال رسول الله ﷺ قال الرب عز وجل إنه قد سبق مني أنهم إليها لا يرجعون . (492)

وإن شئت المزيد فراجع رد العلامة الألوسي على هذه الكرامة المزعومة في كتاب غاية الأماني في الرد على النبهاني وقد أفاض شيخي العلامة علي إبراهيم حشيش في الرد على هذه الأكذوبة وأمثالها في سلسلة تحذير الداعية من القصص الواهية وقد طبعت كتابا والحمد لله رب العالمين .

ومن صور الكرامات الرؤيا الصالحة كما قال ﷺ

رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة. (ت)

وقال : لا يبقى بعدي من النبوة شيء الا المبشرات قالوا يا رسول الله وما المبشرات قال الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له . (493)

وقد تصدق رؤيا لكافر أو فاجر وتكون إنذارا أو إستدراجا له من حيث لا يعلم .

---

(489) صحيح رواه الترمذي وأحمد وغيرهما . (490) حديث حسن رواه أحمد والطبراني وأبو يعلى وأبو بكر الشيباني . (491) رواه ابن ماجة والترمذي وغيرهما . (492) حديث حسن رواه الترمذي وابن ماجة وغيرهما . (ت) رواه البخاري ومسلم . (493) صحيح رواه أحمد في المسند والبخاري وغيرهما .

وقد يخدع الشيطان بعض الناس فيأتيهم في المنام أو يتمثل لهم في اليقظة ليزخرف لهم الباطل ويصرفهم عن الحق لكن لا تنطلي هذه الأفعال على المؤمنين العالمين .

قال الشيخ عبد القادر (أظنه الجيلاني) كنت مرة في العبادة فرأيت عرشا عظيما وعليه نور فقال لي يا عبد القادر أنا ربك وقد حللت لك ما حرمت على غيرك قال فقلت له أنت الله الذي لا إله إلا هو ؟ اخسأ يا عدو الله . قال فتمزق ذلك النور وصار ظلمة وقال يا عبد القادر نجوت مني بفقهك في دينك وعلمك وبمنازلاتك في أحوالك لقد فتنت بهذه القصة سبعين رجلا فقيل له كيف علمت أن الشيطان قال بقوله لي حللت لك ما حرمت على غيرك وقد علمت أن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم لا تنسخ ولا تبدل ولأنه قال أنا ربك ولم يقدر أن يقول أنا الله الذي لا إله إلا أنا .

محبطات الأعمال

حَبِطَ عمله بطل ثوابه وحُبُوطاً أيضا وأَحْبَطَهُ الله والحَبَطُ بفتحتين أن تأكل الماشية فتُكثر حتى تنتفخ لذلك بطونها ولا يخرج عنها ما فيها وقيل هو أن ينتفخ بطنها عن أكل الذرق وهو الحندوق وفي الحديث { وإن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا أو يُلم } .

قال القاضي أبو بكر بن العربي في شرح الترمذي : الحبط على قسمين حبط إسقاط وهو إحباط الكفر للإيمان وجميع الحسنات وحبط موازنة وهو إحباط المعاصي للانتفاع بالحسنات عند رجحانها عليها إلى أن تحصل النجاة فيرجع إليه جزاء حسناته .

وقال القول الفصل في هذا أن الاحباط احباطان أحدهما إبطال الشيء للشيء واذهابه جملة – **إحباط إسقاط** – كاحباط الإيمان للكفر والكفر للإيمان وذلك في الجهتين إذهاب حقيقى ثانيهما **إحباط الموازنة** إذا جعلت الحسنات في كفة والسيئات في كفة فمن رجحت حسناته نجا ومن رجحت سيئاته وقف في المشيئة إما أن يغفر له وإما أن يعذب فالتوقيف إبطال ما لأن توقيف المنفعة في وقت الحاجة إليها إبطال لها والتعذيب إبطال أشد منه إلى حين الخروج من النار ففي كل منهما إبطال نسبى أطلق عليه اسم الاحباط مجازا وليس هو إحباط حقيقة لأنه إذا أخرج من النار وأدخل الجنة عاد إليه ثواب عمله وهذا بخلاف قول الاحباطية الذين سووا بين الإحباطين وحكموا على العاصي بحكم الكافر وهم معظم القدرية والله الموفق .

أولا : إحباط الإسقاط .

1- الكفر الأكبر بكل أشكاله وألوانه .

إن أعمال الكفار لا قيمة لها في الآخرة مهما عظمت ولا وزن لها مهما حسنت وفي هذا يقول الله سبحانه ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا﴾ (23الفرقان).

وقال رسول الله ﷺ

إن الله لا يظلم مؤمنا حسنة يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له حسنة يجزى بها (494)

وعن عائشة رضي الله عنها قالت قلت

يا رسول الله ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذاك نافعه ؟ قال لا ينفعه إنه لم يقل يوما رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين . (495)

وقال الله سبحانه وتعالى

﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ (217البقرة).

وقال سبحانه وتعالى ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ (5المائدة).

2- الشرك .

قال الله سبحانه وتعالى

﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ (65الزمر).

---

(494) رواه مسلم . يطعم الله الكافر في الدنيا بما عمل من الحسنات أي بما فعله متقربا به إلى الله تعالى مما لا يفتقر صحته إلى النية كصلة الرحم والصدقة والعتق والضيافة وتسهيل الخيرات ونحوها – قاله النووي .

(495) رواه مسلم .

ومن الشرك الرياء وإرادة الدنيا من دون الآخرة .

مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ (16،15هود).

3- ولاء الكفار أو المشركين من دون المؤمنين .

قال الله تعالى في سياق الكلام على أولياء اليهود والنصارى

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ (53المائدة).

4- سوء الأدب المتعمد مع رسول الله ﷺ .

قال الله سبحانه وتعالى

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ (2الحجرات).

5- قتل الأنبياء أو المصلحين .

قال الله سبحانه وتعالى

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ (22،21آل عمران).

6- الخروج على الحاكم المسلم ومفارقة جماعة المسلمين .

قال رسول الله ﷺ

من نزع يدا من طاعة أو فارق الجماعة مات ميتة الجاهلية .(496)

---

(496) صحيح رواه أحمد وابن حبان وغيرهما .

وقال رسول الله ﷺ

من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يرجع (497)

الرِّبْقة في الأصل : عُرْوة في حَبْل تُجعل في عُنُق البهيمة أو يَدِها تُمسِكها فاستعارها للإسلام يعني ما يَشدُّ به المُسلم نفْسَه من عُرَى اللإسلام : أي حُدُوده وأحكامه وأوامِره ونواهيه .

وفي وصف النبي للخوارج قال : قوم يتلون كتاب الله رطبا لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية . (498)

وقال رسول الله ﷺ الخوارج كلاب أهل النار . (499)

وقال رسول الله ﷺ

من دعا بدعوى جاهلية فإنه من جثى جهنم فقال رجل يا رسول الله وإن صام وصلى قال نعم وإن صام وصلى فادعوا بدعوة الله التي سماكم الله بها المسلمين المؤمنين عباد الله . (500)

وقد اختلف العلماء وأصحاب المذاهب في تكفير الخوارج بين مؤيد ومعارض والله اعلم بالصواب ولا يلزم من هذا تكفير من لم يكفرهم أوشك في كفرهم لأنه غير لازم لاحتمال مانع يمنع من ذلك عنده ولو كان لازما لقال به العلماء ووضحوه ومن لم ير تكفيرهم وهو الصحيح فحجته أن أصل الإسلام الثابت لا يحكم بزواله إلا بحصول مناف لحقيقته مناقض لأصله لأن العمدة استصحاب الأصل وجودا وعدما ولقول علي رضي الله عنه لما سئل عنهم أكفار هم قال من الكفر فروا ولم يخالفه أحد من الصحابة ولا يلزم من هذا تضليل من كفرهم أو تكفيرهم لأنه ورد في الحديث من كفر مسلما فقد كفر فإنه غير لازم لما ذكرنا. **

7- إتباع ما أسخط الله سبحانه وتعالى وكراهية رضوانه .

قال الله سبحانه وتعالى

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ (28محمد) .

---

(497) صحيح رواه الترمذي واحمد وغيرهما . (498) رواه البخاري ومسلم . (499) صحيح رواه ابن أبي عاصم والطبراني وغيرهما . (500) صحيح رواه النسائي وأحمد وغيرهما . **كذا قال العلامة سليمان بن سحمان في كشف الأوهام .

ثانيا : إحباط الموازنة .

فمن ذلك الشرك الأصغر والكفر الأصغر والذنوب عموما وأخص منها التالي

1- التألي على الله ﷻ يخشى أن يحبط الأعمال .

عن جندب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

حدث أن رجلا قال والله لا يغفر الله لفلان وإن الله تعالى قال من ذا الذي يتألى علي أن أغفر لفلان فإني قد غفرت لفلان وأحبطت عملك أو كما قال . (ث)

2- إنتهاك محارم الله ﷻ .

عن ثوبان رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ :

لأعلمن أقواما من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضا فيجعلها الله هباء منثورا قال ثوبان يا رسول الله صفهم لنا وجلهم لا نكون منهم ونحن لا نعلم قال أما إنهم إخوانكم من جلدتكم يأخذون من الليل كما تأخذون ولكنهم أقوام إذا خلو بمحارم الله انتهكوها .(501)

3- ترك الصلاة .

قال النبي ﷺ من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله . (502)

قال العيني رحمه الله قيل المراد من الحبط نقصان العمل في ذلك الوقت الذي ترفع فيه الأعمال إلى الله تعالى وكان المراد بالعمل الصلاة خاصة أي لا يحصل على أجر من صلى العصر ولا يرتفع له عملها حينئذ وقيل المراد بالحبط الإبطال أي بطل انتفاعه بعمله في وقت ينتفع به غيره في ذلك الوقت .

4- السماع من السحرة والعرافين والكهان والتطير ونحو ذلك .

ومن هذا قراءة الأبراج والطالع وإتيان قارئة الفنجان والرمل والودع أو ما شابه .

وعن النبي ﷺ قال من أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة. (503)

(ث) رواه مسلم . (يتألى) معنى يتألى يحلف والألية اليمين . (501) صحيح رواه الطبراني وابن ماجة .

(502) رواه البخاري . (503) رواه مسلم .

وفي حديث معاوية ابن الحكم السلمي قلت يا رسول الله إن منا رجالا يأتون الكهان قال فلا تأتهم . (504)

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ :
[ليس منا من تطير أو تطير له أو تكهن أو تكهن له أو سحر أو سحر له ومن أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم] . (505)
عن عائشة رضي الله عنها قالت

سأل رسول الله ﷺ ناس عن الكهان فقال (ليس بشيء) . فقالوا يا رسول الله إنهم يحدثوننا أحيانا بشيء فيكون حقا فقال رسول الله ﷺ (تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه فيخلطون معها مائة كذبة. (506)

وفي رواية للبخاري أيضا قال الرسول ﷺ :
إن الملائكة تنزل في العنان وهو السحاب فتذكر الأمر قضي في السماء فتسترق الشياطين السمع فتسمعه فتوحيه إلى الكهان .

5 – شرب الخمر .

قال رسول الله ﷺ
لا يشرب الخمر أحد من أمتي فيقبل الله منه صلاة أربعين صباحا . (507)

6– الكبر .

والمقصود هنا ما خلا الكفر ولست أعني كبر الكفر .

قال رسول الله ﷺ : لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر . (508)

7– العجب .

قال رسول الله ﷺ

(504) رواه مسلم . (505) حديث حسن رواه البزار والطبراني .
(506) رواه البخاري . (507) صحيح رواه أحمد وابن خزيمة وغيرهما. (508) رواه مسلم

ثلاث مهلكات وثلاث منجيات وثلاث كفارات وثلاث درجات فأما المهلكات فشح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه وأما المنجيات فالعدل في الغضب والرضى والقصد في الفقر والغنى وخشية الله في السر والعلانية وأما الكفارات فانتظار الصلاة بعد الصلاة وإسباغ الوضوء في السبرات ونقل الأقدام إلى الجماعات وأما الدرجات فإطعام الطعام وإفشاء السلام وصلاة بالليل والناس نيام . (509)

عن مسروق قال : كفى بالمرء علما أن يخشى الله و كفى بالمرء جهلا أن يعجب بعمله. (510)

8- الحسد .

قال رسول الله ﷺ

دب إليكم داء الأمم الحسد والبغضاء هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أفلا أنبئكم بما يثبت ذاكم لكم ؟ أفشوا السلام بينكم . (511)

9- فساد ذات البين .

قال رسول الله ﷺ

ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى قال صلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هي الحالقة

قال أبو عيسى هذا حديث صحيح ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين . (512)

10- إقتناء الكلاب لغير ضرورة .

قال رسول الله ﷺ

قال القاضي عياض وغيره من المحققين إنه لا يدخلها الموحد دون مجازاة إن جازاه . (509) حديث حسن رواه الطبراني والبيهقي وغيرهما . السَّبرات : جمع سَبْرة بسكون الباء وهي شِدَّة البَرد . (510) رواه البيهقي في الشعب . (511) حديث حسن رواه الترمذي والمروزي وغيرهما . (512) صحيح رواه الترمذي وأحمد وابن حبان وغيرهم .

(من اقتني كلبا إلا كلب ماشية أو ضاريا نقص من عمله كل يوم قيراطان) . (513)

11- السبع الموبقات والكبائر عموما ولقد عدها ابن حجر الهيثمي فقاربت الخمسمائة .

قال رسول الله ﷺ

(اجتنبوا السبع الموبقات) . قالوا يا رسول الله وما هن ؟ قال (الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات) . (514)

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال

بايعت رسول الله ﷺ في رهط فقال (أبايعكم على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوني في معروف فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئا فأخذ به في الدنيا فهو كفارة له وطهور ومن ستره الله فذلك إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له . (515)

وعن النبي ﷺ قال: هل تدرون من المفلس قالوا المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع قال إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصيام وصلاة وزكاة ويأتي قد شتم عرض

---

(513) رواه البخاري ومسلم . (اقتنى) اتخذه لنفسه قنية والقنية كل ما اتخذه الإنسان من المال لغير التجارة . (ماشية) الإبل والبقر والغنم . وأكثر ما يستعمل في الغنم . (ضارية) معدة للصيد من الضراوة وهي القعود على الشيء والتجرؤ عليه . (قيراطان) مثنى قيراط والمعنى نقص جزء معلوم عند الله تعالى من أجر عمله في النهار وجزء من أجر عمله في الليل . (514) رواه البخاري ومسلم . (السحر) هو في اللغة عبارة عما لطف وخفي سببه وبمعنى صرف الشيء عن وجهه ويستعمل بمعنى الخداع . والمراد هنا ما يفعله المشعوذون من تخييلات وتمويه تأخذ أبصار المشاهدين وتوهمهم الإتيان بحقيقة أو تغييرها . (بالحق) كالقتل قصاصا . (التولي يوم الزحف) الفرار عن القتال يوم ملاقاة الكفار والزحف في الأصل الجماعة الذين يزحفون إلى العدو أي يمشون إليهم بمشقة مأخوذ من زحف الصبي إذا مشى على مقعدته . (قذف) هو الاتهام والرمي بالزنا . (المحصنات) جمع محصنة وهي العفيفة التي حفظت فرجها وصانها الله من الزنا . (الغافلات) البريئات اللواتي لا يفطن إلى ما رمين به من الفجور . (515) رواه البخاري ومسلم . (فأخذ به) عوقب بسببه . (كفارة له وطهور) محو للذنب وتطهير للنفس من إثمه .

هذا وقذف هذا وأكل مال هذا فيقعد فيقتص هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه من الخطايا أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار . (516)

12- الإبتداع في دين الله ﷻ .

قال رسول الله ﷺ

من سن سنة حسنة فيعمل بها كان له أجرها ومثل أجر من عمل بها لا ينقص من أجورهم شيئا . ومن سن سنة سيئة فعمل بها كان عليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شيئا . (517)

وقال رسول الله ﷺ : إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة. (518)

13- الذنوب المحقرة .

قال رسول الله ﷺ :

إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه وان رسول الله ﷺ ضرب لهن مثلا كمثل قوم نزلوا أرض فلاة فحضر صنيع القوم فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود والرجل يجيء بالعود حتى جمعوا سوادا فأججوا نارا وأنضجوا ما قذفوا فيها . (519)

الشرك

الشرك أن يجعل العبد لله نظيرا أو مثيلا يشركه في عبادته إياه مع أن الذين يعبدون من دون الله لا يملكون شيئا لأنفسهم فضلا عن غيرهم . قال الله ﷻ

ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (40الروم).

والشرك هو أكبر الذنوب كما ثبت أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ فقال يا

---

(516) صحيح رواه أحمد والطبراني وغيرهما . (517) صحيح رواه ابن ماجة وأحمد وغيرهما . (518)حديث حسن رواه البيهقي والطبراني وإسحاق بن راهويه وغيرهم . (519) حسن رواه أحمد والطبراني وغيرهما .

رسول الله أي الذنب أعظم ؟ وفي رواية (أي الذنب عند الله أكبر). قال (أن تجعل لله ندا* وهو خلقك) قلت ثم أي ؟ قال (أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك) . قال ثم أي ؟ قال (أن تزاني حليلة جارك *) . وأنزل الله تصديق قول النبي صلى الله عليه وسلم (والذين لا يدعون مع الله إلها آخر) . (520)

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : في قوله { هو أهل التقوى وأهل المغفرة } قال يقول ربكم أنا أهل أن أتقى أن يجعل معي إله غيري ومن اتقى أن يجعل معي إلها غيري فأنا أهل أن أغفر له .(521)

ليس هذا فحسب بل إن البراءة من الشرك تنجي عند الكروب كما قال النبي ﷺ إذا أصاب أحدكم هم أو لأواء فليقل الله الله ربي لا اشرك به شيئا . (-) ، وفي رواية كان – النبي ﷺ – إذا راعه– أفزعه – شيء قال الله الله ربي لا شريك له . (*)

لهذا كان أعظم الوصايا التحذير من الشرك

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال أوصاني خليلي ﷺ

أن لا تشرك بالله شيئا وإن قطعت وحرقت . ولا تترك صلاة مكتوبة معتمدا فمن تركها متعمدا فقد برئت منه الذمة . ولا تشرب الخمر فإنها مفتاح كل شر . (522)

فلا يتصور عاقل أن يغدق الرب على العبد بعظائم النعم ويفيض عليه جلائلها ثم يعرض العبد عن شكر مولاه ويتولى عن ذكر من بالنعم أولاه ليس هذا فحسب بل ويشرك بالله ما لا يملك ضرا أو نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ويجعل هذا المعبود الباطل ندا وشريكا لله المنعم الكريم الحليم سبحانه وتعالى ، ويذكرني هذا بكلام قاله الشيخ محمد الغزالي رحمه الله إذ قال لماذا لا يجعل العبد أعماله من صلاة وصيام ودعوة وغيرها شكرا عمليا لله على ما أنعم عليه وأكرمه به.إنتهى ، ولأجل ذلك لا يغفر الله سبحانه وتعالى ذنوب المشركين الجاحدين أبدا كما قال عز وجل

---

(520)رواه البخاري ومسلم.*(ندا) شريكا والند المثل والنظير.*(تزاني)تزني فيها برضاها وهذا يدل على أنه سلك معها مسالك الخداع حتى أغراها به وأفسد على زوجها فراشه واستقراره.(حليلة)زوجة سميت بذلك لأنها تحل لزوجها .(521)حسن رواه الطبراني والترمذي والحاكم وأحمد وغيرهم .(–)حسن رواه الطبراني والبيهقي وغيرهما. (*) صحيح رواه النسائي والطبراني وغيرهما . (522) صحيح رواه ابن ماجة وغيره.

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا (48النساء).

بعض العقوبات المتعلقة بالشرك

لقد ضرب الله ﷻ مثالا للمشرك في ترديه من علو الفطرة إلى دني الشرك فقال الله ﷻ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ (31الحج) .

وتلك عقوبة المشرك بعد موته عندما تمنع روحه من دخول أبواب السماء كما ثبت في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه الطويل الذي جاء فيه أن النبي ﷺ قال فيقول الله عز وجل اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى فتطرح روحه طرحا ثم قرأ

{ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ } (31 الحج).(523)

*** الشرك يحرم صاحبه الجنة ويوجب له النار**

قال الله ﷻ

إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ (72المائدة).

قال رسول الله ﷺ : إن الله يقول لأهون أهل النار عذابا لو أن لك ما في الأرض من شيء كنت تفتدي به ؟ قال نعم قال فقد سألتك ما هو أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك بي فأبيت إلا الشرك . (524)

*** الشرك يوجب الخلود في النار والعياذ بالله**

قال الله ﷻ

---

(523) صحيح رواه أحمد وغيره . (524) رواه البخاري ومسلم .

إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا * خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ (الأحزاب64:66).

ولا تلتفت لمن يقولون بفناء النار وعدم الخلود فيها كما ذل فيها صاحب شرح الطحاوية وغيره وهو كلام باطل لا أصل له وإن كانوا يستدلون بقول الله سبحانه

يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ * فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ * وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ (هود105:108).

قالوا مادام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يستثني – يقول إلا ما شاء ربك – فإن أهل النار يخرجون منها ولكنهم ما أدركوا الصواب وضربوا بجميع الآيات والاحاديث الواردة في الخلود المؤبد عرض الحائط ولكن المعنى الصحيح هو ما ذكره ابن الجوزي وابن كثير وغيرهم قال ابن كثير

الاستثناء عائد على العصاة من أهل التوحيد ممن يخرجهم الله من النار بشفاعة الشافعين من الملائكة والنبيين والمؤمنين حتى يشفعون في أصحاب الكبائر ثم تأتي رحمة أرحم الراحمين فتخرج من النار من لم يعمل خيرا قط وقال يوما من الدهر لا إله إلا الله ولا يبقى بعد ذلك في النار إلا من وجب عليه الخلود فيها ولا محيد له عنها وهذا الذي عليه كثير من العلماء قديما وحديثا في تفسير هذه الآية الكريمة . ونقله ابن جرير عن خالد بن معدان والضحاك وقتادة وابن سنان ورواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس والحسن . وإن أردت التوسع في الأدلة فعليك بكتاب رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار للصنعاني .

*** الشرك يحبط الأعمال مهما كانت صالحة أو خيرية**

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ (الزمر65).

شروط الحكم بالشرك أو الكفر

لقد تسرع أناس في رمي بعض المسلمين بالشرك أو الكفر مع فقدان التدقيق والتحقيق في شروط الحكم بالشرك أو الكفر وإليك بيانها بإيجاز

أولا : إن كان صاحب دين باطل وبلغه كلمة التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله على الأقل ولم يؤمن كان من أصحاب النار خالدين فيها أبدا .

قال رسول الله ﷺ

والذي نفسي محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار . (525)

ثانيا : مشاقة الرسول ﷺ ومخالفة إجماع المسلمين بعد بيان الحجة .

قال الله سبحانه وتعالى

وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا (115النساء).

والمعنى : أن يقيم الداعي إلى الله سبحانه وتعالى الحجة على من تورط في فعل من أفعال المشركين ويفهمه إياها ويوجهه إلى الهدى الذي عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام رضوان الله عليهم ثم قال الله سبحانه وتعالى بعد هذه الآية

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ (116النساء).

قال عبد الرحمن بن أبي حاتم رضي الله عنه حدثنا يونس بن عبد الأعلى قال سمعت أبا عبد الله محمد بن أدريس الشافعي رضي الله عنه يقول وقد سئل عن صفات الله تعالى وما يؤمن به فقال الله سبحانه وتعالى أسماء وصفات جاء بها كتابه واخبر بها نبيه ﷺ أمته لا يسع أحدا من خلق الله تعالى قامت عليه الحجة ردها لأن القرآن نزل بها وصح عن رسول ﷺ القول بها فيما روى عنه

---

(525) رواه مسلم .

العدل فإن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر فأما قبل ثبوت الحجة عليه فمعذور بالجهل لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا بالرؤية والفكر ولا يفكر بالجهل بها احد إلا بعد انتهاء الخبر اليه بها ونثبت هذه الصفات وننفي عنها التشبه كما نفى التشبه عن نفسه فقال تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير . إنتهى .

وللعذر بالجهل مثال أذكره لك فتأمله

قال النبي ﷺ : كان رجل ممن كان قبلكم لم يعمل خيرا قط إلا التوحيد (وفي رواية البخاري قال كان رجل يسرف على نفسه أي من الذنوب) فلما احتضر قال لأهله انظروا إذا أنا مت أن يحرقوه حتى يدعوه حمما ثم اطحنوه ثم أذروه في يوم ريح فلما مات فعلوا ذلك به فإذا هو في قبضة الله فقال الله عز وجل يا بن آدم ما حملك على ما فعلت قال أي رب من مخافتك قال فغفر له بها ولم يعمل خيرا قط إلا التوحيد . (526)

فلجهله بأن الإنتحار حرام عذره الله سبحانه وتعالى . وفي رواية (527) قال : فوالله لئن قدر علي ربي ليعذبني عذابا ما عذبه أحدا . ولجهله بأن الله قادر على جمعه بعد تفرقه من البر والبحر ولم يبلغه هذا االعلم عذر .

ثالثا : وضوح النية في الفعل .

ذلك أن يتضح قصد هذا المتورط بأنه نوى كذا وكذا – في الأفعال التي تحتمل تأويلا – مما هو شرك أكبر أو كفر أكبر .

عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة من جهينة قال فصبحنا القوم فهزمناهم قال ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلا منهم قال فلما غشيناه قال لا إله إلا الله قال فكف عنه الأنصاري فطعنته برمحي حتى قتلته قال فلما قدمنا بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال فقال لي (يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله) . قال قلت يا رسول الله إنما كان متعوذا قال (أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله) . قال فما زال يكررها علي حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم . (528)

---

(526) صحيح رواه أحمد . (527)البخاري . (528) رواه البخاري ومسلم .

وفي رواية فقال رسول الله ﷺ : [أقال لا إله إلا الله وقتلته ؟] قلت : يا رسول الله إنما قالها خوفا من السلاح . قال : [أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا ؟] فما زال يكررها حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ . (529)

رابعا : ألا يكون مكرها .

فإن أكره الرجل على الكفر أو الشرك فلا يحكم عليه بالشرك أو الكفر إلا إن رضي قلبه بذلك الفعل .

قال محمد بن عمار بن ياسر أخذ المشركون عمار بن ياسر رضي الله عنه فلم يتركوه حتى سب النبي صلى الله عليه و سلم و ذكر آلهتهم بخير ثم تركوه فلما أتى رسول الله ﷺ قال : ما وراءك قال : شر يا رسول الله ما تركت حتى نلت منك و ذكرت آلهتهم بخير قال : كيف تجد قلبك ؟ قال : مطمئن بالإيمان قال : إن عادوا فعد .(530)

خامسا : أن يكون في بيئة علمية وأصر على الشرك أو الضلال

وأعني بذلك أن يكون هذا المتورط في الشرك أو الكفر في بيئة فيها علماء بالتوحيد سواء كانوا في الواقع أو في وسائل الأعلام المرئية والمسموعة والمقروئة .

أمثال للمشركين

ضرب الله أمثالا كثيرة للمشركين إقتطفت منها ثلاث أذكرها

المثل الأول : قال الله سبحانه وتعالى

مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ (41 العنكبوت).

وهكذا يعيش المشرك متعلقا بعقيدة واهية دلائلها كخيوط العنكبوت لا تغني ولا تنفع ولا تشفع ولا شك أن المسلم بخلاف ذلك فهو على بينة من ربه وبصيرة من أمره كما قال الله سبحانه وتعالى

---

(529) رواه مسلم .. (الحرقة) بضم الحاء المهملة وفتح الراء : بطن من جهينة القبيلة المعروفة وقوله [متعوذا] : أي معتصما بها من القتل لا معتقدا له . (530) صحيح رواه الحاكم والبيهقي وغيرهما .

أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم (14 محمد).

وقال الله سبحانه

فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلۡحَقِّ ٱلۡمُبِينِ (79 النمل).

المثل الثاني : قال الله ﷻ

ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلٗا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلٗا سَلَمٗا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ (29 الزمر).

وهذا مثل من عبد آلهة كثيرة { ورجلا سلما لرجل } أي خالصا لسيد واحد هو مثل من يعبد الله وحده { هل يستويان مثلا } هذا الذي يخدم جماعة شركاء أخلاقهم مختلفة ونياتهم متباينة لا يلقاه رجل إلا جره واستخدمه فهو يلقى منهم العناء والنصب والتعب العظيم وهو مع ذلك كله لا يرضي واحدا منهم بخدمته لكثرة الحقوق في رقبته والذي يخدم واحدا لا ينازعه فيه أحد إذا أطاعه وحده عرف ذلك له وإن أخطأ صفح عن خطئه فأيهما أقل تعبا أو على هدى مستقيم . كذا قال العلامة القرطبي رحمه الله .

المثل الثالث : قال الله ﷻ

لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ (14 الرعد).

قال العلامة الشيخ محمد جميل غازي رحمه الله :

صورة يقشعر لها البدن ، إنسان ظمآن حلقه تخشب من كثرة ما ظمأ رأسه يفور من العطش ، أمعائه تكاد تتمزق ويلتصق بعضها ببعض يريد ماء يريد أن يشرب وذهب إلى البئر وذهب إلى النبع ووقف هناك . معروف أن رجلا عطشان يقف على حافة بئر مائه عذب يستطيع أن يشرب . هذه مشكلة ليست كبيرة لا تحل باللوغاريتمات لا تحل بالعقل الإلكتروني . مشكلة بسيطة جدا . إنسان عطشان وأمامه بئر . ألا يستطيع أن يشرب يستطيع أن يمد يديه على الأقل ويشرب يستطيع أن يأتي برشاء بدلو له حبل طويل ثم يرسله إلى الماء ويملأه ويشرب . يستطيع . لكن هذا العطشان الغبي لم يفعل ما يفعله الناس . لم يفعل هذا الأمر المعقول المقبول المفهوم السهل

وإنما وقف أمام البئر ومد يديه جميعا لم يمد يدا واحدة . بذل كل جهده كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ ليس بقابض كفيه لم يثن أصابعه ليغرف الماء وإنما ظل باسطا كفيه إلى الماء ينتظر أن يقفز الماء إلى فمه . الماء لا يجيد القفز إلى الأفواه هذه ليست طبيعة الماء . الماء لا يستطيع أن يقفز إلى فمه .

سيظل هذا الإنسان هكذا مصلوبا أشل ظمآن عطشان سيموت عطشا والماء أمامه لأنه باسط كفيه لم يتحرك لم يقبض حتى كفيه ليشرب لم يفعل أي حركة مثمرة . كل ما فعله تشنج وهذا التشنج لا يجعل الماء يمر في أنابيب هوائية ليصل إلى فمه كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ لن يحدث لأنه ليس من طبيعة الماء التي أودعها الله فيه أن يطير الماء في الهواء لينزل في أفواه الظماء إن ربنا لم يرد ذلك ولم يقل ذلك ولم يفعل ذلك ولم يجعل من طبيعة الماء ذلك خذوا هذه القاعدة وهذا المثل إحفظوه . طبقوه على مظاهر الشرك في الدنيا كلها وأرجوكم لا تعتبروا للشرك مظهرا واحدا لا تقصروا الشرك على مظهر واحد لا تقولوا إن الشرك شرك قبور فقط فالقبور مظهر واحد من مظاهر الشرك . لو ان للشرك مظهرا واحدا لهان الطب ولكن طبيعة الشرك أن له ألف ألف مظهر وفي كل لحظة يتبدى الشرك بصورة الشرك حرباوي اللون في كل لحظة له لون في كل لحظة له سلوك في كل لحظة له مسرب مسارب عقلية ومسارب فكرية ومسارب سلوكية ومسارب إجتماعية .

إن عقلية المشرك وإن نفسية المشركية عقلية لا تصلح للحياة نفسية لا تصلح للعطاء نفسية المشرك نفسية ينبغي أن تجرى عليها دراسات . لو أننا نجحنا في دراسة عقلية المشرك ودراسة نفسية المشرك وقدمناه للناس مدروسة سواء الشرك في المقابر أو الشرك في أروقة العلم أو في أروقة السياسة أو في أروقة الفن لو اننا درسنا الشرك في مراحله كلها في مظاهره كلها في أشكاله كلها لعدنا بحصاد هائل ولعرفنا الوجده القبيح المروع الذي ضلل البشرية منذ أن كانت البشرية ثم لعرفنا طبيعة التوحيد وأن التوحيد هو التحرير من كل القيود . أن يكون الرجل سلما لربه وحده يدعو ربه وحده يخاف ربه وحده أمله في ربه وحده ألمه في أن يسخط عليه ربه وحده أن يكون حبه لله وبغضه لله ورجائه في الله ذلك هو التوحيد . أ . هـ.

أنواع الشرك

الشرك نوعان أكبر وأصغر

الفرق بين الشرك الأصغر والشرك الأكبر

1- الشرك الأصغر لا يخرج من الملة والشرك الأكبر يخرج من الملة .

2- الشرك الأصغر اختلف في خلود صاحبه في النار – إن مات مصرا عليه – وأما الشرك الأكبر فمتفق على خلود صاحبه في النار .

3- الشرك الأصغر لا يحبط جميع الأعمال وإنما يحبط الأعمال التي خالطته فقط .

4- أن الشرك الأصغر لا يتبرأ المؤمن من صاحبه بل يواليه لما هداه الله إليه من إيمان ويبغضه على قدر ذنوبه وأما الشرك الأكبر فيجب على المؤمن البراء منه ومن أصحابه .

5- الشرك الأصغر لا يبيح الدم والمال أما الشرك الأكبر فإنه يبيح الدم والمال مع إصرار صاحبه عليه وإبائه عن قبول الإسلام ودفع الجزية إن كان كتابيا وإن كان مسلما ثم أشرك شركا أكبر فإنه يستتاب فان لم يتب قتل ردة .

تنبيه هام

الذي يقيم الحدود ويقتل المرتدين ويستبيح الدم والمال ويأخذ الجزية ولي الأمر – السلطان الشرعي – لا أحد غيره والدليل ما ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال

أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني – وهو ولي الأمر – دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله .(531) والله أعلم وأحكم .

الشرك الأكبر

وهذا النوع مخرج من الملة ولا تقبل معه الأعمال ويوجب لصاحبه الخلود في النار وقد حذر من الشرك الأكبر جميع الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم .

---

(531) رواه البخاري ومسلم .

بعض صور الشرك الأكبر

1- عبادة أحد مع الله ﷻ بصرف شيء من العبادة التي لا تنبغي إلا لله وحده كالسجود لغير الله والنذر والذبح لغير الله ﷻ .

2- دعاء غير الله أو طلب شيء من غير الله لا يقدر عليه إلا الله ﷻ كطلب المدد والنظرة والغوث والنصر على الأعداء وجلب المال وإصلاح الحال وكشف الضر ودفع الشر فطلب شيء من هذا من الأموات شرك مهما عظم قدر الميت . (*)

قال الله ﷻ

وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ * وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ (6،5الأحقاف).

والغريب أن كل من يفعل هذه الشركيات يعلم أن رسول الله ﷺ قال

إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له .(532) وفي رواية إذا مات العبد . (ج) وفي رواية إذا مات ابن آدم .(533)

إذاً . أليس الأولياء إنسا ؟! أليس الأولياء عبادا لله ؟! أليس الأولياء آدميين ؟!

فإذا كان الميت لا ينفعه شيء بعد موته إلا هذه الثلاث – المذكورة في الحديث – وينقطع عمله لنفسه فكيف يعمل الميت لغيره وينفع غيره ؟! إن هذا لشيء عجاب .

وقد قال الله ﷻ

وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (186البقرة) .

وفي هذا إشارة إلى أنه لا واسطة بين الخلق والخالق فالله سبحانه في أربعة عشر سؤالا وردت في القرآن ففي ثلاث عشرة مرة يقول الله سبحانه

(*) سأذكر بعض الشركيات بشيء من التفصيل والله الموفق . (532) رواه مسلم . (ج) صحيح رواه البخاري في الأدب . (533) صحيح رواه ابن أبي الدنيا .

(يَسۡـَٔلُونَك) ويذكر سؤالهم ثم يقول لنبيه ﷺ (قل) أو (فقل) ثم يذكر إجابة السؤال كقوله ﷻ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ (219البقرة).

ومثل قوله سبحانه يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ (63الأحزاب).

وأما عند الكلام على الدعاء فما قال الله ﷻ : وإذا سألك عبادي عني فقل إني قريب وإنما قال وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ (186البقرة).

لهذا كان الشرك في الدعاء شركا أكبر فلا يطلب الغوث والمدد إلا من الله وحده .

قال الله ﷻ

هُوَ ٱلۡحَىُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ (65غافر).

ومع هذا فلا يزال أقوام يصرون على أن يدعون من دون الله ﷻ من يسمونهم الأقطاب والأبدال والأنجاب والأوتاد فمنهم من يدعوهم لإنجاح الأبناء أو جلبهم أو إصلاح الحال أو منح المال وزعموا أن للأقطاب قدرة التصرف في الكون والحق أنه ليس للأولياء بل والأنبياء قدرة بعد موتهم على أن يعطوا بشرا شيئا مهما كبر أو صغر ، عظم أو حقر لماذا يعدل هؤلاء عن دعاء الله ﷻإلى دعاء غيره ؟!

الله يغضب إن تركت سؤاله ... وبني آدم حين يسأل يغضب
لا تسألن من ابن آدم حاجة ... وسل الذي أبوابه لا تحجب

وهنا إشارة هامة في قول الله ﷻ

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (104البقرة)

فهم بعض الصوفية هذه الآية على أنها تبيح للمسلمين أن يقولوا للنبي ﷺ نظرة يا رسول الله أو مدد يا رسول الله ﷺ في حياته أو بعد مماته وتلك خطيئة كبرى لأن السبب في نزول هذه الآية

أن اليهود لعنهم الله كانوا يقولون لرسول الله راعنا فيوهمون السامع أنهم يقولون : راعنا سمعك بقولهم راعنا وإنما يريدون استعمالَ هذا اللفظ من الرُّعونة لا من الرِّعاية**

فهل آن للمسلمين أن يرجعوا إلى القرآن العظيم الذي قال الله ﷻ فيه

ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ* إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٍ (13،14فاطر).

3- التبرك بآثار وقبور الأنبياء أو من دونهم مع اعتقاد أن هذه الأشياء تنفع وتضر وتجلب الخير وتدفع الشر .

عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال :

خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط قال : فمررنا بالسدرة فقلنا : يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال رسول الله ﷺ : الله أكبر إنها السنن قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل { اجعل لنا إلها كما لهم آلهة } قال : إنكم قوم تجهلون لتركبن سنن من كان قبلكم .(534)

4- التوسل بذوات الأنبياء أو الأولياء مع اعتقاد أنهم يدبرون الأمر ويملكون النفع والضر. وهذا كأن يقول الرجل أسألك بجاه نبيك أو يقول أسألك بجاه فلان مع اعتقاده أن النبي أو من دونه يقدر على الرزق أوالخلق أوالإحياء أو الإماته وما إلى ذلك من صفات الربوبية فهذا شرك أكبر والعياذ بالله وأما التوسل إلى الله ﷻ بالنبي ﷺ بحقه أو ذاته أو جاهه مع اعتقاد أنه سبب لا غير فسترى حكمه في باب محرمات حرمت سدا لذريعة الشرك.

---

*الرُّعُونَةُ الحمق إذا أرادوا أن يحمقوا إنسانا قالوا راعنا ويُقَالُ : رَجُلٌ أَرْعَنُ وَامْرَأَةٌ رَعْنَاءُ .

*القِطْمِيرُ لفافة النواة أي القِشْرَةُ الرَّقِيقَةُ التي على النَّوَاةِ بَيْنَ النَّواةِ والتَّمْرَةِ. والفتيل الخيط الذي في شق النواة . والنقير النكتة التي في ظهر النواة . (534) صحيح رواه الطبراني والترمذي وأحمد وغيرهم .

5- الطواف بالأضرحة والنذر للمقبورين .

إذ أن الطواف والنذر كغيرهما من العبادات لا يحددها أو يوصفها إلا الله ورسوله ﷺ كما قال الله ﷻ ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ (29الحج).

وعن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال

نذر رجل على عهد النبي صلى الله عليه وسلم أن ينحر إبلا ببوانة (بوانة هي هضبة من وراء ينبع قريبة من ساحل البحر) فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إني نذرت أن أنحر إبلا ببوانة فقال النبي صلى الله عليه وسلم هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد ؟ " قالوا لا قال " هل كان فيها عيد من أعيادهم ؟ " قالوا لا قال النبي صلى الله عليه وسلم " أوف بنذرك " فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم . (535)

ويحرم الأكل من الذبائح التي تذبح لغير الله ﷻ وهذا لما فيها من شرك فإن قيل إن المسلمين يأكلون من ذبائح أهل الكتاب قيل إن أهل الكتاب أباح الله نكاح نسائهم ولم يبح نكاح النساء المرتدات كذا ذبائح أهل الكتاب تؤكل وذبائح المرتدين المشركين لا تؤكل .

وقد تقدم كلام فيما سبق عن النذر عند ذكر أمثال للعبادة وبالله التوفيق .

6- الذبح لغير الله ﷻ .

قال الله ﷻ ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (162الأنعام).

وقال رسول الله ﷺ لعن الله من ذبح لغير الله . (536)

الذين يذبحون للمقبورين وعند قبور المقبورين هم ملعونون ولا تقبل ذبائحهم أبدا حتى يذبحوا لله وحده وحيث شرع الله ﷻ.

وقال رسول الله ﷺ " لا عَقْر في الإِسْلاَمِ " . (537)

(العقر : الذبح عند القبور)

---

(535) صحيح رواه أبو داود وابن ماجة وغيرهما . (ببوانة) اسم موضع بأسفل مكة . أو وراء ينبع .

(536) رواه مسلم . (537) صحيح رواه أبو داود وابن ابي شيبة والبيهقي وأحمد وابن حبان وغيرهم .

قال عبد الرزاق (صاحب المصنف) كانوا يعقرون – ينحرون – عند القبر يعني بقرة أو شاة
وقال ابن الجوزي كانُوا يعقرون الإِبِلِ على قبورِ المَوْتَى .
وهذه القبور التي يذبحون عندها نصب والذبح عند نصب حرام بنص الآية
وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ (3المائدة).**

7- ومن ادعى أن أحدا من الخلق يعلم الغيب فهو مشرك فقد زعم لله نظيرا ومثيلا

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقول

قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ (65النمل).

ولقد عجبت كثيرا من الذين يدّعون أن رسول الله ﷺ يعلم الغيب بل ويزعمون أن من علوم الرسول ﷺ علم اللوح والقلم كما قال البوصيري في البردة (*)

فإن من جودك الدنيا وضرتها .... ومن علومك علم اللوح والقلم

ويتجاهل هؤلاء صريح القرآن الذي جاء فيه توجيه الله عَزَّ وَجَلَّ لرسوله ﷺ أن يقول
وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ (188الأعراف) .

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى
وَمِمَّنۡ حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٖ (101التوبة).

أليس أسماء هؤلاء المنافقين موجود في اللوح المحفوظ كتب بالقلم فكيف لا يعلمهم رسول الله ﷺ وهو يعلم الغيب كما يزعمون ؟؟!!

**(نصب) صَنَمٌ أَو حَجرٌ وهو ينصب تخليدا لذكرى رجل أو غيره . (*)(وفيها من الكلام الحسن الكثير ولكن الحق يقال فإن فيها أخطاء فاحشة)

ثم أعلم الله رسوله ﷺ بأسمائهم بعد ذلك ومن الأدلة ايضا قول الملائكة للرسول ﷺ على الحوض إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك . (538)

وثبت في قصة حادثة الإفك أن رسول الله ﷺ قال يا عائشة فإنه بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت ألممت بشيء فاستغفري الله وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه . (539)

ولقد حذر الرسول ﷺ من الانحدار في هذا المنحنى المريب الذي يفسد العقيدة فقال ﷺ : يا أيها الناس قولوا بقولكم ولا تستجرينكم الشياطين أنا محمد بن عبد الله أنا عبد الله ورسوله وما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلنيها الله . (540)

والذي نفسي بيده لقد رأيت من هؤلاء المغالين العجب العجاب فلم أر منهم من يقضي أوقاتا يستفيض فيها بمدح الله والثناء عليه بما هو أهله كتلك الأوقات التي يضيعونها في تجاوزات ومبالغات وتخاريف لا خير فيها بل الشر كل الشر فيها ولقد وقفت مذهولا عندما قرأت في أوراد بعض الصوفية دعاء يقول (أنشلني من أوحال التوحيد وأغرقني في بحر الوحدة) .

ما تأويل هذا الهراء مع إجماع أهل اللغة العربية على معنى كلمة أوحال ومفردها وحل والوَحَلُ طينٌ يرتَطِم فيه الدّوابّ كما قال الخليل بن أحمد الفراهيدي في العين .

فهل صار توحيد الله طينا ؟! وما معنى الكلام الذي يرددونه في أورادهم أحما حميثا أطمى طميثا ؟! وهي كلمات لا وجود لها في اللغة العربية أصلا ولا يفهمها عقل ولكنه الجهل .

ولهذا قال الحافظ السيوطي رحمه الله

ليس التصوف لبس الصوف ترقعه ولا بكاءك إن غنى المغنونا
ولا صياح ولا رقص ولا طرب ولا اغتباط كأن قد صرت مجنونا
بل التصوف أن تصفو بلا كدر وتتبع الحق والقرآن والدينا
وأن ترى خاشعا لله مكتئبا على ذنوبك طول الدهر محزونا

8- من زعم أن هناك أقطابا وأبدالا من البشر لهم القدرة على التصرف في الخلق والرزق

---

(538) رواه البخاري ومسلم . (539) رواه البخاري. وسبق التفصيل عند الكلام على الغيب .
(540) صحيح رواه النسائي والبيهقي وأحمد وغيرهم .

كما هو معلوم عند غلاة الصوفية زعما منهم بأن هذه كرامات واختصاصات لآل البيت وسبحان الله وهذا رسول الله سيد الخلق ﷺ لا يملك هذه القدرات التي جعلوها للأموات كما قال الله ﷻ

قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ (50الأنعام) .

(خزائن الله : أي خزائن رزقه)

وقال ﷻ

قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ (188الأعراف).

وقال سبحانه : قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا (21الجن).

وليس غريبا أن يقول الله ﷻ لرسوله ﷺ هذا الكلام فإن رسول الله محمدا ﷺ يستوي في ذلك مع المسيح عليه السلام الذي قال الله ﷻ فيه

قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ (76المائدة).

ولهذا قال رسول الله ﷺ : لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم عليه السلام فإنما أنا عبد الله ورسوله ﷺ .(541)

وقال رسول الله ﷺ

إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين .(**)

9- الخوف من غير الله ﷻ (أعني الخوف الإختياري لا الخوف الفطري) **كالخوف من الجن وتقديم القرابين لهم والإستعاذة بهم أو ما شابه .**

قال مجاهد كانوا يقولون إذا هبطوا واديا نعوذ بعظيم هذا الوادي فزادوهم رهقا قال زادوا الكفار طغيانا وفي رواية عن الربيع بن انس رهقا أي خوفا . (542)

10- التشبه بالمشركين وموالاتهم .

---

(541). رواه البخاري . (**) صحيح رواه أحمد وابن خزيمة وغيرهما .

وقد سبق الكلام عن هذا مفصلا في شرط المحبة عند الكلام على الولاء والبراء لقول الله ﷻ
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ (51المائدة).

وقال رسول الله ﷺ من تشبه بقوم فهو منهم . (543)
ويعظم الشرك ويكبر على قدر مشابهة ومولاتهم والله أعلم والحمد لله رب العالمين .

محرمات حرمت سدا لذريعة الشرك**

1- إتخاذ القبور مساجد وإضاءتها .

قال الله سبحانه وتعالى
وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا (18الجن).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت

قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) . لولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشي أو خشي أن يتخذ مسجدا . (*)

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج .(544)

وعن عائشة وابن عباس رضي الله عنهما قالا :

---

(542) رواه عبد بن حميد وابن المنذر وغيرهما . (543) صحيح رواه أبو داود وغيره.** سد النبي ﷺ جميع الذرائع للشرك حتى قال لا يقل أحدكم أطعم ربك وضئ ربك اسق ربك وليقل سيدي مولاي ولا يقل أحدكم عبدي أمتي وليقل فتاي وفتاتي وغلامي . رواه البخاري ومسلم . (*) رواه البخاري ومسلم . (544) صحيح رواه ابن حبان وغيره .

(545) رواه البخاري ومسلم . (نزل) بضم النون وكسر الزاي يعني نزول ملك الموت والملائكة الكرام. (طفق) جعل وشرع . (يطرح خميصة) يلقي كساء مربعا أسود له أعلام أي خطوط . (اغتم) تسخن وأخذ بنفسه من شدة الحر . (546) رواه مسلم . (–) كذا قال العلامة ابن عثيمين .

لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة على وجهه فإذا اغتم كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك (لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) . يحذر ما صنعوا .(545)

وعن جندب رضي الله عنه قال

سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل فإن الله تعالى قد اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا ولو كنت متخذ من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك . (546)

وذكر الإمام ابن حجر الهيثمي الشافعي رحمه الله في كتابه الكبائر الكبيرة الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة والثامنة والتسعون فقال اتخاذ القبور مساجد وإيقاد السرج عليها واتخاذها أوثانا والطواف بها واستلامها والصلاة إليها . ولأجل ذلك **قال الفقهاء :**

لا يجتمع قبر ومسجد في الإسلام. وقالوا إذا كان القبر أولا ثم بني المسجد فيحرم الصلاة في المسجد ويجب هدم المسجد .

وأما إذا كان المسجد أولا ثم جعل القبر بعده وجب نبش القبر ويحرم الصلاة في المسجد إذا كان القبر في ناحية القبلة . (-)

ولكن يدور هنا تساؤل أليس الذين يخالفون كلام الرسول ﷺ يعلمون الحق ؟ بلى ولكن هناك أسباب قديمة لاتخاذ القبور على المساجد التي بلغ عددها المئات إن لم يكن الآلاف من الأسباب أن الدولة الفاطمية أرادت شغل الناس بالمقبورين عن السياسة حتى إذا أصابت الناس نائبة يلجئوا إلى أصحاب القبور وهم أموات فيشكون إليهم ما ألم بهم ولا يطلبون من الحاكمين شيئا وصدق الله العظيم ومن أصدق من الله قيلا

إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ * أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۗ قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ (194،195الأعراف).

ومن الأسباب الحديثة لاتخاذ القبور مساجد أن سدنة القبور يتخذون حولها صناديق النذور فيجمعون منها المال الوفير على حساب السذج والمغفلين من عوام المسلمين

كما قال حافظ إبراهيم رحمه الله

أحياؤنا لا يرزقون بدرهم وبألف ألف ترزق الأموات
للسيد البدوي ملك دخله خمسون ألفا والحجوز هبات
من لي بحظ النائمين بحفرة قامت على أرجائها الصلوات
يسعى الإمام لها ويجري حولها بحر النذور وتقرأ الآيات
ويقال هذا القطب باب المصطفى ووسيلة تقضى بها الحاجات

ومن العجيب أن المخالفين يستدلون على جواز إتخاذ القبور مساجد بقول الله في سورة الكهف
قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدًا (21الكهف).

وأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لم ينكر عليهم هذا !

وهذا من الإفلاس الفلسفي في التفسير إذ أن الله عَزَّ وَجَلَّ يبين ويوضح القرآن بالسنة فالوحي إما أن يكون قرآنا أو سنة كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ
وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ (44النحل).

فهل أنكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ السجود لآدم أو السجود ليوسف عليه السلام في كتابه الجواب لا فلماذا إذن لا يجوز لنا أن نسجد لأحد إلا لله وهنا يأتي دور السنة المطهرة التي ثبت فيها أن قيس بن سعد رضي الله عنه قال

أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم فقلت رسول الله أحق أن يسجد له قال فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت إني أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان * لهم فأنت يا رسول الله أحق أن نسجد لك قال " أرأيت لو مررت بقبري أكنت تسجد له ؟ " قال قلت لا قال فلا تفعلوا لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن لما جعل الله لهم عليهن من الحق . (547)

والعجيب أن بعضهم حين تقول له بحرمة الذهاب إلى الأضرحة والطواف بها يقول لك إننا حين نطوف بالكعبة لا نعبدها وإنما نعبد الله وإن كان هناك مخالفات عند الأضرحة فهناك مخالفات

---

*(المرزبان : المقدم عند الفرس ممن دون الملك)

أيضا عند الكعبة ومع ذلك لا نترك الذهاب إليها فتأمل كيف يقيس هذا الجاهل الأضرحة على الكعبة بل والأعجب من هذا أنه قد ألف أحد هؤلاء الصوفية رسالة في استحباب بناء المساجد والقباب على القبور ! فتأمل واعتبر يرحمك الله .

2- تجصيص القبور ورفعها والصلاة إليها .

عن جابر رضي الله عنه قال

نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه . (548)

عن أبي الهياج الأسدي رضي الله عنه قال :

قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ؟

أن لا تدع تمثالا إلا طمسته ولا قبرا مشرفا إلا سويته . (549)

وقال رسول الله ﷺ

لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها .(550)

وعن جابر رضي الله عنه قال :

نهى النبي ﷺ أن تجصص القبور وأن يكتب عليها وأن يبنى عليها وأن توطأ . (551)

3- الغلو في الأنبياء والصالحين .

1- عمل الأنصاب لهم بعد موتهم .

---

(547) صحيح رواه أبو داود والحاكم وضعف الشيخ الألباني رحمه الله جملة القبر. (548) رواه مسلم . *يجصص وهو أن يبيض القبر بالجص ويطلق عليه التقصيص أيضا . (549) رواه مسلم . (550) رواه مسلم . (ولا تصلوا إليها) أي لا تجعلوا القبور في اتجاه القبلة . (551)صحيح رواه الترمذي .

(552) رواه البخاري .

(بدومة الجندل) مدينة بين المدينة والعراق وبلاد الشام . (هذيل) قبيلة من قبائل العرب وكذلك مراد وغطيف وهمدان وحمير وذو الكلاع . (بالجوف) اسم واد في اليمن والجوف كل منخفض من الأرض . (أنصابا) جمع نصب وهو حجر أو صنم ينصب تخليدا لذكرى رجل أو غيره . (هلك أولئك) مات الذين نصبوا الأنصاب وكانوا يعلمون لماذا نصبت . (تنسخ العلم) زالت معرفة الناس بأصل نصبها .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال

صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد أما ود كانت لكلب بدومة الجندل وأما سواع كانت لهذيل وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجوف عند سبأ وأما يعوق فكانت لهمدان وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت.(552)

2- إطراء الصالحين بوضع صورهم في المساجد ,

عن عائشة أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير فذكرتا للنبي صلى الله عليه وسلم فقال (إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور فأولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة . (553)

3- التبرك بآثار المقبورين مع اعتقاد أنها أسباب للبركة والخير لا تنفع أو تضر بذاتها .

إن الصحابة رضوان الله عليهم لم يتبركوا بآثار أحد بعد موته إلا رسول الله ﷺ **(كما سيأتي عند ذكر بعض الأفعال غير شركية).**

فالتبرك بآثار الرسول ﷺ وحده هو الصحيح الذي فعله الصحابة كما سبق وما سواه فيحرم وإن قال النووي وابن حجر وغيرهما بجواز التبرك بآثار الصالحين فهو قول مردود إذ لا دليل يصح عليه بل الدليل ثابث على خلاف ذلك

عن نافع قال بلغ عمر بن الخطاب أن أناسا يأتون الشجرة التي بويع تحتها قال فأمر بها فقطعت . (554)

وعن ابن سويد قال خرجت مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من مكة إلى المدينة فلما أصبحنا صلى بنا الغداة ثم رأى الناس يذهبون مذهبا فقال أين يذهب هؤلاء قيل ياأمير المؤمنين مسجد صلى فيه رسول الله ﷺ هم يأتون يصلون فيه فقال إنما هلك من كان قبلكم بمثل هذا يتبعون آثار أنبيائهم فيتخذونها كنائس وبيعا من أدركته الصلاة في هذه المساجد فليصل ومن لا فليمض ولا يتعمدها . (555)

---

(553) رواه البخاري ومسلم . (554) صحيح رواه ابن أبي شيبة والأزرقي في أخبار مكة .

4- شد الرحال إلى الأضرحة مع الظن أن لمن فعل ذلك أجرا .

قال رسول الله ﷺ

اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد . (556)

زعم أقوام أنه يستحب للمسلم أن يزور أضرحة الأولياء وأنه يثاب على ذلك مع أنه لا يجوز الصلاة أصلا في مسجد به ضريح باتفاق أهل العلم

قال الشوكاني رحمه الله في الدر النضيد : اتفق أئمة الإسلام على أنه لا يشرع بناء المساجد على القبور ولا الصلاة عندها وذلك لأن من أكثر الأسباب لعبادة الأوثان كان تعظيم القبور .

وإذا كان الرسول ﷺ نهى عن شد الرحال لمسجد للصلاة فيه غير المساجد الثلاث- لئلا يعظم مسجد غير تلك الثلاث - فما بالك بشد الرحال للأضرحة المحرم تشييدها على المساجد .

ومن أسباب الحرمة أيضا أن هذه الأماكن طافحة بالمخالفات في الأصول والفروع ومعلوم عند العلماء القاعدة التي تقول إذا رأيت المنكر فلم تستطع أن تزله فزل أنت عنه .

وعن أبي بصرة الغفاري قال : لقيت أبا هريرة وهو يسير إلى مسجد الطور ليصلي فيه قال فقلت له لو أدركتك قبل أن ترتحل ما ارتحلت قال فقال ولم قال فقلت إني سمعت رسول الله ﷺ يقول لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي (557)

تنبيه

يستحب زيارة الرسول ﷺ فلا يتوهم أحد أن زيارة الرسول ﷺ كزيارة الأضرحة . فإن قال قائل لماذا استثني الرسول ﷺ قيل له لأن دعاء الرسول ﷺ مستجاب وكان من دعائه اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد .(558) فاستجاب الله سبحانه وتعالى دعائه . ولم يدفن رسول الله ﷺ في المسجد.

(وإنما الذي حدث أن أصحاب الرسول ﷺ دفنوه في حجرة السيدة عائشة رضي الله عنها التي كانت تجاور المسجد، وكان حرص أصحابه شديداً على أن يظل قبره عليه الصلاة والسلام خارج المسجد في كل توسعة تمت بمسجده الشريف حدث هذا في عهد عمر رضي الله عنه، فلقد

---

(555) صحيح رواه ابن أبي شيبة وعبد الرزاق . (556)صحيح رواه مالك وعبد الرزاق .

(557) صحيح رواه أحمد والنسائي . (558) صحيح رواه مالك وعبد الرزاق .

حرص حينما وسع المسجد في عام 17هـ. على أن تكون توسعة المسجد من جميع الجهات إلا من الجهة الشرقية التي يقع فيها قبر الرسول وبيته، فلم يمسها حتى لا يدخل القبر داخل المسجد الشريف.. ونفس هذا الحرص تم أيضاً في عهد عثمان رضي الله عنه حينما وسع المسجد في عام 24هـ.

فظل قبر الرسول ﷺ خارج المسجد، ومنفصلاً عنه حتى كان عهد الوليد بن عبد الملك الذي قرر في عام 88هـ أن يوسع المسجد بحيث يدخل قبر الرسول داخله!!

وهذا الوليد بن عبد الملك لم يكن من الخلفاء الراشدين الذين يجب اتباعهم أو الاعتداد بفعلهم. ولم يكن قراره هذا صادراً عن باعث ديني أو إسلامي، أو مستنداً إلى نص شرعي وإنما كان عملاً سياسياً يستهدف هدم بيت الرسول عليه الصلاة والسلام، وتشتيت أهل البيت بحجة توسعة المسجد!!). **

وأما السفر لزيارة القبور عموما فلا يحرم قال ابن قدامة في المغني

قال ابن عقيل : لا يباح له الترخص لأنه منهي عن السفر إليها قال النبي صلى الله عليه وسلم : [لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد] متفق عليه والصحيح إباحته وجواز القصر فيه لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأتي قباء راكبا وماشيا وكان يزور القبور وقال [زوروها تذكركم الآخرة] وأما قوله عليه السلام : [لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد] فيحمل على نفي التفضيل لا على التحريم وليست الفضيلة شرطا في إباحة القصر فلا يضر انتفاؤها .

5- التوسل إلى الله ﷻ بالنبي ﷺ بحقه أو ذاته أو جاهه مع اعتقاد أنه سبب لا غير.

ظن بعض الناس أن التوسل برسول الله ﷺ بذاته أو حقه أو جاهه شرك وأخطئوا فإن الأمر خلاف فقهي لا أكثر والعلماء على خلاف في جوازه وإن كان الراجح عدم الجواز ، ذلك لأن الصحابة رضوان الله عليهم لم يفعلوا ذلك ووافقهم في ذلك أبو حنيفة وأبو يوسف وإنما الثابت عن الصحابة التوسل بدعاء العباس رضي الله عنه وإلا لذهب الصحابة إلى قبر الرسول ﷺ أو توسلوا بالرسول ﷺ مباشرة من غير واسطة وإنما طلب عمر من العباس الدعاء لسببين أولا أنه مؤمن عظيم السن والقدر .

** كذا قال العلامة جميل غازي ..للمزيد راجع شد الرحال إلى قبر الرسول في باب أفعال ليست شركية .

ثانيا أن العباس ﵁ من آل البيت الذين أوصى بهم رسول الله ﷺ فهوعم الرسول ﷺ .

حديث الضرير

وقد يستدل المخالفون على جواز التوسل بذات الرسول ﷺ بما صح عن عثمان بن حنيف : أن رجلا ضريرا أتى النبي صلى الله عليه و سلم فقال : ادع الله أن يعافني فقال : إن شئت أخرت ذلك و هو خير و إن شئت دعوت قال : فادعه قال : فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه و يصلي ركعتين و يدعو بهذا الدعاء فيقول : اللهم إنس أسألك و أتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه فتقضى لي اللهم شفعه في و شفعني فيه(559)
وفي رواية صحيحة للحاكم قال عثمان :

فو الله ما تفرقنا و لا طال بنا الحديث حتى دخل الرجل و كأنه لم يكن به ضر قط .

والحديث صريح في النص على التوسل بدعاء الرسول ﷺ لا بذاته إذ يقول الصحابي الضرير وشفعني فيه أي إقبل يا رب دعائه فيّ وحديث التوسل بالعباس ﵁ شاهد آخر على هذا ولم يصح أن الصحابة أو تابعيهم بإحسان فعلوا هذا .

أثر الاستسقاء بالقبر الشريف

وأما ما رواه الدارمي عن أبي الجوزاء قال : قحط أهل المدينة قحطا شديدا فشكوا إلى عائشة رضي الله عنها فقالت : انظروا قبر النبي صلى الله عليه وسلم فاجعلوا منه كوى إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف ففعلوا فمطروا مطرا حتى نبت العشب وسمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم فسمي عام الفتق . فإنه أثر ضعيف لا يصح أبدا كما سيظهر في باب أحاديث ضعيفة وموضوعة وإسرائيليات تفسد عقيدة التوحيد .

وأما قصة الرجل الذي دخل على عثمان بن عفان ﵁ في حاجة بعد موت الرسول ﷺ ودعا بهذا الدعاء فلا تصح أبدا . (560)

---

(559) صحيح رواه الحاكم والترمذي وغيرهما .

(560) فقد رواها الطبراني وغيره ولا تصح (تفرد بالقصة شبيب بن سعيد الذي يهم إن حدث من حفظه كما قال ابن أبي حاتم وابن عدي وخالف في هذه القصة الثقات واختلف عليه فيها) . (561) رواه ابن أبي شيبة بسند صحيح . **قال ابن حجر في الإصابة مالك بن عياض مولى عمر هو الذي يقال له مالك الدار له

قد يستدل المخالفون على جواز التوسل بذات النبي بما روي (561) عن مالك الدار ** قال وكان خازن عمر على الطعام قال أصاب الناس قحط في زمن عمر فجاء رجل إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا فأتي الرجل في المنام فقيل له إئت عمر فأقرئه السلام وأخبره أنكم مسقيون وقل له عليك الكيس عليك الكيس فأتى عمر فأخبره فبكى عمر ثم قال يا رب لا آلو إلا ما عجزت عنه.

وليس في هذا الأثر دليل على جواز التوسل بالنبي ﷺ أو طلب الدعاء منه إذ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أعلم وأفقه من مولاه – مالك الدار – فلم يكن عمر الفاروق العالم رضي الله عنه ليغفل عن وسيلة للخروج من أزمة القحط وهو الذي طلب من العباس أن يدع للاستسقاء كما ثبت في صحيح البخاري أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب . فقال اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا قال فيسقون .

فإذا جاز التوسل بالنبي ﷺ فلماذا لم يتوسلوا بالنبي ﷺ مباشرة دون التوسل بعمه رضي الله عنه مع العلم أنه توسل بدعاء العباس لا بذاته وهو توسل مجمع على جوازه . ومع ذلك فإن الحافظ ابن عبد البر رضي الله عنه قال في الإستيعاب :

وروى أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن مالك الدار قال : أصاب الناس قحط في زمن عمر فجاء رجل إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ﷺ استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا . قال : فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وقال : " إيت عمر فمره أن يستسقي للناس فإنهم سيسقون وقل له : عليك الكيس الكيس " . فأتى الرجل عمر فأخبره فبكى عمر وقال : يا رب ما آلو إلا ما عجزت عنه يا رب ما آلو إلا ما عجزت عنه . ففي هذا اللفظ أن النبي ﷺ أمر الرجل أن يذهب إلى عمر فيسأله الإستسقاء فلا دليل مطلقا في هذا الأثر على التوسل

إدراك وسمع من أبي بكر الصديق وروى عن الشيخين ومعاذ وأبي عبيدة روى عنه أبو صالح السمان وابناه عون وعبد الله ابنا مالك وأخرج البخاري في التاريخ من طريق أبي صالح ذكوان عن مالك الدار أن عمر قال في قحوط المطر يا رب لا آلو إلا ما عجزت عنه .

(562) حديث حسن رواه أحمد وأبو داود وغيرهما . (563) حديث حسن رواه الطبراني .

بالنبي أو الاستغاثة به كما ذكر المخالفون . مع العلم أننا حين نقول في دعاء التشهد السلام عليك أيها النبي فإننا بذلك لا نشرك بالله شيئا كذلك حين نصلى ونسلم عليه صلى الله عليه وسلم فإن الله سبحانه يرد على رسوله ﷺ روحه فيرد على المصلين عليه السلام كما قال صلى الله عليه وسلم ما من أحد يسلم علي إلا رد الله عز وجل إلي روحي حتى أرد عليه السلام . (562)
ولم يرد في سنة الرسول الصحيحة أنه من أراد من الله شيئا فليطلب من النبي أن يسأل الله له هذا الشيء وإنما الثابت خلاف ذلك كما سبق .

قد يقول قائل إن منع هذا النوع من التوسل ينقص من قدر أو جاه رسول الله ﷺ وهذا من أعظم الفرى فإنه ﷺ كان لا يتوسل بأبي الأنبياء إبراهيم ولم ينتقص هذا من قدر خليل الرحمن ولا يستهين بجاه رسول الله ﷺ وعظم قدره إلا كافر أو مشرك كيف وقد ثبت في الكتاب والسنة أن رسول الله محمدا سيد الخلق ﷺ وأفضلهم على الإطلاق وصاحب الشفاعة العظمى للمؤمنين وأن آدم وما سواه من النبيين تحت لوائه وأنه أول من يحلق حلق الجنة ويدخلها وأن من آمن به دخل الجنة ومن كفر به دخل النار وهو القائل صلى الله عليه وسلم
الجنة حرمت على الأنبياء حتى أدخلها وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتي . (563)

آية النساء

ويبقى إستلال آخر يستدل به الذين يجيزون التوسل وهو قول الله ﷻ
وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا (64 النساء).

واستدلالهم باطل لأدلة كثيرة منها

أولا : هذه الآية أنزلت في المنافقين يطلب الله سبحانه منهم أن يعودوا إلى رشدهم ويستغفروا ربهم ثم يطلبون من الرسول أن يستغفر الله لهم فالآية خاصة بالمنافقين في عهد الرسول ولا صلة لها بغيرهم والعجيب أن المخالفين ينسبون للإمام الشافعي رضي الله عنه أنه قال (إذا تطرق للدليل الإحتمال سقط به الإستدلال) ولم تثبت نسبة هذه القاعدة للشافعي ولا غيره من أهل العلم وإنما هي من اختراع المبتدعة ، المقصود أنهم يستغلون هذه القاعدة في الهروب من الحجج والبراهين

عندما يحاصرون بها وإذا سلمت لهم بهذه القاعدة الباهتة لكان مقتلهم فيها لأنهم يقولون إن هذه الآية حكم عام في كل المنافقين والمذنبين ويحتمل أن تقتصر هذه الآية على المنافقين في عهد رسول الله وبهذا يسقط بها الإستدلال – على مذهبهم – فكيف الحال إذا كانت كل الدلائل والقرائن تشير إلى أن الآية خاصة في المنافقين في عهد النبي ﷺ .

ثانيا : أن النبي ﷺ قد كفى المؤمنين والمؤمنات على مر العصور والأزمان مؤنة الذهاب إليه وطلب الإستغفار منه كما قال الله ﷻ

فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ (19 محمد) .

وعن عبد الله بن سرجس رضي الله عنه قال

رأيت النبي ﷺ وأكلت معه خبزا ولحما أو قال ثريدا فقال له عبدالواحد ابن زياد – التابعي – أستغفر لك النبي ﷺ ؟ قال نعم ولك ثم تلا هذه الآية { واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات } . رواه مسلم . ثم إن هذه الآية نزلت بعد آية النساء فإن سورة محمد المدنية نزلت بعد سورة النساء المدينة . **

أيضا فلا حجة في آية النساء على الذهاب إلى الرسول ﷺ وطلب الإستغفار منه بعد موته ﷺ . يقولون إن الرسول ﷺ حي في قبره كحياته في الدنيا ولم يفقهوا قول الله سبحانه

وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (169 آل عمران).

وقوله ﷻ

وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَـٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ (154 البقرة).

فالرسول ﷺ حي عند ربه في جنات النعيم ولا نشعر به ولا نشعر به وإلا فلماذا لم يصلى المسلمون خلف رسول الله ﷺ وهو في قبره بل صلوا خلف أمراء المؤمنين رضي الله عنهم في مسجده ﷺ رغم أنه ثابت أن الأنبياء أحياء يصلون في قبورهم وقد تستشكل هذه النصوص على بعض الناس

** كما ذكر علماء القرآن كالزركشي وغيره .

فيظنون أن فيها تناقضا . لماذا ؟ لأنهم يقيسون الحياة في الدنيا على الحياة في الآخرة ولا وجه للمقارنة لأن الآخرة يزول فيها الزمان ويختلف المكان وتتحطم القيود وتمحى الحدود والله أعلم .

فإن قيل : إذا كان الأمر كذلك فلماذا أنكر الله ﷻ على المنافقين بعدهم عن طلب الإستغفار من النبي ﷺ ؟

قيل له : إن الله ﷻ قد قال هذا لكسر كبر المنافقين الذين كانوا يبغضون الرسول وما جاء به الرسول ﷺ ثم إن الله سبحانه بدأ بدعوتهم إلى الإستغفار لأنفسهم قبل أن يستغفر لهم الرسول ﷺ ومعلوم أنه لن يقبل استغفار لسان إلا بإيمان القلب والأركان ولا ينفع استغفار النبي ﷺ لمنافق وبهذا يتضح المقال ويزول الإشكال والحمد لله رب العالمين .

5- التوسل بحق الأولياء .

درج كثير من الدعاة على القول بأن التوسل بحق الأولياء شرك وليس هذا صوابا وإنما هو خلاف فقهي لا صلة له بالشرك والراجح حرمة التوسل بالصالحين إذ لم يصح حديث في هذا وإن استدل المخالفون بما روي أن رسول الله ﷺ قال من خرج من بيته إلى الصلاة فقال اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وأسألك بحق ممشاي هذا . فإني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة.(564)

وإنما الصحيح التوسل بالأولياء بدعائهم في حياتهم لا بذواتهم كما قال رسول الله ﷺ إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم . (565)

قصيدة للعلامة الشيخ عبد القادر شيبة الحمد * عفا الله عنه يذب فيها عن حمى التوحيد

بحمد إلهي قد بدأت مقالتي	وقد رمت فيها نصحا لشريعتي
وزدت عن الحوض المبارك كل من	أراد به سُوءاً لحقد ونقمة
وإن سلاحي قول ربي وسنة	أتانا بها المختار خير الخليقة

---

(564) رواه ابن ماجة وأحمد وابن أبي شيبة وغيرهم بأسانيد ضعيفة . (565) صحيح رواه النسائي وأبو نعيم وغيرهما . * هو العالم الأزهري المصري صاحب المصنفات الماتعة في الفقه والعقيدة والتفسير والمدرس بالمسجد النبوي الشريف جزاه الله خيرا فقد نفعني الله بما ظفرت به من تفسيره لسورة الأنفال .

وأقوال أهل الفضل من سلف مضوا على خير أخلاق وعلم وحكمة
فيا أيها الإنسان إن إلهنا هو الأحد المقصود في كل حاجة
فإن كنت في ضيق فإن ربك حاضر فسأله إذاً ينجيك من كل كربة
وإن كنت في هم وغم فناده يجبك ويكشف كل هم وغمة
ولا تسألن أحدا سواه وإن يكن نبيا كريما قد أتى بالرسالة
فللخالق التصريف جل جلاله ومن يرج غير الله باء بذلة
وخير الورى المختار ما كان مالكا لنفع كذا نسله في نص آية
وقد قال للحبر الإمام ابن عمه مقالة هدي في ابتغا الإستعانة
وقد حذر المختار عند وفاته من أمر عظيم بالغ في الخطورة
بألا يرى في الأرض قبر بمسجد وقد شدد الإنكار في غير مرة
وذلك يرويه البخاري ومسلم وأعلام أهل العلم خير الأئمة
وقد حدث الحفاظ أن رسولنا نهى عن وجود القبر تحت بناية
ومن ذاك مروي الصحيح لمسلم فأخلص لدين الله دون تعلة
ولا تكتبن فوق القبور ولا تقل بتجصيصها فالنهي خير المقولة
ولا تأت عرافا ليشفي ضاضنا ويكشف سترا عن أمور خفية
فليس لدى العراف علم بغائب وآتيه في كفر عظيم وغفلة
وربك علام الغيوب وعنده مفاتيح كل الغيب من غير ريبة
ولا تنذرن إلا لربك إنه قدير على إنصاف كل البرية
وقد قال خير الخلق إن نذوركم على رد أمر الله غير جديرة
ومن نذروا للصالحين فإنهم بذا أهل شرك في صميم غواية
وقد فرق الجهال دين محمد إلى شرعة تبدو وشرع الحقيقة
وقالوا لقول الله ظهر وباطن وباطنه يبدو لأصحاب وصلة
وما علموا أن الشريعة نهجها طريق الهدى فيها تمام السعادة
وما كان قول الحق مثل مقالهم تنزه عن أغراض أهل الضلالة
وإن كنت ترجو للإله تقربا فبالفرض والمسنون خير وسيلة

ومجلس علم عند ربك فضله | يزيد كثيرا عن سني عبادة
وأمر بمعروف وترك لمنكر | وبعدك عن فحش وبغي وغيبة
وتسليم كل الحال لله وحده | ونهيك نفسا عن مقام خطيئة
فذاك لعمر الحق أوضح منهج | نهايته الحسنى وأفضل قربة
ومن يبتغي الحسنى بأفعال غيره | فليست له حسنى ولا ظل جنة
وذلك نصحي قد نصحت ومن | يرم سبيل الهدى فليستمع لنصيحتي
وأختم قولي بالصلاة على الذي | به ختم الرحمن كل نبوة

بعض الأفعال لا شرك فيها ولا حرمة

1- التوسل إلى الله بالنبي ﷺ بمحبته والإيمان به واتباعه .

وهذا التوسل متفق على جوازه عند جميع علماء المسلمين كما علمنا الله سبحانه

ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ (16آل عمران).

أو كما قال الحواريون

---

(566) رواه البخاري. (حاشيتها) طرفها أو هدبها أي إنها جديدة لم تقطع من ثوب أو لم يتقطع هدبها لأنها لم تستعمل . (الشملة) كساء يشتمل به والاشتمال إدارة الثوب على الجسد كله . (وإنها إزاره) متزر به . (فحسنها) نسبها إلى الحسن . قال المحب الطبري فلان هو عبد الرحمن بن عوف وفي الطبراني عن قتيبة هو سعد بن أبي وقاص ومعلوم أن الصحابيين الجليلين رضي الله عنهما ماتا بعد موت رسول الله ﷺ . (567) رواه البخاري ومسلم . (فأخرجه) من قبره (فنفث) بصق بصاقا خفيفا . (ريقه) ماء فمه .

رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّـٰهِدِينَ (53آل عمران).

2- التبرك بآثار الرسول ﷺ في حياته وبعد مماته

عن سهل رضي الله عنه

أن امرأة جاءت النبي صلى الله عليه وسلم ببردة منسوجة فيها حاشيتها أتدرون ما البردة ؟ قالوا الشملة قال نعم . قالت نسجتها بيدي فجئت لأكسوكها فأخذها النبي صلى الله عليه وسلم محتاجا إليها فخرج إلينا وإنها إزاره فحسنها فلان فقال اكسينها ما أحسنها قال القوم ما أحسنت لبسها النبي صلى الله عليه وسلم محتاجا إليها ثم سألته وعلمت أنه لا يرد قال إني والله ما سألته لألبسها إنما سألته لتكون كفني قال سهل فكانت كفنه . (566)

إذاً هنا أصل أصيل وهو أن آثار الرسول ﷺ مباركة وتنفع المؤمنين بإذن الله ولكن لا تنفع غيرهم من المنافقين والمشركين

وعن جابر رضي الله عنه قال :

أتى النبي ﷺ عبد الله بن أبي بعدما دفن فأخرجه فنفث فيه من ريقه وألبسه قميصه (567)

فإن قيل فلماذا أخرجه النبي ﷺ من قبره وفعل هذا وما يغني عنه قميصه قيل له إنه فعل هذا مكافأة لعبد الله على كسوته العباس يوم بدر حيث كان أسيرا . (568)

. وإن هذا من رحمته ﷺ وتطييبا لقلب عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول وقد صرح مسلم فى رواياته بأنه سأل النبي ذلك وكانت هذه الصلاة قبل نزول قوله سبحانه وتعالى ولاتصل على أحد منهم مات أبدا ولاتقم على قبره .

ولأنه أيضا من مكارم أخلاقه صلى الله عليه وسلم وحسن معاشرته لمن انتسب إلى صحبته وقد يكون فعل هذا رجاء أن يسلم به الكفار كما في بعض الآثار والأخبار .

---

(568) كما رواه البخاري . (569) رواه مسلم . (طيالسة جمع طيلسان وهو الثَّوبُ الَّذي ليستْ له بِطانَةٌ) (كسروانية) بكسر الكاف وفتحها والسين ساكنة والراء مفتوحة وهو نسبة إلى كسرى صاحب العراق ملك الفرس . (لبنة) بكسر اللام وإسكان الباء قالوا وهي رقعة في جيب القميص . (وفرجيها مكفوفين) ومعنى المكفوف أنه جعل لها كفة بضم الكاف وهي ما يكف به جوانبها ويعطف عليها ويكون ذلك في الذيل وفي الفرجين وفي الكمين .(570) (سير أعلام النبلاء 212/11) . (571) رواه البخاري ومسلم .

ومع هذا فلم ينفع المنافق كسوة النبي إياه ولا نفثه فيه من ريقه وقال الله ﷻ

إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (145النساء).

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما : أنها أخرجت جبة طيالسة كسروانية لها لبنة ديباج وفرجيها مكفوفين بالديباج فقالت هذه كانت عند عائشة حتى قبضت فلما قبضت قبضتها وكان النبي صلى الله عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها للمرضى يستشفى بها . (569)

قال عبد الله بن الإمام أحمد رأيت أبي يأخذ شعرة من شعر النبي صلى الله عليه وسلم فيضعها على فيه يقبلها وأحسب أني رأيته يضعها على عينه ويغمسها في الماء ويشربه ويستشفي به (570).

3- شد الرحال إلى قبر الرسول ﷺ .

قال رسول الله ﷺ لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجد الحرام ومسجد الأقصى ومسجدي هذا .(571)

فهم بعض الناس من هذا الحديث أن شد الرحال إلى قبر الرسول حرام أو شرك وليس هذا القول صوابا ولو تفقدوا سنة الرسول لوجدوا خلاف زعمهم وخلف قصدهم حيث يقول رسول الله ﷺ عن فضائل المساجد الثلاثة

صلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه . إلا المسجد الحرام . وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه.(572)

وقال رسول الله ﷺ

إن سليمان بن داود سأل الله ثلاثا أعطاه اثنتين وأرجو أن يكون قد أعطاه الثالثة : سأله ملكا لا ينبغي لأحد من بعده فأعطاه إياه وسأله حكما يواطىء حكمه فأعطاه إياه وسأله من أتى هذا البيت . يريد بيت المقدس . لا يريد إلا الصلاة فيه أن يخرج من خطيئته كيوم ولدته أمه) قال رسول الله ﷺ : (وأرجو أن يكون قد أعطاه الثالثة).(573)

---

(572) صحيح رواه ابن ماجة وأحمد وغيرهما . (573) صحيح رواه ابن حبان والحاكم وغيرهما .

وفي الحديثين بيان معنى شد الرحال للمساجد الثلاثة وهو السفر للتعبد فيها والصلاة فيها وإلا فلو سافر مسلم إلى أي مسجد في العالم لطلب العلم فيه فلا حرمة بل يستحب له ذلك .
وقال النووي وفي هذا الحديث فضيلة هذه المساجد الثلاثة وفضيلة شد الرحال إليها لأن معناه عند جمهور العلماء لا فضيلة في شد الرحال إلى مسجد غيرها . انتهى . وقال ابن بطال هذا الحديث إنما هو عند العلماء فيمن نذر على نفسه الصلاة في مسجد من سائر المساجد غير الثلاثة المذكورة قال مالك رحمه الله من نذر صلاة في مسجد لا يصل إليه إلا براحلة فإنه يصلي في بلده إلا أن ينذر ذلك في مسجد مكة أو المدينة أو بيت المقدس فعليه السير إليها .

فلا دليل أبدا على حرمة شد الرحال إلى قبر الرسول ﷺ وهو خير الخلق وحبيب الحق والموضع الذي دفن فيه أفضل من الكعبة ذاتها قال القاضي عياض ولا خلاف في أن موضع قبره أفضل بقاع الأرض وأقره النووي في شرحه على مسلم وقال ابن عقيل سألني سائل أيما أفضل حجرة النبي الكعبة فقلت إن أردت مجرد الحجرة فالكعبة أفضل وإن أردت وهو فيها فلا والله ولا العرش وحملته ولا جنه عدن ولا الأفلاك الدائرة لأن بالحجرة جسدا لو وزن بالكونين لرجح . **

فإذا كانت القلوب تهوي لزيارة بيت الله الحرام فكيف لا تهوي لزيارة خير الأنام وكيف يليق بمحب له صلى الله عليه وسلم يعرض عن زيارته أو شد الرحال إليه وهو القائل ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام . (574)

وقال ﷺ الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون . (575)

قال ابن حجر الهيثمي رحمه الله ومعنى رد روحه الشريفة رد القوة النطقية في ذلك الحين للرد عليه .

ولا تعارض مطلقا بين حديث أبي داود وما صح ورواه النسائي وغيره أن رسول الله ﷺ قال إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني من أمتي السلام . فهذا الحديث المقصود به السلام عليه

**ذكره ابن القيم في بدائع الفوائد . (574). صحيح رواه أبو داود في باب زيارة القبور .
(575) صحيح رواه أبو يعلى وغيره . (576) رواه مسلم . (577) رواه البخاري ومسلم .
(ليأرز) لينضم أهله ويجتمعون . (حجرها) مسكنها الذي تأمن فيه وتستقر .

صلى الله عليه وسلم بالسلام الوارد في التشهد وهو (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته) .

وإذا كان النبي ﷺ زار أمه فبكى وأبكى من حوله فقال استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور فإنها تذكر الموت .(576) فكيف لا يسافر المسلم لزيارة رسول الله ﷺ وهو أحب إليه من نفسه وولده ووالديه والناس أجمعين . وفي هذا النص حكم عام لاستحباب زيارة القبور لقوله صلى الله عليه وسلم (فزوروا القبور) ولم يستثني قبرا .

وهل شرفت المدينة إلا بدخول النبي وسكناه فيها كما قال رسول الله ﷺ
إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها . (577)

حتى بلغ من شرف المدينة أنه يستحب الموت بها . ألم تر أن رسول الله ﷺ يقول : من استطاع أن يموت بالمدينة فليفعل فإني أشفع لمن مات بها . صحيح رواه أحمد وابن ماجة .
وثبت أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال اللهم ارزقني شهادة في سبيلك واجعل موتي في بلد رسولك صلى الله عليه وسلم . (578)

وقال رسول الله ﷺ ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة* ومنبري على حوضي.(*)

قال الشيخ حسن بن عمار بن علي الشرنبلالي الحنفي رحمه الله في مراقي الفلاح :

زيارة النبي ﷺ من أفضل القرب وأحسن المستحبات بل تقرب من درجة ما لزم من الواجبات .
قال العلامة ابن قدامة الحنبلي رحمه الله في المغني :
ويستحب زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه ووافقه أبو الفرج في الشرح الكبير .
قال الشيخ محمد الشربيني الشافعي رحمه الله في مغني المحتاج :
فزيارة قبره صلى الله عليه وسلم من أفضل القربات ولو لغير حاج ومعتمر .
قال القاضي عياض المالكي رحمه الله :
وزيارة قبره سنة من سنن المرسلين مجمع عليها ومرغب فيها .

---

(578) رواه البخاري . (*) رواه البخاري ومسلم . *ذكروا في معناه قولين أحدهما أن ذلك الموضع بعينه ينقل إلى الجنة والثاني أن العبادة فيه تؤدي إلى الجنة .

قال الإمام مالك : وناس يقولون زرنا قبر النبي عليه السلام قال ابن القاسم فكان مالك يكره هذا ويعظمه أن يقال إن النبي يزار .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله ما نقل عن مالك أنه كره أن يقول زرت قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقد أجاب عنه المحققون من أصحابه بأنه كره اللفظ أدبا لا أصل الزيارة فإنها من أفضل الأعمال وأجل القربات الموصلة إلى ذي الجلال وأن مشروعيتها محل إجماع بلا نزاع والله الهادي إلى الصواب .

قال النووي رحمه الله في مناسك الحج : وإنما كره مالك رحمه الله لأهل المدينة كلما دخل أحدهم وخرج الوقوف على القبر قال وإنما ذلك للغرباء .

ووافق هؤلاء العلماء في استحباب زيارة الرسول ﷺ الحافظ ابن حجر الهيثمي والحافظ ابن حجر العسقلاني والحافظ الذهبي والكرماني وبدر الدين العيني والفيروزآبادي وغيرهم كثير .

وعن نافع قال كان بن عمر إذا قدم من سفر أتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا أبا بكر السلام عليك يا أبتاه . (579)

فإذا نوى المؤمن زيارة النبي ﷺ فلينو معها زيارة المسجد النبوي أيضا فإنه أحد المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال .

و قوله صلى الله عليه وسلم (لا تجعلوا بيوتكم قبورا ولا تجعلوا قبري عيدا وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم) (580) يحتاج إلى بيان فالعيد سُمِّيَ عِيداً لأَنَّه يَعُودُ كلَّ سَنَةٍ فالمقصود إتخاذ زيارة قبره عيدا يعتاده الناس في وقت معين كزيارته في ذكرى مولده أو موته أو ما شابه ذلك .

قال المناوي في فيض القدير :

معناه النهي عن الاجتماع لزيارته اجتماعهم للعيد إما لدفع المشقة أو كراهة أن يتجاوزوا حد التعظيم وقيل العيد ما يعاد إليه أي لا تجعلوا قبري عيدا تعودون إليه متى أردتم أن تصلوا علي فظاهره منهي عن المعاودة والمراد المنع عما يوجبه وهو ظنهم بأن دعاء الغائب لا يصل إليه

---

(579) صحيح رواه عبد الرزاق وابن أبي شيبة وغيرهما . (580) صحيح رواه ابو داود واحمد وغيرهما .

ويؤيده قوله (وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم) أي لا تتكلفوا المعاودة إلي فقد استغنيتم بالصلاة علي .

قال المناوي : ويؤخذ منه أن اجتماع العامة في بعض أضرحة الأولياء في يوم أو شهر مخصوص من السنة ويقولون هذا يوم مولد الشيخ ويأكلون ويشربون وربما يرقصون فيه منهي عنه شرعا وعلى ولي الشرع ردعهم على ذلك وإنكاره عليهم وإبطاله انتهى .

والحمد لله رب العالمين .

الشرك الأصغر

ولا يخرج هذا النوع من الملة ولكنه أكبر من الكبائر واختلف العلماء في خلود صاحبه – أي الشرك الأصغر – في النار والراجح القول بخلود من مات مصرا عليه لما ثبت عن عمران بن حصين : أن النبي صلى الله عليه وسلم أبصر على عضد رجل حلقة أراه قال من صفر فقال ويحك ما هذه قال من الواهنة قال أما انها لا تزيدك إلا وهنا انبذها عنك فإنك لو مت وهى عليك ما أفلحت أبدا .(581)

والشرك الأصغر نوعان (خفي وجلي)

النوع الأول متعلق بالنوايا التي لا يعلمها إلا الله ﷻ وهو

الشرك الأصغر الخفي

عن معقل بن يسار أنه قال انطلقت مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا بكر للشرك فيكم أخفى من دبيب النمل فقال أبو بكر وهل الشرك إلا من جعل مع الله إلها آخر قال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده للشرك أخفى من دبيب

---

(581) حديث حسن رواه أحمد وابن حبان والحاكم والبيهقي والطبراني وابن أبي شيبة وغيرهم . (صفر) النحاس الأصفر. (الواهنة) عرق يأخذ في المنكب وفي اليد كلها فيرقى منها . وقيل : هو مرض يأخذ في العضد وربما علق عليها جنس من الخرز يقال لها : خرز الواهنة وهي تأخذ الرجال دون النساء

(582) صحيح رواه البخاري في الأدب وأبو يعلى . (583) صحيح رواه ابن ماجة والحاكم والبيهقي .

النمل ألا أدلك على شيء إذا قلته ذهب عنك قليله وكثيره قال قل اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم . (582)

ولقد بلغ خوف رسول الله ﷺ على الأمة من الشرك الخفي مبلغا أعظم من خوفه عليها من المسيح الدجال الذي أوصانا رسول الله ﷺ أن نستعيذ بالله من شر فتنته في كل صلاة

عن أبي سعيد قال خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتذكر المسيح الدجال .

فقال ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال ؟ قال قلنا بلى . فقال (الشرك الخفي أن يقوم الرجل يصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل) . (583)

وفي لفظ الحاكم الشرك الخفي أن يعمل الرجل لمكان الرجل .

وفي لفظ البيهقي الشرك الخفي أن يقول الرجل يعمل لمكان الرجل .

عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال : كنا نعد على عهد رسول الله ﷺ أن الرياء* الشرك الأصغر .(584)

وقال رسول الله ﷺ :

إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا يا رسول الله وما الشرك الأصغر قال الرياء إن الله تبارك وتعالى يقول يوم تجازى العباد بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون بأعمالكم في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء . (585)

والذين يتسترون بثياب الرياء لإخفاء حقائق نياتهم لا يغني عنهم شيئا كما قال أحد الشعراء

ثوب الرياء يشف عن ما تحته ..... فإذا اكتسيت به فإنك عار

وقال آخر

ومهما تكن عند امرىء من خليقة ..... وإن خالها تخفى على الناس تعلم

وعن زيد بن أسلم عن أبيه :

---

(584) صحيح رواه الحاكم وغيره . *(الرياء) التعبد أمام الناس دون الخلوة ليرى صاحبه وهؤلاء يتعبون أنفسهم في الدنيا ولا جزاء لهم في الآخرة كما قال الشيخ الغزالي رحمه الله . (585) صحيح رواه أحمد والبيهقي والطبراني . (586) صحيح رواه الحاكم والبيهقي .

أن عمر رضي الله عنه خرج إلى المسجد يوما فوجد معاذ بن جبل عند قبر رسول الله ﷺ يبكي فقال : ما يبكيك يا معاذ ؟ قال : يبكيني حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقول : اليسير من الرياء شرك و من عادى أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة إن الله يحب الأبرار الأتقياء الأخفياء الذين إن غابوا لم يفتقدوا و إن حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل غبراء مظلمة .(586)

إنه الرياء الداء العضال الذي يفتك بصاحبه فيحبط عمله ويرديه في تيه الشرك وظلمات التنديد.

قال رسول الله ﷺ :

قال الله تبارك وتعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه . (587)

فإذا أراد العبد الدنيا من دون الآخرة بعمله أو قوله كان مشركا والعياذ بالله قال الله سبحانه وتعالى

مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا (18 الإسراء).

وماذا كسب عباد الدنيا من عبادتهم لها إلا المزيد من الهموم والغموم كما قال رسول الله ﷺ من كانت الدنيا همه فرق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ماكتب له . ومن كانت الآخرة نيته جمع الله له أمره . وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة .(588)

وأما النوع الثاني شرك متعلق بالأقوال والأعمال الظاهرة وهو

الشرك الأصغر الظاهر

ومثال ذلك في الأعمال

1- ترك الصلاة .

---

(587) رواه مسلم . (تركته وشركه) هكذا وقع في بعض الأصول وشركه وفي بعضها وشريكه وفي بعضها وشركته ومعناه أنه غني عن المشاركة وغيرها فمن عمل شيئا لي ولغيري لم أقبله بل أتركه لذلك الغير والمراد أن عمل المرائي باطل لا ثواب فيه ويأثم به . .(588) صحيح رواه ابن ماجة وغيره . (589) رواه مسلم .

**وأعني بالتصوير الرسم أو صناعة التماثيل لما فيه روح .

(590) رواه البخاري ومسلم .

كما قال رسول الله ﷺ إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة . (589)

2- التصوير .**

لأن المصور يجعل من نفسه شبيها لله ونظيرا له ﷻ.

قال النبي صلى الله عليه وسلم (قال الله عز وجل ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو شعيرة . (590)

وقال رسول الله ﷺ

من صور صورة في الدنيا كلف يوم القيامة أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ . (591)

وقالت عائشة رضي الله عنها

قدم رسول الله ﷺ من سفر وقد سترت بقرام لي على سهوة لي فيها تماثيل فلما رآه رسول الله ﷺ هتكه وقال (أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله) . قالت فجعلناه وسادة أو وسادتين . (592)

وعن عائشة رضي الله عنها

أنها اشترت نمرقة فيها تصاوير فقام النبي صلى الله عليه وسلم بالباب فلم يدخل فقلت أتوب إلى الله مما أذنبت قال (ما هذه النمرقة) . قلت لتجلس عليها وتوسدها قال (إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم أحيوا ما خلقتم وإن الملائكة لا تدخل بيتا فيه الصور .(593)

وقال رسول الله ﷺ لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة . (594)

وقال رسول الله ﷺ الصورة الرأس فإذا قطع الرأس فلا صورة . (595)

---

(591) رواه البخاري ومسلم . (592) رواه البخاري ومسلم . (قرام) ستر رقيق من صوف ذو ألوان ونقوش . (يُضَاهُونَ بخَلْق اللَّهِ) أي يُشَابِهُون أو يعارضون المُضَاهاة : المشابَهة . .(593) رواه البخاري ومسلم . (النمرقة) بضم النون والراء ويقال كسرهما ويقال بضم النون وفتح الراء ثلاث لغات ويقال نمرق بلا هاء وهي وسادة صغيرة وقيل هي مرفقة – وسادة – وجمعها نمارق . (594). رواه البخاري ومسلم . (595) صحيح رواه البيهقي وغيره . ** وإن شئت فراجع كتاب أحكام التصوير في الشريعة الإسلامية للعلامة عبد الرحمن عبد الخالق عفا الله عنه .

أما عن التصوير الفوتوغرافي والتلفزيوني فلا أرى بهما بأسا** إذا كانت الصور والمشاهد لا يحملان مخالفة شرعية أو تقديسا للأشخاص أو تعظيما للفساق من المغنيين أو ما شابه .
فهذان النوعان من التصوير من المحدثات الدنيوية والقضايا الفقهية المعاصرة التي لم يسبق لها نظير في عهد الرسول ﷺ (ولا يظنن أحد أني أبيح التمثيل فإنه حرام بجميع أنواعه) .
وأما الذين يقولون بحرمة التصوير ويستدلون بعموم اللفظ فيقولون إن أي تصوير يطلق عليه لفظة تصوير فهو حرام فإنهم مخطئون لأن التصوير التلفزيوني أيضا يطلق عليه لفظة تصوير إذاً فلماذا يظهرون في التلفزيون ؟! فإن قالوا لنفع الناس بالعلم . قيل لهم الأشرطة تكفي .

3- شهادة الزور .

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه :
عدلت شهادة الزور الشرك بالله و قرأ { واجتنبوا قول الزور. (596)

4- الإستسقاء بالأنواء مع اعتقاد أنها أسباب .

الإستستقاء بالأنواء يعني نسبة السقيا ومجيء المطر إلى الأنواء جمع نوء وهي منازل القمر وسمي نوءا لأنه إذا سقط الساقط منها بالمغرب ناء الطالع بالمشرق أي نهض وطلع .
قال رسول الله ﷺ :
أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن الفخر في الأحساب والطعن في الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة وقال النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب .(597)
ويحرم الإستسقاء بالأنواء ولو على سبيل المجاز .

---

(596) حسن رواه الطبراني وابن شيبة وغيرهما . (597) رواه مسلم . قال الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي رحمه الله (أربع) أي خصال أربع كائنة في أمتي من أمور الجاهلية (لا يتركونهن) أي كل الترك إن تتركه طائفة يفعله آخرون (والاستسقاء بالنجوم) يعني اعتقادهم نزول المطر بسقوط نجم في المغرب مع الفجر وطلوع آخر يقابله من المشرق كما كانوا يقولون مطرنا بنوء كذا (ودرع من جرب) يعني يسلط على أعضائها الجرب والحكة بحيث يغطي بدنها تغطية الدرع وهو القميص . **(أن يقول ذلك مع اعتقاده أن الذي يسأله سبب لا أكثر فإن اعتقد أن هذا المدعو يسمعه ويعلم بحاله عن بعد فهو شرك أكبر)

5- أن يقول للميت والغائب اسأل الله لي أو اشفع لي ونحو ذلك

وهو من التوسل غير المشروع.**

6- التسمي بأسماء الله تعالى أو بما لا ينبغي إلا لله ﷻ أو التسمي بالعبودية لغير الله كعبد النبي أو ما شاكل ذلك إلا عبد المطلب كما نقل ابن حزم الإجماع على ذلك .

عن هانئ بن يزيد ﷺ أنه : لما وفد إلى النبي ﷺ مع قومه فسمعهم النبي صلى الله عليه وسلم وهم يكنونه بأبي الحكم فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن الله هو الحكم وإليه الحكم فلم تكنيت بأبي الحكم قال لا ولكن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين قال ما أحسن هذا ثم قال مالك من الولد قلت لي شريح وعبد الله ومسلم بنو هانئ قال فمن أكبرهم قلت شريح قال فأنت أبو شريح ودعا له ولولده وسمع النبي صلى الله عليه وسلم يسمون رجلا منهم عبد الحجر فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما اسمك قال عبد الحجر قال لا أنت عبد الله . (598)

وقال نبي الله صلى الله عليه وسلم

(إن أخنع اسم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك وزاد في رواية (لا مالك إلا الله عز وجل) قال سفيان مثل شاهان شاه (599) وفي رواية (أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأخبثه وأغيظه عليه رجل كان يسمى ملك الأملاك لا ملك إلا الله) . (600)

7- سب الدهر .

لأن الدهر لا يصنع شيئا ولا يملك نفعا أو ضرا وسب الدهر تسخط على الله ﷻ لأن الله هو خالق الدهر ومدبر الأمرلا رب سواه ولا إله غيره .

قال رسول الله ﷺ

---

(598) صحيح رواه البخاري في الأدب والنسائي وغيرهما . (599) رواه مسلم والبخاري . (أخنع) أوضع وقيل أخنع بمعنى أفجر . (600) رواه مسلم . (601) رواه البخاري ومسلم . (يسب الدهر) بسبب ما يصيبه فيه من أمور وأنا المدبر لكل ما يحصل لكم وتنسبونه إلى الدهر فإذا سببتم الدهر لما يجري فيه كان السب في الحقيقة لي . (يسب الدهر) بسبب ما يصيبه فيه من أمور وأنا المدبر لكل ما يحصل لكم وتنسبونه إلى الدهر فإذا سببتم الدهر لما يجري فيه كان السب في الحقيقة لي .

قال الله عز وجل يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار. (601)

8- الإستشفاع بالله ﷻ على خلقه .

كأن يقول أستشفع بالله على فلان فإن شأن الله أعظم من أن يستشفع به سبحانه إلى أحد من خلقه ومعلوم أن الشفيع أو الشافع أو المُشَفَّع أقل منزلة من المُشَفِّع.

9- ماشاء الله وشاء فلان .

ثبت أن يهوديا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إنكم تنددون وإنكم تشركون تقولون ما شاء الله وشئت وتقولون والكعبة فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا ورب الكعبة ويقولون ما شاء الله ثم شئت . (*)

عن بن عباس رضي الله عنهما قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم : ما شاء الله وشئت قال ﷺ جعلت لله ندا ما شاء الله وحده .(602)

قال الله ﷻ ﴿ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ (22 البقرة). **

قال ابن عباس رضي الله عنهما في الآية الأنداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة – رخامة – سوداء في ظلمة الليل وهو أن تقول والله وحياتك يا فلانة وحياتي وتقول لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص ولولا البط في الدار لأتى اللصوص وقول الرجل لصاحبه ما شاء الله وشئت وقول الرجل لولا الله وفلان لا تجعل فيها فلان هذا كله به شرك . (603)

(*) صحيح رواه النسائي وغيره . (602) صحيح رواه البخاري في الأدب وابن ماجة وغيرهما .

** تنبيه: قال بعض المفسرين المقصود بالأنداد أي أمثال وأشباه لله في عبادتهم وتعظيمهم لها وقال بعض المفسرين أن كلمة أنداد أي آلهة ومعبودات باطلة كلها نظراء وأمثال في عجزهم عن النفع والضر كالملائكة والمسيح ﷺ وعزير رضي الله عنه كذا ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر رضي الله عنهم _ وهم رجال صالحون من قوم نوح صلى الله عليه وسلم عبدوا من دون الله _ والأولياء والشيطان وغيرهم كثير من المعبودات الباطلة التي لم ترض بعبادتها من دون الله سبحانه وتعالى بل ويتبرأ كل هؤلاء المتبوعين ممن عبدوهم كما في سياق الآيات والله أعلم .

(603) أثر حسن رواه ابن أبي حاتم في التفسير .(604) صحيح رواه أحمد والترمذي وغيرهما .

10- الحلف بغير الله عز وجل كقولهم والنبي ، وحياتك ، وحياة فلان أو فلانة ، ورحمة والدك ، وعليّ النعمة ، وعليّ الطلاق إلى آخره من الكلمات التي شاعت وذاعت في عوام المسلمين .

عن سعد بن عبيدة قال سمع بن عمر – رضي الله عنهما – رجلا يقول والكعبة فقال لا تحلف بغير الله فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : من حلف بغير الله فقد كفر وأشرك . (604)

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال :

سمع النبي ﷺ رجلا يحلف بأبيه فقال (لا تحلفوا بآبائكم من حلف بالله فليصدق ومن حلف له بالله فليرض . ومن لم يرض . بالله فليس من الله .(605)

قال عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه :

لأن أحلف بالله كاذبا أحب إلي من أن أحلف بغيره وأنا صادق .(606)

والسبب في تورط الكثير في هذا الشرك كثرة الحلف كما ذكر أن الإمام الشافعي رضي الله عنه قال :

كثير الحلف حليف المهانة .

11- الرقى الوثنية والتمائم والتولة .

قال رسول الله ﷺ : إن الرقي والتمائم والتولة شرك . (607)

كما قال عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه

كنا نرقي في الجاهلية فقلنا يا رسول الله كيف ترى في ذلك ؟ فقال اعرضوا على رقاكم لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك .(608)

---

(605) صحيح رواه ابن ماجة . (606) صحيح رواه الطبراني وعبد الرزاق وابن أبي شيبة . (607) صحيح رواه ابن ماجة وغيره . (الرقي) جمع رقية العوذة وتسمى العزائم أيضا . والمراد ماكان بأسماء الأصنام والشياطين . لاما كان بالقرآن ونحوه .(608) رواه مسلم . (التمائم) جمع تميمة أريد بها الخرزات التي يعلقها النساء في أعناق الأولاد على ظن أنها تؤثر وتدفع العين (التولة) نوع من السحر يجلب المرأة إلى زوجها والسحر كله شرك . (609) رواه البخاري . (الباس) الشدة من ألم المرض ونحوه . (يغادر) يترك . (سقما) مرضا .(610) حديث حسن رواه ابن حبان وغيره . التَّميمة خَرَزة كانت الجاهلية تُعَلِّقُها في العُنُق وفي العَضُد تتوقَّى بها وتظن أنها تَدْفُع عن المرء العاهات وكان بعضُهم يظُن أنها تدفع المَنيَّة حيناً كذا قال ابن قتيبة .

ومن **الرقية الشرعية** ما ثبت عن عبد العزيز قال :

دخلت أنا وثابت على أنس بن مالك ﵁ فقال ثابت يا أبا حمزة اشتكيت فقال أنس ألا أرقيك برقية رسول الله ﷺ ؟ قال بلى قال (اللهم رب الناس مذهب الباس اشف أنت الشافي لا شافي إلا أنت شفاء لا يغادر سقما .(609)

12- تعليق التمائم .

قال رسول الله ﷺ من علق تميمة فلا أتم الله له ومن علق ودعة فلا ودع الله له .(610)

وعن عقبة بن عامر الجهني ﵁ : أن رسول الله ﷺ أقبل إليه رهط فبايع تسعة وامسك عن واحد فقالوا يا رسول الله بايعت تسعة وتركت هذا قال ان عليه تميمة فادخل يده فقطعها فبايعه وقال من علق تميمة فقد اشرك . (611)

وعن حذيفة ﵁ قال دخل على رجل يعوده فوجد في عضده خيطا قال فقال ما هذا قال خيط رقي لي فيه فقطعه ثم قال لو مت ما صليت عليك . (612)

وأما عمل التمائم من القرآن الكريم كآية الكرسي وغيرها فقد اختلف العلماء فيها والراجح الصحيح المنع سدا للذريعة ومنعا لامتهان القرآن وهو قول وحال جمهور السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين .

13- الطيرة وهي التشاؤم .

قال رسول الله ﷺ :

(لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل) . قالوا وما الفأل ؟ قال كلمة طيبة . (613)

عن عبد الله بن مسعود ﵁

عن رسول الله ﷺ قال " الطيرة شرك الطيرة شرك " ثلاثا " وما منا إلا ولكن الله يذهبه بالتوكل . (614)

وقال رسول الله ﷺ : من ردته الطيرة من حاجة فقد أشرك قالوا يا رسول الله ما كفارة ذلك قال ان يقول أحدهم اللهم لا خير الا خيرك ولا طير الا طيرك ولا إله غيرك .(615)

---

(611)حسن رواه أحمد والطبراني وغيرهما . (612) صحيح رواه ابن أبي شيبة .

ولا يتعارض هذا الحديث مع قوله ﷺ

إنما الشؤم في ثلاثة في الفرس والمرأة والدار .(616)

فقد اختلف العلماء في شرح هذا الحديث فقال مالك وطائفة هو على ظاهره وإن الدار قد يجعل الله تعالى سكناها سببا للضرر أو الهلاك وكذا اتخاذ المرأة المعينة أو الفرس أو الخادم قد يحصل الهلاك عنده بقضاء الله تعالى ومعناه قد يحصل الشؤم في هذه الثلاثة وقال آخرون شؤم الدار ضيقها وسوء جيرانها وأذاهم وشؤم المرأة عدم ولادتها وسلاطة لسانها وتعرضها للريب وشؤم الفرس أن لا يغزى عليها وقيل حرانها وغلاء ثمنها وشؤم الخادم سوء خلقه وقلة تعهده لما فوض إليه

لأن هذا السوء الذي يصدر لا يكون إلا بذنوب العباد فلذلك معنى الحديث الشؤم في ثلاثة أي أخص وأشهر أشياء يصيبها شؤم الذنوب . ومن أجل هذا كان من صفات الذين يدخلون الجنة بغير حساب أنهم لا يتطيرون كما قال نبي الله ﷺ

يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب قالوا ومن هم يا رسول الله ؟ قال هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة فقال ادع الله أن يجعلني منهم قال أنت منهم قال فقام رجل فقال يا نبي الله ادع الله أن يجعلني منهم قال سبقك بها عكاشة .(617)

---

(613) رواه البخاري ومسلم . (614) صحيح رواه أبو داود وأحمد وغيرهما .

قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى : يريد . و الله تعالى أعلم . الطيرة شرك على ما كان أهل الجاهلية يعتقدون فيها ثم قال : و ما منا إلا يقال هذا من قول عبد الله بن مسعود و ليس من قول النبي صلى الله عليه و سلم و قوله : و ما منا إلا أي كل منا يقع في قلبه شيء من الطيرة قبل أن يحسن إسلامه أو في بداية هدايته .

(615) حديث حسن رواه أحمد وغيره .

(616) رواه البخاري ومسلم . (لا يكتوون) الاكتواء استعمال الكي في البدن وهو إحراق الجلد بحديدة محماة (ولا يسترقون) الاسترقاء طلب الرقية . (617) رواه مسلم والبخاري وهذا لفظ مسلم . (618) حديث حسن رواه أحمد وأبو يعلى . (619) صحيح رواه ابن حبان والترمذي وغيرهما . *لفعله ما الأولى التنزه عنه وهذا فيمن فعل معتمدا عليها لا على الله قاله المناوي .

وفي رواية قال رسول الله ﷺ أعطيت سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب وجوههم كالقمر ليلة البدر وقلوبهم على قلب رجل واحد فاستزدت ربي عز وجل فزادني مع كل واحد سبعين ألفا . (618)

وقال رسول الله ﷺ من اكتوى أو استرقى فقد برئ من التوكل* . (619)

*قاعدة هامة

من علق تميمة أو خرزة أو حجابا ومن لبس خيطا أو حظاظة – يسمونها هكذا تفاؤلا بجلب الحظ – أو علق نعلا أو ما شابه وظن بأن هذه الأشياء أسباب لجلب النفع أو دفع الضر –فهو شرك أصغر لأن الله سبحانه وتعالى لم يشرعها أسباباً وإن ظن أنها تنفع بذاتها فهو شرك أكبر لأنه تعلق بغير الله ويسري هذا على كل ما سبق من أقوال وأفعال .

* إجابة تساؤل حول معنى حديث لا عدوى

قال رسول الله ﷺ لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر وفر من المجذوم كما تفر من الأسد . (620) أنظر الحاشية .

الكفر

الكُفْرُ (بالضم) : **لغة** تغطية ما حقه الإظهار و**شرعا** هو ضِدُّ الإيمان ويفتحُ كالكفُورِ والكُفْرانِ بضم الميم ستر نعمة المنعم وكَفَرَ نعْمَةَ اللَّهِ جَحَدَها وسَتَرَها بترك أداء شكرها .

ولا يتصور أبدا أن يكون هناك إنسان يعقل ثم بالله يكفر لهذا قال الله سبحانه وتعالى

---

(620) رواه البخاري .

(لا عدوى) مؤثرة بذاتها وطبعها وإنما التأثير بتقدير الله عز وجل والعدوى سراية المرض من المصاب إلى غيره . وقيل هو خبر بمعنى النهي أي لا يتسبب أحد بعدوى غيره . (لا طيرة) هو نهي عن التطير وهو التشاؤم . (هامة) هي الرأس واسم لطائر يطير بالليل كانوا يتشاءمون به . وقيل كانوا يزعمون أن روح القتيل إذا لم يؤخذ بثأره صارت طائرا يقول اسقوني اسقوني حتى يثأر له فيطير . (صفر) هو الشهر المعروف كانوا يتشاءمون بدخوله فنهى الإسلام عن ذلك . (المجذوم) المصاب بالجذام وهو مرض تتناثر فيه الأعضاء . كذا قال د. مصطفى البغا في حاشيته على البخاري .

إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ (22الأنفال).

وقال عَزَّ وَجَلَّ

إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ (55الأنفال).

ولكن هل التكاليف التي كلف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بها المؤمنين – من صلاة وصيام وزكاة وحسن خلق وحسن معاملة إلى آخره – تسقط عن الكفار فلا يطالبون بأدائها الصحيح أنهم يطالبون ببعضها على الأقل في الآخرة ولا ريب أن الآخرة دار عقاب وتوبيخ لا عمل وتكليف فلا يقدر الكافر أن يصنع شيئا مما كلف به في الدنيا إذا دعاه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لفعل شيء مما أعرض عنه في الدنيا فيسكن الجحيم ولبئس المثوى ولبئس المصير .

كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ * خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ (42،43القلم).

وهذه الأعمال التي كان يعرض الكافر عنها في الدنيا ويظنها أغلالا ويفر منها فلا مفر من الأغلال في الآخرة كما قال تعالى

أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ (5الرعد).

وإن كان يظن التوحيد سجنا في الدنيا فلا مفر من السجن في الآخرة

وقال تعالى

نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ * ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ * إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ *(6،7،8الهمزة).*مؤصدة أي مغلقة . أو كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ (7المطففين). فإذا كان الكتاب في سجين(لفي حبس وضيق شديد فعيل من السجن) فما بالك بالكافر نفسه اين يكون .

وكما قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر . (621)

فالدنيا سجن للمؤمن وما أجمله فهو سجن في ظاهره وجنة في باطنه كما قال الله ﷻ

مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (97النحل).

والدنيا جنة للكافر ما أتعسها فهي جنة في ظاهرها وسجن في باطنها كما قال الله ﷻ

وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ (124طه).

والكافر يعيش في الدنيا ممتعا بدنه من كل ما يشتهي ولكنه متاع قليل كما قال الله ﷻ

قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ (8 الزمر).

ثم يذهب الكافر في الآخرة يشتهي فلا يجد شيئا إلا النار والزقوم والحميم والعياذ بالله كما قال الله ﷻ

وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ (20 الأحقاف).

وإن كان من الممكن الفرار من سجن الدنيا فلا مفر من سجن الآخرة

كَلَّا لَا وَزَرَ * إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ (11،12القيامة).

وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر ولكن الجهل أعمى بصائرهم والهوى أساء مصائرهم لهذا قال رسول الله ﷺ يقال للكافر يوم القيامة أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهبا أكنت تفتدي به ؟ فيقول نعم فيقال له قد سئلت أيسر من ذلك . (622)

وعن أبي بكرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في دبر كل صلاة اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر وعذاب القبر . (623)

وها هو خليل الرحمن إبراهيم ﷺ يدعوه الله ﷻ إلى توحيده فيقول

---

(621) رواه مسلم .

(622) رواه مسلم . (623) صحيح رواه أحمد وابن خزيمة وغيرهما .

وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا (26 الحج).

ويدعو إبراهيم ﷺ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يجنبه الشرك والكفر فيقول

رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ (35إبراهيم).

سر الكفر

إن السر الواحد لكفر الكافرين وأعراض الفاسقين عن الإيمان بالله سبحانه واتباع رسله هو الهوى وطاعة النفس الأمارة بالسوء ولهذا حذر الله سبحانه من اتباع الهوى وبين أنه سبيل الضلال ورأس كل خطيئة فقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ (26ص).

ولهذا قال رسول الله ﷺ

ان مما أخشى عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى . (624)

قال البوصيري

وخالِفِ النفسَ والشيطانَ واعصِهِمَا ... وإنْ هما مَحَّضَاكَ النُّصحَ فاتَّهِمِ

ولا تُطِعْ منهما خصمًا ولا حكَمَا ... فأنت تعرفُ كيدَ الخَصمِ والحَكَمِ

ولكن لم يطلب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من العباد أن يجاهدوا أنفسهم ويخالفوا أهواءهم ؟ لأن العباد ضعفاء لا يملكون لأنفسهم شيئا بل لا يملكون أنفسهم فضلا عن سمعهم وأبصارهم وقلوبهم كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ (31يونس).

---

(624) صحيح رواه أحمد . (625) رواه مسلم . (626) صحيح رواه الترمذي وأحمد وغيرهما .

بل ولا يملكون قلوبهم التي في صدورهم كما قال رسول الله ﷺ إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء ثم قال رسول الله ﷺ اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك .(625) و كان أكثر دعائه صلى الله عليه وسلم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك.(626)

ولهذا قيل وما سمي الإنسان إلا لنسيه ... ولا القلب إلا لأنه يتقلب

ونظرا لأن الله يملك وهو المالك والملك فإنه يحكم فيما يملك . وقد حكم الله أن للبدن غذاء وللروح غذاء فغذاء البدن طعام وشراب وهو معروف لجميع الخلق وأما غذاء الروح فهو عبادة الله ومتابعة رسوله ﷺ قال الله سبحانه وتعالى

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (85الإسراء).

والروح من طبيعتها العلو فإن أهانها العبد وضيق عليها وشغلها بما يضجرها إثاقلت إلى الأرض وأخلدت إليها فغوى صاحبها والسر هنا لا شك هو اتباع الهوى كما قال الله سبحانه وتعالى

وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَـٰهُ بِهَا وَلَـٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (175،176الاعراف).

ولهذا فكما أخلدت الروح واثاقلت إلى الأرض في الدنيا فإنها بالتالي يصعب خروجها من بدن صاحبها عند الموت كما قال رسول الله ﷺ وشتان شتان بين خروج روح المؤمن وسهولتها وبين خروج روح الفاجر وعسرتها ثم تعلو روح – فتكون في حواصل طير خضر – المؤمن في جنان النعيم في السماء العليا وتسفل روح الكافر في نار سجين في الأرض السفلى – ويعذب الجسد معها أيضا – ولهذا قال الشاعر الحكيم

يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته .... أتطلب الربح مما فيه خسران؟

أقبل على النفس، واستكمل فضائلها .... فأنت بالنفس – لا بالجسم – إنسان!

فصلاح جميع الخلق حكاما ومحكومين بلادا وعبادا بمجاهدة النفس ومخالفتها وهذا ما أخفق فيه أكثر الناس ففسدت البلاد برها وبحرها وضلت العباد إنسها وجنها

ومن أجل هذا تجد الكافرين والمجرمين لا يخلون بأنفسهم أبدا لماذا ؟ لأنهم لو خلو بأنفسهم لعاتبتهم نفوسهم على ما أجرموا في حق أنفسهم وعلى ما فرطوا في حق الله ولكشف تفكيرهم وتأملهم زيف عقائدهم وضلال سعيهم في الحياة الدنيا ولهذا قال الله ﷻ

قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (46سبأ).

وكما قال العلماء التفكير الفردي يسود عليه العقل والتفكير الجماعي تسود عليه العاطفة .

ومن جهة أخرى تجد المؤمنين يخلون بأنفسهم فيحاسبونها ويقيمون معها جلسات قضاء يفصلون فيها بحكم الله ورسوله ﷺ بل ويحبون هذه الخلوة التي توصل إلى مقام الإحسان لأن المؤمنين تعلموا من سيدهم وحبيبهم محمد كيف كان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه – وهو التعبد – الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء .(627) وتعلموا منه أن أفضل الناس بعد المجاهد في سبيل الله بنفسه ماله رجل معتزل في شعب* من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره .(628)

ولهذا فإن المؤمن لا تفارقه السعادة أبدا كما قيل المؤمن سجنه عبادة وقتله شهادة ونفيه ريادة وفي الآخرة له الحسنى وزيادة كذا قال العلامة جميل غازي رحمه الله .

ولهذا تجد أسعد الناس الذين يخلون بأنفسهم ويحاسبونها لأنهم يصفون حساباتهم أول بأول فيمشون على الأرض بصفاء ونقاء وراحة بال وأتعس الناس وأشقاهم الذين لا يحاسبون أنفسهم ولا يخلون بها وإن خلو فإنما يخلون بالشياطين التي تمدهم في الضلال مدا وتعدهم وتمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا .

وإذا لزم العبد طاعة الله وصاحب مراقبة الله فإن عمله حينئذ يقود هواه فيكون عمله هو القائد وهواه هو المقود وفي هذا قمة الرجولة وعظيم القوة

---

(627) رواه البخاري ومسلم . (628) رواه مسلم . *(شعب) الشعب ما انفرج بين جبلين وليس المراد نفس الشعب خصوصا بل المراد الانفراد والاعتزال وذكر الشعب مثالا لأنه خال عن الناس غالبا .

كما قال ابن مسعود ﵁ إنكم في زمان كثير فقهاؤه قليل خطباؤه قليل سؤاله كثير معطوه العمل فيه قائد للهوى وسيأتي من بعدكم زمان قليل فقهاؤه كثير خطباؤه كثير سؤاله قليل معطوه الهوى فيه قائد للعمل اعلموا أن حسن الهدي في آخر الزمان خير من بعض العمل . (629)

---

(629) حسن رواه البخاري في الأدب .

وكما قال شوقي

صلاحُ أمرِكَ للأخلاقِ مرجعُه ... فقوِّم النفسَ بالأخلاقِ تَسْتَقِمِ

والنفسُ من خيرِها في خيرِ عافيةٍ ... والنفسُ من شَرِّها في مرتع وخِمِ

وحين يطيع الإنسان نفسه ويتبع هواه من دون الله فإن هواه يهوي به في مهاوي حب الدنيا حتي يقوده هواه إلى العذاب الأليم حيث لا يجد مأوى يئويه ولا كراما تقريه إلا النار وخزنتها والعياذ بالله كما قال الله ﷻ

فَأَمَّا مَن طَغَىٰ * وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا * فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ * وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ * فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ (النازعات37:41).

مثل لأعمال الكفار

قال الله ﷻ

وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ * أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ (النور 39،40).

وهاهنا إشارة هامة أن الله عندما تحدث عن الكفر قال ظلمات ولكنه عندما تحدث عن الإيمان قال نور ولم يقل أنوار لأن الكفر له طرق متعددة وأشكال وألوان متباينة فليس الكفر ظلمة واحدة وإنما هو ظلمات وأما الإيمان بالله فهو نور واحد وسبيل واحد من تبعه نجا ومن تخلف عنه هلك كما قال ابن مسعود رضي الله عنه :

خط لنا رسول الله ﷺ خطا فقال : (هذا سبيل الله) ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله ثم قال : وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم تلا : {

وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ }. (153 الأنعام). (*)

أسأل الله ﷻ التوفيق والسداد وأعوذ به من الخذلان والعناد والحمد لله رب العالمين .

أنواع الكفر

والكفر له أنواع وأشكال وينقسم إلى **كفر أكبر وكفر أصغر**

الفرق بين الكفر الأصغر والكفر الأكبر

1- أن الكفر الأصغر لا يخرج من الملة ولا يحبط الأعمال لكن ينقصها بحسبه ويعرض صاحبها للوعيد والكفر الأكبر يخرج من الملة ويحبط الأعمال .

2- أن الكفر الأصغر إذا دخل صاحبه النار فإنه لا يخلد فيها ، وقد يتوب الله على صاحبه فلا يدخله النار أصلاً والكفر الأكبر يخلد صاحبه في النار.

3- أن الكفر الأصغر لا يبيح الدم والمال وأما الكفر الأكبر فإنه يبيح الدم والمال .

4- أن الكفر الأصغر لا يتبرأ المؤمن من صاحبه بل يواليه لما هداه الله إليه من إيمان ويبغضه على قدر ذنوبه وأما الكفر الأكبر فيجب على المؤمن البراء منه ومن أصحابه .

الكفر الأكبر

ومنه ما اشتهر بين العوام إلا من رحم الله ﷻ - من تلك الفعال .

1- من استهزأ أو استخف بمسلم لإسلامه .

قال الله ﷻ

إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ* وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ * وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ * وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ *

وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَـٰفِظِينَ * فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ * عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ * هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ (المطففين29:36).

2- من سب الدين أو الرسل أو استهزأ بواحد منهم كذا الملائكة واليوم الآخر والقضاء والقدر أو الاستهزاء بأي قول أو فعل شرعه الله سبحانه .

ولقد سمعت بأذني من يزعم أنه مسلم ويرمي الرسول ﷺ بأنه مزواج وأمثال هذا كثر من الأغبياء والمغفلين .

وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ * لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَـٰنِكُمۡۚ (التوبة65،66).

عن عبد الله بن عمر أنها نزلت في رجل في غزوة تبوك في مجلس قال ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا ولا أكذب ألسنا ولا أجبن عند اللقاء فقال رجل في المجلس كذبت ولكنك منافق لأخبرن رسول الله ﷺ فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ونزل القرآن . (630)

3- من شك أو ظن في ثابت من ثوابت الدين كأركان الإسلام الخمسة أو أركان الإيمان الستة كما في قصة صاحب الجنتين في سورة الكهف حين وصف الله حال الشقي منهم فقال

وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَـٰذِهِۦٓ أَبَدٗا * وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا * قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا (الكهف35،36،37).

3- من سب أصحاب رسول الله ﷺ .

(*) صحيح رواه ابن حبان والحاكم وغيرهما . (630) صحيح رواه ابن أبي حاتم والطبراني وغيرهما .

قال رسول الله قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم فلا أدري في الثالثة أو في الرابعة قال ثم يتخلف من بعدهم خلف تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته .(631)

وقال رسول الله ﷺ

لا تزالون بخير ما دام فيكم من رآني وصاحبني والله لا تزالون بخير ما دام فيكم من رأى من رآني وصاحب من صاحبني والله لا تزالون بخير ما دام فيكم من رأى من رأى من رآني وصاحب من صاحب من صاحبني .(632)

وقال رسول الله ﷺ

لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه (633).

قال الإمام الترمذي رضي الله عنه حدثنا يحيى بن حبيب بن عربي حدثنا موسى بن إبراهيم بن كثير الأنصاري قال سمعت طلحة بن خراش يقول سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنه يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول لا تمس النار مسلما رآني أو رأى من رآني قال طلحة فقد رأيت جابر بن عبد الله وقال موسى وقد رأيت طلحة قال يحيى وقال لي موسى وقد رأيتني ونحن نرجو الله .** (634)

---

(631) رواه مسلم . (ثم يتخلف) هكذا هو في معظم النسخ يتخلف وفي بعضها يخلف وكلاهما صحيح أي يجئ بعدهم خلف والمراد خلف سوء قال أهل اللغة الخلف ما صار عوضا عن غيره ويستعمل فيمن خلف بخير أو بشر لكن يقال في الخير بفتح اللام وإسكانها لغتان الفتح أشهر وأجود وفي الشر بإسكانها عند الجمهور وحكى أيضا فتحها .

(632) صحيح رواه ابن أبي عاصم في السنة و تمام بن محمد الرازي في الفوائد . (633) رواه البخاري ومسلم . (634) حديث حسن رواه الترمذي وابن ابي عاصم . قال الحكيم الترمذي وروى علي بن المديني وغير واحد من أهل الحديث عن موسى هذا الحديث . ** ليس معنى خيرية الصحابة والقرون الأولى نفي الخيرية عن غيرهم لأنه من عمل بمثل عملهم وجاهد بمثل جهادهم أثابه الله وهداه فلكل من الفريقين فضله وإن كان فضل الصحابة في الإيمان بالنبي مع رؤيته ففضل المؤمنين بالإيمان بالنبي ﷺ مع غيابهم عن رؤيته فليس معنى عظم الفضل

وقطع النابلسي وابن حزم وغيرهما بأن الصحابة كلهم قطعا من أهل الجنة بشرط البقاء على الإسلام وانتفاء الردة . ومن شاء المزيد فلينظر كتاب لمعان الأنوار في المقطوع لهم بالجنة والمقطوع لهم بالنار للنابلسي رحمه الله .

قال الإمام أبو زرعة – رحمه الله – (إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله – ﷺ – فاعلم أنه زنديق ، وذلك أن الرسول – ﷺ – عندنا حق والقرآن حق ، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله – ﷺ – وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة والجرح بهم أولى وهم زنادقة) . (635)

قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – في فتح الباري (34/7) قد سبق بيان الاختلاف في أي الرجلين أفضل بعد أبي بكر وعمر : عثمان أو علي وأن الإجماع انعقد بآخره بين أهل السنة أن ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة رضي الله عنهم أجمعين .

فخيار الصحابة العشرة المبشرون بالجنة كما قيل

خيار عباد الله بعد نبيهم هم العشر طُرّاً بشروا بجنان

زبير وطلح وابن عوف وعامر وسعدان والصهران والختنان**

فخيار الصحابة بعد العشرة هم المهاجرون الأوائل ثم أهل العقبة ثم أهل بدر ثم أهل المشاهد كلها مشهدا مشهدا فأهل كل مشهد أفضل من أهل المشهد الذي بعده ثم أهل بيعة الرضوان ثم مسلمة الفتح ثم من اسلم بعد ذلك والله أعلم .

للصحابة نفي الأجر والخير عن غير الصحابة ولكل درجات مما عملوا وفي هذا يقول رسول الله ﷺ

طوبى لمن رآني وآمن بي وطوبى – قالها سبع مرات ﷺ – لمن آمن بي ولم يرني . حسن رواه الطبراني وأحمد وغيرهما . وقال أحد السلف أيظن أصحاب محمد أنهم قد استأثروا بمحمد وحدهم فو الله لنزاحمنهم عليه حتى يعلموا أنهم قد خلفوا من بعدهم رجالا .

(635) رواه الخطيب في الكفاية (ص97) وابن عساكر في تاريخه (32/38) .

** (طُرّاً)أي جَميعاً . (عامر) هو أبو عبيدة ابن الجراح . (طلح) طلحة بن عبيد الله . (بن عوف) عبد الرحمن بن عوف . (سعدان) سعد بن ابي وقاص وسعيد بن زيد . (الصهران) أبو

وقد روى الحافظ ابن عساكر من طريق عبدالله بن صالح قال حدثني خالد بن حميد عن أبي صخر حميد بن زياد قال : قلت لمحمد بن كعب القرظي . (*)

يوماً ألا تخبرني عن أصحاب رسول الله – ﷺ – فيما كان من رأيهم ، وإنما أريد الفتن فقال : إن الله قد غفر لجميع أصحاب رسول الله – ﷺ – وأوجب الله لهم الجنة في كتابه محسنهم ومسيئهم .قلت : في أي موضع أوجب الله لهم الجنة في كتابه ؟ فقال : سبحان الله ! تقرأ قوله

{ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ

(100 التوبة).

فأوجب الله لجميع أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – الجنة والرضوان ، وشرط على التابعين شرطاً لم يشرطه عليهم ، قلت : وما اشترط عليهم ، قال اشترط عليهم أن يتبعوهم بإحسان ، يقول : بأعمالهم الحسنة ولا يقتدون بهم في غير ذلك ، قال أبو صخر : فوالله لكأني لم أقرأها قط وما عرفت تفسيرها حتى قرأها عليَّ محمد بن كعب] .(1)

وقد قيل : إن محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم روي عن أبيه : أن نفرا من أهل العراق جاءوا إليه فسبوا أبا بكر وعمر – رضي الله عنهما – ثم عثمان – رضي الله عنه – فأكثروا فقال لهم : أمن المهاجرين الأولين أنتم ؟

بكر وعمر (الختنان) عثمان وعلي . رضي الله عن الجميع . (*) (محمد بن كعب القرظي مدني تابعي ثقة كذا قال العجلي . وقال الذهبي في الكاشف ثقة حجة قال أبو داود سمع من علي وابن مسعود توفي 108 وقيل 116).

(3) رواه ابن عساكر في التاريخ .

(يقصد الذين قال الله ﷻ فيهم لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ (8الحشر).)

قالوا : لا

فقال أفمن الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم ؟

(يقصد الذين قال الله سبحانه فيهم وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (9الحشر).)

فقالوا : لا فقال قد تبرأتم من هذين الفريقين ! أنا أشهد أنكم لستم من الذين قال الله عز وجل

وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنْۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (10الحشر).

قوموا فعل الله بكم وفعل ! ! ذكره النحاس .

ولهذا يحرم الخوض فيما دار بين أصحاب رسول الله ﷺ في أحداث الفتنة لا على سبيل السرد التاريخي الصحيح وأما على سبيل التنقص فلا يحل لمسلم أن يصنع هذا وإنما هذا من

أفعال المنافقين والروافض ولهذا قال علماء السلف :

فتنة عصم الله منها سيوفنا فلا نلوث بها ألسنتنا .

وقال بشر بن الحارث : من شتم أصحاب رسول الله – ﷺ – فهو كافر وإن صام وصلى وزعم أنه من المسلمين (2)) وقال الأوزاعي : (من شتم أبا بكر الصديق – رضي الله عنه – فقد ارتد عن دينه وأباح دمه (3)) .

وقال المروزي : سألت أبا عبدالله – يعني الإمام أحمد – : عمن شتم أبا بكر وعمر وعثمان وعائشة –رضي الله عنهم – فقال : ما أراه على الإسلام (4) .

وقال أبو طالب للإمام أحمد : الرجل يشتم عثمان ؟ فأخبروني أن رجلاً تكلم فيه فقال :

" هذه زندقة " . (636)

لكن طوائف كثيرة من الرافضة ينكرون خلافة أبي بكر وعمر وعثمان ليس هذا فحسب بل يكفرونهم رضوان الله عليهم وأسأل الله أن يرشدهم إلى الحق وصدق من قال

حب النبي رسول الله مفترض … وحب أصحابة نور ببرهان
من كان يعلم أن الله خالقه … لا يرمين أبا بكر ببهتان
ولا أبا حفص الفاروق صاحبه … ولا الخليفة عثمان بن عفان
أما علي فمشهور فضائله … والبيت لا يستوي إلا بأركان

*زعم طوائف كثيرة من الرافضة وتبعهم في ذلك بعض الصوفية الباطنية أن النبي خص علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعلم من دون الصحابة جميعا واتخذت الرافضة هذا الزعم سبيلا للطعن في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين وأما الصوفية فقد اتخذوا هذا الكلام الباطل ذريعة لنشر طلاسمهم وهرطقاتهم التي لا معنى لها إلا أن تكون طرقا للتعامل مع الجن . وهو كلام معلول مردود والأدلة على بطلانه كثيرة وأكتفي بهذا الأثر الصحيح الصريح

---

(2) الشرح والإبانة للإمام ابن بطة ص (162) . (2) المرجع السابق . (2) المرجع السابق .

(636) رواه الخلال (493/3) بسند صحيح . وللمزيد راجع الإستنفار للشيخ العلوان عفا الله عنه .

عن أبي الطفيل ﷺ قال :
سئل عليّ أخصكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء ؟ فقال ما خصنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم بشيء لم يعم به الناس كافة إلا ما كان في قراب سيفي هذا قال فأخرج صحيفة مكتوب فيها (لعن الله من ذبح لغير الله ولعن الله من سرق منار الأرض ولعن الله من لعن والده ولعن الله من آوى محدثا) .(أ)

4- من أنكر معلوما من الدين بالضرورة .

كإنكار صلاحية شرع الله لكل مكان وزمان أو الصلاة أو عصمة الأنبياء إلى آخره . فمثلا من أنكر وجوب الزكاة فهو كافر مرتد يجب على ولي الأمر قتله كما قال رسول الله ﷺ من بدل دينه فاقتلوه .(637)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال

لما توفي رسول الله ﷺ وكان أبو بكر رضي الله عنه وكفر من كفر من العرب فقال عمر رضي الله عنه كيف تقاتل الناس ؟ وقد قال رسول الله ﷺ (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله) . فقال والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها . قال عمر رضي الله عنه فوالله ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبي بكر رضي الله عنه فعرفت أنه الحق .(638)

5- من استحل حراما أو حرم حلالا وخرق إجماع المسلمين .

.(أ) رواه مسلم . *(قراب سيفي) هو وعاء من جلد ألطف من الجراب يدخل فيه السيف بغمده وما خف من الآلة . (منار الأرض) أي علاماتها وحدودها . (637) رواه البخاري . (638) رواه البخاري ومسلم . (عناقا) الأنثى من ولد المعز التي لم تبلغ سنة . (شرح الله صدر أبي بكر) لقتالهم . (فعرفت أنه الحق) بما ظهر من الدليل الذي أقامه أبو بكر رضي الله عنه .

وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا (115النساء).

قال القرطبي قال العلماء في قوله تعالى :

{ ومن يشاقق الرسول } دليل على صحة القول بالإجماع .

وقال ابن مسعود ﷺ (إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد – صلى الله عليه وسلم – خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب الصحابة خير قلوب العباد فجعلهم الله وزراء نبيه ﷺ يقاتلون على دينه فما رأى المسلمون حسنا فهو عند الله حسن وما رأوا سيئا فهو عند الله سيئ) . (639)

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال جاء ثلاث رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا أين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال أحدهم أما أنا فإني أصلي الليل أبدا وقال آخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال آخر أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا فجاء رسول الله ﷺ فقال(أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله أتي لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني .(640)

ونسب للشافعي رحمه الله أنه قال أجمع المسلمون على أن من استبابت له سنة رسول الله ﷺ – لم يكن له أن يدعه لقول أحد من الناس . ذكره ابن القيم في إعلام الموقعين .

قال الطحاوي ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله كذا قال الأشعري .

6– من أتى حائضا أو امرأة في دبرها أو كاهنا .

---

(639) أثر حسن رواه الإمام أحمد. (640) رواه البخاري ومسلم . (فمن رغب عن سنتي فليس مني) معناه من تركها إعراضا عنها غير معتقد لها على ما هي عليه . (641) صحيح رواه ابن ماجة وأحمد والدارمي وغيره . (642) صحيح رواه أبو يعلى والبيهقي وغيرهما .

وقال رسول الله ﷺ : (من أتى حائضا أو امرأة في دبرها أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد) (641)

ويحمل هذا الحديث على من استحل إتيان المرأة الحائض أو إتيان المرأة في دبرها .

من أتى العرافين أو السحرة أوالكهان وصدقهم

قال رسول الله ﷺ من أتى عرافا أو ساحرا أو كاهنا فسأله فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم . (642)

ولا شك في كفر السحرة والكهنة أدعياء علم الغيب

قال الله سبحانه وتعالى ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ (البقرة102).

وقال الله سبحانه وتعالى عن السحرة ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة103). فدل على كفرهم كما قال ابن كثير .

ويدخل في هذا الحكم المنجمون والرمالون والمشتغلون بعلم الجفر ومن يدعي الكشف المطلق الذي لا يخطئ .

وقال رسول الله ﷺ من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر . (643)

7- القول على الله بغير علم .

وهو من أكبر الذنوب لأن الله سبحانه وتعالى لما عدد المعاصي ذكرها تصاعديا فقال عز وجل ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف33).

---

(643)حسن رواه أبو داود وابن ماجة وغيرهما . (من اقتبس) تعلم . (شعبة) أي قطعة . والمقصود ما يتعلم من النجوم لادعاء معرفة الغيب وليس المقصود من علم النجوم أبعادها ومنازلها ومداراتها ونحو ذلك بما يعرف بالآت الرصد ونحوها وهو ما يعرف بعلم الفلك فهذا علم له أصوله وقواعده ووسائله .

8- من افترى على الله الكذب أو كذب بآياته .

قال الله ﷻ

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ (68العنكبوت).

والتكذيب نوعان النوع الأول : تكذيب جحود وهو التكذيب الصريح بآيات الله عز وجل .

قال الله ﷻ

وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَـٰفِرُونَ (47العنكبوت).

التكذيب بالقرآن شيء غريب ولكن الأغرب أن كثيرا من المكذبين بالقرآن يجعلون التكذيب

بآيات الله ﷻ مصدر رزقهم وسبيل كسبهم ولقد فضحهم الله ﷻ في القرآن فقال وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ (82 الواقعة). كذا قال العلامة جميل غازي رحمه الله .

الثاني : تكذيب ترك وهو التكذيب الخفي وهو ترك العمل بآيات الله وإن كان العبد حافظا لها

عالما بها كما قال الله ﷻ

مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ (5الجمعة).

وما أكثر الذين يرفضون القرآن يقيمون حروفه ويضيعون حدوده كما

قال ابن عمر رضي الله عنهما :

(أ) صحيح رواه الطبراني والحاكم وغيرهما . (الدقل : هو رديء التمر) .

لقد عشت برهة من دهر وإن أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن وتنزل السورة على محمد صلى الله عليه وسلم فيتعلم حلالها وحرامها وما ينبغي أن يقف عنده منها كما تعلمون أنتم القرآن ثم لقد رأيت رجالا يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمته ما يدري ما آمره ولا زاجره وما ينبغي أن يقف عنده منه وينثره الدقل . (أ)

وقال الله ﷻ

وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ * وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ * سَآءَ مَثَلًا ٱلۡقَوۡمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمۡ كَانُواْ يَظۡلِمُونَ (175:177الاعراف).

فمن جعل القرآن أمامه قاده الى الجنة ومن جعله خلفه ساقه الى النار وتلك سنة الله في خلقه

فعن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه أنه جمع الذين قرؤوا القرآن فاذا هم قريب من ثلثمائة فعظم القرآن وقال رضي الله عنه :

إن هذا القرآن كائن لكم أجرا وكائن عليكم وزرا فاتبعوا القرآن ولا يتبعنكم القرآن فانه من
اتبع القرآن هبط به على رياض الجنة ومن تبعه القرآن زخ في قفاه فقذفه في النار . (ب)

(ب) حسن رواه أبو نعيم في الحلية والدارمي وابن أبي شيبة وغيرهم . (زَخَّ في قفاه) أَي دَفَعَه .

(ج) صحيح رواه أحمد وأبو داود وغيرهما . * [المَحَجَّة] وهي جادّة الطريق مَفْعَلة من الحَجّ : القَصْد . والميم زائدة كذا قال ابن الأثير .

ولا شك أن تكذيب السنة هو في الحقيقة تكذيب للقرآن لأن الله أمر باتباع الرسول في القرآن والسنة وحي كما أن القرآن وحي قال رسول الله ﷺ

ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه ألا يوشك رجل ينثني شبعانا على أريكته يقول عليكم بالقرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه . الحديث .

(ج) وصدق الله ورسوله فما أكثر المكذبين بالسنة من المترفين الشباعى طهر الله الأرض من رجسهم .

9- من نسب صفات الربوبية لغير الله ﷻ (كالخلق والرزق والإحياء والإماتة والتدبير والقيومية.إلخ).

قال الله ﷻ

قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ * فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ (31،32يونس).

10- من صرف شيئا مما لا يعبد به إلا الله لغير الله ﷻ .

قال الله ﷻ

بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ * ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ (101الأنعام) .

من حكم بغير ما أنزل الله بعد قيام الحجة وظهور المحجة*

وقال الله ﷻ

وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ (44المائدة).

وهذا إن اعتقد الحاكم أن ما يحكم به أفضل من حكم الله أو مثل حكم الله أو استحل الحكم بغير ما أنزل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ . وسيأتي في الكفر الأصغر من هم الذين يحكمون بغير ما أنزل الله ولكنه كفر أصغر .

11- من فرق بين الرسل فآمن ببعض وكفر ببعض .

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً * أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا (150،151النساء).

12- من اتخذ الكفار أولياء من دون المؤمنين .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡ (51المائدة).

13- من أظهر الإسلام وأبطن الكفر (النفاق الأكبر).

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلاً * وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ (88،89النساء).

14- من ألحد في أسماء الله أو صفاته .

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ (180الأعراف).

قال نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري من شبه الله بخلقه فقد كفر وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه .

وقد كفر علماء السلف من رد صفة ثابتة لله سبحانه وتعالى مهما كانت هذه الصفة كما فعل خالد بن عبدالله القسري أمير واسط عندما نفى الجعد بن درهم صفة الحب والمخالة عن الله تبارك وتعالى.. فقتله خالد بن عبد الله القسري أمام الناس في يوم أضحى قائلاً (أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فإني مضح بالجعد بن درهم لأنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً)، وكذلك أفتى الإمام أحمد بن حنبل بكفر جهم بن صفوان ومن شايعه ممن نفوا صفة العلو عن الله تبارك وتعالى وكتب رسالته المشهورة (الرد على الزنادقة) فسمى الذين نفوا صفة العلو بأنهم زنادقة. وأما الإمام أبوحنيفة رحمه الله فقد كان أشد من هؤلاء جميعاً في تكفير من نفى صفة لله عز وجل. يقول صاحب شرح العقيدة الطحاوية روى شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري في كتابه الفاروق بسنده إلى مطيع البلخي أنه سأل أبا حنيفة عمن قال: لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض؟ فقال: قد كفر لأن الله يقول {الرحمن على العرش استوى} وعرشه فوق سبع سماوات .

15- كراهية بعض ما أنزل الله ﷻ .

قال الله ﷻ

وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ * ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ (8،9محمد).

16- من ابتغى غير الإسلام دينا .

قال الله ﷻ

وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ (85آل عمران).

ولا فرق في هذه الأفعال بين الهازل والجاد والخائف إلا المكره وكلها من أعظم ما يكون خطرا ومن أكثر ما يكون وقوعا فينبغي للمسلم أن يحذرها ويخاف منها على نفسه نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه . كذا قال الشيخ محمد التميمي رحمه الله .

والحمد لله رب العالمين .

الكفر الأصغر

وهو عمل بعض الأعمال تخلو من الاستحلال ومحله اللسان والجوارح لا القلب وهو كالأقوال والأفعال التالية

1- من كفر مسلما .

أيما رجل قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما .(644)

2- إتيان الحائض أو المرأة في دبرها .

قال رسول الله ﷺ

من أتى حائضا أو امرأة في دبرها فقد كفر بما أنزل على محمد .(645)

3- شرب الخمر .

عن بن عمر قال : من شرب الخمر فلم ينتش لم تقبل له صلاة ما دام في جوفه أو عروقه منها شيء وإن مات مات كافرا وإن انتشى لم تقبل له صلاة أربعين ليلة وإن مات فيها مات كافرا . (646)

4- من حلف على ملة غير الإسلام .

قال رسول الله ﷺ

من حلف بملة غير الإسلام كاذبا متعمدا فهو كما قال .(647)

قال بعض الشافعية ظاهر الحديث أنه يحكم عليه بالكفر إذا كان كاذبا والتحقيق التفصيل فإن اعتقد تعظيم ما ذكر كفر وإن قصد حقيقة التعليق فينظر فإن كان أراد أن يكون متصفا بذلك كفر لأن إرادة الكفر كفر وان أراد البعد عن ذلك لم يكفر . قال العيني من اعتقد تعظيم ملة من ملل الكفر فقد كفر حقيقة .

---

(644) رواه البخاري ومسلم . (645) صحيح رواه ابن أبي شيبة والنسائي وغيرهما . (646) صحيح رواه النسائي . (647) رواه البخاري ومسلم . (بملة غير الإسلام) كأن يقول هو يهودي إن فعل كذا وأمثال هذا . (كما قال) أي فيحكم عليه بالذي نسبه لنفسه .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : قال ابن المنذر اختلف فيمن قال أكفر بالله ونحو ذلك إن فعلت ثم فعل فقال بن عباس وأبو هريرة وعطاء وقتادة وجمهور فقهاء الأمصار لا كفارة عليه

ولا يكون كافرا إلا إن أضمر ذلك بقلبه ، وقال الأوزاعي والثوري والحنفية وأحمد وإسحاق هو يمين وعليه الكفارة قال ابن المنذر والأول أصح لقوله من حلف باللات والعزى فليقل لا إله إلا الله ولم يذكر كفارة زاد غيره ولذا قال من حلف بملة غير الإسلام فهو كما قال فأراد التغليظ في ذلك حتى لا يجترئ أحد عليه انتهى .

5- كفر النعمة .

قال الله ﷻ

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ (28،29إبراهيم).

وقال ﷻ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (12 لقمان).

كفر النعمة** له أمثلة كثيرة منها المسلم الذي يقتل نفسه فيقابل نعمة الحياة بالكفر .

وقال رسول الله ﷺ

** سبب كفر النعمة هو كثرة النعم وتكررها مع عدم التفكر فيها فمثلا عندما صنعت الطائرة أحدثت ذهولا في عقول الناس ثم بعد ذلك بعشرات السنين صارت شيئا عاديا لا يثير دهشة ولا يحرك فكرا . فكذلك أيضا طال الأمد على الكافر بالنعمة فصار يستقبلها وكأنها لا شيء بل ويبددها ويسعى في إتلافها ومتى يشعر الإنسان بالنعمة ؟ يشعر بها عند زوالها ورحم الله من قال الصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يدرك قيمته إلا المرضى ولا شك أن أعظم النعم وأكرم المنن هي الإسلام .

(648) رواه البخاري ومسلم . (تردى)أسقط نفسه.(تحسى) شرب وتجرع . (ومن شرب سما فهو يتحساه) السم بضم السين وفتحها وكسرها ثلاث لغات أفصحهن الثالثة وجمعة سمام ومعنى يتحساه يشربه في تمهل ويتجرعه (يجأ) يطعن ويضرب .

من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيه خالدا مخلدا فيها أبدا ومن تحسى سما فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا . (648)

وقد صحت الروايات أن أهل التوحيد يعذبون ثم يخرجون منها ولا يخلدون

فيحمل ذلك على من استحل الانتحار فإنه يصير باستحلاله كافرا والكافر مخلد بلا ريب .

ومن كفر النعمة أيضا ترك الحج مع القدرة كما قال الله سبحانه

وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلاًۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ

(97 آل عمران).

6 – العبد الآبق* من مواليه .

قال رسول الله ﷺ أيما عبد أبق من مواليه فقد كفر حتى يرجع إليهم . وفي رواية فقد برئت منه الذمة وفى رواية إذا ابق العبد لم تقبل له صلاة . (649)

7- الإستسقاء بالأنواء .

عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه أنه قال

صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليلة فلما انصرف أقبل على الناس فقال (هل تدرون ماذا قال ربكم) . قالوا الله ورسوله أعلم قال (أصبح من عبادي مؤمن وكافر فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك

---

*أَبَقَ العبد يَأبَقُ ويأبِقُ إبَاقاً إذا هرب من مواليه . (649) رواه مسلم . (650) رواه البخاري ومسلم .

(إثر سماء) هو إثر وأثر(لفظ مسلم) لغتان يعني بعد هطول مطر . (بنوء) بكوكب من ناء النجم إذا سقط أو طلع . (651) رواه مسلم والبخاري . (حار عليه) باء ورجع وحار بمعنى واحد . (652) رواه مسلم .

مؤمن بي وكافر بالكوكب وأما من قال بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب . (650)

8- نسب الولد لغير أبيه .

قال رسول الله ﷺ

لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ ادَّعَى لِغَيْرِ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُهُ إِلاَّ كَفَرَ وَمَنِ ادَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ فَلَيْسَ مِنَّا وَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ وَمَنْ دَعَا رَجُلاً بِالْكُفْرِ أَوْ قَالَ عَدُوَّ اللَّهِ . وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِلاَّ حَارَ عَلَيْهِ.(651)

9- ترك الصلاة تكاسلا .

قال رسول الله ﷺ

إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة . (652)

10- الطعن في الأنساب والنياحة على الميت .

قال رسول الله ﷺ

اثنتان في الناس هما بهم كفر الطعن في النسب والنياحة على الميت . (653)

وقال رسول الله ﷺ لا إسعاد في الإسلام .(654)

وقال ﷺ: ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعى بدعوى الجاهلية . (655)

11- الحلف بغير الله سبحانه وتعالى .

قال رسول الله ﷺ من حلف بغير الله فقد كفر. (656)

---

(653) رواه مسلم . (654) صحيح رواه احمد وعبد الرزاق وغيرهما .

(إسعاد : هو إسعاد النساء في المناحات . تقوم المرأة فتقوم معها أخرى من جاراتها فتساعدها على النياحة) . (655) رواه البخاري ومسلم . (ليس منا) من أهل سنتنا المهتدي بهدينا . (لطم) اللطم ضرب الوجه بباطن الكف . (الجيوب) جمع جيب وهو فتحة الثوب من أعلاه ليدخل فيه الرأس والمراد شق الثياب عامة . (بدعوى الجاهلية) قال في بكائه ونوحه ما كان يقوله أهل الجاهلية كقولهم يا سندنا وعضدنا وأمثال هذه العبارات . (656) صحيح رواه الحاكم وأبو داود. (657) رواه البخاري ومسلم . (658) رواه البخاري ومسلم . (659) صحيح رواه البيهقي والحاكم .

12- قتال المسلم .

قال رسول الله ﷺ سباب المسلم فسوق وقتاله كفر . (657)

وقال رسول الله ﷺ لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض . (658)

13- الحكم بغير ما أنزل الله عز وجل تأولا أو إكراها أو طلبا للدنيا مع العلم بالحرمة .

قال الله سبحانه وتعالى ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾(44المائدة).

قال بن عباس : إنه ليس بالكفر الذي تذهبون إليه إنه ليس كفرا ينقل عن ملة { ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون } كفر دون كفر . (659)

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجنبنا الكفر كبيره وصغيره أجمعين إنه على على شيء قدير

وصلى اللهم على البشير النذير سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين .

النفاق

النفاق لغة

نافقَ يُنَافق مُنافَقةً ونِفاقا وهو مأخوذ من النَّافِقاء : أحَد جِحَرة اليَرْبوع* إذا طُلِب من واحِدٍ هرَب إلى الآخَر وخرَج منه . وقيل : هو من النَّفَق : وهو السَّرَب الذي يُسْتَتَر فيهِ لِسَتْرِه كُفْرَه .

النفاق اصطلاحا

(نَـافَقَ) الرجـل إذا أظهـر الإسـلام وأضـمر غيـر الإسـلام ومحـلُّ النِّفـاق القلـب . فالمنافق يدخلُ في الإِسلام ثُمَّ يَخْرُجُ منه من غير الوجه الذي دَخَلَ فيه فيلج الإسلام

ببدنه ويخرج منه بقلبه وقد يتردد بين الإسلام والكفر كما يتردد اليربوع على جحره والمنافق يقول خلاف ما يبطن كما قال الله ﷻ

يُخۡفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبۡدُونَ لَكَۖ (154 آل عمران).

وقال ﷻ

يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ (167 آل عمران).

أحب أولا أن أقدم بهذه المقدمة للتحذير من خطورة النفاق

إن النفاق أعظم الأدواء التي بليت بها الأمة قديما وحديثا وكل عدو بخلاف المنافقين يسهل حربه والخلاص منه أما المنافقون فليس الخلاص منهم أمرا هينا كما قال الله ﷻ

وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ (4المنافقون).

لهذا قال رسول الله ﷺ :

إن أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان .(660)

يلقاك يقسم أنه بك واثق   وإذا توارى عنك فهو العقرب

يسقيك من طرف اللسان حلاوة   ويروغ منك كما يروغ الثعلب

و عن زياد بن حدير قال قال لي عمر – بن الخطاب – هل تعرف ما يهدم الإسلام قال قلت لا قال يهدمه زلة العالم وجدال المنافق بالكتاب وحكم الأئمة المضلين (661).

الصحابة يخافون النفاق

---

* اليربوع : قال الدميري في حياة الحيوان اليربوع بفتح الياء المثناة حيوان طويل الرجلين قصير اليدين جدا وله ذنب كذنب الجرذ ويسكن بطن الأرض لتقوم رطوبتها مقام الماء . قال الجاحظ والقزويني اليربوع من نوع الفأر وقيل لجُحْرِها أَربَعَةُ أَبوابٍ.

عن زيد بن وهب رضي الله عنه قال مات رجل من المنافقين فلم يصل عليه حذيفة فقال له عمر أمن القوم هو قال نعم فقال له عمر بالله منهم أنا قال لا ولن أخبر به أحدا بعدك .(662)

وعن مسروق قال دخل عبد الرحمن ﷺ على أم سلمة رضي الله عنها فقالت سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : إن من أصحابي لمن لا يراني بعد أن أموت أبدا قال فخرج عبد الرحمن من عندها مذعورا حتى دخل على عمر فقال له اسمع ما تقول أمك فقام عمر حتى أتاها فدخل عليها فسألها ثم قال أنشدك بالله أمنهم أنا فقالت لا ولن أبرئ بعدك أحدا .(663) وعن جبير بن نفير أنه سمع أبا الدرداء ﷺ وهو في آخر صلاته وقد فرغ من التشهد يتعوذ بالله من النفاق فأكثر من التعوذ منه قال فقال جبير ومالك يا أبا الدرداء أنت والنفاق فقال دعنا عنك فوالله إن الرجل ليتقلب عن دينه في الساعة الواحدة فيخلع منه . (664)

وعن عبد الله بن أبي مليكة ﷺ قال أدركت أدركت ثلاثين من أصحاب رسول الله ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه .(665)

وعن حذيفة بن اليمان ﷺ قال : لتتبعن أمر من كان قبلكم حذو النعل بالنعل لا تخطئون

طريقتهم ولا تخطئكم ولتنقضن عرى الإسلام عروة فعروة ويكون أول نقضها الخشوع حتى لا ترى خاشعا وحتى يقول أقوام : ذهب النفاق من أمة محمد صلى الله عليه وسلم . (666)

إذا كان هذا حال الصحابة ﷺ فكيف بمن دونهم .

.(660) صحيح رواه أحمد والبيهقي وغيرهما .

.(661) صحيح رواه الدارمي . (662) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه بإسناد صحيح على شرط البخاري ومسلم . (663)صحيح رواه أحمد وإسحاق بن راهويه وغيرهما . .(664) صحيح رواه الفريابي . وفي رواية له قال لا يأمن البلاء من يأمن البلاء والله إن الرجل ليفتن في ساعة واحدة فينقلب عن دينه . (665) رواه البخاري في التاريخ الكبير وأبو زرعة في التاريخ وغيرهما .

عن المعلى بن زياد قال سمعت الحسن يحلف بالله الذي لا إله إلا هو ما مضى مؤمن قط ولا بقى إلا وهو من النفاق مشفق ولا مضى منافق قط ولا بقى إلا وهو من النفاق آمن . (667)

و عن جعفر بن حيان قال قيل للحسن إنهم يقولون لا نفاق فقال الحسن لأن أعلم أني بريء من النفاق أحب إلي من طِلاع الأرض ذهبا . (668)

فالنفاق يحبط الأعمال وإن كانت من الأعمال الفاضلة كقراءة القرآن

كما قال رسول الله ﷺ أكثر منافقي أمتي قراؤها . (669)

وعن معاوية الهذلي وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال إن المنافق ليصلي فيكذبه الله عز وجل ويصوم فيكذبه الله عز وجل ويتصدق فيكذبه الله ويجاهد فيكذبه الله ويقاتل فيقتل فيجعل في النار . (670)

أنواع النفاق

النفاق نوعان أكبر وأصغر

الفرق بين النفاق الأصغر والنفاق الأكبر

ا- أن النفاق الأصغر لا يخرج من الملة والنفاق الأكبر يخرج من الملة .

2- أن النفاق الأصغر اختلاف السر والعلانية في الأعمال دون الاعتقاد والنفاق الأكبر اختلاف السر والعلانية في الاعتقاد .

3- أن النفاق الأصغر فقد يصدر من المؤمن وأما النفاق الأكبر لا يصدر من مؤمن .

2- أن النفاق الأصغر لا يخلد صاحبه في النار والنفاق الأكبر يخلد في النار .

---

(666) رواه الآجري . (667) رواه المروزي . (668)صحيح رواه الفريابي .طِلاع أي ملءَ الأرض .(669) صحيح رواه أحمد والطبراني والبيهقي وابن المبارك وتمام الرازي وغيرهم . قال الخطابي لم يرد بهذا أن القراءة نفاق وأن القارىء منافق وإنما أراد أن الرياء في القراء كثير والإخلاص فيهم قليل والرياء من صفة المنافقين قال الله تعالى يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا كذا قال ابن قتيبة وقال والرّياء نفاق إلا أنَّ المنافق يُظْهر غير ما يُسِرّ وذو الرياء يُبْدي للناس خلاف ما يُضْمر .(670) صحيح رواه الفريابي .

النفاق الأكبر

وهو نفاق الاعتقاد أن يظهر العبد الإسلام ويبطن الكفر والعياذ بالله وهذا النوع مخرج من الملة وصاحبه في الدرك الأسفل من النار.

عن حذيفة رضي الله عنه قال المنافقون الذين فيكم اليوم شر من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فقلنا يا أبا عبد الله وكيف ذاك قال إن أولئك كانوا يسرون نفاقهم وإن هؤلاء يعلنون . (671)

فكيف لو نظر حذيفة رضي الله عنه لما يعانيه المسلمون اليوم من المنافقين وفي أيديهم وسائل إعلام وصحف وأقلام يجاهرون بسب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والطعن في دين الله سبحانه وتعالى ولا يعينهم على الجهر بنفاقهم إلا ما هم فيه من الغنى والثراء ولهذا قل أن يكون منافق فقيرا لأن الغنى غالبا يطغي وينسي .

وعن سهل رضي الله عنه قال

مر رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (ما تقولون في هذا) . قالوا حري إن خطب أن ينكح وإن شفع أن يشفع وإن قال أن يسمع . قال ثم سكت فمر رجل من فقراء المسلمين فقال (ما تقولون في هذا) . قالوا حري إن خطب أن لا ينكح وإن شفع أن لا يشفع وإن قال أن لا يسمع . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (هذا خير من ملء الأرض مثل هذا). (672)

لكن ما هي صفات المنافقين الظاهرة والباطنة التي من وقع فيها كان منافقا نفاقا أكبر ؟

إعلم أولا أن المنافق يفضح نفسه كما قيل ما أسر أحد سريرة إلا أبداها الله تعالى على صفحات وجهه وفلتات لسانه فما أسر أحد سريرة إلا ألبسه الله تعالى رداءها إن خيرا فخير

---

(671) صحيح رواه الفريابي . (672) رواه البخاري .

(أشراف الناس) وجهائهم وأغنيائهم . (حري) جدير ولائق . (لا يشفع) لا يلتفت إليه .

وإن شرا فشر .

صفات المنافقين الظاهرة والباطنة (النفاق الأكبر)

1- رفض حكم الله سبحانه وتعالى أوحكم الرسول صلى الله عليه وسلم .

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا (61النساء).

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رجلا من المنافقين يقال له بشر : خاصم يهوديا فدعاه اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق إلى كعب بن الأشرف ثم إنهما احتكما إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقضى لليهودي فلم يرض المنافق وقال : تعال نتحاكم إلى عمر بن الخطاب فقال اليهودي لعمر رضي الله تعالى عنه : قضى لنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يرض بقضائه فقال للمنافق : أكذلك قال : نعم فقال عمر : مكانكما حتى أخرج إليكما فدخل عمر فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب عنق المنافق حتى برد ثم قال : هكذا أقضي لمن لم يرض بقضاء الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم فنزلت وفي بعض الروايات : وقال جبريل عليه السلام إن عمر فرق بين الحق والباطل وسماه النبي صلى الله عليه وسلم الفاروق رضي الله تعالى عنه . (673)

2- ولاء الكفار أو المشركين من دون المؤمنين بغير تأول أوعذر مقبول .

قال الله سبحانه وتعالى

بَشِّرِ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا (138،139النساء) .

---

(673) أخرجه الثعلبي وابن أبي حاتم من طرق وروى الحكيم الترمذي في نوادر الأصول هذه القصة عن مكحول وقال في آخرها فأتى جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن عمر قد قتل الرجل وفرق الله بين الحق والباطل على لسان عمر فسمي الفاروق ورواه أبو إسحاق بن دحيم ورواه ابن أبي حاتم وابن مردوية.

عن علي رضي الله عنه قال بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد بن الأسود قال (انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة ومعها كتاب فخذوه منها) . فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى انتهينا إلى الروضة فإذا نحن بالظعينة فقلنا أخرجي الكتاب فقالت ما معي من كتاب فقلنا لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب فأجرجته من عقاصها فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ (يا حاطب ما هذا) . قال يا رسول الله لا تعجل علي إني كنت أمرأ ملصقا في قريش ولم أكن من أنفسها وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون بها أهليهم وأموالهم فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتي وما فعلت كفرا ولا ارتدادا ولا رضا بالكفر بعد الإسلام فقال رسول الله ﷺ (لقد صدقكم) . قال عمر يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق قال (إنه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) . (674)

3- بغض الرسول ﷺ أو أصحابه أو بغض بعض ما جاء به الرسول ﷺ.

قال الله سبحانه وتعالى

يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ (8المنافقون).

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال

كنا في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار فقال الأنصاري يا للأنصار وقال المهاجري يا للمهاجرين فسمع ذاك رسول الله ﷺ فقال (ما بال

---

(674) رواه البخاري ومسلم . (روضة خاخ) موضع بين مكة والمدينة . (ظعينة) المرأة في الهودج وقيل المرأة عامة واسمها سارة وقيل كنود . (تعادى بنا) تباعد وتجاري . (عقاصها) هو الشعر المضفور . (ملصقا) مضافا إليهم ولست منهم وقيل معناه حليفا ولم يكن من نفس قريش وأقربائهم . (يدا) نعمة ومنة عليهم . (اطلع) نظر إليهم وعلم حالهم وما سيكون منهم .

دعوى جاهلية) . قالوا يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار فقال (دعوها فإنها منتنة) . فسمع بذلك عبد الله بن أبي فقال فعلوها أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقام عمر فقال يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال النبي ﷺ (دعه لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه) . وكانت الأنصار أكثر من المهاجرين حين قدموا المدينة ثم إن المهاجرين كثروا بعد .(675)

وقال رسول الله ﷺ آية المنافق بغض الأنصار وآية المؤمن حب الأنصار . (676)

4- التحول من الإيمان إلى الكفر والتذبذب بينهما .

كما قال الله ﷻ

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (3المنافقون).

وقال الله ﷻ

إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً * مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلاً (142،143النساء).

قال الحكيم الترمذي رضي الله عنه في كتابه الأمثال في القرآن والسنة

مثل المؤمن والكافر والمنافق مثل ثلاثة نفر أتوا نهرا عظيما في مفازة فوقع واحد منهم في النهر فسبح سبحا وخرج ووقع الثاني فكلما كاد ان يصل إلى شط النهر ناداه الثالث الذي لم يدخل بعد في النهر أن يا فلان هلم إلي إلي فإن الطريق مخوف فتهلك ارجع إلي فإني أعلم بطريق آخر يعبر بالسلامة على القنطرة والذي خرج يناديه أن إلي إلي فإن الطريق آمن وعندي من النعيم ما لا يوصف فما زال يذهب إلى هذا وإلى ذاك حتى يغرق في الماء ويهلك .

---

(675) رواه البخاري ومسلم . (676) رواه مسلم .

قال قتادة رحمه الله فالأول الذي عبر مؤمن مخلص والذي لم يعبر بعد كافر والذي دخل منافق يدعوه المسلم من ورائه والكافر يدعوه من خلفه وهو متردد متذبذب حتى يأتيه الموت .

5- الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف .

قال الله ﷻ

ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۗ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ (67التوبة).

6- الإنشغال بالنفس وظن السوء بالله ﷻ .

قال الله ﷻ

وَطَآئِفَةٞ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ (154آل عمران).

7- تكذيب وعد الله أو وعد رسوله ﷺ .

قال الله ﷻ

وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا (12الأحزاب).

8- مجالسة العيابين لدين الله والمستهزئين بآياته .

قال الله ﷻ

وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓۚ إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا (140النساء) .

9- الفرح بهزيمة المسلمين وكراهية نصر الإسلام والمسلمين .

قال الله ﷻ

وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ * إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ (119،120آل عمران).

10- سوء الأدب مع رسول الله ﷺ .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال

بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ من اليمن بذهبية في أديم مقروظ لم تحصل من ترابها قال فقسمها بين أربعة نفر بين عيينة بن بدر وأقرع بن حابس وزيد الخيل والرابع إما علقمة وإما عامر بن الطفيل فقال رجل من أصحابه كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء قال فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال (ألا تأمنونني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحا ومساء) . قال فقام رجل غائر العينين مشرف الوجنتين ناشز الجبهة كث اللحية محلوق الرأس مشمر الإزار فقال يا رسول الله اتق الله قال (ويلك أو لست أحق أهل الأرض أن

---

(677) رواه البخاري ومسلم .

(بذهيبة) تصغير ذهبة وهي قطعة من الذهب . (أديم مقروظ) جلد مدبوغ بالقرظ وهو نبت معروف لديهم . (تحصل) تخلص . (غائر العينين) عيناه داخلتان في محاجرهما لاصقتان بقعر الحدقة .

(مشرف) بارز . (كث) كثير شعرها . (مشمر الإزار) إزاره مرفوع عن كعبه . (أنقب) أفتح وأشق . (مقف) مول ومدبر . (ضئضئ) أصل . (رطبا) سهلا يواظبون على قراءته ويجودونه . (لا يجاوز حناجرهم) جمع حنجرة وهي الحلقوم والمعنى لا يؤثر في قلوبهم فلا يرفع في الأعمال الصالحة ولا يقبل منهم . (يمرقون) يخرجون بسرعة . (الرمية) الصيد المرمي يصيبه السهم فينفذ من ناحية إلى أخرى ويخرج دون أن يعلق به دم لسرعته . (قتل ثمود) أي أستأصلهم بالقتل كما استؤصلت ثمود .

يتقي الله) . قلا ثم ولى الرجل . قال خالد بن الوليد يا رسول الله ألا أضرب عنقه ؟ قال (لا لعله أن يكون يصلي) . فقال خالد وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه قال رسول الله ﷺ (إني لم أومر أن أنقب قلوب الناس ولا أشق بطونهم) . قال ثم نظر إليه وهو مقف فقال (إنه يخرج من ضئضئ هذا قوم يتلون كتاب الله رطبا لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية – وأظنه قال – لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود . (677)

11– التسخط على عطاء الله سبحانه وتعالى .

قال الله سبحانه وتعالى

وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ (التوبة58،59).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال

بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسما أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من بني تميم فقال يا رسول الله اعدل فقال (ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل) . فقال عمر يا رسول الله ائذن لي فيه فأضرب عنقه ؟ فقال (دعه فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى رصافه فما يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى نضيه – وهو قدحه – فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى قذذه فلا يوجد فيه شيء قد سبق الفرث والدم آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تدردر ويخرجون على حين فرقة من الناس .

---

(678) رواه البخاري ومسلم .

(خبت وخسرت) أي أنت الخائب والخاسر إذا ظننت أني لا أعدل لأنك تعتقد نفسك تابعا لمن هذه صفته . (يحقر أحدكم صلاته) يجدها قليلة ويظنها أقل ثوابا وقبولا . (مع صلاتهم) إذا

قال أبو سعيد فأشهد أني سمعت هذا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه فأمر بذلك الرجل فالتمس فأتي به حتى نظرت إليه على نعت النبي صلى الله عليه وسلم الذي نعته . (678)

12- الريبة وأمراض الشبهات تملأ قلوبهم .

قال الله ﷻ

وَٱرۡتَابَتۡ قُلُوبُهُمۡ فَهُمۡ فِي رَيۡبِهِمۡ يَتَرَدَّدُونَ (45 التوبة).

وقال الله ﷻ

فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ (10البقرة).

قال العلامة ابن القيم رضي الله عنه في المنافقين

لبسوا ثياب أهل الإيمان على قلوب أهل الزيغ والخسران والغل والكفران فالظواهر ظواهر الأنصار والبواطن قد تحيزت إلى الكفار فألسنتهم ألسنة المسالمين وقلوبهم قلوب المحاربين ويقولون آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين رأس مالهم الخديعة

قارنها بصلاتهم . (لا يجاوز تراقيهم) لا يتعداها والتراقي جمع ترقوة وهي عظم يصل ما بين ثغرة النحر والعاتق والمراد لا يفقهون معناه ولا تخشع له قلوبهم ولا يؤثر في نفوسهم فلا يعملون بمقتضاه . (يمرقون) يخرجون منه سريعا دون أن يستفيدوا منه . (الرمية) هو الصيد المرمي شبه مروقهم من الدين بمروق السهم الذي يصيب الصيد فيدخل فيه ويخرج منه دون أن يعلق به شيء منه لشدة سرعة خروجه . (نصله) حديدة...

....السهم . (رصافه) هو العصب الذي يلوى فوق مدخل النصل . (قدحه) هو عود السهم قبل أن يوضع له الريش . (قذذه) جمع قذة وهي واحدة الريش الذي يعلق على السهم . (قد سبق الفرث والدم) أي لم يتعلق به شيء منهما لشدة سرعته والفرث ما يجتمع في الكرش مما تأكله ذوات الكروش . (آيتهم) علامتهم . (البضعة) قطعة اللحم . (تدردر) تضطرب وتذهب وتجيء . (حين فرقة) أي زمن افتراق بينهم وفي رواية (على خير فرقة) أي أفضل طائفة . (نعت النبي) أي على وصفه الذي وصفه وحدده .

والمكر وبضاعتهم الكذب والخَتْرُ – الغدر – وعندهم العقل المعيشي أن الفريقين عنهم راضون وهم بينهم آمنون يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون . قد نهكت أمراض الشبهات والشهوات قلوبهم فأهلكتها وغلبت القصود السيئة على إراداتهم ونياتهم فأفسدتها ففسادهم قد ترامى إلى الهلاك فعجز عنه الأطباء العارفون في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون البقره . من علقت مخالب شكوكهم بأديم إيمانه مزقته كل تمزيق ومن تعلق شرر فتنتهم بقلبه ألقاه في عذاب الحريق ومن دخلت شبهات تلبيسهم في مسامعه حال بين قلبه وبين التصديق ففسادهم في الأرض كثير وأكثر الناس عنه غافلون وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا : إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون البقره . المتمسك عندهم بالكتاب والسنة صاحب ظواهر مبخوس حظه من المعقول والدائر مع النصوص عندهم كحمار يحمل أسفارا فهمه في حمل المنقول وبضاعة تاجر الوحي لديهم كاسدة وما هو عندهم بمقبول وأهل الاتباع عندهم سفهاء فهم في خلواتهم ومجالسهم بهم يتطيرون وإذا قيل لهم : آمنوا كما آمن الناس قالوا : أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون . لكل منهم وجهان وجه يلقى به المؤمنين ووجه ينقلب به إلى إخوانه من الملحدين وله لسانان : أحدهما يقبله بظاهره المسلمون والآخر يترجم به عن سره المكنون وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا : آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا : إنا معكم إنما نحن مستهزئون . قد أعرضوا عن الكتاب والسنة استهزاء بأهلهما واستحقارا وأبوا أن ينقادوا لحكم الوحيين فرحا بما عندهم من العلم الذى لا ينفع الاستكثار منه أشرا واستكبارا فتراهم أبدا بالمتمسكين بصريح الوحى يستهزئون الله يستهزىء بهم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون . قاله في مدارج السالكين .

توبة المنافق

إن تاب المنافق إلى الله عز وجل قبل الله توبته كما قال سبحانه

إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا * إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (145،146النساء).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال :

كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ جاء حرملة بن زيد فجلس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله الإيمان ههنا وأشار إلى لسانه والنفاق ههنا وأشار إلى صدره ولا يذكر الله إلا قليلا فسكت عنه النبي صلى الله عليه وسلم فردد ذلك عليه حرملة فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم بطرف لسان حرملة فقال : " اللهم اجعل له لسانا صادقا وقلبا شاكرا وارزقه حبي وحب من يحبني وصير أمره إلى الخير " . فقال حرملة :

يا رسول الله إن لي إخوانا منافقين كنت فيهم رأسا ألا أدلك عليهم ؟ فقال النبي ﷺ :

" من جاءنا كما جئتنا استغفرنا له كما استغفرنا لك ومن أصر على ذنبه فالله أولى به ولا نخرق على أحد سترا ".(ح)

النفاق الأصغر

وهو نفاق العمل وهو أن يبطن العبد خلاف ما يظهر من الأعمال إلا الكفر ولا يخرج هذا النفاق من الملة ولا يخلد صاحبه في النار وإنما سميت هذه الأفعال نفاقا لأنها أشهر صفات المنافقين نفاقا أكبر والنفاق الأصغر خطر عظيم .

عن الأوزاعي قال سمعت بلال بن سعد يقول لا تكن وليا لله عز وجل في العلانية وعدوه في السر . (679)

1- الكذب وخلف الوعد وخيانة الأمانة والغدر والفجور .

(ح) صحيح رواه الطبراني وأبو نعيم . (679) صحيح رواه الفريابي . (680) رواه البخاري ومسلم . (681) رواه البخاري ومسلم . (682) رواه البخاري ومسلم .

قال رسول الله ﷺ

آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان . (680)

وصدق في هؤلاء قول من قال

لا تأملي الخير من قوم إذ وعدوا .... وعودهمْ كّحصاة الملح في بحر

فطالب العون منهم عند شدته .... كطالب الثلج من إبليس في سقر

وقال رسول الله ﷺ

أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا اؤتمن خان وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر . (681)

2- التكاسل عن الصلاة والتخلف عن الجماعات .

قال الله سبحانه وتعالى في صفات المنافقين

وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً

(142النساء).

وقال رسول الله ﷺ : أثقل الصلاة على المنافقين العشاء والفجر . (682)

وعن عبد الله رضي الله عنه قال

من سره أن يلقى الله غدا مسلما فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن فإن الله شرع لنبيكم صلى الله عليه وسلم سنن الهدى وإنهن من سنن الهدى ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة ويرفعه بها درجة ويحط عنه بها سيئة ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف . (683)

3- ترك الجهاد في سبيل الله سبحانه وتعالى وتحديث النفس به .

قال رسول الله ﷺ من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من نفاق (684).

مدح الناس في وجوههم ثم ذمهم بعد التواري عنهم

فعن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر عن أبيه قال أناس لابن عمر إنا ندخل على سلطاننا فنقول لهم خلاف ما نتكلم إذا خرجنا من عندهم قال كنا نعدها نفاقا . (685)

4- البخل .

قال الله ﷻ

أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ (19الأحزاب).

وقد ينوي العبد فعل الخير والصلاح إن رزقه الله ثم يبخل على نفسه ويعاقب بالنفاق الأكبر كما قال الله ﷻ

وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ * فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ (77:75التوبة).

---

(683) رواه مسلم . (يهادى بين رجلين) أي يمسكه رجلان من جانبيه بعضديه يعتمد عليهما .

(684) رواه مسلم . والمراد أن من فعل هذا فقد أشبه المنافقين المتخلفين عن الجهاد في هذا الوصف فإن ترك الجهاد أحد شعب النفاق . كذا قال الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي رحمه الله .

(685) رواه البخاري . (فنقول لهم) نثني عليهم . (نفاقا) شبيها بالنفاق لأنه إظهار خلاف ما في الباطن.

5- الجبن .

قال الله ﷻ يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡ (4المنافقون).

عن أبي أمامة الباهلي قال المنافق الذي إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان وإذا غنم غل وإذا أمر عصى وإذا لقي جبن فمن كن فيه ففيه النفاق كله ومن كان فيه بعضهن ففيه بعض النفاق . (686)

6- كثرة الحلف .

قال الله ﷻ

ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ (16المجادلة).

7- أمراض الشهوات .

قال الله ﷻ

يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا (32الأحزاب).

8- الرياء والمظاهر .

قال الله ﷻ

وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ (38النساء).

9- الإفساد في الأرض .

قال الله ﷻ

وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ * أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ

وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ (11،12البقرة).

10- التردد في فعل الخير .

---

(686) رواه الفريابي بسند صحيح .

قال الله ﷻ

إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ (45التوبة).

ظلمات النفاق

إن الله ﷻ لا يقبل أعمال المنافقين المرتابين الذين حبسوا أنفسهم في سجون الخداع والتمويه فأضروا بأنفسهم ضررا ليس بعده ضرر وهو الخلود في النار والعياذ بالله مع أنهم أتعبوا أنفسهم في الدنيا بالصلاة والصيام والإنفاق كما قال الله ﷻ

وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ (54التوبة).

والعجيب أن أعمال المنافقين – من صلاة وصيام وتلاوة وغيرها– قد تفوق أعمال أبا بكر وعمر رضي الله عنهما لكن لا قبول لأعمالهم ولا وصول لأقدامهم كما سبق في الحديث فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية . (687)

فالمنافقون يقرأون القرآن قال رسول الله ﷺ ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر . (688)

وعن يزيد بن عميرة وكان من أصحاب معاذ بن جبل رضي الله عنه أخبره قال كان لا يجلس مجلسا للذكر حين يجلس إلا قال الله حكم قسط هلك المرتابون فقال معاذ بن جبل يوما إن من ورائكم فتنا يكثر فيها المال ويفتح فيها القرآن حتى يأخذه المؤمن والمنافق والرجل والمرأة والصغير والكبير والعبد والحر فيوشك قائل أن يقول ما للناس لا يتبعوني وقد قرأت القرآن ؟ ما هم بمتبعي حتى أبتدع لهم غيره فإياكم وما ابتدع

---

(687) رواه البخاري ومسلم . (688) رواه البخاري ومسلم .

فإن ما ابتدع ضلالة وأحذركم زيغة الحكيم فإن الشيطان قد يقول كلمة الضلالة على لسان الحكيم وقد يقول المنافق كلمة الحق قال قلت لمعاذ ما يدريني رحمك الله أن الحكيم قد يقول كلمة الضلالة وأن المنافق قد يقول كلمة الحق ؟ قال بلى اجتنب من كلام الحكيم المشتهرات* التي يقال لها ما هذه ولا يثنيك ذلك عنه فإنه لعله أن يراجع وتلق الحق إذا سمعته فإن على الحق نورا . (689)

هكذا المنافقون في الدنيا يقولون كلمة الحق أحيانا ثم يوم القيامة تأتي قاصمة ظهورهم وفاضحة كذبهم حين يقفون يستغيثون وما أشق الجواب والعتاب

يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ *يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ * يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ * فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ (الحديد12:15).

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجنبنا النفاق كبيره وصغيره أجمعين وأن يثبتنا على طريق الإيمان حتى نلقاه وصلى اللهم وسلم وبارك على سيد الخلق أجمعين محمد وآله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين .

---

(689) صحيح رواه أبو داود والبيهقي وغيرهما . * ولفظ البيهقي المشتبهات ولفظ أبي نعيم المستهترات .

الجاهلية

الجاهلية مشتقة من الجهل والجهل سبب كل شر والجهل هو الذي جعل الناس يشركون بربهم وخالقهم ﷻ فيجب على كل مسلم أن يتعرف على الجاهلية ليحذرها كما كان حذيفة رضي الله عنه يقول كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت يا رسول الله إنا كنا في الجاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال (نعم) . قلت وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال نعم وفيه دخن) . قلت وما دخنه ؟ قال (قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر) . قلت فهل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال (نعم دعاة إلى أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها) . قلت يا رسول الله صفهم لنا ؟ فقال (هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا) . قلت فما تأمرني إن أدركني ذلك ؟ قال تلزم جماعة المسلمين وإمامهم قلت فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟ قال (فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك . (690)

وصدق من قال

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ... ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه

---

(690) رواه البخاري ومسلم .(دخن)من الدخان أي ليس خيرا خالصا بل فيه ما يشوبه ويكدره وقيل الدخن الأمور المكروهة .(تعرف منهم وتنكر)أي ترى منهم أشياء موافقة للشرع وأشياء مخالفة له.(جلدتنا)من أنفسنا وقومنا وقيل هم في الظاهر مثلنا ومعنا وفي الباطن مخالفون لنا في أمورهم وشؤونهم وجلدة الشيء ظاهره . (جماعة المسلمين) عامتهم التي تلتزم بالكتاب والسنة .(تعض بأصل شجرة)أي حتى ولو كان الاعتزال بالعض على أصل شجرة والعض هو الأخذ بالأسنان والشد عليها والمراد المبالغة في الاعتزال .

ولقد حرص رسول الله ﷺ على صرف الصحابة عن تصرفات الجاهلية فوحد الله به صفوفهم وجمع به شملهم ليس هذا فحسب بل كما قال دينسون عن الرسول ﷺ في كتابه (الحركات كأساس للحضارة) :

" إن البشرية توشك أن ترجع ثانية إلى ما كانت عليه من الهمجية ، إذ القبائل تتحارب وتتناحر ، ولا قانون ولا نظام وبين مظاهر هذا الفساد الشامل ولد الرجل الذي وحد العالم بأجمعه " .

حرص الصحابة رضي الله عنهم على البراءة من الجاهلية

وعن المعرور قال لقيت أبا ذر بالربدة وعليه حلة وعلى غلامه حله فسألته عن ذلك فقال إني ساببت رجلا فعيرته بأمه فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم

يا أبا ذر أعيرته بأمه إنك امرو فيك جاهلية إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم.(691)

وعن عائشة رضي الله عنها قالت

كان لأبي بكر غلام يخرج له الخراج وكان أبو بكر يأكل من خراجه فجاء يوما بشيء فأكل منه أبو بكر فقال له الغلام تدري ما هذا ؟ فقال أبو بكر وما هو ؟ قال كنت تكهنت لإنسان في الجاهلية وما أحسن الكهانة إلا أني خدعته فلقيني فأعطاني بذلك فهذا الذي أكلت منه فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شيء في بطنه : (خ)

ولقد عمل الصحابة رضي الله عنهم بوصية رسول الله ﷺ في خطبة الوداع التي قال فيها :

ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع ودماء الجاهلية موضوعة وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث كان مسترضعا في بني سعد فقتلته

---

(691) رواه البخاري ومسلم . (خ) (غلام) عبد . (يخرج له خراج) يأتي له بما يكسبه من الخراج وهو ما كان يقرره السيد على عبده من مال يدفعه من كسبه . (الكهانة) هي الإخبار عما سيكون من غير دليل شرعي . (ر) رواه مسلم .

هذيل وربا الجاهلية موضوع وأول ربا أضع ربانا ربا عباس بن عبدالمطلب فإنه موضوع كله . (ر)

وهنا يدور سؤال هل انقضت الجاهلية ؟ الجواب لا فإنه وبكل أسف لا تزال الجاهلية ولا تختلف الجاهلية المعاصرة كثيرا عن حالها الأسبق فترى الجاهليين المحدثين يقطعون الأرحام ويتعاملون بالربا ويتفاخرون بالأحساب ويطعنون في الانساب ويصدقون الكهان والسحرة والمشعوذين ويستسقون بالنجوم ويلطمون الخدود ويشقون الجيوب ويدعون بدعوى الجاهلية ويحلفون بغير الله وليس هذا عجيبا فإن الجاهليين جهلاء ولكن العجيب أن الجاهلية المعاصرة أشد قسوة من الجاهلية الأولى لأن الجاهلي الأول كان يقر بأن الله خالق ورازق ومدبر وإذا اصابه ضر فإنه يفزع إلى الله وحده ويدعوه وحده وأما الجاهلي المعاصر فإنه لا يعترف بوجود الله أصلا بل ويقول بصفاقة وحماقة إننا على استعداد من محاربة القيامة إذا قامت بكل ما أوتينا من قوة كما أعلن ذلك بعض علماء الولايات المتحدة الأمريكية وعقدوا مؤتمرات لمحاربة القيامة ومنعها فما أحمق الجاهلية المعاصرة .

الجاهلي القديم كان يزني ويستتر وأما الجاهلي المعاصر فإنه يزني جهارا نهارا ثم يذيع ما أجرم عبر الأقمار الصناعية . الجاهلي الأول كان له عهد وأما الجاهلي المعاصر فلا عهد له ولا دين له ولا خلق له فهو قلب شيطان في جثمان إنسان ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ولقد تكررت لفظة الجاهلية في القرآن العظيم أربع مرات في أربعة مواضع وكل موضع له موضوعه وسأذكرها لأهميتها وخطورتها.

الموضع الأول (ظن الجاهلية)

قال الله ﷻ

ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغۡشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمۡۖ وَطَآئِفَةٌ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٍۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ يُخۡفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبۡدُونَ لَكَۖ

يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (154آل عمران).

في غزوة أحد كان المؤمنون متعبين من قلة النوم بسبب قتال الكفار فأنزل الله قطعة من الأمان على المؤمنين دون المنافقين فنام المؤمنون وهم يحاربون ويقاتلون وهذه من المعجزات الباهرة التي أدهشت المؤمنين وأخذت بعقولهم فلماذا لم يستفيد المنافقون مما حدث فيغيروا مسارهم ويصلحوا سرائرهم ؟! المقصود أن المنافقين أهمتهم أنفسهم يعني كانوا في فزع وجزع من الخوف يخافون أن يناموا فيقتلوا حال نومهم وبلغ الهم بهم مبلغه وظنوا أن الاسلام مهزوم لا محالة لما عاينوا من جموع الشرك وقوتهم ومنعتهم وضعف المسلمين أمامهم خاصة بعد أن أشيع أن النبي قد قتل كما قال الله ﷻ

{ بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدا }

وهذا شأن أهل الريب والشك إذا حصل أمر من الأمور الفظيعة تحصل لهم هذه الظنون الشنيعة . كذا قال ابن كثير .

وما خرج هؤلاء من بيوتهم لله ﷻ وإنما خرجوا للغنيمة ويقولون أنى لنا النصر وبالتالي لن ننال شيئا من غنائم المشركين فليس لنا رأي لأن المنافقين طلبوا من رسول الله ﷺ أن يقاتل المشركين من المدينة ولا يخرج إليهم عند جبل أحد ولكن الرسول ﷺ استشار أصحابه واستقر الأمر على الخروج فرج فغضب المنافقون وقالوا لا رأي لنا وأسروا أشياء في أنفسهم ولكن الله كشفها فكان مما أخفوه قولهم { لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا } اي لو كان الاختيار إلينا لم نخرج فلم نقتل لكن أخرجنا كرها ونقتل كرها وفي هذا عدوان على رأينا فقال الله ﷻ لهم

---

(692) صحيح رواه ابن حبان وأحمد وغيرهما .

قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ

إن الموت ليس محصورا في مكان محدد فإن الموت قد يأتيكم في السلم أو في الحرب سواء سكنتم البيوت أو الأبراج لا مفر من الموت كما قال الله ﷻ

أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖ (78النساء).

فلو كنتم في بيوتكم وقضى الله عليكم القتل لخرجتم إلى مصارعكم بأمر الله بأي سبب من الأسباب فإن الله إذا أراد شيئا يسر له الأسباب كما قال رسول الله ﷺ

إذا أراد الله قبض عبد بأرض جعل له فيها حاجة . (692)

وصدق من قال : من لم يمت بالسيف مات بغيره ..... تعددت الأسباب والموت واحد

فتأمل تفكير النفاق وفساده كما ذكر الله ﷻ قولهم لبعض المسلمين عند السفر أو القتال

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ (156آل عمران).

أما المؤمن فيختلف اختلافا جذريا عن هذا فالمؤمن يعيش لله وحده ويتزوج لله وحده ويعمل لله وحده ويموت لله وحده ويعلم أن الموت حق والشهادة حياة والمرجع والمصير إلى الله فيرجو منه الشهادة فالله ﷻ يقول

وَلَئِن قُتِلۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوۡ مُتُّمۡ لَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحۡمَةٌ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ * وَلَئِن مُّتُّمۡ أَوۡ قُتِلۡتُمۡ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحۡشَرُونَ (157،158آل عمران).

ثم قال الله ﷻ

{ وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم }

أصحاب الظنون والشكوك الجاهلية يبتليهم الله سبحانه في أنفسهم في مالهم في أزواجهم في أعمالهم ليميز الخبيث من الطيب ويظهر أمر المؤمن من المنافق للناس في الأقوال والأفعال ويمتد أمد هذا الإختبار حتى نهاية العمر وانقضاء الأجل ويتجدد البلاء في كل عام كما قال الله ﷻ

أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ (126التوبة).

وكما قيل [إن المنافق إذا مرض وعوفي مثله في ذلك كمثل البعير لا يدري فيما عقلوه ولا فيما أرسلوه]

ثم قال الله ﷻ { والله عليم بذات الصدور }

فالله يعلم ما في القلوب ويعلم ما تخفيه النفوس قبل أن تنشغل به لكن المنافقون لا يعلمون هذا كما قال الله ﷻ

أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ (78التوبة).

ألم يعلموا أن الله يعلم حديث النفس وحديث الهمس ولا يشغله شأن عن شأن سبحانه وتعالى

إنهم في بون بعيد عن هذه البديهيات التي يعرفها الأطفال ويوقنون بها .

قال عبد الله ابن مسعود كنت مستترا بأستار الكعبة فجاء ثلاثة نفر كثير شحم بطونهم قليل فقه قلوبهم قرشي وختناه ثقفيان ثقفي وختناه قرشيان فتكلموا بكلام لم أفهمه فقال أحدهم أترون أن الله يسمع كلامنا هذا ؟ فقال الآخر إنا إذا رفعنا أصواتنا سمعه وإذا لم نرفع أصواتنا لم يسمعه فقال الآخر إن سمع منه شيئا سمعه كله فقال عبد الله فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله ﷻ (وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم إلى قوله فأصبحتم من الخاسرين) . (693)

---

(693).صحيح رواه الترمذي وأحمد والطبراني وغيرهم.

ولو أيقن المسلم أن الله معه يراه ويسمعه ويعلم خطرات نفسه لأحسن عمله ولخاف التورط فيما حرم الله ﷻ ولهذا كان من دعاء إبراهيم الخليل ﷺ

رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ (38إبراهيم). والله أعلم . والحمد لله رب العالمين .

الموضع الثاني (حكم الجاهلية)

قال الله ﷻ

أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ (50المائدة).

كل حكم يخالف حكم الله هو حكم جاهلي والذين يعرضون عن الحكم بكتاب الله ظانين أن القرآن لا يصلح للحكم وإنما هو آيات تتلى في المساجد والمآتم إنما هم في الحقيقة كافرون بالقرآن لأن القرآن كتاب حكم كما قال الله ﷻ

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ حُكۡمًا عَرَبِيّٗاۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا وَاقٖ (37الرعد).

فالقرآن يحكم ورسول الله ﷺ يحكم كما قال الله ﷻ

إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا (105النساء).

وقال رسول الله ﷺ

لتنتقضن عرى الاسلام عروة عروة فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها فأولهن نقضا : الحكم وآخرهن : الصلاة . (د)

ولكن الجاهليين لم يرضوا بحكم الله ﷻ ،

كانوا لا يجعلون للمرأة ميراثا وإنما يجعلون المرأة نفسها ميراثا يورث لأقرباء الميت

وإذا ولد لأحدهم أنثى ماذا يكون حاله ؟ قال الله ﷻ

وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ (النحل58،59).

فكانوا وئد الأنثى سبيلهم للخلاص منها فكانوا يقتلونها خشية الفقر .

وكان الجاهليون إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد . والله أعلم وقد أطلت الحديث عن حكم الجاهلية في شرط الكفر بالطاغوت والحمد لله رب العالمين .

الموضع الثالث (تبرج الجاهلية)

قال الله ﷻ

وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (الأحزاب33).

إذا كان هذه الأوامر واجبة على نساء النبي فإنها لا شك لسائر النساء أوجب لأن نساء النبي أمهات للمؤمنين فلو خرجن من بيوتهن ما أوقعن مخالفات فضلا عن أنهن كن يعشن في أشرف مجتمع عرفه التاريخ البشري في المدينة الفاضلة التي صورها الفلاسفة . إذاً فلماذا أمرهن الله بهذا ؟ أمرهن الله بالقرار في البيوت حتى يكن قدوة لنساء المؤمنين وبناتهم قد يقول قائل ماذا لو رجت المرأة من بيتها وعملت ؟ أقول له إن أردت الجواب على هذا السؤال فما عليك إلا أن تنظر بعين العقل إلى حال النساء العاملات في شوارعنا وأسواقنا وجامعاتنا وفي كل مجالات حياتنا سترجع بالنتيجة المؤلمة التالية . تدخلت المرأة فيما لا يعنيها فصارت مضيفة وسفيرة

(د) صحيح رواه ابن حبان والطبراني وغيرهما .

وقاضية بل ولا أبالغ حين أقول أن المرأة صارت حاكمة أيضا فإن المرأة حينما أدركت إخفاقها في نوال القوامة في البيت سعت لنوالها خارج البيت فزاحمت الرجال وزادت البطالة وليت المرأة خرجت من بيتها تطلب علما ينفع وإنما وبكل أسف تدخلت المرأة في كل شيء فأفسدت كل شيء حتى الدين تكلمت فيه المرأة – إلا من رحم الله – برأيها فضلت وأضلت وصارت تعطي الأحكام الشرعية بعواطفها اللطيفة الرقيقة .

وأما عن الأطفال المساكين أبناء المرأة العاملة فهم أطفال فاقدين الهوية – وهذا ما أثبتته الإحصائيات – لا يعرفون شيئا عن أي شيء ، كل ما يسعون إليه في حياتهم أن يحصلوا أعلى الشهادات لينالوا أموالا أكثر ولئن سألتهم عن الرسول ﷺ أو زوجاته أو أسباطه أو أصحابه أو غزواته أو جهاده لولوا منك فرارا ولملئلوا منك رعبا . أتدري لماذا ؟ لأن آبائهم عقوهم حين فتحوا لهم أبواب العلم بالفنانين والممثلين ولاعبي الكرة وأغلقوا عنهم باب العلم بالله ورسوله ﷺ ، فتحوا لهم باب العلم باللغة الإنجليزية وغيرها ولم يفتحوا لهم باب العلم بلغة القرآن وكما يقولون من شابه أباه فما ظلم وقد حذر الله من هذا العقوق فقال سبحانه

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ (6التحريم).

وصدق شوقي حين قال

لیس اليتيمُ من انتهى أبوَاهُ من ... هَمِّ الحياةِ وَخَلَّفاهُ ذليلا
فأصابَ بالدنيا الحَكيمةِ منهما ... وبحُسْنِ تربيةِ الزمان بَديلا
إن اليتيمَ هو الذي تَلقَى لـه ... أماً تخلَتْ أو أباً مَشْغولا

وتأملي أيتها المرأة قول رسول الله ﷺ

كلكم راع فمسؤول عن رعيته فالأمير الذي على الناس راع وهو مسؤول عنهم والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم .

فإذا كان الرجل يحمل مسؤلية الزوج والولد فإن المرأة تماثله في المسئولية بل إن مسئوليتها أكبر من زوجها لأنها هي التي ترعى الزوج الذي يكد ويسعى في الحياة وهي التي تربي الأولاد عند غياب الزوج فالمرأة مسئوليتها أكبر وأعظم ولهذا صدق من قال إن المرأة نصف المجتمع وتلد النصف الآخر . فلا تغتري يا فتاة الإسلام بما يزخرفه لك الغرب والمستغربون فإنه لا يأتي شيء من الغرب يسر القلب وعودي إلى بيتك ففيه تتالين الجنات والدرجات .

قال رسول الله ﷺ

المرأة عورة وإنها إذا خرجت استشرفها الشيطان وإنها أقرب ما تكون إلى الله وهي في قعر بيتها . (695)

وأما عن النساء اللائي يخالفن هذا الكلام فلا خير فيهن وإنما هن شر يؤذي الزوج كما قال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه النساء ثلاثة امرأة هينة لينة عفيفة مسلمة ودود ولود تعين أهلها على الدهر ولا تعين الدهر على أهلها وقل ما يجدها ، ثانية امرأة عفيفة مسلمة إنما هي وعاء للولد ليس عندها غير ذلك ، ثالثة غل قمل يجعلها الله في عنق من يشاء ولا ينزعها غيره . (696)

وقال رسول الله ﷺ

صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها وصلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها . (697)

ولكن يجوز للمرأة الخروج للمسجد إذا التزمت الآداب الشرعية كما قال رسول الله ﷺ

---

(694)رواه البخاري ومسلم . (695) صحيح رواه الطبراني وابن حبان . (استشرفها) أي زينها في نظر الرجال وقيل أي نظر إليها ليغويها ويغوى بها . (696)صحيح رواه ابن أبي شيبة وابن أبي الدنيا . (697) صحيح رواه ابو داود وابن خزيمة وغيرهما . (صلاة المرأة في بيتها) أي الداخلاني لكمال سترها (أفضل من صلاتها في حجرتها) أي صحن الدار (وصلاتها في مخدعها) البيت الصغير الذي يكون داخل البيت الكبير يحفظ فيه الأمتعة النفيسة من الخدع وهو إخفاء الشيء أي في خزانتها أفضل من صلاتها في بيتها لأن مبنى أمرها على التستر .

لا تمنعوا إماء الله مساجد الله وليخرجن تَفِلاَت . (698)

فإذا كان النبي ﷺ قال في شأن الصلاة عمود الإسلام فما بالك بالخروج في أعمال الدنيا التي لا تدرك فضل الصلاة .

وقال رسول الله ﷺ

إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحصنت فرجها وأطاعت بعلها دخلت من أي أبواب الجنة شاءت . (699)

وقال اثنان لا تجاوز صلاتهما رؤوسهما عبد ابق من مواليه حتى يرجع اليهم وامرأة عصت زوجها حتى ترجع .(700)

فالبيت هو الأولوية التي أمر رسول الله ﷺ بها فإن قامت المرأة بهذه الواجبات كلها ولم تقصر فيها ، ثم بعد ذلك لو وجدت في نفسها قدرة وكانت الظروف مهيأة فلها أن تتعلم العلوم فلا مانع أن تختار لنفسها مهنة التدريس ، سواء في المدارس النسائية ، أو في بيتها .

وللمرأة أن تتعلم الطب والتمريض ولاسيما في الأمراض النسائية ، فتكون طبيبة نسائية ، أو ممرضة نسائية ، حتى لا تضطر النساء للذهاب إلى الأطباء الرجال .**

ثم يقول الله سبحانه

وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ

و التَّبَرُجُ إِظهارُ المرأة زينتها ومحاسنها للرجال الأجانب فالمرأة المتبرجة تظهر ما أوجب الله ستره فتبديه وإِنما قيل للبُروج بُروج لظهورها وبيانها وارتفاعها .

تأمل معي ننظر كيف كانت الجاهلية الأولى .

---

(698) حسن رواه ابن حبان وأحمد وغيرهما . تَفِلاَت أي تاركات للطّيب . (699)صحيح رواه ابن حبان والطبراني وغيرهما . (700) صحيح رواه الطبراني والحاكم . ** كذا قال العلامة بن عثيمين بتصرف .

كانت المرأة تخرج من بيتها تظهر شعر رأسها وبعضا من صدرها وقيل : إِنَّهُنَّ كُنَّ يَتَكَسَّرْنَ في مَشْيِهِنّ ويَتَبَخْتَرْن .

إذا كان هذا هو حال الجاهلية الاولى فما بالنا بالجاهلية الثانية التي نعيشها اليوم وهي أشرس وأبشع من الجاهلية الاولى فالمرأة اليوم تخرج من البيت سافرة عن محاسنها فتراها تظهر كل

ما يغري ويجذب الرجال حولها لماذا لأنها خدعت كما قال شوقي رحمه الله

خدعوها بقولهم حسناء   والغواني يغرهن الثناء

وليس هذا فحسب بل وتواصل المرأة المحادة لله ورسوله ﷺ فتغير في خلق الله فتتمص حواجبها وتفلج أسنانها وتضع عدستين في عينيها وتصل شعرها إن احتاجت إلى ذلك بل ولا أبالغ حين أقول إنها تصنع تعديلات في جسدها لتظهر أمام الناس فاتنة الزمان ولقد صدقت نبوءة رسول الله ﷺ في هؤلاء النسوة حين قال

صنفان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا . (701)

وهكذا تحولت المرأة من راعية لزوجها إلى فريسة للذئاب العاوية من واضعي الموضة في هوليود وغيرها وصارت منظرا جماليا يزين شوارع المدن يلفت انتباه الغادين والرائحين وبحمد الله الذي لا يحمد على مكروه سواه تحولت شوارعنا وجامعاتنا إلى صالات مفتوحة لعروض الأزياء تتسابق فيها كل امرأة لتفوز على قريناتها بالسبق في الموديلات الجديدة وهي تقلد كالقردة فهذا كل همها وغاية سعيها

.(701) رواه مسلم . (كاسيات عاريات) قيل معناه تستر بعض بدنها وتكشف بعضه إظهارا لجمالها ونحوه وقيل معناه تلبس ثوبا رقيقا يصف لون بدنها. (مميلات) قيل يعلمن غيرهن الميل وقيل مميلات لأكتافهن . (مائلات) أي يمشين متبخترات وقيل مائلات يمشين المشية المائلة وهي مشية البغايا ومميلات يمشين غيرهن تلك المشية . (البخت) هي الإبل الخراسانية .والمراد بالتشبيه بأسنمة البخت إنما هو لارتفاع الغدائر فوق رؤوسهن وجمع عقائصها هناك وتكثرها بما يضفرنه حتى تميل إلى ناحية من جوانب الرأس كما يميل السنام .

وهكذا شغلت الموضة المرأة وأهْلَكَها الأصْفَرَانِ الذهبُ والزعفرانُ فما علمت علة الخلق وسبب الحياة وليتها فكرت في أنها حتما ستموت وسيدخل هذا الجسد الجميل إلى التراب حيث الظلمة والدود والثواب أو العقاب ثم تحشر في أرض المحشر بغير أزياء حافية عارية لا ينفعها إلا ما قدمت ولا يغني عنها ما أسلفت ولو فكرت لراجعت حساباتها .

ثم يقول الله ﷻ

وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ

لماذا أردف الله ﷻ الأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة بعد النهي عن التبرج لأنه لا صلاة لمتبرجة ولا زكاة . كذا قال العلامة محمد جميل غازي . والله أعلم .

فإن تابت المرأة تاب الله عليها وأذهب عنها كل رجس – الرجس هنا هو أسباب الذنوب – وطهرها تطهيرا فتكون بذلك شريكة لنساء النبي في الطهارة والنقاء كما قال الله ﷻ في آخر الآية إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (33الأحزاب).

أسأل الله ﷻ أن يذهب الرجس عن جميع نساء المسلمين ويطهرهن تطهيرا إن ربي سميع قريب مجيب . والله أعلم والحمد لله رب العالمين .

الموضع الرابع (حمية الجاهلية)

قال الله ﷻ

إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا (26الفتح).

---

(702) رواه البخاري . (ويقاتل حمية) أي لمن يقاتل لأجله من أهل أو عشيرة أو صاحب .

الحَمِيَّة وهي الأَنَفَة والغَيْرة لغير الحق . وحمية الجاهلية مذمومة في كل فعل ولو كانت في القتال ولهذا لما جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال الرجل يقاتل حمية ويقاتل شجاعة ويقاتل رياء فأي ذلك في سبيل الله ؟ قال له رسول الله ﷺ

(من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله) .(702)

المؤمن لا يغضب إلا لله ولا يغار إلا لله ولا يحرك ساكنا أو يسكن متحركا إلا بأمر الله ﷻ وبهذا يكون مسلما حقا فالإسلام له القدرة أن يحول العبد من حبيب قريب لأبيه إلى عدو لدود . لماذا لأن أباه كفر بالله ﷻ ومحبة المسلم لربه تفوق كل محبة فمحبة المخلوقين تفنى ومحبة الله تبقى .

وأما الكافر فإن موازين الغضب والغيرة عنده مختلة ومعتلة فتجد زوجته تظهر زينتها وتخاطب الرجال بخضوع بل وتصاحب رجالا والكافر لا يعبأ بذلك ولا يغضب له أبدا بل قد يكون فرحا سعيدا ومن جهة أخرى إذا دعي الكافر إلى الإسلام وإلى معرفة الحق تجده يغضب جدا وينفعل انفعالا لا نظير له إذا سمع كلام الله ﷻ أو كلام رسوله ﷺ ولهذا مثال عند الجاهليين القدامى .

ففي شهر ذي القعدة من العام السادس الهجري رآى رسول الله ﷺ رؤيا تقول بأنهم سيدخلون المسجد الحرام بمكة وإذا رآى رسول الله ﷺ رؤيا فلا بد أن تقع مثل فلق الصبح ولهذا وعد رسول الله المسلمين بما رآى وخرج النبي ﷺ ومعه أكثر من ألف من أصحابه للعمرة وفي الطريق إلى الحديبية – مكان قرب مكة – قال رسول الله ﷺ (والذي نفسي بيده لا يسألونني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها) .

ثم جاء بديل بن ورقاء الخزاعي فأخبر رسول الله ﷺ بأن مجموعة من المشركين مقاتلوه وصادوه عن البيت فقال رسول الله ﷺ

(إنا لم نجئ لقتال أحد ولكنا جئنا معتمرين وإن قريشا قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم فإن شاؤوا ماددتهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس فإن أظهر فإن شاؤوا أن يدخلوا فيما

دخل فيه الناس فعلوا وإلا فقد جموا وإن هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي ولينفذن الله أمره). فقال بديل سأبلغهم ما تقول فانطلق فأبلغهم فأرسل المشركون عروة بن مسعود فرأى تعظيم الصحابة لرسول الله ﷺ ثم رجع عروة إلى أصحابه فقال أي قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي والله إن رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم محمدا

واستمرت المفاوضات مع رسول الله ﷺ حتى جاء سهيل بن عمرو

فقال النبي صلى الله عليه وسلم (لقد سهل لكم من أمركم) .

فقال هات اكتب بيننا وبينكم كتابا فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الكاتب فقال النبي صلى الله عليه وسلم (بسم الله الرحمن الرحيم) . قال سهيل أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب فقال المسلمون والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبي صلى الله عليه وسلم (اكتب باسمك اللهم) . ثم قال (هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله) . فقال سهيل والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم (والله إني لرسول الله وإن كذبتموني اكتب محمد بن عبد الله) واتفق معهم رسول الله ﷺ على ثلاثة أشياء على من أتاه من المشركين رده إليهم ومن أتاهم من المسلمين لم يردوه وعلى أن يدخلها من قابل – العام القادم – ويقيم يها ثلاثة أيام ولا يدخلها إلا بجلبان السلاح السيف والقوس ونحوه فجاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو مسلما يجر قيوده وكان قد عذب على الإسلام فرده رسول الله ﷺ لأنه جاء بعد عقد الصلح مع قريش .(703)

وتم الصلح بعد هذه الشروط المجحفة .

وفي آخر الصلح أنزل الله تعالى فيما أنزل { إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا }

. وكانت حميتهم أنهم لم يقروا أنه نبي الله ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم وحالوا بينهم وبين البيت .

ثم يقول الله في آخر سورة الفتح ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾

كأن الله ﷻ يقول للرسول ﷺ إن هم أبوا أن يكتبوا في ورقة ضائعة (محمد رسول الله) فأنا أكتبها لك في القرن الكريم الكتاب الذي لا يغسل ولا يمحى الكتاب الذي يتعبد به في المحاريب . كذا قال الشيخ محمد جميل غازي رحمه الله . والحمد لله رب العالمين .

أحاديث وآثار واهية ومكذوبة تسيء إلى عقيدة التوحيد

فشت في حياة المسلمين أقوال عن الغيبيات و عن الله ﷻ تمثل إقتحاما كبيرا لجدار التوحيد

(-) والمأساة الكبرى أن كثيرا من الخطباء يتغنون على المنابر ببعض هذه الأقوال

وقد حذر رسول الله ﷺ من الكذب عليه فقال

من حدث عني بحديث يري أنه كذب فهو أحد الكاذبين .**

قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه :

إذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ حديثا فوالله لأن أخر من السماء أحب إلي من أن أكذب عليه . (ز) وقال طلحة ابن عبيد الله رضي الله عنه وهل تجد أحدا فيه خير يقول على رسول الله ما لم يقل . (س)

ولا شك ان عقوبة الكاذبين على رسول الله معلومة كما قال رسول الله ﷺ

من يقل علي ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار . (ش)

---

(703) رواه البخاري . (جمو) استراحوا من جهد الحرب . (تنفرد سالفتي) ينفصل مقدم عنقي أي حتى أقتل . (ضغطة) مفاجأة وقهرا . (الحمية) الأنفة فمنعوكم من دخول المسجد الحرام (صدوكم) منعوكم .

وقال رسول الله ﷺ

إذا سمعتم الحديث عني تعرفه قلوبكم وتلين له أشعاركم وأبشاركم وترون أنه منكم قريب فأنا أولاكم به وإذا سمعتم الحديث عني تنكره قلوبكم وتنفر أشعاركم وأبشاركم وترون أنه منكم بعيد فأنا أبعدكم منه . (ص)

وهذه طائفة من الأكاذيب التي شاعت وذاعت وأظلت كثيرا عن سواء السبيل .

1- ما وسعتني سمائي ولا أرضي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن .

ذكره في الإحياء بلفظ قال الله لم يسعني سمائي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن اللين الوادع .

قال العراقي والزركشي والسخاوي والسيوطي والألباني وغيرهم لا أصل له .

قال العجلوني موضوع . وقال ابن تيمية هو مذكور في الإسرائيليات (*) وليس له إسناد معروف عن النبي ﷺ. كذا ما ينسبونه للرسول ﷺ أنه قال القلب بيت الرب فهو من الأكاذيب التي لا أصل لها .

قال العجلوني وإلا فمن قال إن الله يحل في قلوب الناس فهو أكفر من النصارى الذين خصوا ذلك بالمسيح وحده وكأنه أشار بما في الإسرائيليات إلى ما أخرجه أحمد في الزهد وعن وهب بن منبه يقول إن الله عز وجل فتح السموات لحزقيل حتى نظر الى العرش أو كما قال فقال حزقيل سبحانك ما أعظمك يا رب فقال الله إن السموات والارض أم تطق أن تحملني وضقن من أن تسعني وسعني قلب المؤمن الوادع اللين .

2- لا تقبحوا الوجه فإن ابن آدم خلق على صورة الرحمن تعالى . (704)

(-) وقد أدرجت مع هذه الأحاديث بعض أحاديث التوسل على اعتبار أن المتوسل يظن أن الرسول ﷺ ينفع ويضر ويجيب المضطر **رواه مسلم . (يري) ضبطناه يري بضم الياء وذكر بعض الأئمة جواز فتح الياء من يرى وهو ظاهر حسن فأما من ضم الياء فمعناه يظن وأما من فتحها فظاهر ومعناه وهو يعلم) (فهو أحد الكاذبين) قال القاضي عياض الرواية فيه عندنا الكاذبين على الجمع . (ز) رواه البخاري ومسلم . (س) صحيح رواه أبو يعلى والترمذي وغيرهما . (ش) رواه البخاري . (ص) صحيح رواه أحمد وابن حبان وغيرهما .

وتأمل ما في الحديث من خطورة التشبيه والتمثيل وأما الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم إذا قاتل أحدكم أخاه فليتجنب الوجه فإن الله خلق آدم على صورته . (705)
وقد أخطأ بعض العلماء فقالوا إن الضمير في صورته يعود على المضروب أو الرحمن وقالوا إن هذين مذهبين لأهل العلم من السلف ولبئس ما قالوا إذ لم يقل أحد من أهل العلم إن الله خلق آدم على صورة الرحمن وإنما قال أبو حاتم ابن حبان رضي الله عنه : يريد به – الضمير في صورته – صورة المضروب لأن الضارب إذا ضرب وجه أخيه المسلم ضرب وجها خلق الله آدم على صورته ، لأن آدم في الصورة تشبه صورة ولده .

كما قال رسول الله ﷺ :
خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعا . (706)
قال الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي الضمير في صورته عائد إلى آدم والمراد أنه خلق في أول نشأته على صورته التي كان عليها في الأرض وتوفي عليها وهي طوله ستون ذراعا ولم ينتقل أطوارا كذريته وكانت صورته في الجنة هي صورته في الأرض لم تتغير .
3- الحجر الأسود يمين الله في الأرض يصافح بها عباده . (707)
وروي الحجر يمين الله فمن مسحه فقد بايع الله أن لا يعصيه . (708)
فانظر كيف يغفل الجهلاء عن التحقيق فيقولون على الله ما لا يعلمون .
4- نوم الظالم عبادة . لا أصل له .

(*)(وسميت هكذا لأنها منقولة عن كتب بني إسرائيل قال العلامة ابن كثير ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للإستشهاد لا للإعتضاد فإنها على ثلاثة أقسام أحدها ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح والثاني ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه والثالث ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل فلا نؤمن به ولا نكذبه وتجوز حكايته . للحديث وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج . رواه البخاري). (704) حديث ضعيف رواه الطبراني والحارث وغيرهما . (705) رواه مسلم .

5- إن من الذنوب ذنوبا لا تكفرها الصلاة ولا الوضوء ولا الحج ولا العمرة قيل فما يكفرها يا رسول الله ﷺ قال الهموم في طلب المعيشة .(709)

فانظر كيف يصرف هذا الكلام الناس عن أركان الإسلام ومنها الحج الذي يرجع الرجل من حجه كيوم ولدته أمه وقال ﷺ

الكفارات المكث في المساجد بعد الصلوات والمشي على الأقدام إلى الجماعات وإسباغ الوضوء في المكاره ومن فعل ذلك عاش بخير ومات بخير وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه. (ض)

6- ولد الزنا لا يدخل الجنة . لا أصل له .

7- عن صفوان بن سليم : أنه قيل لرسول الله ﷺ أيكون المؤمن جبانا ؟ قال : نعم قيل أيكون المؤمن بخيلا ؟ قال : نعم فقيل له أيكون المؤمن كذابا قال لا . (710)

ومعناه غير صحيح إذ الخطيئات الثلاث المذكورة قد يقع المؤمن فيها وإن وقع في الكذب لا يكفر كما سبق في النفاق الأصغر .

---

(706) رواه البخاري ومسلم . (707) موضوع رواه الخطيب وابن عساكر في تاريخيهما . (708) موضوع رواه الديلمي والزرقاني . (709) موضوع رواه ابن عساكر والطبراني وغيرهما . وإسناده عن محمد بن سلام ثنا يحيى بن بكير عن مالك ابن أنس عن محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ . *يحيى بن عبد الله بن بكير ضعفه النسائي في الضعفاء والمتروكين وقال الحافظ ابن حجر : ثقة فى الليث و تكلموا فى سماعه من مالك . وقال البخاري في تاريخه الصغير ما روى بن بكير عن أهل الحجاز في التاريخ فإني أنفيه . قال ابن أبي حاتم عنه يكتب حديثه ولا يحتج به . *محمد بن سلام المصري قال الخطيب روى عن يحيى بن بكير خبرا منكرا ثم ذكر هذا الخبر وقال وكان الحمل فيه على محمد بن سلام الحمراوي البزار وكذا قال الخطيب روى عن يحيى بن بكير خبرا منكر . (ض) صحيح رواه الترمذي وأحمد وغيرهما .

8- عن أبي هريرة قال : قال أعرابي يا رسول الله من يحاسب الخلق يوم القيامة ؟ قال : الله قال : الله ؟ قال : الله قال نجونا و رب الكعبة ! قال : و كيف يا أعرابي ؟ قال : لأن الكريم إذا قدر عفا . (711)

ويستدل به كثير من الجهلة على ترك الأعمال .

9- من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر، لم يزدد من الله إلا بعداً . وفي لفظ: من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر ، فلا صلاة له .

فالإنسان المذنب يخشى أن يصلى ما دامت صلاته تبعده عن الله ولا تنفعه وليس هذا صحيحا بل كلما صلى كلما أنب نفسه وتاب وأناب إلى الله ﷻ .

10- إختلاف أمتي رحمة . موضوع .

ذكره نصر المقدسي والبيهقي ولا يصح له إسناد كما قال المناوي .

وبه يحتج أرباب الطرق والنحل المخالفة لهدي رسول الله ﷺ ويقولون إنه تعدد تنوع لا تعدد تضاد وكذبوا فإنه ما نشأت الصراعات وتفرقت الأمة وتمزقت إلا بسبب الإختلاف والبعد عن القرآن والسنة الصحيحة لرسول الله ﷺ والعجيب أن يضعف أحدهم حديث افتراق الأمة رغم صحته وفي كلامه إيهام بصحة هذا الحديث .

11- تزوجوا ولا تطلقوا، فإن الطلاق يهتز له العرش .(712)

وفيه ما يناقض ما أباحه الله من الطلاق في القرآن عند وجود مصلحة داعية لهذا .

12- فكرة ساعة خير من عبادة ستين سنة. (713)

وكأن غلاة الصوفية لا يخرجون من بيوتهم إلى الجماعات والجمعات إستنادا لهذا الحديث بل ويزعمون أنهم يصلون الصلوات في مكة وأنهم من أهل الخطوة كما قال قائلهم

---

(710) مرسل ضعيف رواه مالك والبيهقي وغيرهما . (711) موضوع رواه البيهقي وابن أبي النجار وغيرهما وفي إسناده محمد بن زكريا الغلابي قال الدارقطني ويحيى يضع الحديث وقال البيهقي الغلابي متروك . قال الذهبي : قال ابن الجنيد: كذب وزور. قال الحافظ العراقي: حديث إسناده لين، قال الألباني : باطل لا يصح من قبل إسناده ولا من جهة متنه.

وفي طندكة* قالوا صلاتي تركتها ولم يعلموا أني أصلي بمكة
أصلي صلاة الخمس بالبيت طائفا مع السادة الأقطاب أهل الطريقة

13- لولاك ما خلقت الدنيا . لا أصل له ويروى أن النبي قال أتاني جبريل فقال يا محمد لولاك ما خلقت الجنة ولولاك لما خلقت النار . (714)

وبهذا الكلام يقول المخرفون ويضربون بكلام الله عرض الحائط ويجعلون من رسول الله ﷺ ندا لله سبحانه وتعالى .

14- السلطان ظل الله في أرضه.(715). **وهذا الكلام من حجج المنافقين مع حكامهم .**

15- من أخلص لله أربعين يوما ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه . (716)

وفي هذا الكلام الغريب إشعار بأن الأخلاص سنة وحد للإخلاص بأيام معدودة مع أن الإخلاص مطلوب في كل لحظة ومع كل عمل .

16- الأبدال في هذه الأمة ثلاثون مثل خليل الرحمن عز وجل كلما مات رجل أبدل الله تعالى مكانه رجلا . (717)

---

(712) موضوع رواه الخطيب وفي إسناده عمرو ابن جميع كذبه يحيى بن معين وقال الدارقطني وجماعة متروك وقال بن عدي كان يتهم بالوضع وقال البخاري منكر الحديث .

(713) موضوع رواه الديلمي وأبو الشيخ وفي إسناده عثمان بن عبد الله القرشي الكذاب وإسحاق بن نجيح الملطي قال الإمام أحمد عنه هو من أكذب الناس قال يحيى بن معين إسحاق بن نجيح الملطي ليس بشيء . وقال البخاري منكر الحديث . * هي طنطا (714)موضوع رواه الديلمي .

(715) موضوع رواه البيهقي وأبو نعيم وغيرهما . (716) موضوع رواه أحمد وأبو نعيم .

وفي أحاديث الأبدال ضلال ووبال يحتج بها الذين يذبحون وينذرون لغير الله والذين يطلبون المدد والنظرة والغوث من غير الله وكفى بذلك شركا .

وأنقل لك كلام هؤلاء بصنه بلا تعليق لتعلم أيهما أفضل الصحابة أم ابن عربي والشعراني .

قال بن عربي مبينا مدة حكم القطب والأعمال المنوطة به فيقول كما نقل الشعراني:

"(فإن قلت) فهل مدة معينة للقطبية إذا وليها صاحبها لا يعزل منها حتى تنقضي؟

(فالجواب) ليس للقطبية مدة معينة فقد يمكث القطب في قطبيته سنة أو أكثر أو أقل إلى يوم إلى ساعة فإنها مقام ثقيل لتحمل صاحبها أعباء الممالك الأرضية كلها ملوكها ورعاياها.

ويقول الشعراني عن شيخه ابن عربي (الذي يسمونه الشيخ الأكبر).

"وقال في الباب الثالث والثمانين وثلاثمائة: اعلم أن بالقطب تحفظ دائرة الوجود كله من عالم السكون والفساد وبالإمامين يحفظ الله تعالى عالم الغيب والشهادة وهو ما أدركه الحس، وبالأوتاد يحفظ الله تعالى الجنوب والشمال والمشرق والمغرب، وبالأبدال يحفظ الله الأقاليم السبعة، وبالقطب يحفظ الله تعالى جميع هؤلاء لأنه هو الذي يدور عليه أمر عالم الكون كله فمن علم هذا الأمر علم كيف يحفظ الله الوجود على عالم الدنيا .

قال الشعراني (فإن قلت) فلم سموا أبدالاً؟

(فالجواب) كما قاله الشيخ (بن عربي) في الباب الثالث والسبعين:

أنهم سموا أبدالاً لأن كل واحد منهم إذا فارق مكانه خلفه فيه شخص على صورته لا يشك الرائي أن ذلك البدل. انتهى بلفظه (اليواقيت والجواهر ج2 ص82).

وبلغ بشيخهم الأكبر بن عربي أن يقول عن نفسه

---

(717) موضوع رواه أحمد والطبراني بعدهم أربعين وهو موضوع أيضا وفي إسناد الطبراني عبد الوهاب بن عطاء الخفاف . قال البخاري والنسائي ليس بالقوي وقال العقيلي في الضعفاء عن أحمد بن حنبل قال عبد الوهاب بن عطاء الخفاف ضعيف الحديث مضطرب .

"لا أعرف في عصري هذا أحداً تحقق بمقام العبودية مثلي وذلك لأنني بلغت في مقام العبودية الغاية بحكم الإرث لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنا العبد المحض الخالص الذي لا يعرف للربوبية على أحد من العالم طمعاً، وقد منحني الله تعالى هذا المقام هبة منه، ولم أنله بعمل وإنما هو اختصاص إلهي" (اليواقيت والجواهر ج1 ص65،66).

ومع كل هذا يجد هؤلاء المخرفون لهم أتباعا زين لهم سوء أعمالهم كما قال الله ﷻ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ (8فاطر).

وفي إسناد أحمد عبد الواحد بن قيس السلمى قال يحيى القطان كان الحسن بن ذكوان يحدث عنه بعجائب . قال النسائي عبد الواحد بن قيس يروي عنه الأوزاعي ليس بالقوي و رتبته عند الذهبي منكر الحديث .....

.....ورواه الطبراني أيضا بهذا المتن

لا يزال أربعون رجلا من أمتي قلوبهم على قلب إبراهيم يدفع الله بهم عن أهل الأرض يقال لهم الأبدال قال رسول الله ﷺ إنهم لم يدركوها بصلاة ولا بصوم ولا صدقة قالوا : يا رسول الله فبم أدركوها ؟ قال : بالسخاء والنصيحة للمسلمين . وفي إسناده روح بن المسيب أبو رجاء الكلبي كما في لسان الميزان .

قال ابن حبان في المجروحين كان روح ممن يروي عن الثقات الموضوعات ويقلب الأسانيد ويرفع الموقوفات وهو أنكر حديثا بن غطيف لا تحل الرواية عنه ولا كتابة حديثه إلا للإختبار . وذكره ابن عدي في الضعفاء كذا كل طرق أحاديث الأبدال مليئة بالوضاعين ولا تخلو من العلل .

قال الشيخ الحويني ولا يصح في ذكر الأبدال حديثٌ مرفوع ، وما ذكره السيوطي والهيثمي وغيرهما من حُسن بعض الأحاديث الواردة ، فتسامح منهما في النقد ، ومن علم قدرهما في النقد لم ينكر هذا التسامح . والله أعلم .

17- **العمل عبادة** . لا أصل له كذا قال العلامة الحويني غفر الله له ا قال ولعل مستند هذا القول هو ما يتداوله العوام من أن رجلاً كان يتعبد فى المسجد ليل نهار وله أخ ينفق عليه ، فرآه النبى صلى الله عليه وسلم فقال له : من ينفق عليك ؟ قال : أخى . قال : أخوك أعبد منك وهذا باطل لا أصل له فى شىء من كتب السنة المعتبرة . أ.هـ.

وعليه يعتمد عباد الدنيا الذين يلهثون وراء المال ويتركون الصلاة لأن العمل أولى حتى بلغت الوقاحة بإحدى هؤلاء المضللات أن قالت الرقص عبادة لأنه عمل .

18- أنتم في زمانٍ من ترك منكم عشر ما أمر به هلك ، وسيأتي زمانٌ من عمل منهم بعشر ما أمر به نجا .(718)

19- أنتم في زمانٍ لو فعلتم فيه عُشر ما أمرتم به هلكتم ، ويأتي زمانٌ لو فَعل فيه الناس عُشر ما أُمروا به نجوا .(719)

وبهذين الحديثين يحتج المفرطون في الصلاة والطاعات وحاشى لله أن يقول رسول الله ﷺ هذا الهراء .

20- كاد الفقر أن يكون كفرًا ، وكاد الحسد أن يغلب القدر . (720)

وفيه مخالفة للنصوص التي تمدح الفقراء وأنهم أتباع الأنبياء وأنهم أكثر أهل الجنة وما بلغوا هذا إلا برضاهم بالفقر ولزومهم للصبر وأما الحسد فليس له هذا السلطان وهذه القوة فإنه يزول بالنفث مع قراءة المعوذتين والإخلاص ومسح اليدين على

---

(718) ضعيف رواه الترمذي والطبراني وغيرهما . (719) ضعيف منكر كذا قال العلامة الحويني رواه الترمذي وابن عدي وغيرهما . (720) ضعيف رواه البيهقي وأبو نعيم وغيرهما وفيه يزيد الرقاشي ضعيف . (721) حديث حسن رواه ابن ماجة والترمذي وغيرهما .

(722) موضوع رواه الخطيب وفي إسناده خلف بن محمد الخيام البخاري أبو صالح قال أبو يعلى الخليلي عنه خلط وهو ضعيف جدا . ورواه البيهقي بلفظ رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر وقال هذا إسناد فيه ضعف . وذكره الفتني في تذكرة الموضوعات . وقال الحافظ ابن حجر في تسديد القوس هو مشهور على الألسنة وهو من كلام إبراهيم بن عيلة .

الرأس وما استقبل من الجسد والحسد مكتوب في القدر و كما قال رسول الله ﷺ لا يرد القضاء إلا الدعاء . (721)

21- عن جابر قال قدم النبي صلى الله عليه وسلم من غزاة فقال عليه الصلاة والسلام : قدمتم خير مقدم وقدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر قالوا : وما الجهاد الأكبر ؟ قال : مجاهدة العبد هواه . (722)

وبهذا الحديث يحتج ضعاف العلم على الإنشغال بإصلاح النفس ولا يتكلمون عن الجهاد في سبيل الله وهو ذروة سنام الإسلام كما قال رسول الله ﷺ . رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد . (723)

22- وقع في نفس موسى: هل ينام الله تعالى ذكره؟ فأرسل الله إليه ملكاً. فأرقه ثلاثاً، ثم أعطاه قارورتين في كل يد قارورة ... ثم نام نومة فاصطفقت يداه وانكسرت القارورتان قال: ضرب الله له مثلاً أن الله لو كان ينام لم تستمسك السماوات والأرض . (724)

قال العلامة الحافظ ابن كثير والظاهر أن هذا الحديث ليس بمرفوع بل من الإسرائيليات المنكرة فإن موسى عليه الصلاة والسلام أجل من أن يجوز على الله سبحانه وتعالى النوم وقد أخبر الله عز وجل في كتابه العزيز بأنه { الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض }.أ.هـ.

قلت وهذا حديث القصاص ومن جهلهم أنهم ما فكروا كيف يدور هذا السؤال في خلد رسول من أولي العزم والطفل الصغير يعلم أن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام . فما لكم كيف تحكمون .

23- عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه **قال قلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي أخبرني عن أول شيء خلقه الله قبل الأنبياء، قال: يا جابر أن الله تعالى خلق قبل الأنبياء نور نبيك من نوره**، فجعل هذا النور يدور بالقدرة حيث يشاء الله تعالى ولم

---

(723)صحيح رواه عبد الرزاق وأحمد وغيرهما . (724)موضوع رواه ابن جرير وابن الجوزي وغيرهما .

يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار، ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر، فخلق من الجزء الأول القلم ومن الجزء الثاني اللوح ومن الثالث العرش ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء فخلق من الجزء الأول حملة العرش، ومن الجزء الثاني الكرسي، ومن الثالث باقي الملائكة ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء، فخلق من الجزء الأول السموات ومن الجزء الثاني الأراضين، ومن الجزء الثالث الجنة والنار، وقسم الجزء الرابع أربعة أجزاء، فخلق من الجزء الأول نور أبصار المؤمنين، ومن الثاني نور قلوبهم وهي المعرفة بالله ومن الثالث نور أنسهم وهو التوحيد: لا إله إلا الله محمد رسول الله، ثم نظر إليه فترشح النور عرقا فتقطرت منه مائتا ألف قطرة وعشرين ألفا وأربعة الآلف قطرة فخلق الله من كل قطرة روح نبي ورسول، ثم تنفست روح أرواح الأنبياء فخلق الله من أنفاسهم أرواح الأولياء والسعداء والشهداء والمطيعين من المؤمنين إلى يوم القيامة، فالعرش من نوري والعقل والعلم والتوفيق من نوري، والكروبيون من نوري والعقل والعلم والتوفيق من نوري، وأرواح الأنبياء والرسل من نوري، والسعداء والصالحون من نائح نوري ثم خلق الله آدم من الأرض وركب فيه النور وهو الجزء الرابع ثم أنتقل منه شيث وكان ينتقل من طاهر إلى طيب إلى أن وصل إلى صلب عبد الله بن عبد المطلب ومنه إلى وجه أمي آمنة ثم أخرجني إلى الدنيا فجعلني سيد المرسلين، وخاتم النبيين وقائد الغر المحجلين . موضوع . ذكره القسطلاني في المواهب وذكر بعضه العجلوني في كشف الخفاء وعزاه لعبد الرزاق . قال لي أحد العلماء إن هذا الحديث موجود في مخطوطة محذوفة من مصنف عبد الرزاق في الهند فوجدت السيوطي يقول في (الحاوي في الفتاوى) عن هذا الحديث : لا سند له يثبت البتة . ولا شك أن الحافظ العلامة المجدد السيوطي المتوفى سنة 911 هجرية رحمه الله صاحب الجامع الكبير كان يملك نسخة إن لم يكن نسخا من مصنف عبد الرزاق .

وقال الشيخ أحمد الغماري (موضوع لا يشك طالب علم في وضعه واختلاقه) .

وقد بنى غلاة الصوفية على هذا الحديث المكذوب كلاما عجيبا غريبا .

فقال ابن العربي أن الرسول هو الذي استوى على عرش الله حيث يقول بالنص "بدء الخلق الهباء وأول موجود فيه الحقيقة المحمدية الرحمانية الموصوفة بالاستواء على العرش الرحماني وهو العرش الإلهي" – الفتوحات المكية ج1 ص 152

قال محمد عثمان عبده البرهاني في كتابه (تبرئة الذمة في نصح الأمة): ولما رأى النبي صلى الله عليه وسلم استغراب سيدنا جبريل عليه السلام مما قاله لجابر "أن أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر" سأل الرسول جبريل قائلا: يا جبريل كم عَمّرت من السنين؟ فقال جبريل: يا رسول الله لست أعلم غبر أنه في الحجاب الرابع نجم يطلع في كل سبعين ألف سنة مرة ورأيته سبعين ألف مرة، فقال صلى الله عليه وسلم: وعزة ربي أنا ذلك الكوكب.. ثم سأل الرسول جبريل عن المكان الذي يأتي منه الوحي؟ فقال: حينما أكون في أقطار السموات والأرض أسمع صلصلة جرس فأسرع إلى البيت المعمور فأتلقى الوحي فأحمله إلى الرسول أو النبي فقال الرسول له: اذهب إلى البيت المعمور الآن واتل نسبي" فذهب جبريل مسرعا إلى البيت المعمور وتلا نسب النبي قائلا "محمد بن عبد الله بن عبد المطلب... فانفتح البيت المعمور ولم يسبق أن فتح من قبل ذلك فرأى جبريل النبي بداخله!! فتعجب فعاد مسرعا إلى الأرض فوجد الرسول في مكانه كما تركه مع جابر فعاد بسرعة خارقة إلى البيت المعمور فوجده صلى الله عليه وسلم هنالك، ثم عاد مسرعا إلى الأرض فوجده مازال جالسا مع جابر فسأل جبريل عليه السلام جابرا قائلا: هل ترك رسول الله مجلسه هذا؟ فقال جابر: كلا يا أخا العرب فإننا لم ننته بعد من الحديث الذي تركتنا فيه!! فقال جبريل للنبي: إذا كان الأمر منك وإليك فلماذا تَعَبِي؟ فرد عليه صلى الله عليه وسلم قائلا: للتشريع يا أخي جبريل، وتلا قوله تعالى "ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدني علما" وأضاف "كل هذه الأدلة توضح أن القرآن وهو أكبر معجزة للنبي كان عند النبي قبل البيت المعمور وقبل جبريل وهو والخلق جزء من كل أ.هـ. تبرئة الذمة ص 100 –101" .

أَرَأَيْتَ كيف لبس الشيطان على أهل الأهواء حتى أوقعهم في الزندقة كيفما يشاء ثم انظر كيف يصدق الجهلة هذا الكلام ويعظمون قائليه وقد كفر جمع من علماء الأزهر هذا المذكور صاحب كتاب تبرئة الذمة . فتأمل واعتبر يرحمك الله .

24- "أنا خاتم الأنبياء وأنت يا علي خاتم الأولياء" . (725)

ويحتج بهذا الحديث كثير من الرافضة**

25- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : حججنا مع عمر بن الخطاب فلما دخل الطواف استقبل الحجر فقال : إني أعلم أنك حجر لا تضر و لا تنفع و لولا أني رأيت رسول الله ﷺ قبلك ما قبلتك ثم قبله فقال له علي بن أبي طالب : بلى يا أمير المؤمنين إنه يضر و ينفع قال : ثم قال : بكتاب الله تبارك و تعالى قال : و أين ذلك من كتاب الله ؟ قال : قال الله عز و جل : { و إذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم و أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا : بلى } خلق الله آدم و مسح على ظهره فقررهم بأنه الرب و أنهم العبيد و أخذ عهودهم و مواثيقهم و كتب ذلك في رق و كان لهذا الحجر عينان و لسان فقال له : افتح فاك قال : ففتح فاه فألقمه ذلك الرق و قال اشهد لمن وافاك بالموافاة يوم القيامة و إني أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يؤتى يوم القيامة بالحجر الأسود و له لسان ذلق يشهد لمن يستلمه بالتوحيد فهو يا أمير المؤمنين يضر وينفع فقال عمر : أعوذ بالله أن أعيش في قوم لست فيهم يا أبا حسن . (726)

---

(725) موضوع رواه الخطيب وقال هذا الحديث موضوع من عمل القصاص وضعه عمر بن واصل أو وضع عليه . قال الذهبي أحمد بن علي التوزي شيخ الخطيب محدث ليس بقوي .

**وتلك هي التسمية الصحيحة لهم لأنهم رفضوا سنة رسول الله ﷺ وكلمة الشيعة تعني أهل الدين والمنهاج والسنة فأهل السنة كلهم مع علي رضي الله عنه في الدين و المنهاج والسنة رضي الله عنه ولكن المألوف أن يقول الناس عن الرافضة (الشيعة)

(726) موضوع رواه الحاكم والبيهقي وابن عساكر وعلته أبو هارون العبدي قال الذهبي شيعي متروك ومنهم من كذبه . وقال فيه أحمد ليس بشيء وقال شعبة لئن أقدم فتضرب عنقي أحب إلي من أن أحدث عن أبي هارون .

وفي هذا الخبر ما يشين ويسيىء إلى عمر ابن الخطاب وهو الموصوف بالعلم وهو خير أولياء الأمة بعد ابي بكر بإجماع أهل السنة كما قال ابن حجر . وفي الخبر غرائب وعجائب تخالف العقيدة .

26– عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كنت عند رسول الله ﷺ وعنده أبو بكر الصديق رضي الله عنه وعليه عباءة قد خلها في صدره بخلال فنزل عليه جبريل فقال : مالي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خلها في صدره بخلال ؟ فقال : أنفق ماله علي قبل الفتح قال : فإن الله عز وجل يقول : اقرأ عليه السلام وقل له : **أراض أنت عني في فقرك هذا أم ساخط ؟ فقال رسول الله ﷺ : يا أبا بكر إن الله عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول لك : أراض أنت في فقرك هذا أم ساخط ؟ فقال أبو بكر : أأسخط على ربي ؟ إني عن ربي راض إني عن ربي راض .** (727)

فتأمل كيف راجت هذه الأكاذيب على كثير من المتكلمين فنسبوا لله الغني الحميد أنه يرجو رضا أبي بكر ثم يزيدون الطين بلة فينسبون لأبي بكر أنه يسيء الظن بالله ويقول لا آمن مكر الله ولو كانت إحدى قدمي في الجنة وحاشى لله أن يقول أبو بكر هذا وهو المصدق بوعد رسول الله ﷺ له بالجنة .

---

(727). موضوع وقال الذهبي في الميزان : هو كذب .

رواه البغوي في التفسير وابن عساكر في التاريخ وأبو نعيم والعقيلي من رواية العلاء بن عمرو قال فيه ابن حبان شيخ يروي عن أبي إسحاق الفزاري العجائب لا يجوز الاحتجاج به بحال . ورواه الخطيب في التاريخ وفي إسناده محمد بن بابشاذ وقال عنه في حديثه غرائب ومناكير .

(728) رواه الدارمي .

وإسناده ضعيف : قال الحافظ الدارمي حدثنا أبو النعمان ثنا سعيد بن زيد ثنا عمرو بن مالك النكري حدثنا أبو الجوزاء أوس بن عبد الله قال فذكره .

*أبو النعمان هو محمد بن الفضل السدوسي أبو النعمان البصري المعروف بعارم .

قال الدارقطني تغير بآخرة وما ظهر له بعد اختلاطه حديث منكر وهو ثقة وقال بن حبان اختلط في آخره عمره وتغير حتى كان لا يدري ما يحدث به فوقع في حديثه المناكير الكثيرة فيجب التنكب عن حديثه فيما رواه المتأخرون فإن لم يعلم هذا ترك الكل ولا يحتج بشيء منها .

27-قحط أهل المدينة قحطا شديدا فشكوا إلى عائشة رضي الله عنها فقالت : انظروا قبر النبي ﷺ فاجعلوا منه كوى إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف ففعلوا فمطروا مطرا حتى نبت العشب وسمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم فسمي عام الفتق .(728)

والتف حول هذا الخبر المتوسلون بذات النبي وجاهه حتى قال أحدهم إنه حديث في صحيح البخاري عدوانا وظلما وقالوا إن في هذا الخبر ما يصرح بأن رسول الله ﷺ يدعو لأمته وهو في قبره وليس هذا صحيحا وفيه أيضا ما يشير إلى جهل أهل المدينة كلهم إذ أنهم لم يعلموا سنة الإستسقاء التي علمها رسول الله ﷺ للمسلمين وفيه مخالفة لأحاديث الاستستقاء وما فعل رسول الله ﷺ وهو حي عند القحط إلا الإستستقاء وتابعه ولزم سنته أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ ﷺ فلو كان هذا الخبرصحيحا لحثهم رسول الله ﷺ عليه وتكون قاعدة عامة لكل المسلمين في كل

وقال ابن الصلاح والحكم فيهم – المختلطين – أنه يقبل حديث من أخذ عنهم قبل الاختلاط ولا يقبل حديث من أخذ عنه بعد الاختلاط أو أشكل أمره فلم يدر هل أخذ عنه قبل الاختلاط أو بعده .

قال ابن عدي في الكامل عمرو بن مالك النكري بصري منكر الحديث عن الثقات ويسرق الحديث سمعت أبا يعلى يقول عمرو بن مالك النكري كان ضعيفا . وقال ابن حبان : عمرو بن مالك النكري من أهل البصرة يغرب ويخطىء . قال ابن حجر صدوق له أوهام .

وأما سعيد بن زيد . قال فيه الحافظ ابن حجر (التقريب) : صدوق له أوهام . قال النسائي سعيد بن زيد أخو حماد بن زيد ليس بالقوي بصري . وضعفه العقيلي وقال يحيى بن معين ضعيف . وقال السعدي : ليس بحجة يضعفون حديثه .

*أبو الجوزاء

قال البخاري في إسناده نظر قال الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب وقول البخاري في إسناده نظر يريد أنه لم يسمع من مثل بن مسعود وعائشة وغيرهما إلا أنه ضعيف عنده .

زمان أن إذا قحطوا فليذهبوا إلى قبر الرسول ويفتحوا منه كوى ...إلخ وما حدث هذا أبدا ولو حدث لفعله الخلفاء الراشدون ولنقل إلينا ولو كان خيرا لسبقونا إليه . [1]

28- توسل آدم عليه السلام برسول الله ﷺ .

عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده عن عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لما اقترف آدم الخطيئة قال يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي فقال الله : يا آدم و كيف عرفت محمدا و لم أخلقه ؟ قال : يا رب لأنك لما خلقتني بيدك و نفخت في من روحك و رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلى أحب الخلق فقال الله : صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلي ادعني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك . (729)

فتأمل كيف يخالف هذا الكذب ما قاله الله في قرآنه عن الكلمات التي تاب الله بها على آدم

قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَسِرِينَ (23الأعراف).

وإنه لخليق بالمخالفين أن يقرأوا القرآن ويتدبروه بدلا من أن يجادلوا بغير علم .

ولم يصح أي حديث في جواز التوسل بذات النبي ﷺ أو جاهه فإن كان التوسل بذاته صلى الله عليه وسلم من القربات العظمى فلماذا لم يرشد النبي ﷺ إليه أصحابه ويحثهم عليه لنعمل بما عملوا به .

---

(729)تعليق الذهبي موضوع . كذا قال الحافظ ابن حجر رواه الحاكم والطبراني والآجري والبيهقي وأبو نعيم . وفي إسناده عبد الرحمن بن زيد ضعفه أحمد بن حنبل وأبو زرعة وأبو حاتم والنسائي والدارقطني وغيرهم . وقال أبو نعيم (روى عن أبيه أحاديث موضوعة) . وقال بن حبان كان ممن يقلب الأخبار وهو لا يعلم حتى كثر ذلك في روايته من رفع المراسيل وإسناد الموقوف فاستحق الترك .

(730) موضوع رواه الحاكم والبيهقي وقال الحاكم أدت الضرورة إلى إخراجه في التفسير و هو غريب من حديثه قال الذهبي لا ضرورة في ذلك أي لإخراجه فعبدالله متروك هالك . قال

ثم تأمل قوله في الحديث ولولا محمد ما خلقتك وفيه ما يناقض قول الله ﷻ
وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ (56الذاريات).

29- توسل اليهود برسول الله ﷺ

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :

كانت يهود خيبر تقاتل غطفان فكلما التقوا هزمت يهود خيبر فعاذت اليهود بهذا الدعاء : اللهم إنا نسألك بحق محمد النبي الأمي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا في آخر الزمان ألا نصرتنا عليهم قال : فكانوا إذا التقوا دعوا بهذا الدعاء فهزموا غطفان فلما بعث النبي صلى الله عليه و سلم كفروا به فأنزل الله و قد كانوا يستفتحون بك يا محمد على الكافرين . (730)

وفي هذا الخبر ما يبيح التوسل بذات رسول الله ﷺ ليس هذا فحسب بل والأعجب والأغرب أن الله استجاب دعائهم وهم مشركون ومعلوم أنه لا يستجاب دعاء مشرك .

30- (أهل بيتي كسفينة نوح من تعلق بها نجا ومن تخلف عنها هلك) . (731)

ويتخذ كثير من المبتدعة هذا الحديث تكأة لما يصنعون من عبادة المقبورين والأحياء من آل البيت أو من يزعمون أنهم من آل البيت وتعظيمهم ونسب القدرات الخارقة لهم بزعم أنها كرامات .

السيوطي سند ضعيف . وفي إسناده عبد الملك بن هارون بن عنترة عن أبيه قال الدارقطني هما ضعيفان وقال أحمد عبد الملك ضعيف وقال يحيى كذاب وقال أبو حاتم متروك ذاهب الحديث وقال بن حبان يضع الحديث وهو الذي يقال له عبد الملك بن أبي عمر . كذا قال الحافظ ابن حجر في لسان الميزان .

(731) منكر أخرجه البزار والطبراني من حديث أبي ذر وابن عباس وأبي سعيد وعبد الله بن الزبير بأسانيد ضعيفة .

(732) ضعيف منكر رواه ابن جرير وابن أبي حاتم والترمذي والحاكم .

(733) موضوع . رواه الطبري والطبراني وفي إسناده إبراهيم بن يزيد الخوزي متروك الحديث كما قال النسائي وأحمد وأورده البخاري في الضعفاء وقال سكتوا عنه .

31- في قول الله سبحانه وتعالى **{ جعلا له شركاء فيما آتاهما }** عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال

كانت حواء لا يعيش لها ولد فنذرت لئن عاش لها ولد لتسمينه (عبد الحارث) فعاش لها ولد فسمته (عبد الحارث) وإنما كان ذلك عن وحي الشيطان . (732)

وجاء هذا الحديث في كتاب التوحيد للعلامة محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وهو من المؤاخذات عليه لأن هذا الحديث فيه إساءة بالغة لنبي الله آدم عليه السلام الذي اصطفاه الله سبحانه وتعالى وهذا الكلام رمي له بالشرك وحاشى لله أن يشرك آدم عليه السلام .

32- **عبدي أطعني تكن عبدا ربانيا تقول للشيء كن فيكون** . لا أصل له .

وللأسف شاع هذا الكلام عند كثير من الناس حتى نقل الشعراني في طبقاته الكبرى عن أحد الناس (زعم أنه من الأولياء) أنه قال" تركت قولي للشيء : كن فيكون . عشرين سنة أدبا مع الله "

أولم يتفكروا أنه لا يقول أحد للشيء كن فيكون إلا الخالق القدير وحده سبحانه وتعالى وهو القائل

إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَـٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ (401النحل).

وهل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو خير خلق الله يقول للشيء كن فيكون ؟! أهؤلاء الأولياء خير أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟! إن هذا لشيء عجاب .

33- في قول الله سبحانه وتعالى عن يوسف (وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ) (42 يوسف).

لو لم يقل يوسف . يعني الكلمة التي قال عند ربك . ما لبث في السجن طول ما لبث] يعني حيث يبتغي الفرج من عند غير الله . (733)

وفي هذا الخبر إتهام صريح ليوسف عليه السلام بأنه اعتمد على غير الله ونسي الله ﷻ فعاقبه الله بالمكوث في السجن ألا فليحذر الدعاة أن يرددوا هذه الأكاذيب فيسيئوا من حيث لا يشعرون .

34- رأيت في النوم بني الحكم أو بني أبي العاص ينزون على منبري كما تنزو القردة قال فما رؤى النبي (ﷺ) مستجمعا ضاحكا حتى توفي . (ط)

وفيه سب وطعن في صحابة النبي من بني أمية والصحابة كلهم عدول وفي هذه الأكذوبة إشارة على معاوية وعمرو ابن العاص وهو كلام الرافضة** فأما معاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنهما فقد دعا له رسول الله فقال ﷺ اللهم اجعله هاديا مهديا وأهد به .(ظ) ودعاء النبي ﷺ مستجاب .

وأما عمرو ابن العاص رضي الله عنه فقد شهد له الرسول بالإيمان فقال ﷺ ابنا العاص مؤمنان عمرو وهشام . (ع)

35- وأيم الله لو دليتم أحدكم بحبل إلى الأرض السفلى السابعة لهبط ثم قرأ { هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم .(734)

36- يروى أن خالد ابن الوليد نادى في موقعة اليمامة بشعار المسلمين **وكان شعارهم يومئذ يا محمداه** . وهي من البلاغات التاريخية التي لا سند لها ذكرها ابن كثير في البداية والنهاية . وفيه إيهام بالاستغاثة بالنبي ﷺ من دون الله ﷻ .

** (الرافضة أكذب الناس في المرويات وأجهل الناس بالمعقولات كذا قال عنهم الإمام ابن تيمية وهو حق لا شك فيه) . (ط) لا أصل له رواه مسلم بن خالد الزنجي وأبو يعلى والشاذكوني كذا قال ابن الجوزي في العلل المتناهية باختصار . (ظ) صحيح رواه الترمذي وأحمد وغيرهما . (ع) صحيح رواه أحمد والحاكم وغيرهما . (734) ضعيف رواه أحمد والترمذي والطبراني . (735) ضعيف رواه ابن الجعد .

37- عن عبد الرحمن بن سعد قال : كنت عند عبد الله بن عمر **فخدرت رجله** فقلت له يا أبا عبد الرحمن ما لرجلك قال اجتمع عصبها من ها هنا قلت **أدع أحب الناس إليك قال يا محمد فانبسطت** . (735)

وفيه إيهام بأن دعاء النبي ﷺ يكشف الضر ويشبه هذا أيضا ما روي عن الهيثم بن حنش قال كنا عند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فخدرت رجله فقال له رجل : اذكر أحب الناس إليك فقال : يا محمد فكأنما نشط من عقال . (736)

وعن مجاهد قال خدرت رجل رجل عند ابن عباس رضي الله عنهما فقال له ابن عباس رضي الله عنهما : اذكر أحب الناس إليك فقال : محمد صلى الله عليه وسلم فذهب خدره . (737)

لا تقل وقل

قد تقوم الصراعات الاسرية بسبب كلمة واحدة وقد تقوم الحرب بين دولتين بسبب كلمة وقد يقتل الرجل الرجل بسبب كلمة وكثيرا ما تسمع أن فلانا قال لرجل شتمه " إسحب هذه الكلمة " فإذا كانت الكلمة في الواقع المشاهد لها خطورة وتأثير فإن الكلمة في الإسلام خطورتها أشد ولا يتنبه لذلك إلا أولو الألباب كما قال أحد الصالحين العاقل يفكر فيما يقول ثم يتكلم والأحمق يتكلم ثم يفكر فيما قال . وهل يحكم على الإنسان بالإسلام إلا بكلمة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وهل تستحل فروج النساء إلا بكلمة وهل يرفع الله المؤمنين في الجنات درجات ويهوي بالناس في النار دركات إلا بكلمة أو كلمات كما قال رسول الله ﷺ إن العبد ليتكلم بالكلمة من

---

(736) ضعيف ذكره ابن تيمية في الكلم الطيب وضعفه الألباني .

(737) موضوع . (738) رواه البخاري . (من رضوان الله) مما يرضي الله تعالى . (لا يلقي لها بالا) لا يبالي بها ولا يلتفت إلى معناها خاطره ولا يعتد بها ولا يعيها بقلبه . (سخط الله) مما يغضبه ولا يرضاه . (يهوي بها) يسقط بسببها . (739) رواه مسلم .

رضوان الله لا يلقي لها بالا يرفع الله بها درجات وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم . (738)

ولهذا لما خطب رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بئس الخطيب أنت قل ومن يعص الله ورسوله . (739)

ومن هنا ينبغي على كل مسلم أن يزن أقواله فضلا عن أفعاله على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ **وهذه طائفة من الأقوال الشائعة بين المسلمين يجب أن لا يتلفظ بها مسلم لما فيها من وبال وضلال .**

1- لا تقل (اللواط) فإن لوطا عليه السلام نبي من أنبياء الله ولا يصح أن يشتق اسم هذا الجرم العظيم من اسمه عليه السلام .

وقل (من عمل عمل قوم لوط)

كما قال رسول الله ﷺ من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به . (740)

2- لا تقل (المسيحيين)

فإنك بذلك تنسبهم للمسيح وما هم من المسيح في شيء فهو بريء منهم ومما ينسبونه إليه وسيتبرأ منهم يوم القيامة كما قال الله ﷻ

إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ

(166البقرة). **وقل (النصارى أو أهل الكتاب)** كما قال الله ﷻ

وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡ (120البقرة).

وتسمية نصارى من أجل أنهم نزلوا أرضا يُقالُ لها ناصِرَةُ أو ونَصوريَةُ أو نَصْرانُ بالشام .

3- لا تقل (إسرائيل)

(740) صحيح رواه الترمذي وأبو داود وغيرهما .

لأن إسرائيل هو يعقوب عليه السلام كما قال الله ﷻ
كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُ (93آل عمران).

ويعقوب عليه السلام بريء من هؤلاء اليهود ولا يصح أن يسب ويلعن نبي الله يعقوب ولو بغير قصد .

وقل (اليهود أو الكيان الصهيوني) .

4- لا تقل (الله ورسوله أعلم) فإن قلتها في أمور شرعية فلا بأس وإن قلتها في أمور غيبية فحرام لأن رسول الله ﷺ لا يعلم الغيب .

وقل (الله أعلم) عند الكلام عن الأمور الغيبية ويستحب في الفتوى أيضا أن يقال والله أعلم بعد بيان الدليل فبها يكل المفتي العلم لله ويتبرك بذكر اسم الله كما قال الله ﷻ

وَلَبِثُواْ فِى كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعًا *قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ (25،26الكهف).

5- لا تقل (شاء القدر – شاءت القدرة – شاءت الظروف)

لأن هذه الأشياء معاني والمعاني لا إرادة لها وإنما المشيئة لله وحده .

وقل (شاء الله)

كما قال الله ﷻ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمۡ عَلَى ٱلۡهُدَىٰۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ (35الأنعام). وأما قولهم اقتضت حكمة الله فلا بأس كذا قال الشيخ ابن عثيمين .

6- لا تقل (الأديان السماوية) أو (الديانات السماوية)

لأن كل الرسل كانوا مسلمين وبعثوا بالإسلام وإنما الإختلاف بين الانبياء في الشرائع لا في العقائد كما قال الله ﷻ

---

*مع العلم أنهم بدلوا شرائعهم وغيروها ولم يحكموا بها أو يتحاكموا لها .

وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ (85آل عمران).

وقل (الدين السماوي) أو (الشرائع السماوية)*

7- لا تقل(زرعت الارض)

الزَّرْع : الإنْباتُ يقال : زَرَعَ اللهُ أي أَنْبَتَ .

وقل (حرثت الأرض) كما قال الله ﷻ

أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ * ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ (63،64الواقعة).

(حَرَثَ) الأرض (حَرْثًا) أي شق الأرض وإثارها للبذر .

8- لا تقل (أحمد الله حق حمده)

فإنه لا يقدر أحد بالغا ما بلغ أن يحمد الله حق حمده وقد اختلف العلماء هل عبد رسول الله ﷺ الله ﷻ حق عبادته أم لا فقال السندي بذلك وخالفه علماء آخرون وذلك لقوله ﷺ

اللهم أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك . (741)

وقل (الحمد لله رب العالمين)

9- لا تقل (اسع يا عبدي وأنا أسعى معك)

لأن السعي من صفات المخلوقات والله ﷻ ليس كمثله شيء ولم يثبت في آية أو حديث أن الله يسعى فهو قول على الله بغير علم . ألا فليحذر مرددوا هذا الكلام .

وقل (اسع يا عبدي وأنا أيسر لك الأسباب)

10- لا تقل (قلنا كذا أو فعلنا كذا)

---

(741) رواه مسلم .

معلوم عند علماء النحو أن إضافة النون والألف للفعل الماضي أو إضافة النون للفعل المضارع تفيد الجماعة أو تعظيم القائل وبكل أسف وقع كثير من الكتاب والمتكلمين في هذا الخطأ .

فإن قلت "قلنا" أو "فعلنا" تقصد بذلك تعظيم نفسك أو معجبا بها فهو حرام وخطر عظيم لأن العظمة لله وحده وهو وحده الذي له الحق أن يقول " قلنا " .

وقل (قلت كذا أو فعلت كذا)

لأنك عبد لله مهما بلغت من العلم أو الفهم والذي من عليه بالعلم والفهم هو الله وحده .

11- لا تقل (فلان شهيد إلا من شهد لهم رسول الله ﷺ من الصحابة)

لأن رسول الله ﷺ قال "الله أعلم بمن يجاهد في سبيله والله أعلم بمن يكلم في سبيله" . (742)

وقل (أحسبه شهيدا ولا أزكي على الله أحدا)

عن أبي بكرة قال أثنى رجل على رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال (ويلك قطعت عنق صاحبك قطعت عنق صاحبك) . مرارا ثم قال (من كان منكم مادحا أخاه لا محالة فليقل أحسب فلانا والله حسيبه ولا أزكي على الله أحدا أحسبه كذا وكذا إن كان يعلم ذلك منه . (743)

12- لا تقل (دابة ملعونة أو شيء ملعون)

عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال :

بينما رسول الله ﷺ في بعض أسفاره وامرأة من الأنصار على ناقة فضجرت فلعنتها فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال خذوا ما عليها ودعوها فإنها ملعونة . (744)

وقل (استغفر الله) فالاستغفار أفضل من سوء الكلام .

---

(743) رواه البخاري ومسلم . (742) رواه البخاري . (744) رواه مسلم . (745) رواه البخاري ومسلم .

13- لا تقل (زارنا النبي)

لأنه شيء من الإثنين إما أن النبي زارك حقا وهذا ضلال وبهتان فما خرج رسول الله من قبره بعد موته أبدا ولن يكون إلا يوم القيامه وإما أن تقصد أن الذي زارك نبي فتكون المصيبة أعظم فليس بعد رسول الله ﷺ نبي .

وقل (أهلا – مرحبا)

رحب بضيفك كيف شئت إلا أن تخل بأمور أو تقع في محظور .

*قال رسول الله ﷺ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه . (745)

14- لا تقل (أيام سودة – أيام نحس ..إلخ)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال الله عز وجل يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار . (746)

*ولله در من قال

نعيب زماننا والعيب فينا وليس لزماننا عيب سوانا

ونهجو ذا الزمان بغير ذنب ولو نطق الزمان لنا هجانا

وقل (أيام عصيبة)

فإن الله ﷻ قال

وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعًا وَقَالَ هَـٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٌ

(77هود).

15- لا تقل (الإنسان خليفة الله في الأرض).

يقال خَلَفَ فلان فلانا أي جاء بعده ويكون هذا في غياب المستخلف للمستخلف فمثلا هارون عليه السلام خليفة موسى عليه السلام وأبو بكر رضي الله عنه خليفة رسول الله ﷺ

والكرم عملة نادرة في يومنا هذا ، كنت إن زرت صديقي العزيز إسلام الصادق يقول لي

يا ضيفنا إن جئتنا في بيتنا لعلمت أنّا ضيوف وأنت صاحب المنزل

وكان حاتم الطائي يقول لعبده : أوقد النار فإن الليل قر...وإن جلبت ضيفا فأنت حر

(746) رواه البخاري ومسلم .

فحاشى لله أن يغيب أو أن يضع من ينوب عنه وهو الحي القيوم الغني الحميد ﷻ .

وقل (الإنسان خليفة الإنسان في الأرض) لأن البشر يخلف بعضهم بعضا .

كما قال الله ﷻ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ (39فاطر).

16- لا تقل (الناموس)

فإن النَّامُوس صاحب سِرِّ الخيْرِ والجاسوسُ صاحِبُ سِرِّ الشَّرِّ يقال نَمَسَ يَنْمِسُ نَمْساً ونامَسْتُهُ منامسةً إذا سَارَرْتُهُ فَسُمِّي جبريلُ ناموساً لأن اللَّه تعالى خَصَّهُ بالوَحْي .

وقل (الباعوض)

17 – لا تقل (ربنا في قلوبنا).

فإنك إن قصدت بها أن ذات الله ﷻ في قلبك أو أن روحك جزء منه فقد كفرت بالله ﷻ وإنما الله في السماء كما قال سبحانه

ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ (16 الملك).

وقال ﷺ

والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشها فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها . (747)

وقل (الله في السماء)

18- لا تقل (من اعتقد في حجر نفعه)

إذا كان الأنبياء الذين هم سادة البشر لا ينفعون ولا يضرون فكيف بالحجر ولو صحت هذه الهرطقة لانتفع المشركون بأحجارهم التي قال الله ﷻ فيها

---

(747) رواه مسلم . *خطيبٌ مِصْقعٌ : بليغٌ وبالسِّين أحسنُ كذا قال الخليل في العين .

وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـًٔا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرًّا وَلَا نَفۡعًا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا (3الفرقان).

ومن عجب أن بعض من يحملون الشهادات العليا يرددون هذه الجملة بل والأعجب أني سمعت أكثر من مرة من بعض الخطباء المساقع* قصة عجيبة تقول إن رجلا كافرا يعبد صنما كان يدعو صنمه فيقول يا صنم افعل لي كذا وكذا وظل يكرر يا صنم يا صنم حتى ذل لسانه فقال يا صمد فاستجاب الله ﷻ دعائه فكأنهم قالوا إن نبيا من الأنبياء علم بهذا فقال يا رب لم استجبت دعائه ولم يقصدك أنت فقال له الله سبحانه إنه دعا الصنم كثيرا فلم يستجب له أفلا أستجيب له إذا قال اسمي مرة !
وهي قصة مخترعة لا أصل لها .

فما أحوج المسلمين إلى محو الأمية الدينية التي تمثل أعظم الأميات وأخطر الموبقات والله المستعان وبه وحده التوفيق والحمد لله رب العالمين .

وقل (من اعتقد في الله نفعه الله ﷻ)

الإسلام دين الإصلاح

لا أعرف دينا إهتم بالإصلاح ومحاربة الفساد كالإسلام فما من نبي أرسله الله ﷻ إلى قوم إلا ودعاهم إلى الإصلاح الروحاني بالإسلام لله ﷻ وأمرهم أيضا بالإصلاح المادي على ما تحمله كلمة مادي من معان فالإسلام يفتح آفاقا واسعة لتعمير الأرض والقلوب تعميرا ماديا ملموسا وتعميرا معنويا محسوسا ولهذا تجد أن الله قد من الإنسان بإعطائه أدوات العلم فأعطاه القلب الذي به يكون صلاح البدن كما قال رسول الله ﷺ

ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب . (748)

وأعطى الله سبحانه الإنسان السمع والبصر والفؤاد كما قال الله ﷻ

وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ (78النحل).

إذاً المطلوب من الإنسان هو الشكر وهو أن يوحد العبد ربه وخالقه ويعمر الأرض ويصلحها كما قال الله ﷻ

ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ (13سبأ).

فالشكر بالعمل وهذا العمل يحتاج عونا ومددا لهذا شرع الله لنا معشر المسلمين قراءة الفاتحة في الصلاة وهي التي لا تصح صلاة إلا بها وفيها نقول

إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ (5الفاتحة).

(إياك نعبد) تزيل الرياء و(إياك نستعين) تزيل الكبرياء وبهذه الآية وحدها يحقق العبد الإخلاص والذل لله ﷻ فإذا حدث هذا بعون الله ومدده يتحول الإنسان إلى عنصر للإصلاح في الأرض فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحافظ على كون الله ويعبد الله في سلام وأمان وإن أبى الإنسان أن يؤمن بالله فإنه يكون بذلك قد قبر نفسه في الدنيا ويصير قبرا يتحرك بين الناس لا يستمع ولا ينتفع كما قال الله ﷻ

وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَحۡيَآءُ وَلَا ٱلۡأَمۡوَٰتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسۡمِعُ مَن يَشَآءُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ (22فاطر).

وقال الله ﷻ

فَإِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ * وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡۖ إِن تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسۡلِمُونَ (52،53الروم).

وصدق من قال

ليس من مات فاستراح بميت   إنما الميت ميت الأحياء

---

(748) رواه البخاري ومسلم .

فإن لم يستجب الإنسان لدعوة إصلاح الأرواح بتوحيد الله فليكف شره عن الأرض وليبعد أذاه عن السماء كما قال الله سبحانه

وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا (56الاعراف).

ولكن لو نظرت إلى الواقع في الأرض والسماء لوجدت عجبا . الارض كانت ممهدة لا فواصل ولا أسوار فيها تفصل البلدان عن بعضها وذلك لا يعجب الإنسان فحد حدودا وقسم الأرض وكأنه يملكها ولهذا قال رسول الله ﷺ لعن الله من غير منار الأرض . (749)

الذين يسرقون الحدود ويصنعون بالأراضي ما يشاؤون كأنهم آلهة تحكم البشر ملعونون .

ثم انظر كيف يعامل الإنسان الطبيعة . مصانع كبرى تنتج سيارات أو أجهزة حديثة أوطوب تسيء إلى السماء فبعد ان كانت السماء بلا فروج – أي ثغور –كما خلقها الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ وقال

أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ (6ق).

تدخل الإنسان بمصانعه فثقب السماء بما يرسله إليها من أدخنة وهو ما يسمونه (ثقب الأوزون) ويتسع الثقب يوما بعد يوم ويقول العلماء إن هذا الثقب تتسرب منه الأشعة فوق الحمراء القادرة على إهلاك كل شيء تصل إليه من حرث أو نسل أو إنسان أو حيوان . وكلما زاد تدخل الإنسان في تغيير الطبيعة كلما زادت الأمراض والأوبئة وصدق الله العظيم

ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ (41الروم).

ومن الإصلاح المادي الذي يدعو إليه الإسلام إحياء الأراضي الميته واستصلاحها وتعميرها كما قال رسول الله ﷺ

الأرض أرض الله والعباد عباد الله من أحيا مواتا فهي له . (750)

---

(749) رواه مسلم. (750) حسن رواه الطبراني وابن عساكر .

لماذا لا يستصلح أعداء الإسلام الأراضي الميتة في بلادهم وهي تعد بملايين الكيلو مترات ويكفون عن بلاد الإسلام والمسلمين ؟! سؤال لا جواب له . إذاً هم يريدون هذه المنطقة بالذات لما سبق فيها من نبوات ويحسدون المسلمين على ما آتاهم الله من فضله ثم بعد ذلك يقولون لنا أنتم محور الشر ويلقون على بلاد المسلمين أبشع التهم وإذا كان الله ﷻ قد قال في المنافقين

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ *أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ (البقرة11،12).

فكيف يكون الشأن في الكافرين فالولايات المتحدة الأمريكية مثلا قتلت في أيام معدودة ما يزيد عن مائة ألف إنسان في هيروشيما ونجازاكي– في اليابان– وهذه قطرة من بحر تاريخها المشين وحاضرها أسوأ وأقبح .

وإذا تحدثت عن إصلاح الأمة فإنه يلزمني أن أتحدث عن الشباب رجالا ونساء الذين هم عماد الأمة وقوامها وساعدها الأيمن . فكيف يكون السبيل لأصلاح الشباب ؟

أولا : يتوجب على العلماء الربانيين تعليم الشباب علم الأصول (العقيدة) أولا ليزيلوا به عن الشباب حجب الشبهات ثم بعد ذلك يعلمونهم الفروع .

ثانيا : الملاحظ والمشهور أن الجنس هو أخطر الشهوات التي تجذب شباب المسلمين رجالا ونساء حتى فتن بعضهم ببعض كما قال رسول الله ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء .(751)

وذكر رسول الله ﷺ فتنة النساء على الرجال ولم يذكر العكس لأنه معلوم أن المرأة – إلا من رحم الله – هي التي تبدأ فتفتن الرجال بزينتها وتبرجها كما يشهد الواقع بذلك وإلا فالفتنة متبادلة كما هو مشهود ومعلوم .

وللخروج من الفتنة قال رسول الله ﷺ للرجال

(751) رواه البخاري ومسلم .

يا معشر الشباب من استطاع الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء . (752)

وقال رسول الله ﷺ للرجال أيضا

تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك . (753)

وقال رسول الله ﷺ لأولياء النساء

إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض.(754)

وتلاحظ في الحديثين على الدين والخلق لأن الأخلاق هي أساس الأمم وقوام الدين كما قال شوقي رحمه الله وإِنما الأممُ الأخلاقُ ما بقيَتْ ... فإن همُ ذَهَبَتْ أخلاقهُم ذَهَبوا

وإذا نبذ الناس الفاسق الذي لا يحسن معاملته مع الله ولا يحسن معاملته مع خلق الله سينزوي ويرعوي* ويراجع حساباته ويصحح قصوره وتقصيره وحينئذ ينصلح حال ذلك الرجل كذا المرأة الفاسقة عندما ينبذها الناس ولا يقبلون على الزواج منها ستفكر في الإستقامة والصلاح وبهذا تقام الاسر المسلمة التي تخلف ورائها رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات يصلحون ما أفسد الناس وينتصرون على أعدائهم .

والله الموفق لا إله غيره ولا رب سواه والحمد لله رب العالمين .

العلم والعمل

كثير من الناس يتساءلون ما المخرج من الأزمة التي وقع فيها المسلمون ؟ هو سؤال إجابته معروفة ومشهورة . أن يعود المسلمون لدينهم . ولكن كيف العودة ؟ ليست العودة إلى الدين بكثرة سماع القرآن والخطب ثم يصير في رأس كل إنسان معلومات

---

(752) رواه البخاري ومسلم . (753) رواه البخاري ومسلم. (تربت يداك) هو في الأصل دعاء . معناه لصقت يداك بالتراب أي افتقرت ولكن العرب أصبحت تستعمله للتعجب والحث على الشيء وهذا هو المراد هنا . (754) صحيح رواه ابن ماجة وأحمد وغيرهما . * (يرْعَوِي) ينكَفُّ ويَنْزَجِر .

كثيرة عن الإسلام ثم تنظر في حياته ماذا عمل فيما علم فيرتد إليك بصرك خاسئا وهو حسير على تفريط المسلمين فيما علموا فالعلم كثير والعمل قليل والعمر قصير .

لقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يتكلمون قليلا ويعملون كثيرا فكانت ولم تزل أعمالهم تنطق بأفعالهم الكريمة ذلك لأنهم كانوا إذا علموا شيئا عملوا به كما قال عبد الرحمن السلمي حدثنا من كان يقرئنا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : إنهم كانوا يقترئون من رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر آيات فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل قالوا فعلمنا العلم والعمل . (755)

وإذا خطب أصحاب رسول الله ﷺ رضي الله عنهم أنفذوا وصيته ﷺ

إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه فأطيلوا الصلاة واقصروا الخطبة وإن من البيان سحرا . (756)

وأما أوضاعنا المعاصرة المزرية(*) فعلم كثير وعمل قليل وصار الرجل يشتهي سماع الخطيب الفلاني لا لعلمه وإنما لجمال أدائه وحسن إلقائه فتحول سماع الخطباء كسماع المغنين سواء بسواء .

وصدق الله الحكيم الخبير سبحانه وتعالى إذ يقول

وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا * وَإِذًا لَّأَتَيْنَـٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا * وَلَهَدَيْنَـٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا (68:66 النساء).

إن كل ما في هذا الكتاب وأضعاف أضعافه معلوم لدى كثير من المسلمين ولكن هل أدى هؤلاء زكاة العلم الذي علموه ؟! حقا إنها مأساة لقد تحول كثير من المسلمين اليوم إلى مكتبة متحركة تغدو وتروح ويا ليتها مفتوحة الباب لمن شاء أن يقرأ منها

---

(755) أثر حسن رواه أحمد وابن ابي شيبة وغيرهما . (756) رواه مسلم . (مئنة) أي علامة . (*)المزرية أي المعيبة الناقصة والإزْرَاء التهاون بالشيء كما قال لبيد

واكذِبِ النَّفْسَ إذا حدَّثْتَها ... إنَّ صِدقَ النَّفسِ يُزري بالأملْ

غيرَ أن لاتكذبنها في التقى ... واخزُها بالبرَّ للّه الأجلّ

وكما قال الشافعي

وَلَوْلاَ الشِّعْرُ بالعُلَمَاءِ يُزْرِي ... لَكُنْتُ اليَوْمَ أَشْعَرَ مِنْ لَبِيدِ

أو يستفيد . كلا بل مؤصدة . عندما ترى منكرا لا تفتح بابها لتظهر ما معها من وثائق فتدين المنكر وعندما ترى معروفا تغض الطرف عنه .

ذكر الغزالي أن الشبلي رحمه الله خدم أربعمائة أستاذ ، وقال قرأت أربعة آلاف حديث ، ثم اخترت منها حديثا واحدا ، وعملت به ، وخليت ما سواه؛ لأني تأملته فوجدت خلاصي ونجاتي فيه ، وكان علم الأولين ، والآخرين كله مندرجا فيه فاكتفيت به ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبعض أصحابه: (اعمل لدنياك بقدر مقامك فيها ، واعمل لآخرتك بقدر بقائك فيها ، واعمل لله بقدر حاجتك إليه ، واعمل للنار بقدر صبرك عليها) (757)

الحل يا مسلمون أن نعمل بما علمنا الله وأن نعلم غيرنا وأن نقدم للإسلام شيئا ينفع وأن يؤدي كل واحد منا رسالته في موقعه الذي يسره الله له والله المستعان على أن يصلح قلوبنا وأحوالنا ويحسن ختامنا إن ربي سميع قريب مجيب والحمد لله رب العالمين .

العمل في زمن الغربة

لا شك أن العمل يزيد أجره ويعظم قدره على قدر الفتن المحيطة به أو كما قالوا كلما عظمت المشقة كلما عظم الأجر وها نحن أولاء نحيا في زمن الغربة غربة الدين هذا الزمان الذي وصفه رسول الله بالصبر كما قال إن من ورائكم أيام الصبر المتمسك فيهن يومئذ بمثل ما أنتم عليه له كأجر خمسين منكم) قالوا يا نبي الله أو منهم ؟ قال : (بل منكم) قالوا يا نبي الله أو منهم ؟ قال : (بل منكم) ثلاث مرات أو أربعا . (758)

---

(757) ليس حديثا ولا سند له يثبت ولكن معناه صحيح . وببعض هذا اللفظ روي مقطوعا رواه أبو نعيم في الحلية وأحمد في الورع (قال رجل لسفيان أوصيني فقال له اعمل للدنيا بقدر بقائك فيها واعمل للآخرة بقدر مقامك فيها والسلام). (758) صحيح رواه الطبراني والعراقي وغيرهما.

(759) رواه مسلم . (طوبى) قيل أن معناها فرح وقرة عين وقال عكرمة نعم مالهم وقال الضحاك غبطة لهم وقال قتادة حسنى لهم وقيل المقصود بها شجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة سنة ولا يقطعها .

فما أكثر الفتن التي تحتوش الغرباء من شبهات وشهوات ولكن هذه الفتن تظل تلتف حول أبدان المؤمنين دون أن تصيبهم بشيء لأن قلوبهم مطمئنة بالإيمان وأرواحهم معلقة بالديان وأبدانهم مستسلمة للمنان فبشراهم ببشرى رسول الله التي يقول فيها : بدأ الإسلام غريبا وسيعود كما بدأ غريبا فطوبى للغرباء .(759)

توحيد الكلمة

كما دعانا الله ﷻ لكلمة التوحيد دعانا أيضا إلى توحيد الكلمة ووحدة الصف عندما قال سبحانه

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ * وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ (102،103آل عمران).

هذا ما يريده الله ﷻ من المسلمين : توحيد الله ثم توحيد الكلمة فإن لغة القرآن لغة واحدة فمن تعلم العربية فهو عربي والمسلمون يصومون معا في آن واحد ويجتمع منهم ملايين في الحج بزي موحد أما ينهض ذلك بالمسلمين فيجعلهم يرجعوا إلى ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته ويتخلون عن أطماعهم وأغراضهم وأهواءهم ولكن أعداء الله من اليهود وغيرهم يريدون غير هذا ولهذا جاء في بروتوكولات حكماء صهيون ما نصه

لقد بذرنا الخلاف بين كل واحد وغيره في جميع أغراض الأمميين- كل من يدين بدين غير اليهودية كالمسلمين والنصارى - الشخصية والقومية، بنشر التعصبات الدينية والقبلية خلال عشرين قرناً. ومن هذا كله تتقرر حقيقة: هي أن أي حكومة منفردة لن تجد لها سنداً من جاراتها حين تدعوها إلى مساعدتها ضدنا، لأن كل

واحدة منها ستظن ان أي عمل ضدنا هو نكبة على كيانها الذاتي. من البروتوكول الخامس من بروتوكولات حكماء صهيون .

وما بذره اليهود وأعوانهم في المسلمين قد حصدوا ثماره الناضجة من المنافقين وأصحاب الفرق المنحرفة التي تضاد وتعاند طريق رسول الله ﷺ وصحبه الكرام . لقد نجح أعداء الله حقا في تحقيق ما يرغبون في المسلمين فأسقطوا الخلافة الإسلامية على يد عدو الله مصطفى كمال أتاتورك لعنه الله في 26 رجب عام 1342 هجرية / 2-3-1924 ميلادية . ثم نجحوا في جبذ – جذب – المرأة من بيتها وحجابها إلى أوهام التحرر والتقدم والتنوير فضاعت المرأة وضاع أولادها وضاعت أجيال كثيرة حتى ظهر اليوم جيل ممسوخ لا يعرف من الإسلام إلا اسمه ومن القرآن إلا رسمه همهم البطون وقبلتهم النساء وقرآنهم الغناء ودولهم شتى وطرائقهم قددا – أي طرق متعددة مختلفة وآراء متفرقة – وصدق في المسلمين قول من قال :

إن القلوب إذا تنافر ودها   مثل الزجاجة شعبها* لا يجبر

والحال ما ترى ولكن ما السبيل ؟

إنه ليس من الصعب أن يتحد المسلمون وأن يقيموا دولة كبرى لها حاكم واحد فإننا جميعا نشاهد الدول الكافرة تتحد رغم اتساعها واختلاف مذاهبها كالولايات المتحدة الأمريكية وكالإتحاد الأوروبي مثلا .

فإذا وحد المسلمون الله سبحانه وتعالى حق التوحيد فإنهم لاشك ستتوحد كلمتهم فكما وحد الله سبحانه وتعالى صفوف المسلمين وألف بين قلوبهم برسول الله ﷺ فإن الله قادر أيضا على أن يوحد صفوف المسلمين اليوم وفي كل يوم ولكن بشرطين متلازمين الشرط الأول : أن يحقق المسلمون توحيد الله عز وجل والشرط الثاني : أن يتبعوا جميعا رسول الله ﷺ فيسمحون له أن يدخل بلادهم ومدارسهم ومساجدهم ووزاراتهم وحكوماتهم ليحكم في كل شئون حياتهم بما أراه الله سبحانه وتعالى ثم يرضى المسلمون بحكمه صلى الله عليه وسلم

---

*شعبها أي كسرها شعبها بفتح الشين وتسكين العين .

، فإن فعل المسلمون هذا توحدت صفوفهم ولقامت دولة الإسلام الكبرى التي يخشاها أعداء الله وإذا قامت هذه الدولة لعاد العز الذي سلب ولعاد المجد الذي مضى ولأخرجت الأرض بركتها يومئذ يكون الفقير مجبور والغني موفور والمظلوم منصور والظالم مقهور والله المسؤول أن يحقق ذلك وهو حسبي ونعم الوكيل والحمد لله رب العالمين .

ختام

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبعد فإني أحمد الله ﷻ على ما من به علي من الكتابة في هذه القضية الكبرى – التوحيد – التي هي أعظم القضايا على الإطلاق ثم أشكر كل من له فضل علي من العلماء والأقرباء .

وأحب أن أشير إلى أنه ما من كتاب إلا ويعدل فيه صاحبه ويلاحظ أنه قد فاته فيه أشياء أو وقع فيه اخطاء حتى إن تم الكتاب فإنه يلاحظ عليه ملاحظات ويؤخذ عليه مؤاخذات حتى إنك ترى لكتب النصارى المقدسة طبعات مختلفة منقحة ومصححة ولكن الكتاب الوحيد الذي لم ولن تشهد البشرية له مثيلا ولا نظيرا الكتاب الذي لم يستدرك عليه خطأ واحد ولم يعدل أو يغير أو يزاد فيه أو ينقص منه حرف واحد هو كتاب الله القرآن العظيم لأنه محفوظ بحفظ الله ﷻ.

هو البحر من أي النواحي أتيته فلجته المعروف والبر ساحله

ومن هنا أقول إن كتابي هذا ليس معصوما فأقول كما قالوا

وان تجد عيبا فسد الخللا ... وجل من لا فيه عيب وعلا

وما كان من صواب فمن الله وحده وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمني ومن الشيطان والله ﷻ بريء منه ورسوله ﷺ.

وأسأل الله ﷻ أن يجعل كل ما كتبت خالصا لوجهه الكريم وأن يتقبل هذا العمل ويروي به كل ظمآن ويهدي به كل حيران ويزيد به أهل الإيمان . وأن يغفر لكل من له فضل علي من الأقرباء والعلماء وأن يحسن ختامنا أجمعين ويجمعنا في جنات النعيم .

اللهم صل على سيدنا محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم وبارك على سيدنا محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد ...آمين

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ . وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ

سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ *

وَسَلَـٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ * وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ

تم بحمد الله تعالى وعونه ومدده وتوفيقه وحده في يوم الخميس

الموافق التاسع من شهر ذي القعدة لعام 1427هـ 30 نوفمبر 2006م .

خادم العلم الشريف إسماعيل الشرقاوي
المجاز بالقراءات العشر وكتب السنة واللغة والشريعة ،
أستاذ القرآن الكريم بالأزهر الشريف ومعهد الدعوة والدراسات الإسلامية بالإسكندرية على السكاي بي elsharkawe1427 على الهوت ميل والماسنجروالياهو - محمول 0120426105

الفهرس